

History of the most famous Eastern Martyrs

Part 2

By: Addai Scher Chaldean bishop of Seert

چاپخانەی
ئاراس
هەولێر - کوردستان
Aras Press
Kurdistan - Erbil

KHI Kurdish Heritage Institute

ܒܝܬ ܐܪ̈ܟܐ
ܕܒܝܬ ܡܪܕܘܬܐ

Ex Libris
Beth Mardutho Library

كتاب

سيرة اشهر

شهداء المشرق

القديسين

المجلد الثاني



طبع في الموصل

في دير الآباء الدومنيكيين

سنة ١٩٠٦

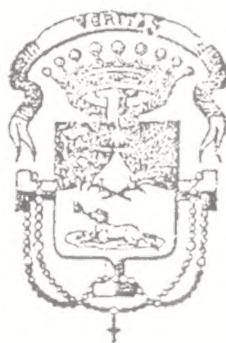
VIE

DES

SAINTS MARTYI

D'ORIENT

SECOND VOLUME



MOSSOUL

IMPRIMERIE DES PÈRES DOMINICAIN:

1906

IMPRIMATUR

† FR. HENRICUS ALTMAYER S. O. P.
ARCHIEPISCOPUS BABYLONENSIS,
DELEGATUS APOSTOLICUS

كتاب

سيرة اشهر

شهداء المشرق

القديسين

بقلم: المطران أدي شير

الجزء الثاني

الطبعة الاولى – الموصل ١٩٠٦

الطبعة الثانية – أربيل ٢٠٠٩



معهد التراث الكوردي ـ السليمانيه

اسم الكتاب: كتاب سيرة اشهر شهداء المشرق القديسين/ الجزء الثاني

كتبه: أدي شير مطران سعرد على الكلدان

مراجعة و تنقيح: الآب ألبير أبونا

إشراف: سراب سامي سعيد — بوار نورالدين

سلسلة الكتاب: ٨٥

التصميم الداخلي: كاروان سالار

تصميم الغلاف: حميد رةزا ئازمودة

عدد النسخ: ١٠٠٠

الطبعة الأولى: الموصل ١٩٠٦

الطبعة الثانية: أربيل ٢٠٠٩

المطبعة: ئاراس ـ أربيل

رقم الإيداع (١٣٧٣) لسنة (٢٠٠٩) وزارة الثقافة لأقليم كوردستان

حقوق الطبع محفوظة لمعهد التراث الكوردي ©

العنوان: العراق ـ السليمانية ـ عهلى ناجى

محلة ١٠٣ ـ زقاق ٥٢ ـ رقم الدار: ٢٢

TELFAX: 0044704-3137233

www.khi03.com

khi_2003@hotmail.com

طبع على نفقة دار ئاراس للنشر



فهرست الكتاب

المقدمة................................ ١١

مار يعقوب اسقف نصيبين.................. ٢٠

القدّيسة دختانشاه الشهيدة ابنة ملك الاهواز........ ٢٨

مار أوجين رئيس الرهبان.................... ٢٩

مار يليانا سابا............................ ٤٧

مار فنحاس الشهيد.......................... ٥٤

مار افرام الملفان........................... ٥٧

مار ابراهام القيدونيّ......................... ٦٩

مار افراهاط الفارسي........................ ٨١

مار عبد المسيح الشهيد...................... ٨٥

مار بختيشوع الشماس ومار تومرصا الجاثليق...... ١٠٢

مار غريغوريوس الراهب...................... ١٠٣

مار يوحنا الباجرمي......................... ١٠٤

مار خوداوي ١٠٥

مار ميخائيل رفيق الملائكة ١٠٦

اخبار ما جرى في الدير بعد وفاة القديس مار ميخائيل

رفيق الملائكة ١٢٣

مار زَيعا................................. ١٢٩

مار شليطا................................ ١٣٢

مار يونان الغريب ١٤٢

الباب الاول ١٤٣

الباب الثاني في وطن مار يونان ١٤٤

الباب الثالث في زهد مار يونان ١٤٥

الباب الرابع في مجئ القدّيس الى بلاد المشرق وتغيير اسمه ١٤٨

الباب الخامس في ذهاب مار يونان الى بريّة فيروز شابور ١٥٠

الباب السادس انتقال القدّيس من بريّة فيروز شابور الى ديرنا ١٥٢

الباب السابع في مجيء مار يونان الى ديرنا وقصّه عليَّ قصَّتَهُ وفي المعجزات

التي صنعها عندنا وكنتُ انا معايناً وخادماً لها ١٥٣

الباب الثامن في مجيء فافا الى ديرنا والمعجزات التي كان صنعها مار يونان

في بريّة فيروز شابور، ورجوعه الى مكانه ١٦٤

الباب التاسع وصول القدّيس الى بريّة فيروز شابور وموتهُ ١٦٩

مار دانيال الطبيب............................... ١٧٢

مار ميخا النوهدري............................... ١٨١

مار اشعيا الحلبي ١٨٨

مار ملكي القلوزمي ٢٠٢

مار عقبلاها اسقف كرخ سلوخ.......................... ٢١٠

مار شابور براز اسقف كرخ سلوخ........................ ٢١٣

شهداء كركوك الاثنا عشر الفاً............................ ٢١٥

١- المقدمة.................................... ٢١٥

٢- جهاد مار اسحق ويوحنا الاسقف وداديشوع وشوحاليشوع

وبختيشوع الكهنة.................................. ٢١٨

٣- جهاد اسحق واسطيفان الكاهنَين وابراهيم وشمعون ومعنا

ورفقائهم الثلاثة آلاف شهيد........................... ٢٢١

٤- جهاد ثمانية اساقفة والصبي ديندوي وشيرين وولَديها ورفقائهم

الثمانية آلاف والتسعمائة والاربعين شهيداً.................. ٢٢٢

٥- جهاد مار طهمز كرد............................. ٢٢٥

مار حزقيال الراهب........................ ٢٢٩

مار يارث الراهب........................ ٢٥٢

مار عبدا الراهب........................ ٢٦١

مار عبد يشوع الراهب........................ ٢٦٣

مار اسحق الجاثليق........................ ٢٦٥

مار أحا الجاثليق........................ ٢٦٨

مار يهبالاها الجاثليق........................ ٢٦٩

جهاد مار نرساي الراهب........................ ٢٧١

جهاد طاطاق الشهيد........................ ٢٧٧

جهاد هرمزد وأيتي ورفاقهما الشهداء الثمانية........................ ٢٧٩

جهاد مار عبدا اسقف هرمزد أرداَشير وهشو واسحق القسّيسَين وافرام الكاتب وفافا الشماس وداذوق ودورثان العلمانيّين وفافا اخي مار عبدا الاسقف ٢٨٢

الشهداء الذين قُتلوا في اضطهاد بهرام الخامس........................ ٢٨٥

١– مار يعقوب النقطّع........................ ٢٨٧

٢– مار مهارشابور الشهيد........................ ٢٩٨

٣– مار سابوخت الشهيد........................ ٣٠٠

٤– جهاد يعقوب كاتب ومهاران الملك........................ ٣٠١

٥– مار فيروز البيلافاطي الشهيد........................ ٣٠٨

٦– مار هرمزد الشهيد........................ ٣١٢

٧– مار بنيامين الشماس ٣١٤

مار ماروثا اسقف ميافرقين........................ ٣١٦

مار رابولا اسقف الرها........................ ٣٢١

مار يازدين الحبيس وفثيون وأذور هرمزد الوالي وابنتهُ

اناهيذ الشهداء........................ ٣٣٣

١– مار يازدين ٣٣٣

٢– جهاد مار أذور هرمزد الحاكم........................ ٣٣٦

٣– جهاد القديسة أناهيذ بنت أذور هرمزد الحاكم........................ ٣٤٤

٤– جهاد مار فثيون........................ ٣٥٠

مار بابوي الجاثليق الشهيد........................ ٣٥٧

مار سابا الراهب........................ ٣٦٠

جهاد الشهداء الحميريين........................ ٣٧٠

مار أنسطاس الشهيد........................ ٣٨٠

قائمة الأعياد والتذكارات حسب الطقس الكلداني ٣٩١

الاعياد والتذكارات المنحولة ٣٩٥

مقدمة

اني أُعِد نفسي سعيداً لأني قدرتُ مع كثرة أشغالي اليومية أن اقدم اليوم لبني الوطن العزيز المجلد الثاني من تراجم آبائنا الفخام القديسين وأجدادنا الكرام الطاهرين الذين زهروا وتلألأوا في فلك كنيستنا الأراميّة، وسقوا اراضينا بدموعهم الخلاصية ودمائهم الزكية، وحرثوها بمحرات التعاليم الانجيلية والقوا فيها زرع الحيوة الأبدية ولا يظن القارئ اللبيب أن كنيستنا المقدسة لم تلد وتقدم لله تعالى الا القديسين المذكورين في هذا المجلد الثاني وفي المجلد الأول ولكن فليتحقق انها ولدت وقدمت غيرهم كثيرين لا يُحصى عددهم منهم مَن أخذت يد الضياع سيرتهُ الجليلة، ومنهم مَن لم يمكني مع جهدي البليغ ان احصل على ترجمته مع كونها موجودة في بعض خزائن كنائسنا الشرقية وأُسلي نفسي مؤملاً أنّ غيري يُعطى ان يتحف الوطن العزيز بمجلد ثالثٍ ورابعٍ من تراجم آبائنا الأطهار الابرار، وعلى الله الاتكال فانهُ لايخيب الآمال.

قلتُ في مقدمة المجلد الأول من هذا الكتاب اني في هذا التاليف تحريت الترتيب التاريخي، ومع ذلك لئلا يعرض خلل في مصف الشهداء المقتولين في الاضطهاد الأربعيني نظمتُ في هذا العقد الثاني بعض لآلئ تلألأت في كنيسة الله الشرقية في منتصف الجيل الرابع كمثل مار يعقوب اسقف نصيبين، ومار اوجين، ومار افرام الملفان وغيرهم واما ترجمة القديسة دختانشاه الشهيدة فسهواً انتظمت في هذا النظم الثاني وكان حقها ان تكون في العقد الأول بعد ترجمة القديسة تَربُو.

وهاك الآن بعض ملاحظات على كل قصة من القصص التي يحتويها هذا المجلد الثاني:

إنّ قصة مار يعقوب اسقف نصيبين مأخوذة من قصة مار اوجين التي تحوي ايضاً ترجمة هذا الاسقف الجليل ومن قصته نفسها وهي محفوظة في خزائن باريس ومطبوعة في المجلد الرابع من كتاب سيرة الشهداء والقديسين طبعة الاب بيجان.

وترجمة دُختانشاه الشهيدة مأخوذة من كتاب المجدل، وقد رواها ايضا مكيخا الجاثليق في رسالته الى بعض رؤساء المؤمنين باصفهان وايليا الثاني الجاثليق في مختصر جمعهُ من نَخب الآراء في الديانة النصرانية.

وسيرة مار اوجين كتبها مار ميخائيل رفيق الملائكة، وكان من تلاميذهِ، وبنى ديراً، وهو موجود الآن في غربي الموصل على دجلة، ويقول كاتب القصة في نهايتها: "هذا ما جمعتهُ بعضاً من السامعين الثُقات وبعضاً مما شاهدت بعيني انا ميخائيل الذي مكث معهُ زماناً طويلاً " وادخل مار ميخائيل في هذهِ القصة سيرة مار يعقوب اسقف نصيبين ومار ميليس الشهيد وحيث اننا كتبنا سيرتَي هذيَن القديسين الجليلين فلخصنا ما هو مكتوب عنهما في هذهِ القصة وحذفنا منها ما هو مكتوب عن ماني فانهُ غلطاً يقول عنهُ الكاتب أنهُ كان في زمان مار اوجين، لانّ ذلك الملحد كان في منتصف الجيل الثالث اي معاصراً لشابور الأول ملك الفرس لا لشابور الثاني كما يقول كاتب القصة وكذلك الزيادات الموجودة في نهاية القصة عن عدد واسماء تلاميذ مار اوجين هي من الناسخ لا من الكاتب فان بعضاً من الرهبان المذكورين غلطاً بين تلاميذهِ كانوا في الجيل السابع والعاشر، وانّ ما نالهُ مار اوجين من الله من بعث الميت الذي كان افترسهُ الاسَد فنُسب

ايضاً الى كثير من تلاميذه اي الى مار شليطا، ومار يونان، ومار ميخائيل، ومار يارث وغيرهم وقد حذفتُ هذه الأُعجوبة من قصة مار شليطا لانها طبق ما هي مسطورة في قصة مار اوجين وانّ سيرة مار اوجين محفوظة في خزائن دير السيدة بجانب القوش ودير مار يعقوب الحبيسي بجانب سعرد وكنيسة كويسنجاق وطبعها الأب بيجان في المجلد الثالث من سيرة الشهداء والقديسين.

وسيرة القديس يليانا سابا طبعها الأب بيجان في المجلد السادس، وأخذها عن مخطوطَين احدهما محفوظ في خزائن برلين والآخر في مكتبة باريس، ولا صحة لِما قيل انّ هذه القصة كتبها مار افرام، والداعي الى هذا القول انّ مار افرام كتب قصيدة في مدح يليانا سابا، ويقول كاتب القصة انّ ما كتبهُ عن القديس سمعهُ من أقاق اسقف حلب الذي كان عاين القديس وكان تلميذ تلميذه أسطريس.

وقصص فنحاس ونرساي وطاطاق وهرمزد ورفاقه الثمانية وعبدا اسقف هرمز ارداشير ورفاقه، ويعقوب الكاتب، وفيروز البيلافاطي الشهداء مطبوعة في المجلد الرابع من سيرة الشهداء والقديسين طبعة الأب بيجان.

واعلم انّ كاتب قصص نرساي ويعقوب المقطع ويعقوب الكاتب كان معايناً لجهادهم، وانّ قصة هرمزد وآيتي ورفاقهما كتبها ايضاً احد معايني جهادهم اسمهُ أبجر أما قصة مار عبدا ورفاقه الشهداء فلسوء الحظ ناقصة كثيراً، وخلاصة هذه القصة مسطورة باقوال وجيزة في كتاب المجدل، وانّ قصة فيروز البيلافاطي لها مشابهة كثيرة مع قصة مار يعقوب المقطع.

وسيرة مار افرام مطبوعة في صدر تأليفاته التي طبعها الشيخ السمعاني في مدينة رومية سنة ١٧٤٣، وطبعها السيد لامي ايضاً في مجموعة تآليف مار

افـرام الغـير المنـشورة، وطبعهـا الأب بيجـان في المجلـد الثالـث مـن سـيرة الشهداء والقديسين، والكاتب الذي هو مجهول الاسم عـاش زمنـاً مديـداً بعـد مار افرام، لانّ لا صحة لأُمور كثيرة نـسبها هـو اي الكاتـب الى مـار افـرام في قصته هذه، فحذفناها كلها، من ذلـك سـفرهُ الى مـصر ومكثـهُ فيهـا ثمـاني سنين وذهابهُ الى قيصرية لزيارة مار باسيليوس فـانّ مـار افـرام انتقـل مـن نصيبين الى الرهـا سـنة ٣٦٣ وتـوفي سـنة ٣٧٣ فـان كـان سـفرهُ الى مـصر صحيحاً فينتج انهُ لم يمكث في الرها سوى سنتين لا غير، الأمـر الـذي لـيس من المحتمل ولعلهُ ذهب الى مصر لكنه لم يمكث فيها الا زمنـاً يـسيراً، كـذلك ليس صحيحاً ما قيل في القصة نفسها عن الهونيين أنهـم في زمـان مـار افـرام حملوا على الرها ونهبوا وقتلوا فان خروج الهونيين على بلاد ما بين النهرَين كان في سنة ٣٩٦ أي في السنة الثالثة والعشرين لوفـاة هـذا الملفـان الجليـل، وكذلك غلط ما جـاء في القـصة انـهُ في زمـان هـذا الأب القـديس أتـى والـنس الملك مدينة الرها ونفى اسقفها مار بَرْسَا، وانّ القديس كتب ميمـراً عـن هـذا الاضطهاد فانّ نفي مار بَرْسَا كان في شهر ايلـول سـنة ٣٧٣ اي ثلاثـة أشـهر من بعد وفاة القـديس، وكـذلك لا صـحة لقـصة الامـرأة الخاطئـة أنهـا كتبـت جميع خطاياها على قرطاس فقدمتهُ لمـار باسـيليوس فـصلى هـو فمُحيـت جميع الخطايا من على القرطاس ماعـدا خطيـة واحـدة جـسيمة فأرسـل مـار باسيليوس المرأة الى مار افرام قائلاً لها: "هو قادر ان يمحـو تلـك الخطيـة" وأما مار افرام فرجعهـا الى مـار باسـيليوس مُشيراً اليهـا ان تلحقـهُ قبـل ان يموت فرجعت مسرعة الى قيصرية واذا بمار باسيليوس قد مـات وكُفـن قلـتُ انّ لا صحة لقصة هذه الامرأة لان مار افرام توفي قبل مار باسيليوس وكذلك انّ كاتب القصة يناقض نفسهُ اذ يقول انّ مـار افـرام مـن بعـد خروجـهِ مـن

نصيبين اعتمذ فتعلم المزامير وتخرج في علم الكتاب المقدس ولهُ حينئذٍ من العمر ثماني وعشرون سنة فان القصة نفسها تقول انّ مار افرام حضر المجمع النيقاويّ مع معلمهِ مار يعقوب، والحالة هذهِ انّ المجمع النيقاوي انعقد سنة ٣٢٥ ومار افرام ترك نصيبين سنة ٣٦٣ فترى كيف كان لمار افرام ثماني وعشرون سنة حين خروجهِ من نصيبين؟ وثانياً انّ مار افرام لهُ عدة ميامر ألفها وهو في نصيبين، فكيف اذاً بعد خروجهِ منها يكون قد تعلَم المزامير، واما كتاب وصيتهِ فذهب قوم انهُ من تصانيفهِ وانكر ذلك غيرهم.

وسيرة مار أبرهام القيدوني طبعها الأب بيجان في المجلد السادس من سيرة الشهداء والقديسين، وقيل انّ كاتبها هو مار افرام، والأصح أنهُ غيرهُ، لانهُ مكتوب في القصة نفسها انّ مار افرام قُبِر بقبر هذا القدّيس، وأياً يكون الكاتب فكان معاصراً للقديس اذ يقول في المقدمة انهُ كان في زماننا.

وقصة مار أفراهاط الفارسي مأخوذة من كتاب مروج الأخيار المطبوع في بيروت في مطبعة الآباء اليسوعيين.

وجهاد عبد المسيح الشهيد مطبوع في المجلد الاول من كتاب سيرة الشهداء والقديسين طبعة الأب بيجان.

وترجمة بختيشوع الشماس وتومرصا واسحق وأحا ويهبالاها الجثالقة مأخوذة من كتاب المجدل ومن كتاب تواريخ قديم محفوظ في الموصل في القلاية البطريركية الكلدانيّة.

وترجمة غريغوريوس الراهب ويوحنا الباجرمي مأخوذة من كتاب العفة تاليف يشوعدناح مطران البصرة، وقد طبعهُ الأب بيجان سنة ١٩٠١.

وانّ مـار خـوداوي لم أعثـر علـى سـيرتهِ، وانّ مـا كتبتـهُ عنـهُ أخذتـهُ مـن عونيثـة مـسطورة بـين عونيثـات كيـوركيس وردا، والـذي ألـف العونيثـة (القصيدة) مجهول الاسم لكنها مأخوذة على كل حال من قصة القديس.

وسيرة مار ميخائيل رفيق الملائكـة أرسـلها لـي مـن الموصـل الى كركـوك الأب ديلامتِ المرحوم رئيس الرسالة الدومنيكية في الموصل، وهـي مُتَرجمـة من الأرامية الى العربية بقلـم القـس خـدر الموصـلي سـنة ١٧٢٠، ولم اصـحح منها سوى بعض ألفاظ قليلـة، لكـن حـذفتُ منهـا ثـلاث قُطيَعـات بانـت لـي خيالية، وأما النسخة السريانية فموجودة في بيعة كرمليس لكنها لسوء الحظ ناقصة كثيراً من بداءتها، وأما كاتب السيرة فكـان بعـد الجيـل العاشـر كمـا يظهر ذلك مما كتبهُ من تاريخ الدير في نهاية القصة، ولابـد انّ القـصة كانـت موجودة قبلهُ لكنهُ زاد عليها أشياء كثيرة.

وقصة مار زيعا محفوظة في الكنيسة المبنية على اسمهِ في جيلـو وفي مكتبـة مار يعقوب الحبيسي وقد طبعها الاب بيجان في المجلـد الأول، وانّ مـا كتبتـهُ هنا عن هذا القديس ملخص من قصتهِ، لأن كان فيها اشـياء كـثيرة خياليـة أضربتُ عن ذكرها.

وسيرة مـار شـليطا محفوظـة في الكنيـسة المبنيـة علـى اسمـهِ في اردیشاي بقرب أُرمية وفي بيعة كويسنجاق ومطبوعة في المجلـد الأول مـن كتـاب سـيرة الشهداء والقديسين، وتقول القصة انّ مار شليطا كان من بلاد مصر وتتلمذ لمار اثناسيوس وافحم الأريوسيين، ثم أتى بصحبه مار اوجين الى المـشرق، ولكنَّ في هذا نظراً، لا انّ اسم شليطا اسم سـرياني كلـداني، وهـذا ممـا يـدل على كونهِ كلدانياً، ثم انهُ يلوح من سيرة مار اوجين انّ هـذا القـديس رئـيس الرهبان كان قد اتى الى بلادنا قبل انعقـاد مجمـع نيقيـة، ومـن ثمـة قبـل ان

يجلس مار اثناسيوس على كرسي الاسكندرية، فترى انهُ لايمكن قبول صحة القول بانَّ شليطا كان من بلاد مصر وانهُ افحم الأريوسيين الا ان يُفترض انهُ في مجيئه الى المشرق غير اسمهُ وانهُ لم يصحب مار اوجين الى المشرق، لكن لحقهُ بعد ذلك بزمان ليس بيسير.

وقصة مار يونان الغريب محفوظة في خزائن بروباغندة ودير مار يعقوب الحبيسي، وطبعها الأب بيجان في المجلد الأول، وقد كتبها زادوي رئيس دير مار توما الذي في بلاد الهند تحت بلاد القطاريِّين، والقطاريون كانوا في شرقي بلاد العرب على ساحل خليج العجم، وكان زادوي معايناً لأكثر فضائل مار يونان والمعجزات التي جرت على يده.

وقصة دانيال الطبيب، وميخا النوهدري، واشعيا الحلبي، وملكي القلوزمي مطبوعة في المجلد الثالث والخامس، اما قصة مار ميخا فيخال لي انّ كاتبها كان في الجيل الخامس عشر، لانهُ في المقدمة يذكر اسم شمعون الجاثليق، ولأبد انهُ أخذها من قصة أُخرى قديمة، وقصة مار ملكي القلوزمي حذفتُ منها أشياء كثيرة بانت لي خيالية، ومذكور في القصة انّ الذي كتبها كان احد رفقاء القديس اسمهُ اليشاع وانهُ رافقهُ منذ حداثته، فلستُ اظن ذلك صحيحاً، لأنّ ليس في القصة مايدل على انَّ الذي كتبها كان معاصراً للقدّيس، بل بالعكس فيها أشياء كثيرة تدل انّ كاتبها كان بعد القديس بزمان كثير.

وترجمة عقبلاها وشابور براز اسقفي كرخ سلوخ مأخوذة من سيرة مار حزقيال ومن تاريخ كركوك وشهدائها.

وقصة شهداء كركوك الاثني عشر الفاً ماخوذة من تاريخ كركوك وشهدائها، وهو محفوظ في خزائن برلين ودير السيدة بجانب القوش، ويوجد منهُ نسخة

في كركوك، وطبعهُ الاب بيجان في المجلد الثاني اما كاتب القصة فمجهول الاسم ويظهر من أقواله الأخيرة انهُ كان من نفس كرخ سلوخ وفي الجيل السادس، وانّ ثلاثة من الشهداء الذين سبق ذكرهم في المجلد الأول من هذا الكتاب (طالع صحيفة ١٨٨-١٩١) مذكورون ايضاً في هذه القصة وهم معنا وابراهيم وشمعون فانّ كاتب جهاد شابور اسقف بيت نيقاطور، واسحق اسقف كرخ سلوخ يقول أنهم تكللوا في اضطهاد شابور الملك واما كاتب تواريخ كرخ سلوخ فيقول انهم استشهدوا في اضطهاد يزدجرد الملك فاقول انهُ لمن المحتمل انّ الكاتب الأول قد انغش، فانهُ كان بعيداً عن محل استشهادهم اذ كان من مدينة الرها كما يلوح ذلك من عنوان جهاد الشهداء: "استشهاد شابور اسقف بيت نيقاطور، واسحق اسقف كرخ سلوخ، ومعنا، وابراهيم وشمعون" الذين استشهدوا ثمة في بلاد الفرس في أيام شابور ملك الفرس.

وسيرة مار حزقيال الراهب محفوظة في خزائن كنيسة كركوك، لكنها ناقصة كثيراً من البداءة، وخطها يرتقي الى الجيل الثاني عشر فصاعداً.

وقصة مار يارث وجدتُها في خزائن دير السيدة ولي نسخة منها، وفيها بعض نواقص ايضاً.

وترجمة مار عبدا ومار عبد يشوع الراهبَين مأخوذة من كتاب المجدل ومن كتاب تواريخ قديم محفوظ في مكتبة دار البطريركية الكلدانية في الموصل.

وجهاد مار يعقوب المقطع ومار ميهرشابور طبعهُ السمعاني ومطبوع ايضاً في المجلد الثاني من كتاب سيرة الشهداء والقديسين.

وجهاد سار هرمزد وبنيامين وأنسطاس الشهداء مأخوذة من كتاب روربكر وقصة مار ماروثا مأخوذة ايضاً من الكتاب نفسه ومن مخطوط تاريخ الكلدان تأليف الطيب الذكر مار عبد يشوع الخامس بطريرك الكلدان.

وترجمة مار رابولا طبعها أولاً العلامة أُفربيك سنة ١٨٦٥، وطبعها الأب بيجان في المجلد الرابع، وكاتب القصة كان معاصرا للقديس لكنهُ مجهول الاسم.

وجهاد مار يازدين وفثيون وأذورهرمزد وابنتهُ اناهيذ محفوظ في خزائن كنيسة آمد الكلدانية ومطبوع في المجلد الثاني من كتاب سيرة الشهداء والقديسين.

وترجمة بابوي الجاثليق مأخوذة من كتاب المجدل ومن قصته التي طبعها الأب بيجان في المجلد الثاني، وقصة مار سابا الراهب مطبوعة ايضاً في المجلد الثاني ومحفوظة في الكنيسة المبنية على اسمه في قرية أورِشا في كاوار.

وقصة الشهداء الحميريين كتبها شمعون الأرشامي، وكان معاصراً لهم، وقد طبعها العلامة كيدي سنة ١٨٨١، وبيجان في المجلد الأول من كتاب القديسين والشهداء سنة ١٨٩٠.



مار يعقوب اسقف نصيبين

(٢٣٨)

انّ مار يعقوب وُلد في مدينة نصيبين، وتشرب منذ نعومة اظفارهِ بغض الاباطيل الدنيوية وتعشق الفضيلة، ثم تخرج في العلوم الآلهية، واراد انتخاب سيرة الزهاد المتوحدين السامية والعبور من لذَّات العالم الى حمى علم الحكماء والفلسفة الحقيقيّة الوحيدة فخلع عنهُ ثيابهُ العالميّة، واتشح بالأطمار الحقيرة مُنتَهجاً طريق التوبة، واتخذ قمم الجبال مسكناً لهُ فكان يقيم صيفاً في رؤوس الجبال لا مظلة لهُ سوى السماء، وفي الشتاء وشدة البرد يدخل مغارةً فيستتر فيها اياماً قليلة فصار هدفاً لحرّ الصيف المذيب وقرّ الشتاء الشديد، وكان يقتات بحشائش البريّة وأثمار الاشجار الجبليّة لا ياكل منها الا ما يسد رمقهُ، وكان يمشي حافياً وليس على بدنهِ الا انسجة غليظة من شعر المعزى واما قوتهُ الروحي فكان الكتاب المقدَّس فكان يتناول معانيهُ السامية بشوقٍ ولذة ويصلُ الليل بالنهار غارقاً في بحار التأمل ومناجاة الله، ولم تكن تزدهُ الأيام الا فضيلةً ونماءً وقداسةً وسناءً فأصبح نبراساً للكمال الربانيّ ومثالاً في جميع الفضائل المسيحيّة.

وسافر مرةً الى بلاد فارس ليشددِ عزيمة النصارى بارشاداتهِ الصالحة، فكسر لهم خبز الكلم المقدّس وَوزع عليهم لبن التعليم المقوي، وعزى تلك النفوس التي كانت قد تولتها الاشجان والغموم فردّ اليها حياة الثقة والسلام في حومة الاضطهادات الثائرة عليها واجرى الله على يدهِ معجزات كثيرة ورجع بواسطتهِ كثيراً من المجوس الى الايمان الصحيح.

وفي غضون ذلك أتى مار اوجين الى نصيبين، ورجع مار يعقوب من سفرته غانماً منصوراً، وانطلق الى مار اوجين ليتبرك به، فرحب به وقال له: "اليوم أُقابلك كمثل غريب وبعد قليل أواجهك كمثل اسقف وراعي بيعة الله" وتمت نبوة مار اوجين اذ اتفق في تلك الأيام انّ مطران نصيبين توفي، فاجتمع كهنة المدينة واعيانها لينتخبوا خليفةً لهُ، فاختار بعضهم شخصاً لم يُرِدهُ الاخرون، فحينئذٍ وقع بينهم الخلف والشقاق، فاجمعوا على ان يقصدوا مار اوجين فيستشيروهُ في الامر وياخذوا برأيهِ، فاشار عليهم ان ينطلقوا الى آمد حيث كان رئيس أساقفة المرعيث وقال لهم: "هناك يدلكم الربّ على الرجل المزمع ان يكون راعياً لكم" فانقادوا لكلامهِ، وفي اليوم الخامس ذهبوا الى آمد، فعرضوا الأمر على المطران وعلى الاساقفة الذين كانوا مجتمعين عندهُ واطلعوهم على كلام مار اوجين فاخذ الأساقفة يصلون ويبتهلون الى الله عزّ وجلّ ليدلهم على الرجل الذي سُرّ به ليرتقي الى كرسيّ نصيبين وكان رئيس الاساقفة يصلي بدموع سخينة، فغلب عليهِ النعاس، فرأى شاباً بهيّ المنظر واقفاً جنبهُ يقول لهُ: "انّ الذي قال عنهُ مار اوجين انهُ يكون راعياً لنصيبين ليس الا يعقوب الحبيس" ودلهُ ايضاً على المكان الذي كان فيه ساكناً وفي الغداة دعا الاساقفة وجميع النصيبيّنين، وأخبرهم بما رأى، ثمّ توجهوا جميعاً وأتوا نصيبين فكتبوا الى مار يعقوب رسالةً فيها أوعزوا اليه انّ يقوم فياتي نصيبين ولم يُطلِعوهُ على امر انتخابهِ للاسقفيّة غير انّ القدّيس عرف مقاصدهم، على انّ مار اوجين كان قد أنبأهُ بذلك قبل ايام قليلة كما سبق القول ومع هذا لم يقاوم إرادة الله، فإنّهُ علم انّ انتخابهُ منهُ عزّ وجلّ فاتى نصيبين، فمُنح الوسم الاسقفيّ الجليل وكان ذلك اليوم يوم فرح وحبور لجميع الأهالي وصار السوال عن اصل مار يعقوب وأُسرته، فلم

يعرف احد شيئاً من امره، فسُئل الاسقف عن ذلك فلزم السكوت، ولما كان يوم الاحد اتى مار اوجين بصحبه بعض من تلاميذه ليسلم على الاسقف الجديد، وكان دخولهُ في المدينة صباحا اذ كان الشعب في الكنيسة قائماً بالصلوة، فرحب مار يعقوب بالقديس اوجين، فجعل مار اوجين يحمد الله على انهُ اقام لكنيسته راعياً غيوراً نشيطاً لاعيب فيه قد قضى ايامهُ في الجبال منقطعاً فيها للصوم والصلوة، ثمّ هنأ الشعب بحصوله على راعٍ جليل قديس وقال: "تهللوا يا اخوتي فرحاً وسبّحوا الربّ لانهُ منحكم راعياً جليلاً نبيلاً ينتمي الى أُسرة مار يعقوب اخي الربّ الذي صار اسقفاً على اورشليم في ايام الرسل الاطهار" وكان مار اوجين بوحي آلهي عرف هذا الامر.

وقام مار يعقوب باعباء خدمته الجليلة حقّ القيام، وكان منطقهُ الصّواب وملبسهُ الفضيلة ودأبهُ التقشف وسيماؤهُ التواضع، ولم يغير السيرة المقدّسة القشفة التي انتهجها أيام كان يسكن الجبال والبراري، فبقي متمنطقاً بانسجة غليظة من شعر المعزى، ولم يبدل مأكلهُ، ولم يغير سوى المسكن لا غير، وزاد على ذلك الهمةَ في اسعاف الفقراء والمحتاجين وتخفيف مصائب السقماء والبائسين الذين كان يقوم بأودهم وقصارى القول انّ هذا الناسك النشيط اضحى معزيّاً ونموذجاً واباً مربياً لرعيته المحبوبة.

وما اكتفى مار يعقوب بتقدمة نفسه لبيعته مثالاً حياً للفضائل الكهنوتية، بل كان ملتهباً غيرةً على اتمام كل واجباته مستنفداً كل وسعه في حماية حظيرة خرافه من حملات الهراطقة وفي ردّ الوثنيين الى الايمان الصحيح، وكان كثير من المرقيونيّين في نصيبين فبمساعدة مار اوجين بدد شملهم، وأصلح عقائد الشعب بالتعاليم الخلاصيّة وذلك بواسطة ما كان الله يصنعهُ

على أيديهما من المعجزات الربانيّة وسوف ياتي القول عن هذه المعجزات في قصة مار اوجين القدّيس، فانّهما أبرأ مخلعاً كان مطروحاً في رواق الكنيسة، ثم شفيا ابن قردون المرقيونيّ وقد كان يابس الرجلين، فطرد هذا من داره الكهنة المرقيونيّين فولوا هاربين من المدينة ايضاً فدك مار يعقوب اسوار الهرطقة وقاد كثيراً من الوثنيّين واليهود بزمام الاهتداء من تيه الاضاليل الى مناهج طاعة المسيح وغذى شعبهُ باقوات التقوى من مواعظ الانجيل فلذذهم.

وكان رحوماً شفوقاً على الفقراء لا يزال يوزع الصدقة على كل من يطلبها منهُ من المحتاجين والبائسين فذات يوم لاقى جماعة من الناس فارادوا ان يخدعوهُ بالحيلة والمكر فياخذوا منهُ فضةً، فتماوت احدهم، فحملهُ رفاقهُ على سرير متظاهرين أنّهم ذاهبون بهِ ليدفنوهُ ودنوا الى القدّيس وطلبوا منهُ فضةً لكي يشتروا بها كفناً فاجاب القديس الى سُؤلهم. واخذ يصلي طالباً من المولى القدير ان يغفر خطايا الذي كان يظنهُ ميتاً، ويمتعهُ بملكوته، وبينما كان يصلي توفي الذي كان تماوت، فلما بعُدَ عنهم القديس قليلاً دنوا الى رفيقهم ليوقظوهُ وهم يضحكون على القدّيس، فوجدوهُ ميتاً حقاً، فاخذ منهم العجب والخوف والحزن كل مأخذ، فبادروا الى القديس باكين بكاءً مراً، وانطرحوا على قدميهِ طالبين منهُ العفو عن مكرهم به ملتمسين اليه ان يحيي رفيقهم، فتحنن عليهم ورد رفيقهم الى الحياة.

وكان عدد المؤمنين يزداد يوماً فيوماً حتى رأى مار يعقوب انّ يبني بيعة كبيرة، لأن بيعتهم الأُولى كانت ضيقة وصغيرة وفي تلك الاثناء كان مار ميليس اسقف سوس عائداً من اورشليم فمرَّ بنصيبين ليزور مار يعقوب، وبقي عندهُ مدة من الزمان لِمَا رأى فيهِ من سمات الفضل والقداسة والسيرة

النسكيّة ورحب به مار يعقوب واحسن مثواهُ، وفرح ميليس ببناء تلك الكنيسة الفاخرة، واستقرض ثلثمائة دينار من تجار بلادهِ وقدمها إعانةً لتلك العمارة لأنهُ ما كان يملك سوى العصا والانجيل[1].

وفي ذلك الحين عُقد في المدائن مجمع من اساقفة بلادنا لتدبير احوال النصرانيّة ورفع الشكوك فانّ فافا الجاثليق كان يتكبر ويتطاول على الاساقفة والكهنة، ففترسهُ الاساقفة، وقيل انّ مار يعقوب لدى بلوغهِ هذهِ الاخبار المحزنة كتب رسالةً الى آباء ذلك المجمع وحثهم على التواضع والاتفاق[2].

وذُكر عنه: أنّهُ صعد الى جبل جودي فارسل اليهِ الله تبارك أسمهُ وتعالى ملاكاً رافقهُ الى الجبل المذكور، فصلى القدّيس فاراهُ الملاك بعض الاشياء العجيبة، فامتلا قلبهُ سروراً مقدَّساً وزادت ثقتهُ بلطف المولى القدير الكريم وبالعناية الابويّة التي لا يزال يخصهُ بها.

وتفكر القدّيس مار يعقوب انّ يبني في ذلك الجبل ديراً فيهِ يسَبَّح اسم الله القدّوس ويعظم على توالي الدهور، وانجز نيتهُ الصالحة هذهِ بمساعدة مار اوجين، وعند الانتهاء من العمارة أتى معهُ مار اوجين لتكريس ذلك الدير ووضع فيهِ رهباناً سكنوهُ، وهذا الدير يُذكر مراراً في تواريخ الكنيسة الكلدانيّة وهو المعروف بدير قيبوثا اي دير السفينة.

١- ان هذه الكنيسة بعد رقاد مار يعقوب انتسبت اليهِ، وباقية آثارها الى يومنا هذا وقد اخذها اليعاقبة في منتصف الجيل الماضي من يد الكلدان بامر الحكام.

٢- ان هذه رسالة مار يعقوب مع رسالة مار افرام محفوظة في مجموعة القوانين السنهادسية الموجودة في دير السيدة ودير مار يعقوب الحبيسي، لكن هاتين الرسالتين تحت الشك وليست اظن انهما لمار يعقوب ومار افرام.

ثمّ إنهُ لما جمع قسطنطين الملك جميع اساقفة الدنيا الى مدينة نيقيّة ليعقدوا مجمعاً مسكونيّاً لقهر ضلالة اريوس الذي كان ينكر الوهيّة ربّنا يسوع المسيح انطلق مار يعقوب ايضاً الى المجمع بصحبة بعض من اساقفة بلادنا وكان ذلك سنة ٣٢٥، ثمَّ لما أُجريَ تكريس هيكل القيامة العظيم الذي اقامهُ قسطنطين الملك كان مار يعقوب من جملة الاساقفة الكثيرين الذين قضوا هذا الاحتفال وعند ذلك سماهُ المؤرخون الغربيون فخر اساقفة الفرس وجهبذاً في الكتب المقدّسة، ولما كانت السنة ٣٣٦، استدعى قسطنطين الملك أريوس الهرطوقي الى مدينة قسطنطينيّة وأذن لأصحابهِ انّ يدخلوا به الكنيسة بكبكبة وعظمة على رغم اسقف المدينة، لأنّ اريوس كان خدعهُ وقال انهُ يعترف بايمان الكاثوليكيّين وكان مار يعقوب حينئذٍ في تلك المدينة، فحثّ الكاثوليكيّين انّ يواظبوا على الصوم والصلواة ملتمسين الى الله عزّ وجلّ انّ يُزيل القلق والشكوك من كنيسته المقدّسة، فانقادوا لرأيه وصاموا وصلوا سبعة ايّام، وكان مار يعقوب يصلي بحرارةٍ شديدة وبدموع سخينة، فاستجاب الله صلاتهُ، فانّهُ لما كان يوم الاحد أتى اريوس مصحوباً بجمّ غفير من اصحابهِ ليدخل الكنيسة فلم يتخط عتبتها حتى فاجأهُ وجع شديد في أمعائه، فدخل الخلاء وهناك مات أقبح ميتة.

وكانت نصيبين في حوزة الروم، فلما توفي قسطنطين الكبير، استمكن شابور من انّ يتحرش باولادهِ وكانوا صغاراً، فكان لا يزال يُغير على البلاد الروميّة، فلما كانت السنة ٣٣٨، اغار على مدينة نصيبين بجيش عرمرم، ووقف تحت اسوارها مدة طويلة يريد افتتاحها، وحاصرها سبعين يوماً ولم يتمكن من فتحها، فأُنتجت لهُ همتهُ ودلتهُ فطنتهُ انّ يسد نهر مغدون الذي يمر بالمدينة فاحتبس الماء وارتفع الى انّ فاض الحاجور فأمر حينئذ

بتفجير السدّ، فتدفقت المياه بشدة لا مزيد عليها وصدمت سور المدينة فهدمتهُ في موضعين في مدخلها ومخرجها فلما عاين ذلك شابور تملك قلبُهُ الحبور لانهُ رأى المدينة في قبضة يدهِ ولم يمكنهُ في ذلك اليوم الهجوم على المدينة لأنّ النهر كان طافحاً، فلما اصبحت تأهّب للهجوم ودنا بجيوشهِ الى الموضع المهدوم من السور، واذا بهِ قد بُني من جديد فإنّ مار يعقوب كان قد اوعز الى الاهالي فجدوا وبنوا في تلك الليلة سوراً ثانياً، وكان القدّيس في الكنيسة يصلي متضرّعاً اليهِ تعالى ان يبارك في أعمالهم، فلما رأى شابور الملك ذلك أخذهُ العجب ثمّ اشتد عجبهُ اذ رأى على السور رجلاً متقمصاً بحللٍ ملكيّة ذا رداء وتاج يلمعان ضياءً فظنّ انهُ قسطنطيوس ملك الروم، فحقد على الذين كانوا قد قالوا لهُ انّ الملك ليس في نصيبين غير انهُ ما لبث انّ أيقن انّ الملك في انطاكيّة، فقال حينئذٍ: "اذاً الملك الذي رأيتهُ على السور ليس الا آله الروميّين أتى لنجدتهم" قال هذا مغضباً وأخذ سهماً فرشق بهِ الفضاء قاصداً انّ يرمي بهِ إله السماء، وكان مار افرام حينئذٍ في نصيبين تلميذاً لمار يعقوب فطلب الى معلمهِ انّ يرشق شابور وعساكرهُ بسهام اللعنة، غير انّ مار يعقوب لم يُرِد هلاك أعدائهِ، فتصاعد على برج وصلى والتمس الى الله القدير انّ يكسر هذا الجيش الهائل بعسكر من بعُّوض وللحال امتلأ الهواء بعوضاً فأخذ يدخل خراطيم الافيال ومناخر الخيل وآذانها، فهاجت الدواب فكسرت لجُمها وتبددت أيادي سبا، فاضطرب الجيش، وفزع شابور فولى هارباً من قدام الآله الجبار مكتسياً ثوبَ العار، وهكذا نجت المدينة بصلوات مار يعقوب الجليل.

وتوفي مار يعقوب سنة ٣٣٨ وذكرهُ عند الكلدان في الجمعة الأُولى من القيظ كما جاء في الحُذرة، وفي اليوم السابع عشر من نيسان كما جاء في قائمة

القديسين السنويّة الموجودة في دير مار يعقوب الحبيسيّ بجانب سعرد، وعند السريان في ٢١ تشرين الثاني، وفي أول شباط مع مار افرام، وعند الموارنة في ١٥ تموز، وعند اللاتين في ١٥ حزيران، وعند الأرمن في السبت الأول من سبّة الخمسين مع مار اوجين الناسك ولمار يعقوب مقالات كثيرة في شان العبادة والتقوى لم يبقَ اصلها السريانيَ وأنما بقيت ترجمتها الأرمنيّة[1] وقال عنهُ جناديوس في قائحة المؤلفين الكنسيّين انهُ كتب قصة مار عبدونَ وسينون الشهيدين، وصرف مار يعقوب همتهُ الى احياء العلوم المقدّسة، فأنشأ مدرسة في نصيبين ونصب فيها مار افرام معلماً.



١– وقيل ان هذه المقالات هي تاليف يعقوب السروجي.

القديسة دختانشاه الشهيدة ابنة ملك الاهواز

(٣٤١)

انّهُ في أيام الاضطهاد الذي ثار على النصارى سنة ٣٤١ كان ملك الأهواز يفتك بالذين في مملكتهِ فتكاً ذريعاً، وكان لهُ ابنة وحيدة تُدعى دختانشاه ومعناهُ بالفارسيّة بنت الملك فذات يوم اذ كانت جالسة في القصر وامامها الماشطة تضفر ذوائبها نظرت واذا ارواح النصارى الذين كان أبوها يقتلهم تطير الى السماء على هيئة القناديل النيّرة، فوقع ذلك في قلبها، فاحتجّت على الماشطة ببعض الاسباب ونزلت من القصر على غفلةٍ وتنكرت وانضمت الى اولئك الذين كانوا يُقتلون فاستشهدت هي ايضاً معهم ولم تُعرَف فلما فتش عنها خدامها لم يجدوها اعلموا امّها واباها، وجعلوا يطوفون في طلبها حتى وجدوا رأسها مقطوعاً ومرمياً بين رؤوس الشهداء، فعرفوها بشعرها لأنهم كانوا قد سألوا الماشطة عنها فاخبرتهم قائلة: "انها قالت لي أتَرين هذهِ القناديل التي تعلو في الهواء؟ فقلت لها: لستُ أرى من ذلك شيئاً ففي تلك الساعة قامت مسرعةً ونزلت من القصر" امّا هذا الامر الغريب فكان داعياً الى تنصر كثير من الناس، وكان استشهاد القديسة دختانشاه سنة ٣٤١ للمسيح.



مار اوجين[1] رئيس الرهبان

(٢١ نيسان ٣٦٢)

كان اوجين من بلادٍ في حدود مصر من جزيرة قليزما في البحر، وكانت صناعتهُ الغطس في البحر واخراج اللآلئ، وكان يوزعها على الأديرة والبَيع والمساكين واستمر على ذلك مدة خمس وعشرين سنة ثم اختصهُ الله بموهبة صنع العجائب وطرد الامواج من السفن والمشي على البحر كما على اليبس وبنى اوجين في ارضه ديراً، ولما شاع خبر معجزاته اراد الهزيمة فعمد الى ديره ونصب رئيساً بمكانه، ورحل هو الى دير فاخوميس غير معروف، وأقام فيه بصفة مبتدئ وذُكر عنهُ انهُ صنع يوماً في هذا الدير ايضاً اعجوبةً تاييداً لإيمان احد الرهبان، وتوطيداً لثقته بقوة الله تعالى، ثم هرب من هناك خوفاً من المجد الفارغ وأتى مصر، وخرج اليه الآباء النساك فوعظهم واصطحب منهم نفراً وقيل انهم كانوا سبعين وقصد واياهم ارض نصيبين فيما بين النهرين، والتقى في الرها بالقديس مار ميليس وتبرك به[2]، فلما انتهوا الى نصيبين قطنوا خفيةً في أول الامر في جنوبي المدينة على نهر ماشاخ في أجمة قصباء، ومكثوا هناك سبعة أيام منقطعين للعبادة.

واتفق انهُ اجتاز بذلك المكان انسان فيه روح نجس، فرآهُ مار اوجين وتحنن عليه فانتهر الشيطان وامرهُ باسم المسيح انّ يخرج منهُ، فشُفي الرجل من ساعته، وبادر الى المدينة فأخبر أهلها بما جرى، فأخذت الجميعُ هزة الانذهال وجعلوا يسألونهُ قائلين: "من هو الذي أزال عنك ذلك البلاء؟ قال:

١- اسم يوناني معناه الشريف الفاضل الشجيع.

٢- طالع الباب الرابع من قصة مار يونان الغريب (في هذا المجلد).

رأيتُ اناساً ساكنين في جنوبي المدينة على النهر في أجمة قصباء، فالمقدَّم عليهم انتهر الشيطان واخرجهُ مني" فذاع هذا الخبر في كل المدينة، فخرج اهلها الى القدّيسين، ولما رأوهم قالوا لهم: "ما شانكم ومن اين انتم؟" فقال لهم القدّيس: "اننا غرباء ونحن تلاميذ المسيح ابن الله ولهُ نسجد واياهُ نعبد، وباسمهِ نُبرئ المرضى" فطلبوا اليه انّ يدخل المدينة هو وتلاميذهُ ليشفي مرضاهم، لكنّ القديس اعتذر وقال: "اننا اليوم لايمكننا انّ نخرج من مكاننا" وفي تلك الليلة انقطعوا من هناك وصعدوا الى جبل الإزل[1] الذي في شرقي المدينة في مكان بقرب قرية معرًى، وسكنوا مغارةً مدة ثلاثين سنة في الزهد والتقشف، وسمع بهم اخوة كثيرون فاجتمعوا الى مار اوجين من كل جهة وصار عدد الرهبان ثلاثمائة وخمسين راهباً يتنافسون في الأعمال الزهديّة ويغسلون أرجل الغرباء والمساكين ويشفون الأمراض ويُخرجون الشياطين.

ومن بعد ذلك ظهر للقدّيس ملاك يقول لهُ: "قد سُمعَت طلبتك وقُبلت عبادتك، قم انذر انت واخوتك بالانجيل غير خائفين من الذين يقتلون الجسد ولا قدرة لهم انّ يقتلوا النفس" فنزل مار اوجين والاخوة من الجبل، وجعلوا يكرزون ببشارة الملكوت ويتلمذون في القرى، وذهب بعضهم فاشتروا ثلثمائة جرة، وكانوا كل يوم يملأُونها ماءً فيذهبون الى الطرق ويسقون عابري الطريق العطاشى، وكان الله يصنع على ايديهم معجزات كثيرة.

وفي اثناء ذلك توفي مطران نصيبين، وصار اهل المدينة والاكليروس في حيرة لا يعلمون من يُقيمون مكانهُ، فوقع بينهم الخلف والشقاق فأتوا مار اوجين، وكان قبل ثلاثة ايام قد جاء الى مار اوجين القدّيس مار يعقوب فقال

١– ان جبل الإزل هو المسمى الآن طور عابدين

لهُ: "اليوم أُقابلك كمثل غريب وبعد قليل كمثل مطران وراعي بيعة الله" وجرى الامر كذلك فانّ مار اوجين أشار الى اعيان المدينة واكليروسها انّ يذهبوا الى مدينة آمد حيث كان رئيس اساقفة المرعيث وقال لهم: "هناك يدلكم الربّ على الرجل المزمع ان يكون راعيكم" فامتثلوا أمرهُ وقد راينا في قصة مار يعقوب كيف انهُ بالهام الهي ارتسم مار يعقوب مطراناً على نصيبين فصار فرح عظيم في المدينة كلها، لان مار يعقوب كان قد ذاع صيت فضائله في كل قطرٍ ومَصر، وسُئِل عن أصل يعقوب وأُسرتهِ، فلم يعرف احد شيئا من أمره، واستُعلمَ القدّيس ذلك، فلم يقل شيئاً، فلما كان يوم الاحد نزل مار اوجين وبعض من تلاميذه الى المدينة ليُسلموا على مار يعقوب فرحب بهم وأحسن مثواهم، وكان دخول مار اوجين في المدينة صباحاً، وكان جميع الاهالي في الكنيسة فبارك الله لانّهُ أقام لكنيسته راعياً غيوراً لاعيب فيه وقال للجماعة: "افرحوا وسبحوا الرب لانّهُ اعطاكم راعياً جليلاً ينتمي الى أُسرة مار يعقوب اخي الرب الذي صار اسقفاً على اورشليم في أيام الرسل" وأنّ الله كان قد اوحى اليه هذا الكلام فابتهج النصارى واندفعوا يسبحون الله الذي اعطاهم راعياً قديساً وصيرهم أهلاً لأن يكون دير مار اوجين قريباً اليهم وهو شيخ جليل يصنع العجائب.

وكان رجل مخلع ملقىً في رواق الكنيسة منذ خمس عشرة سنة، فبصر به مار يعقوب ومار اوجين اذ كانا نازلين الى الكنيسة لتقديم الذبيحة الالهيّة، فقال مار اوجين لمار يعقوب: "حسن انّ نصلي على هذا الغريب" فجثَوَا وصليا طالبَين الى الله انّ يبرئهُ لكي يتمجّد اسمهُ تعالى في المدينة بين الوثنيّين واليهود فيعرفوا انّ المسيح ابن الله، ثم قاما من الصلوة، فطلب مار يعقوب الى مار اوجين انّ يرسم اشارة الصليب على جميع أعضائه

فيُقيمهُ، فتمنَّع مار اوجين واخذ يقول لـهُ: "لابل انت باشر ذلك" فحينئذٍ مسك مار يعقوب بيدهِ اليسرى ومار اوجين بيدهِ اليمنى ورسما عليـهِ اشارة الصليب قائلَين: "باسم ربّنا يسوع المسيح قم امشِ" وللحال انتصب الرجل قائماً وقلبـهُ يتـدفق سـروراً ولسانهُ يـسبح الله ويمجدهُ فلما نظر الجموع تعجبوا واخذوا يمجدون الله الذي اعطى خدامهُ سلطاناً مثـل هـذا، وذاع خبر هذهِ المعجزة في كل المدينة واما اليهود فمنهم مـن كـان يتعجب ومنهم مـن كان ينكر انّ الرجل كان مخلعاً.

وكان في المدينة احد المرقيـونيّين اسمـهُ قـردون يـبغض النـصارى بغـضاً شديداً، وكان أخوهُ حاكم المدينة وتابعاً هو ايضاً مذهب المرقيونيّين ولكن قبل انّ يصير حاكماً كان قسطنطين الملك قد الح عليهِ انّ يعتمذ ويتنـصّر، فأجاب الى سؤلهِ غير انّ قلبـهُ لم يـزل متعلقـاً بمرقيـون، وكـان قـردون قـد ادخل دارهُ كهنةً وشمامسةً مرقيونيّين وامتنع من الذهاب الى الملك خوفاً من انّ يجبرهُ هو ايـضاً علـى نبـذ ضـلالة مرقيـون وكـان لـهُ ابـن وحيـد يـابس الرجلين فلما اتصل اليهِ خبر المعجزة التي صنعها مار اوجـين ومـار يعقوب دعا الرجل الذي نـال الـشفاء لكـي يُطلعـهُ علـى حقيقـة الأمـر، فقـصَّ عليـهِ القصة، لكن واحداً من الحضار قام وانتهرهُ قائلاً: "أليس النـصارى علمـوك انّ تكذب فتقول كنتُ مخلعاً فشُفيتُ؟" فالتفت الرجل اليهِ وقال لـهُ: "لعمـر يسوع الذي ولدتهُ مـريم العـذراء القديـسة[1] لـو دعَـوتني انـت لمـا اسـتحققتَ الجواب مني، لكنني اعلم انّ قردون الحكيم دعـاني لكـي أُطلعـهُ علـى حقيقـة الأمر، لأنَّهُ يهمهُ شفاء ابنهِ ومعرفة الحق، وعلمي يقين انهُ يضرب كشحاً عن ضـلالتكم فيـذعن لتعليمنـا" ثـم التفت الى قـردون وقـال لـهُ: "الحق اقـول

١– ان مرقيون كان يعلم ان المسيح لم يتجسد حقيقةً وانهُ بصورة ظاهرة تراءَى للناس.

ياسيدي قردون ولا اكذب اني كنتُ مخلعاً وكنتُ منذ خمس عشرة سنة مُلقىً في رواق الكنيسة وكثير من أهالي المدينة رأوني في تلك الحالة المرثى لها والآن بقوة ربّنا يسوع المسيح أبراني مار يعقوب ومار اوجين، وانتَ ايضاً انّ آمنتَ بالمسيح الذي ولدتهُ مريم البتول ودنوتَ من القدّيسين شُفيَ ابنك لا محالة".

فلما سمع قردون هذا الكلام شدد عزيمتهُ على لقاء مار يعقوب ومار اوجين فقام من ساعته وذهب الى الكنيسة وصحبهُ جميع رفاقه وآل داره وعبيدهُ، وكان في تلك الاثناء حاكم المدينة واعيانها عند القدّيسَين، فدخل ووقف بين ايديهما وسجد لهما ثمّ قبل اياديهما وارجلهما واستوى قائماً وقال بصوت عال: "الى الآن كنتُ أظنّ انّ ديانتي حقّ ولاجل تمسكي بها حُرمتُ مراراً مراتب عالية، والآن انا واقع في حيرة شديدة اذ لستُ ارى في مذهب مرقيون شيئاً يحقُّ لي في عقلي انّ أُصدق به واتبعهُ، فقلتُ في نفسي: عليَّ انّ أبحث عن الديانة الحقيقيّة فان شفى هذان الرجلان ابني من مرضه فلا بدَّ من انّ تكون ديانتهما حقيقيّة فتوسلتُ الى الله وقلتُ: يا ربّ أرني انتَ ايّ الديانتين حقيقيّة، التي أنذر بها مرقيون ثمّ قردون ام التي ينذر بها النصارى، فأتيتكما بابني هذا، فاذا ابرأتماهُ زال عني كلّ شك وانا لدينكم من التابعين، وها انّ المرقيونيّين معي يقولون لي: اياك انّ تغوى بالأماني الكاذبة فانهُ من المحال انّ يُبرئ النصارى مخلعاً".

فلما فرغ قردون من مقالته قال لهُ مار اوجين: "اننا نؤمن بيسوع المسيح الذي ولدتهُ العذراء القدّيسة، وتالمّ لاجل خلاصنا ومات ودُفن وقام من بين الاموات، وامر تلاميذه انّ يذهبوا فيتلمذوا جميع الأُمم ويعمذوهم باسم الآب والابن والروح القدس وقال لهم: من آمن واعتمد خلص، ومن لم يؤمن يُدان.

واعطاهم السلطان انّ يصنعوا المعجزات، فنحن باسم يسوع المسيح كل ما نطلبهُ من الله بالصلوة نناله" ثمّ التفت القدّيس الى المرقيونيّين وقال لهم: "يا انبياء البعل ان كان لكم ايمان فادعوا باسم آلهكم وأبرئوا هذا الصبيّ، والا فما بالكم تستغوون الناس؟" قالوا: "لانحن ولا انتم قادرون على إبرائه" فحينئذٍ التفت مار اوجين الى قردون وقال لهُ: "أتؤمن يا قردون انّ ابنك حالما يعتمد ينال الشفاء نفساً وجسماً؟" قال: "اني مستعد مع جميع آل داري لاقتبال نعمة المعموديّة، فاريد ان تعمذوا ابني" فطلب مار اوجين الى مار يعقوب انّ يوعز الى الكاهن انّ يُعدّ كلّ ما هو لازم للعماذ، وقام هو ليذهب الى الكنيسة، حينئذٍ قال لهُ قردون: "اطلب اليك ياسيدي انّ تعمذ انت الصبيّ" فاجاب القديس الى سؤالهِ وعمذ ابنهُ وكان في السابعة من سنّه ولما أصعد الشماس الصبيَّ من الماء هتف يسبّح الله لان الصبيّ شفي تماماً، وأمر القديس الا يحمل الصبيّ بل انّ ينطلق الى والدهِ ماشياً وكان الشعب منتظرين خروجهُ فلمّا خرج ازدحموا حولهُ ليشاهدوهُ، وامّا ما كان من امر المرقيونيّين فانهم لما رأوا شفاء الصبيّ والقوم مزدحمين عليهِ ولوا هاربين وخرجوا من المدينة ولم يعودوا اليها ابداً، فانهم خافوا انّ يرجمهم الشعب.

وكان اليهود والوثنيّون يسبحون الله مع النصارى، وكانوا يتوسّلون الى مار يعقوب انّ يمنحهم المعموديّة وانّ شموئيل بن حنان اليهوديّ لما راى هذه الاعجوبة اخذتهُ هزة الفرح والانذهال فجعل يسبّح الله ويطوف في المدينة ويقول: "انّ يسوع الذي صلبهُ اباؤنا هو المسيح ابن الله، ويلكم يا يهود بمن كفرتم" وأسرع الى دارهِ وكان لهُ بنت قد تسلط عليها الروح النجس منذ ثماني سنين، فانطلق بها الى مار اوجين وقال لهُ: "انني حتى اليوم كنتُ

اقاوم المسيح والنصارى، وامّا الان فقد أنـار الله عقلـي، فآمنـت انّ المسيح هو ابن الله، فلهُ اسجد واياهُ اعبد جميع ايام حياتي، فاطلـب اليك ياسـيدي انّ تترحم علـى هـذه الـصبيّة فتُبرئَهـا" فـصلى عليهـا مـار اوجـين وشـفاها تماماً، فانطرح ابوها على رجلي مـار اوجـين ومـار يعقـوب وطلـب اليهمـا انّ يعمذاهُ، وانّ حاكم المدينة الذي سبق القول عنـهُ قـام هـو ايـضاً فـاقرّ بأنـه حتى ذلك الوقت لم يكن نصرانيّاً الا ظاهراً لا غير، فاخـذ يـستغفر الله وتـاب عن ذنبه، ولما كان الغد اعتمذ قـردون وشموئيـل بـن حنـان اليهـوديّ وجـم وافر من اليهود والوثنيّين وكـانوا نحـو الـف ومـائتَي نفس، وسُمّي قـردون (بولس) ودُعي ابنهُ (ياني) وعمل بولس مأدبة لا مثيل لها، واحرق بالنار كل ما كان عندهُ من كتب المرقيونيّين فصار مار يعقوب بمـساعدة مـار اوجـين يتلمذ ويعمذ كـثيرين، حتـى افتكـر ان يـبني بيعـةً كـبيرة لان بيعـتهم الأُولى كانت ضيّقة وصغيرة، وامّا مار اوجين فرجع قافلاً الى ديره.

وبعد مرور عشرة ايـام اسـتعدّ بـولس ان يـصعد هـو وجميـع اهـل داره الى الدير لزيارة مار اوجين واتّفق انـهُ في تلـك الليلـة اصـاب ابنـهُ يـاني القـولنج، فاوعز الى خدّامه انّ يسبقوا بالحمولة الى الدير وقال: "عمّا قليل يرتاح الولـد فألحق بكم" فامتثلوا امرهُ، لكن الوجع أبى الا اشتداداً، فهجس في قلبـه ان ذلك من الشيطان يريد انّ يصدّهُ عن الذهاب الى الدير، وللحال ركـب قاصـداً الدير واما الصبيّ فوضعهُ احد الخدام قدامهُ على ركوبته فاشتد الوجع عليه في الطريق، ولكنَّ اباهُ لم يزل يـسبّح الله، ولمـا انتهـوا الى قريـة معـرّى ادنـف الصبيّ وطلب ماء ولما دنوا اليه ليسقوهُ ماءً فاضـت روحـهُ، ويقـول كاتـب القصّة: "قيل انّ المرقيونيّين قتلـوهُ بـسحرهم، وقيـل انـهُ شـرب خمـراً قـد سقطت فيها افعى" فانقبضت صدورهم كدراً وطلبوا من ابيـه انّ يرجعـهُ الى

المدينة فيدفنهُ فيها، فابى ذلك قائلاً: "لا ادفنهُ قبل انّ ارى مار اوجين وجميع تلامذته" فترجل هو وامراتهُ، واوعز الى خادمه ان يحمل الصبيّ على ذراعيهِ، ولما انتهوا الى الدير دخلوا بهِ الى مار اوجين ووضعوهُ قدّامهُ، وانطرح ابوهُ وامهُ على قدمَي القدّيس وهما يبكيان بكاءً مرّا ويقولان: "ها انّنا لم نستاهل نحن وولدنا انّ ناتيك فرحين مسرورين، والآن نسلمهُ اليك، فافعل ما بدا لك" فلم ينبس القديس ببنت شفةٍ لان قلبهُ تصدّع اسفاً، فإنهُ كان يعلم انهُ صار سبيل للمرقيونيّين ورفقائهم الى الطعن في النصارى، واتصل خبر وفاة الصبيّ بحاكم المدينة، فقام وصعد الى الدير هو وجميع الأعيان ليحضروا دفنتهُ امّا مار اوجين فأمر بقرع الناقوس ولما اجتمع جميع الرهبان، امرهم انّ يصلوا متخشعين طالبين الى الله ان يرد الحيوة للصبيّ، وحمل هو الصبيّ على ذراعيهِ ووضعهُ على باب المذبح وخرّ ساجداً وصلى طويلاً، ولما فرغ من صلاتهِ فاضت دموعهُ مدراراً، وحينئذٍ حرك الولد يدهُ مرتين على صدرهِ، فمسكهُ مار اوجين بيدهِ وقال لهُ: "يا ابني ياني قُم باسم ربّنا يسوع المسيح" وللحال فتح الصبيّ عينيهِ ونظر الى القدّيس والى الحضّار، فمسكهُ القديس واجلسهُ على درجة المذبح وجثا يصلي ويسبّح الربّ، ثمّ قام واوقفهُ على رجلَيهِ، واخذ الحاكم والذين معهُ خوف عظيم، ولم يكونوا يتجاسرون انّ ينظروا الى القدّيس، وكان يخال لهم انهم يرون ملاكاً لا انساناً، وهتفوا قائلين بصوت واحد: "قدوس قدوس الربّ الاله القويّ الممتلئة الارض والسماء من مجدهِ" ثمّ انّ مار اوجين اخذ الصبي ودفعهُ الى ابيه وامه وامّا هما فكانا يطلبان اليهِ انّ يسمح لهُ بالمكث في الدير، فقال: "لايسوغ لنا ان نقبل صبيّا مثل هذا في ديرنا بل ضعاهُ في المدرسة فاذا ما بلغ أشدهُ يأتي فيمكث عندنا في الدير" وشاع خبر هذه

الاعجوبة في كل المدينة، فاقبل القوم زرافات ووحداناً الى الدير، وشفى القديس جماً وافراً من المرضى، وكتب عامل المدينة الى قسطنطين الملك يُعلمهُ بما كان عليهِ مار اوجين من القداسة وصنع المعجزات، فأجابهُ قسطنطين وقال: "انهُ يوجد اليوم في العالم ثلاثة انوار اعني انطونيوس في مصر، وهيلاريون في شاطئ بحر غزة، ومار اوجين الذي اتى وسكن في ناحيتكم ونحن نطلب صلواتهِ".

وذات يوم كان عند القدّيس تسعة وعشرون كاهناً جلوساً فالتمسوا اليهِ انّ يكسر لهم خبز العلم المقدس ويوزع عليهم لبن التعليم المقوي، فانهُ كان لهُ عادة في أيام الآحاد من بعد صلاة الصبح انّ يرشد الرهبان فأطنب في الكلام، واذا بهِ، اختطف عقلهُ ساعةً، ولما استفاق اغرورقت عيناهُ بالدموع فسألهُ الاخوة ولاسيما ميخائيل كاتب قصتهِ هذه اذ كان لهُ دالة لَدَيهِ وقالوا لهُ: "ما سبب كآبتك يا ابانا؟" فقال وقد بلت الدموع وجههُ الصبيح: "إِني رايتُ عشَّ حمام، واذا من بطن حمامة واحدة خرجت حية صغيرة، ومن بطن حمام آخر خرج فرخ ومن بغتة صارت الحيّة الصغيرة تنّيناً كبيراً فرجع الى العشّ الذي خرج منهُ واراد انّ يطرد منهُ رفيقهُ الفرخ، وعمد على أمهِ يريد قتلها وبالجدّ تملصت من فمهِ ممزقة الجناحين، ثمّ ماتت تلك الحيّة وخرج من بطنها حيّات صغار لم تستطع انّ تلدغ شيئاً واذا برجل واقف عليها وفي يدهِ قضيب من نار وشرع يقتلها بالتدريج" حينئذٍ قال القديس: "انّ العدو مزمع انّ يُهيج اضطهاداً على الكنيسة، لكن الله ياخذ بناصرها مثلما وعدها فيقتل ذلك التنين الناطق مع كلّ ما لهُ من الاولاد" ومن بعد زمان قليل ظهر اريوس الهرطوقيّ وجرى ما جرى والملك قسطنطين المظفر اهتمّ بجميع الاساقفة والمعلمين من كلّ قطر ومصر الى

مدينة نيقيّة، وكان بين الذين اجتمعوا مار يعقوب ومار افرام وقُضي على اريوس ومات كما تنبأ عنهُ مار اوجين.

واخذ مار يعقوب يبني بيعة نصيبين في مكان معبد اصنام انطياخوس وفي تلك الاثناء رجع من اورشليم القديس مار ميليس، ففرح بعمارة تلك البيعة واستقرض ثلثمائة دينار من تجار بلادهِ وقدّمها إعانة لتلك العمارة، لانهُ ما كان يملك سوى العصا والانجيل، ثم صعد الى مار اوجين وكان يوم الاحد، فاجتمع جميع الاخوة لكي يتبركوا من الاسقف القديس فقال مار اوجين لمار ميليس: "السلام عليك يارجل الله الذي لايحابي الناس في الحكم، ها انك تنزل الى المشرق وتوبّخ فافا الجاثليق على جميع ما فيهِ من النقائض، ولكونهِ لا يذعن لنصائحك وتوبيخك يحل بهِ قصاص الله" فقال لهُ مار ميليس: "السلام عليك ايها الشيخ الجليل الذي رأى الحيّة الملعونة مثيرةً اضطهاداً على البيعة وشاهدتَ هلاك اولادها" فقال لهُ مار اوجين: "ومن اين تعلم يا اخي اني رأيتُ هذهِ الرؤيا؟" قال: "ان الذي اوحى اليك الأمر المختصّ بي هو الذي اوحى اليَّ ما تخصَّصتَ بهِ انتَ" فقال لهُ مار اوجين: "طوبى لك يا اخي ميليس لأنهُ قرب الزمان الذي فيهِ تنال اكليل الاستشهاد في بلاد فارس" وبعد انّ مكث القدّيس يومَين في الدير توجَّه الى ساليق ودخل على فافا الجاثليق وانَّبهُ على سوء تدبيرهِ، فقال لهُ فافا: "من اين تورد لي هذهِ الحجج؟" قال ميليس: "من الانجيل المقدّس" فرفع فافا يدهُ وضرب الانجيل قائلاً: "تكلم يا انجيل" وللحال يبس جنبهُ الايمن ومن هناك انطلق مار ميليس الى ارض الرازيقيّين فاستشهد فيها، وكانت وفاتهُ واستشهادهُ طبقاً لنبوّة مار اوجين ويقول كاتب هذهِ القصّة انهُ جاء بعض التجّار من تلك الارض واخبروا كيف استشهد القديس.

وفي أثناء ذلك توفي فافا الجاثليق وخلفهُ مار شمعون برصباعي الذي بذل نفسهُ عن قطيعهِ واستشهد ايضاً معهُ مائة وثلاثة من الكهنة والشمامسة ولما أمر قسطنطين الملك بحضور جميع الاساقفة الى مدينة نيقيّة لقهر ضلالة اريوس بعث رسالةً الى شمعون برصباعي ايضاً يدعوهُ لياتي الى المجمع واذ لم يقدر هو بذاتهِ انّ يذهب، أرسل قسّيسَين ليقوما مقامهُ فيهِ، وهذان في مرورهما صعدا الى دير القدّيس مار اوجين ليتبرّكا منهُ، وكان احدهما قد صمّت اذناهُ في الطريق، فصلى عليهِ وأبرأهُ، ثمّ ذهبا برفقة مار يعقوب الى المجمع النيقاوي[1].

ثم ان مار يعقوب بنى على قمّة جبل جودي ديراً كبيراً، وذلك بمساعدة مار اوجين الذي وضع هناك رهباناً سكنوا فيهِ، ولما فرغ من بنائهِ اتى الى مار اوجين وطلب منهُ انّ يحضر هو وتلاميذهُ تكريس الدير، فأجابهُ وقام ذهب معهُ مصحوباً بكثير من تلاميذهِ ولما انتهوا الى دجلة اخذ القديس وتلاميذهُ يصلون صلاة نصف النهار، واذا بصبيّ قائم على ساحل النهر يبكي بكاءً مراً، فانطلق اليهِ مار اوجين وقال لهُ: "من اين انت يا ابني وما لي أراك باكيا؟" فلم يجاوبهُ الولد بل كان يتمرغ بالتراب، فدنا اليهِ القديس ومسكهُ بيديهِ وقال لهُ: "قل لي يا ابني ماذا اصابك؟" فقال: "اني يتيم من ابي، وامّي عجوز، ولي اخ اكبر مني واليوم خرجنا معاً الى هذه الأجمة لنقطع لنا خشباً لبنيان البيت، فخرج علينا أسد من هذه الأجمة فهجم على اخي وتوغل بهِ في الأجمة" فلما سمع الشيخ هذا الكلام اغرورقت عيناهُ بالدموع فقال للصبيّ: "يا ابني تعال أرني اين دخل الأسد" قال الراوي: "فأوغلنا

١– روى بعضهم انّ مار شمعون بنفسه حضر المجمع، وقال غيرهم لا بل ارسل عوضهُ القسيس شاهدوست.

في الأجمة، الى ان انتهينا حيث كان الأسد رابضاً على فريسته، فلمّا رآنا ولى هارباً، ولما عاين الصبيّ جثة اخيهِ أكبّ عليها يمطرها من الأجفان دموعاً سخينة فزلف مار اوجين الى الجثة وقد أخذت الكآبة من نفسه كل مأخذ وفاضت دموعهُ وكان يمسح وجههُ بثيابهِ، وكنا نحن ايضاً نبكي بكاءً مراً لسماعنا عويل الصبيّ ولمشاهدتنا جثة المقتول ملقاةً على الأرض وثيابهُ مضرّجة كلّها بالدم فجسَّ مار اوجين الجثة، ولم يكن الأسد قد اكل منها بعد شيئاً، وكأنّ القتيل قد ذُبح بالسكين، فجثا القديس وقال لنا: اطلبوا يا اخوتي الى الله ان يجعل البعث لهذا الميّت، ويفرّج الغمّ عن هذا الصبيّ قال هذا وانحني الى الجثّة وصلى متخشعاً وبينما كان يصلي فتح الشابّ عينيهِ فشاهد اخاهُ مكبّاً على صدرهِ فتنهد مرّتين فنهض القدّيس من صلاته وسبّح الله وشكرهُ على انهُ استجاب صلاتهُ، وأمرنا انّ نُتكِئَ الشابَّ، ففعلنا، وجلس هو جنبهُ وأخذ يرسم إشارة الصليب على جروحهِ وكان الشابّ يبكي، فقال لهُ القدّيس: لا تخف يا ابني بل سبّح الله الذي ردّ لك الحيوة لِئلا يبقى اخوك مقطوعاً ثم اخرجناهُ من الأجمة وأتينا بهِ الى دجلة وغسلناهُ".

وإنّ راعياً كان في الجانب الآخر من النهر عندما خطف الأسدُ الشابَّ، فترك غنمهُ وأسرع بشدة الى ان بلغ ازاء قرية المقتول، فصادف سفينة وعبر النهر فأخبر سكان القرية بما جرى، فبادروا الى محل الواقعة وبايديهم سيوف وعصيّ، فرأوا القديسين والشاب جالساً بينهم ليس عليهِ الا عباءة لاغير، وثيابهُ ملقاة قدامهُ على الأرض وملوثة كلها بالدم فسألوا الصبيّ كيف وُجد اخوهُ، فقصَّ عليهم القصة، فانطرحوا جميعاً على اقدام القديسين يقبلونها، ومنهم كانوا نصارى ومنهم مُشركين وكان هؤلاء يلتمسون الى القديس انّ

يدخل قريتهم فيرشدهم ويعمذهم فأجاب الى سؤالهم، وبقي عندهم ثلاثة ايّام، فأودع أراضي قلوبهم بذور الحيوة الأبديّة وهداهم بالوعظ الى الخيرات السرمديّة فاعتمذوا قاطبةً.

ثمّ انّ مار اوجين عبر دجلة ليذهب الى الدير الذي كان بناهُ مار يعقوب، وخرج كثير من اهل القرية الى تشعيبه، والشابّ الذي كان أحياهُ لم يكن يفارقهُ، فأوعز اليهِ القديس ان يرجع فيعتني بامهِ واخيهِ حينئذٍ قام بعض من أغنياء القرية ووعدوا القدّيس انهم يقومون بأودهما والتمسوا اليهِ انّ ياخذ معهُ الشابّ لكي يخدم الله ويصلي من اجلهم، فقبل طلبتهم، ولما كرّس مار يعقوب الدير صار مار اوجين يجول مع تلاميذهِ في القرى التي حول المكان ويبشر ويعمذ، وابتنى كنائس كثيرة وصنع معجزات وفيرة، ودخل في أول الأمر قرية اسمها سركوكا كانت في ذيل الجبل وكان اهلها وثنيّين وقد بلغهم خبر ما صنع القدّيس من معجزات في تلك الايّام، فرحبوا بهِ وأحسنوا مثواهُ، وانتهز الفرصة لينشر على مسامعهم جواهر الانجيل فأطلع الله في آفاق قلوبهم شموس معرفتهِ السرمديّة وطلبوا منهُ انّ يعمّذهم، ففعل، وانّ امراء تلك القرية كان لهم اخت فيها نزيف دم منذ ثلاث سنوات فهُزلت وضعفت حتى انها لم تكن تقدر على الحركة فطلبت الى اخوتها انّ يذهبوا بها الى القديس فاخبر اخوتها القديس عنها، فامر بإحضارها فلما مثلت بين يديهِ صرخت وقالت: "ارحمني ياعبد الله الحيّ" فرسم عليها إشارة الصليب ثلاث مرّات وقال: "شفاك ربّنا يسوع المسيح" فشُفيَت في الحال.

وانتقل مار اوجين من هناك ورجع الى ديرهِ وأمّا مار يعقوب فلم يزل ينذر بالانجيل هناك، ودخل في أراضي قردو العليا ليتلمذ الوثنيّين، ومار اوجين

في مروره لما وصل الى دجلة بأزاء جزيرة بازبدي لم يرَ سفينة يعبر بها النهر، فرسم على وجهه إشارة الصليب وقال للشابّ الذي كان أحياهُ: "اتبعني يا ابني ولا تخف" قال هذا واخذ يمشي على النهر مشيةَ رجلٍ على اليابسة، ولما بلغ وسط النهر التفت الى الوراء فرأى عشرة من تلاميذهِ يتبعونهُ، وامّا الباقون فكانوا بقوا على ساحل النهر، فشجّعهم وقال لهم: "اتبعوني انتم ايضاً وامشوا على النهر باسم ربّنا يسوع المسيح" ولما عبروا النهر دخلوا المدينة وذهبوا تواً الى الاسقف هليودورس ليتبّركوا منهُ، وتنبّأ مار اوجين بانّ الفرس سوف يشنّون الغارة على بلاد بازبدي ويسبون من اهالي المكان جماً وافراً وكثيرون ينالون اكليل الاستشهاد على جبال ماداي وتمت كلمة الشيخ اوجين، اذ انهُ فيما بعد قدم شابور الملك بلاد الروم فافتتح جزيرة بازبدي وسبى منها عشرة الاف نفس[1] مع الاسقف واستشهد كثير منهم على جبل ماداي والضعفاء منهم ارتدّوا ويقول المؤرخ: "إنّ محلّ استشهادهم معلوم في مغارة هناك الى يومنا هذا".

وان شابور ملك الفرس لما مات قسطنطين الكبير سنة ٣٣٧، شنّ الغارة على بلاد الروم وعبر دجلة ليدخل نصيبين فأرسل مار يعقوب وأعيان المدينة الى مار اوجين يقولون: "هلم انت وجميع الاخوة الى المدينة صيانةً لحياتكم من حملات العدوّ" فقال لهم اوجين: "إن شابور الملك يشدّ الحصار على مدينتكم ولا يقدر ان يستولي عليها، لكنكم تسلمونها لهُ بعدئذٍ دون ادنى مقاومة مع هذا تضرعوا الى الله ان تنجوا من أنياب هذا الأسد، وأمّا نحن فالله معنا وينقذنا من يدهِ" ولما شدّ شابور الحصار عل نصيبين خرج عسكرهُ الى القرى في طلب الرزق، فصعد خمسمائة منهم الى الدير لينهبوهُ

١- مار ماروثا يقول ٩٠٠٠ نفس في المجلد الاول.

قال الراوي: "لما انتهوا الى باصلوث[1] صعدنا وأخبرنا مار اوجين بقدومهم، فنزل معنا الى الهيكل واتكأ على عصاهُ ونظر اليهم ورسم عليهم إشارة الصليب وللحال تغشاهم ظلام كثيف، فاشتد السواد وتلبد الدُّجى حتى لم يَعُد يرى بعضهم بعضاً فاضطربوا واستورطوا وأمّا الرهبان فكانوا جميعاً في الهيكل قائمين للصلوة، ولما خرجوا مساءً من الصلوة ورأوا الفرس على تلك الحالة حنّوا عليهم فالتمسوا الى مار اوجين ان يخلي سبيلهم، فطلب الى الله انّ ينقذهم من تلك الورطة، واذا بنور ظهر لهم في الجهة الغربيّة، فبادروا الى الهرب وهم يرتعدون فرقاً وينظرون الى الوراء لظنّهم انّ تلك الظلمات المتكاثفة تعود فتهجم عليهم في الحال ولما انتهوا الى المعسكر أخبروا رفاقهم بكل ما جرى، فأطلعوا الملك على ذلك، فاستشاط غضباً وقال: "اياكم ان تصعدوا الآن الى هذا الدير، بل لما نفتح المدينة تاتون بهم هنا فنميتهم موتاً شنيعاً" لكن الله أحبط مساعيهُ فرجع الى بلاده مكتسياً ثوب العار، كما رأينا ذلك في قصة مار يعقوب النصيبيني.

وبعد وفاة قسطنطين الكبير سنة ٣٣٧ بُويع بالملك ابنهُ قسطنطين فقسطنط فقسطنطيوس ثمّ استولى يليانس على سرير الملك سنة ٣٦٠، وكان منافقاً فكفر بالديانة المسيحية ونبذها وراء ظهره، وضيّق على النصارى وآذاهم، ونفى الاساقفة والقسوس وهدم البيع وبذل كلّ جهده في دعوة النصارى الى الوثنيّة لكن يوبنيانس الذي كان محباً للديانة المسيحيّة وعاملاً بها هدأه قليلاً اذ قال لهُ: "من الواجب علينا ان نغلب أولاً اعداءَنا الفرس ثم اصنع ما تشاء" فانقاد يليانس لقوله وحمل على الفرس ولما انتهى الى نصيبين، انهزم الاسقف مع اكليروسه من المدينة، وصعد

١- باصلوث كلمة كلدانية معناها موضع الصلوة.

يوبنيانس الى صومعة مار اوجين وحثهُ ان يستخفي خوف ان يقَع بيد الملك المُضطهِد فينكل بهِ شديداً ويقتلهُ قتلاً شنيعاً، لأنَه كان غضبان عليهِ كثيراً من جرى ما كان يصنعهُ من المعجزات التي بواسطتها كان يتلمذ جماً وافراً من الوثنيّين فقال لهُ مار اوجين: "حسبنا قوّة ربّنا يسوع المسيح فهي تحفظنا واياك من كل سوء" ثمّ تنبّأ لهُ القديس بالملك وبموت يليانس، وصحت نبوّتهُ، لانهُ بينما كان يليانس يقاتل الفرس أصابهُ سهم أطلقتهُ يد غير منظورة واشتعل بهِ جسمهُ وهلك (سنة٣٦٣) ودعا مار اوجين تلاميذهُ وقال لهم: "استبشروا وافرحوا يا اولادي وسبّحوا الربَّ وباركوهُ، فان الملك المنافق قد باد قتيلاً واليوم استراحت الكنيسة من شرّهِ" فاخذت الاخوة هزّة الطرب والانذهال وبشّروا بذلك نصيبين ايضاً لانهم علموا يقيناً انّ الله كان أوحى هذا الأمر الى معلمهم الجليل، وكان كذلك قال: "لأنَه بعد ايام قلائل اتت انباء بموتهِ الفظيع" وانّ الفرس بعد وفاتهِ كانوا قد استقووا ولحقوا باثر الروميّين فبايع الجيوش يوبنيانس بالملك فاصطلح هو وشابور واعطاهُ مدينة نصيبين.

فأتى الملك الى مدينة نصيبين ودخلها، وبلغهُ خبر مار اوجين، فاشتهى ان يشاهدهُ، فارسل اليهِ من عظمائهِ النصارى الذين كانوا في معسكرهِ من الأهواز وباجرمي يطلبون اليهِ انّ ينزل عندهُ، وأوعز اليهم انّ ينزلوا بهِ باعزازٍ واكرام، فأطاع ونزل سريعاً ولما دخل على الملك رحَّب بهِ وأكرمهُ جدّاً، وسألهُ عن ديرهِ واحوالهِ وتعليمهِ، ونشأت مجادلة بينهُ وبين المجوس فلم يستطيعوا الى قهرهِ سبيلاً ثم قال للملك: "مروا ايها الملك الجليل باضرام نار شديدة فيدخل فيها كلّ من الفريقَين وأيُنا لايحترق فعندهُ دين الحقّ" فأمر الملك فاوقدوا ناراً شديدة، أمّا المجوس فلم يتجاسروا انّ

يقتربوا منها، وأمّا مار اوجين فامر احد تلاميذه فدخل ومكث زمناً طويلاً في النار وخرج سالماً وهذا التلميذ كان مار يونان الناسك كما سنرى في قصّته ولما شاهد شابور الملك هذه الاعجوبة فرح كثيراً، وكان لهُ ابن فيه روح نجس فأمر ان ياتوا به، فابرأهُ مار اوجين وطرد منهُ الشيطان وكان القدّيس يتكلم مع الروح باللسان السرياني وكان يجاوب الصبيّ باللسان الفارسيّ، فتعجّب الجميع وشهد الملك بانّ إله النصارى عظيم جليل، وعزم ان يُبطل الاضطهاد الذي كان أثارهُ على النصارى الذين في مملكته، فقال للقديس: "اسأل ما بدا لك فأعطيك" فاجاب قائلاً: "انّنا لا نطلب ذهباً ولا فضة ولا سائر المواهب فحاجتي يا سيدي الملك ان تاذن لنا بالحرية في مملكتك وتعطينا مواضع صغاراً نبني فيها اديرة ومأوى للغرباء والمحتاجين وترخصنا بالذهاب حتى بلاد الأهواز وبيت لافاط فنبني هناك ايضاً اديرة متصرفين كما نشاء بمقتضيات ديانتنا" فأذن لهم الملك بذلك، وصعدوا الى ديرهم وقلوبهم ممتلئة حبوراً.

وبعد أيام قلائل أرسل الاب القدّيس تلاميذه الى المواضع المختلفة، فاجتمعوا وخرجوا من الدير ونزلوا الى لحف الجبل وكلّ منهم ماسك بيده صليبهُ، وهناك صلوا طويلاً متغنّين بمزامير داود الملك ولما فرغوا من صلاتهم دنوا الى ابيهم الجليل وتبرّكوا منهُ وتفرقوا الى النواحي والأقطار وعمروا اديرة وكنائس كثيرة فمن الاديرة التي بناها تلاميذ مار اوجين:

دير يوحنا الذي في بلاد بازبدي وكان مار (يوحنا) يطوف القرى وينصر الناس وكان ديرهُ في القديم بيتاً للاصنام.

وأما اخوهُ أحّا فبنى ديراً كبيراً في جزيرة قردو وكان رهبان هذا الدير يستقون الماء بالزرنوق ولذلك سمي دير الزرنوق، ثمّ صلى القديس فنبعت لهم عين ماء من تحت المذبح فاستغنوا عن التعب.

ومار متى بنى ديراً في جبل الفاف المعروف بجبل المقلوب.

ومار ميخائيل أسّس ديره على دجلة فوق الموصل.

ومار يونان نصب ديراً في فيروز شابور.

ومار شيري بنى ديراً بقرب مدينة دارا.

ومار يوحنا أسّس ديره في كمول وهي قرية بقرب جزيرة بازبدي.

ومار عبدا بنى ثلاثة اديرة في ارض بابل.

ومار عبديشوع نصب دير مار صليبا على نهر صرصر.

ومار ميخا أسّس ديراً في القوش.

ومار دانيال بنى ديراً على نهر معلثايا.

ومار اشعيا أسّس ديراً في جانب قرية بانحلي.

ثمّ ان مار اوجين لما علم انّ ساعتهُ الاخيرة قد دنت دعا جميع الاخوة، وأمر بتقديم الذبيحة الالهية، فاغتذى بجسد ودم ربّنا يسوع المسيح ولما علم الاخوة انّ ساعة خروجهِ من هذا العالم قد جاءَت اخذوا يبكون بكاءً مرّاً، وطلبوا منهُ انّ يباركهم ويصلي عليهم، فباركهم ودعا لهم، ثمّ أسلم الروح وانتقل الى حضن ربّهِ وللحال فاح منهُ رائحة ذكية، ودُفن في مغارة تحت المذبح الذي كان بناهُ هو وكانت وفاتهُ في ٢١ نيسان سنة ٣٦٣ وامّا تذكارهُ ففي الثاني عشر من تشرين الأول كما جاءَ عند الكلدان في قائمة القديسين السنويّة الموجودة في مكتبة دير مار يعقوب الحبيسيّ، وفي الجمعة الاولى من تقديس البيعة كما جاءَ في كتاب الحُذرة، وعند السريان في عشرين نيسان.

مار يليانا سابا

(في اواخر الجيل الرابع)

انّ مار يليانا ويسمى ايضاً سابا اي الشيخ[1] كان في اول امرهِ ساكناً في بلاد الفرثيين في الصحراء[2] وقد تبوأ مغارة منقطعاً فيها للعبادة ولم يكن ياكل الا اكلةً واحدة في الاسبوع كلهُ، وكان طعامهُ خبز الشعير والملح لا غير، ولم يكن يستلذ الا بتلاوة المزامير الداوديّة والمناجيَات الربانية ففيها كان ينهم ليلاً ونهاراً وهو لا يشبع منها، فكان يصرخ بلا ملل ويقول: "ما أحلى كلماتك لحلقي، احلى من العسل لفمي (مزمور:١٠٣:١١٨) أوامر الربّ مستقيمة وعادلة في كل شيء، شهيّة افضل من الذهب والأحجار الكريمة، وأحلى من العسل والشهد" (٩:١٩ الخ) وسمع داود يقول: "اطلب من الرب وتخشع اليهِ، إنعم بالرب فيعطيك مطالب قلبك (٧:٤:٣٧) ذوقوا وانظروا ما اطيب الرب، طوبى للرجل الذي يتكل عليهِ (٩:٣٤)" فلم تكن تزدهُ الايام الا شغفا بالمحبة الآلهية فأثملتهُ تماماً حتى لم يعد يرى سوى الذي كانت تحبهُ نفسهُ، فيعاينهُ ليلاً في الحلم ويتفرس فيهِ نهاراً في اليقظة.

فذاع خبرهُ وشاع ما هو عليه من ادلة التقوى والسيرة النسكيّة، فرغب فيه كثيرون لمَا بلغهم عنهُ من القداسة والنزاهة والنسك، فألبوا اليه طالبين منهُ انّ يُحلهم في قربهِ فيكون لهم اباً فيرشدهم في جادّة الكمال الانجيلي، فإِنهُ

١- كان بنو بلدته قد اطلقوا عليهِ هذا الاسم تعظيماً لهُ.

٢- وجاء في قصته ان بلاد الفرثيين كانت تمتد غرباً الى نهر الفرات وشرقاً الى تخوم مملكة الروم، وكانت تشمل ايضاً على بلاد آثور، وفي هذه البلاد مدن كثيرة عامرة وزاهرة لكن قسماً عظيماً منها قفار، فبالقفر كان مأوى هذا القديس الجليل. غما قيل يظهر ان مار يليانا كان سكن إما في بلاد آثور او في ارض مابين النهرين، وان كاتب قصته كان في مدينة الرها أو في المدن المجاورة لها.

ليس فقط الطير يجلب اليه الطيرَ بحسن اغاريده فيوقعهُ في ما نُصب لهُ من الفخاخ بل الناس أيضاً يصيدون بني جنسهم بعضهم الى الحيوة السماوية وبعضهم الى الحيوة الجهنميّة وكان تلاميذه في أول الامر عشرة ثم صاروا عشرين وثلاثين واربعين ومائة، وفي مدة يسيرة بلغ فيهم القديس درجةً سامية من الكمال، فرتعوا معهُ هناك في بحبوحة السلام والطهارة والقداسة حاذين حذوهُ في جميع الاشياء لا ياكلون سوى خبز شعير وملح ثمّ إنهم أخذوا يجمعون ايضاً من حشائش البريّة وبقولها فيربونها بماء الملح لتكون طعاماً للذين كانوا يتوعكون منهم او يضنيهم المرض، وبنوا لها كوخاً وضعوها فيه.

وعوّد القديس تلاميذَهُ انّ يصلوا سويّةً مساءً وليلاً وصباحاً فلما كانت تصبح كانوا يخرجون الى البريّة اثنين اثنين، فكان احدهما يخرّ ساجداً لله تعالى والآخر يتلو المزامير، ثم يقوم الجاثي فيترنّم بالمزامير ويجثو الاخر مكانهُ، وكانا لايزالان يتناوبان على هذا الأمر الجليل من الصباح حتى العصر فلما كان المساء كنتَ تراهم راجعين اثنين اثنين من كل صوب الى مسكنهم فيصلون سويةً صلاة الرمش.

وامّا القديس سابا فكان تارةً يتوغل وحدهُ في البرية منقطعاً لمناجاة الله عزّ وجلّ، وتارةً يستصحب واحداً من الاخوة اسمهُ يعقوب كان من بلاد فارس، وكان ممتلئاً فضائل واعمالاً صالحة، وذاع صيتهُ كثيراً ولاسيما بعد وفاة معلمه مار سابا، ومات عن مائة واربع سنين، فلمّا كان يصحب مار سابا لم يكن يأذن لهُ الشيخ الجليل ان يتبعهُ الا من بعيد وذلك لئلا يكون لهُ سبيل الى محادثةٍ تصدّهُ عن التامل في الله ومناجاتهِ فذات يومٍ اذ كان يتبعهُ رأى تنيناً مُلقى على الحضيض، فخاف انّ يدنو منهُ، فاراد ان يعدل عن

الطريق، اخيراً شجّع نفسهُ فانحنى وتناول حجراً ورمى بهِ التنين، فلما رآهُ لا يتحرك علم انهُ ميت وتفكر انهُ ما من احد قتلهُ الا الشيخ الجليل فلما فرغا من صلاتهما وجلسا يستريحان قليلاً اقبل يعقوب على مار سابا مستبشراً بهِ وطالباً اليهِ انّ يأذن لهُ بالسؤال عن امر لم يكن يعرفهُ، فقال لهُ: "اعرض ما بدا لك" قال: "اني رأيتُ في الطريق تنيناً عظيماً فخفت ظناً مني انهُ حيّ، لكنني ما عتمتُ انّ علمتُ انهُ ميتُ، فاطلب اليك انّ تقول لي من قتلهُ، فانهُ لم يمشِ في الطريق غيرك" قال: "دع ما لا يجديك نفعاً" لكن يعقوب لم يزل يلح عليهِ، فقال الشيخ: "إني أُعلمك بالأمر لكنني أحتم عليك ألا تُطلع عليه احداً ما دمتُ انا في قيد الحيوة" فاقول: "لما كنتُ امشي في الطريق اذ اقبل اليّ التنين فاغراً فاهُ ليبتلعني، فلم يكن مني الا اني استغثتُ باسم يسوع، فرسمتُ على وجهي اشارة الصليب وللحال سقط التنين على الأرض، فسبحتُ الله وشكرتهُ".

وكان بين التلاميذه شاب اسمهُ اسطريس كان من أُسرة معتبرة وقد عاش في الرغد والترفه، فكان يمارس من الفضائل ما كان فوق طاقته، وكان يتضرع الى مار سابا ان يستصحبهُ عند ايغاله في البريّة، فلم يكن القديس يجيب الى سؤلهِ لما كانت عليهِ الارض من التوحّش والاقفار فلم يزل اسطريس يلحّ عليه حتى أذن لهُ ذات يوم بالتوغل معهُ في البريّة، فمر عليهما يوم واثنان وثلاثة وكان الموسم صيفاً، فتأذّى اسطريس كثيراً من حرارة الشمس فعطش الى الغاية، واستحى في اول الأمر ان يعرض الأمر على الشيخ. لكنهُ اضطُرّ أخيراً الى ذلك لأن العطش اشتد عليه كثيراً وكاد يذهب بحياته؛ فأمرهُ القديس بالرجوع فقال: "لا سبيل لي الى الرجوع، فإني لا اعرف الطريق، ولا قوّة لي على المشي فان العطش ذهب بقوّتي" فحينئذٍ

تحنّن عليهِ مار سابا فجثا وصلى، وكانت الدموع تفيض من عينيهِ سخينة غزيرة فتتساقط على الارض، وللحال نبعت عين ماء في المكان الذي تساقطت عليه دموع الشيخ القديس، فارتوى الشابّ، وامَرهُ معلمهُ انّ يرجع الى المغارة.

قال الراوي: "وينبوع الماء هذا موجود حتى الآن".

ثمّ انّ النعمة الالهية اختارت بعد مدّة طويلة اسطريس ليكون هو ايضاً ابا لكثيرين فانطلق الى قرية بقرب انطاكيّة اسمها كندارس، وفيها نصب ديراً وتتلمذ لهُ كثيرون، ومن جملة تلاميذه كان أقاق الذي فيما بعد نُصب اسقفاً على مدينة حلب، وكان اسطريس يأتي كلّ سنة مرّتين او ثلاثاً الى معلمه الجليل، ويحمل معهُ لاخوته الرهبان ثلاثة او اربعة احمال تين وامّا لمعلمه مار سابا فكان يجمع منها مُدَّين مما يستحسنهُ فيحملها على ظهره ويأتي بهما فذات مرّة رآهُ مار سابا حاملاً على منكبيه حملَ التين فاستاء من ذلك واغتمّ وقال: "لا آكل من هذا التين، فإنهُ ليس من المروءَة انّ يُنصب انسان بدنهُ محتملاً مشقة عظيمة كهذه فيتلذذ الآخر باثمار أتعابه" فأبى اسطريس انّ يحط الحمل عن منكبيهِ إن لم يعِدهُ الشيخ بالأكل منهُ فوعدهُ القديس وحينئذٍ حط الحمل.

وانّ مار سابا سافر الى جبل سينا مع نفر قليل من تلاميذهِ، وفي سفره هذا لم يمرّ بقرية او مدينة بل ضرب في البريّة، وكانوا حاملين على مناكبهم ما يلزمهم من الخبز والملح واتخذوا معهم اجانة صغيرة من خشب واسفنجة وحبلاً حتى اذا ما صادفوا ماءً عميقاً يستقوا منهُ بالاسفنجة فيعصروها في الاجانة ويشربوا، فمشوا اياماً كثيرة حتى انتهوا الى الجبل المبارك ومكثوا هناك اياماً منقطعين للعبادة، وبنى هناك مار سابا كنيسة وكرّس المذبح

قال الراوي: "والمذبح الذي بناه موجود حتى اليوم" ثم رجع مار سابا الى ديره.

وفي تلك الاثناء ظهر يليانس المرتد الذي تمسك بعبادة الاوثان، فاخذ ينغص الكنيسة ويذيقها المرائر. وشن الغارة على بلاد الفرس، وكان في نيته ان يثير من بعد عودته اضطهاداً شديداً على النصارى، فكان الوثنيون تهزهم نشوة الاشواق الى رجوعه مؤملين منه ترجيع ديانتهم الى حالتها الأولى فأخذ القديس يصلي بخشوع لا مزيد عليه طالبا اليه تعالى أن يصون أغنامه من شر الذئب الجهنمي، وطالت به الصلوة عشرة ايام. فسمع هاتفا يقول له: "قتل الخنزير النجس" فاخذ يسبح الله تعالى ويمجده، فأوعب قلبه سرورا، ولما راى الذين معه ما كان عليه من الفرح استغربوا ذلك لانهم كانوا يرونه دائماً حزينا كئيبا، فسألوه عن سبب فرحه، فأخبرهم بموت يليانس المنافق، وكان ذلك سنة ٣٦٣.

ولما ملك واليس، أخذ ينصر الآريوسية وأصحابها، فنفى الاساقفة وأساء الى المؤمنين وفي اثناء ذلك أذاع الاريوسيون الخبر في انطاكية بان مار يليان هو من حزبهم فأهم ذلك الكاثوليكيين وخشوا انه يوقع كثيرين في شرك الاريوسيين، فارسلوا كاهنين الى مار افاق واسطريس الماري الذكر يطلبان اليهما ان ينطلقا الى مار سابا فيقنعاه ان يترك خلوته الى حين فيأتي الى معونة اخوته الكاثوليكيين ليكذب الخبر الذي أذاعه الاريوسيون فمضيا اليه واطلعاه على الامر والحا عليه ان يرافقهما الى انطاكية ليزيل الشكوك ويخزي الهراطقة، ويشجع المؤمنين فاجاب الى سؤلهما وصحبهما الى انطاكية فمضوا ومشوا النهار كله حتى دخلوا قرية، وكان في تلك القرية امرأة فاضلة. فلما بلغها خبر مجيئهم بادرت اليهم وطلبت منهم ان ينزلوا عندها.

فأجاب مار سابا الى طلبها، وإن كان منذ اربعين سنة ونيّف لم يسكن الا في البريّة فأكرمت المرأة مثواهم، فلما جن الليل وكانت المرأة قائمة بخدمتهم، وقع ابنها في البئر وكان وحيداً ولهُ من العمر سبع سنوات، فعلمت بأمره، غير انها تجلدت ونبّهت اهل دارها ان يلازموا الصمت والسكوت خوف ان يُزعجوا القديسين، فغطت البئرَ وذهبت تخدم ضيوفها ولما جلسوا الى المائدة أمر مار سابا المرأة ان تدعو ابنها فينال منهُ البركة، فقالت انهُ مريض، فألحّ عليها، فاضطرّت ان تُطلعهُ على الأمر، فقام حالاً عن المائدة وبادر الى البئر، فأمر برفع الغطاء واحضار مصباح، فنظر في البئر واذا بالصبيّ جالس على الماء يلعب به فرحاً مسروراً، فدلوا رجلاً بحبل، فصعد بالصبيّ سالماً، وحالما خرج بادر الى مار سابا قائلاً: "هذا حملني في البئر ومنعني من الغرق" فتعجب الجميع وسبّحوا الله.

ثمّ انهُ انتهى الى انطاكية، فكان الجميع يبادرون اليه طلباً للبركة والشفاء من امراضهم وتبوّأ القديس مغارةً كانت في لحف الجبل، لكنهُ ما لبث ان أحرقتهُ نار حمى شديدة فلمّا راى اقاق الجموع آتين اليه حزن ظنّاً منهُ انهم يتشككون اذا ما راوهُ مريضاً، هم الذين كانوا يقصدونهُ بغية ان ينالوا منهُ الشفاء، فصلى القديس متخشعاً متضرّعاً، وقبل ان يفرغ من صلاته عرق عرقاً جزيلاً فزالت عنهُ الحمّى، وأبرأ هناك كثيراً من المرضى، ثمّ دخل المدينة ولما اجتاز بدار الحكومة راى صعلوكاً مخلّع الرجلين يدبّ على يديه، فمدّ يدهُ ومسك رداء القدّيس، وللحال انتصب قائماً وهو يقفز فرحاً، فذاع الخبر في المدينة وابتهج الكاثوليكيون، وامّا الأريوسيّون فتردّوا جلابيب الخزي والخجل، واتصل خبرهُ برجل من الاكابر فأرسل اليه لكي ياتي فيشفي ابنهُ من مرضه فانطلق مار سابا وأبرأهُ.

فلمّا شدد عزيمة الكاثوليكيّين وأخزى الاريوسيّين رجع الى ديرهِ، ففرح بهِ تلاميذهُ، واقام معهم مدة طويلة الى ان دعاهُ الله الى ملكوته السماويّ وكانت وفاتهُ في اواخر الجيل الرابع، وذكرهُ عند الكلدان في الخامس عشر من شباط كما جاء في قائمة القديسين السنويّة المحفوظة في دير مار يعقوب الحبيسي بجانب سعرد، وفي الجمعة الخامسة من الدنح مع ملافنة السريان كما جاء في الحذرة، وعند السريان في الخامس من كانون الأول.



مار فنحاس الشهيد

(في اواخر الجيل الرابع)

كان مسقط رأس مار فنحاس في مدينة اثيناس وكان كريم النسب، وتخرّج في علم الفلسفة ولما بلغ السنة العشرين من عمره توفي والداهُ، فتفكر في زوال الدنيا وتعشّقَ الفضيلة، فأراد ان يزهد في ملاذّها، فترك الوطن وانطلق الى مار اوجين فتتلمذ لهُ، وفي مدّة قليلة أحرز فضائل الرسل الأوّلين، ثمّ ترك جبل الازل، فاتى بلاد قردو وسكن في جبل يقال لهُ حوارا اي ابيض، وبقي فيه مدة ثلاثين سنة مواظباً على الصوم والصلوة فكان هدفاً لحرّ الصيف المذيب وقرّ الشتاء الشديد، وكان يمشي حافياً وليس على بدنه الا نسيج غليظ من شعر المعزى، وهيّج عليه الشياطين محاربة شديدة فنصرهُ الله عليها.

وكان قريبا من الجبل الساكن فيهِ قرية تدعى جنبالي، وكان فيها رجل أثيم اسمهُ أنيجا يبغض النصارى بغضاً شديداً ويُزعج القديس ويقلقهُ دائماً، وكان لهُ إخاء ومودّة مع حاكم مدينة فنك الذي كان يُدعى سيمون وكان يضطهد النصارى وقتل منهم جماً غفيراً فانطلق اليه أنيجا وقال لهُ: "ان في جبلنا رجلا يسجد للذي صلبهُ اليهود في اورشليم، وعليه نسيج من شعر فكأنهُ خروف، وهو يحثّ المجوس ان يعتنقوا نظيرهُ الديانة النصرانيّة" فلما سمع الحاكم هذا الكلام أمر بإحضار القدّيس، فقُبض عليهِ وأُحضر قدام الحاكم، فقال لهُ: "من انتَ؟" قال: "انّي نصرانيّ، وليسوع المسيح أسجد وهو الله الحقّ وليس لملكه انقضاء" فقال لهُ الحاكم: "اضرب عن الديانة الباطلة المتمسّك انتَ بها واسجد معنا للشمس فأكرمك

الكرامة كلها" قال القدّيس بشجاعة لامزيد عليها: "كيف اسجد للشمس التي أظلمت حزناً على موت ملكي وآلهي يسوع المسيح من الساعة السادسة الى الساعة التاسعة وهي عديمة الحيوة والروح وإنما بقوّة الله عزّ وجلّ تتحرك، فلستُ اسجد الا لخالق الكل الذي سلطتهُ لا تزول وملكهُ لايفنى، ولهُ يسجد جميع الأرواح السموية" قال الحاكم: "ان لم تعمل يا منكود الحظ بما أمرتُك بهِ فموتاً شنيعاً تموت" قال لهُ القديس: "اذهبنّ عني ياشيطان انت وآلهتك الكاذبة الى النار المؤبّدة المعدّة لك، وأمّا انا فمستعد للموت من اجل إلهي فلستُ اخاف من تهديداتك وهي عندي شبه طنين الذباب، فاصنعنَّ بي يا ...".

فتقلى الحاكم على جمرات الغضب وأمر باحضار سكاكين ومسامير وأمشاط ومناشير حديديّة، فوضعها قدّام القديس وقال لهُ: "اني بهذه الآلات أنكّل بك، فان لم تخضع طوعاً أكرهتك بالتعذيب قسراً" قال القديس: "لله ما احلى التعاذيب اني لتائق الى مجد احتمالها لاجل يسوع المسيح، فافعل ما بدا لك أيها الفاجر ولا تتأخر".

فاستشاط الحاكم غضباً وجُنّ غيظاً وأمر بان يُقلَع لسانهُ بالسيف وتُنشَر لحمانهُ بالمنشار فتقدّم اليهِ أنيحا الفاجر وقال لهُ: "سلم هذا النصرانيّ بيدي فانا أنزل به النكال بتباريح العذاب" فأجاب الى سؤاله وقال لهُ: "خذهُ من هنا وأذقهُ ضروب العذابات" فقال أنيحا للقديس: "امتثل أمر الحاكم واسجد للآلهة التي يسجد هو لها، والا فلأذيقنّك أمرَّ الميتات".

قال القديس: "سُدَّنَ فاك ايها الشرير الفاجر ولا تكلمني بهذا الكلام الخبيث، كيف أنبذ الإله الذي خلق السماء والأرض وكلّ ما فيهما وارسل ابنهُ الوحيد فبذل نفسهُ عنّي لكي يخلصني من عبوديّة الشياطين

معبـوداتكم، وهـو مزمـع ان يـاتي ثانيـةً في انقـضاء العـالم بمجدٍ عظـيم لا يُوصف ليـدين الاحيـاء والامـوات فيثيـب الأبـرار بـالملكوت السماوي وأمّـا الخطاة الذين هم نظيرك فيلقيهم في نار لا تُطفأ" فكـاد أنيحـا يتمـزق غيظـاً فأمر بالقديس فكُبِّـل بـسلاسل ثقيلـة وعُلِـق مُنكّس الـرأس علـى الجلمـود، وكان القديس يسبّح الله تعالى، فـأمر الحـاكم ان يرشـقوهُ بالـسهام، فكانـت السهام والحجارة تتساقط عليـه مثـل المطـر، وهـو لم يكـن يفتـأ يـسبّح الله ويعظمهُ بصوت عالٍ فأمر بهِ أنيحـا فحلـوهُ وأنزلـوهُ علـى الأرض، وهجمـوا عليه وقطعوهُ ارباً اربـاً وكـان استـشهادهُ في ٢٨ نيـسان، وأُخـذ عـضو مـن أعضائهِ المقدَّسة ونُقل الى قرية أزياخ ووُضع في هيكل بُنِي علـى اسمـهِ، ثـمّ صار ذلك الهيكل ديراً للراهبات وعُرِف بدير مار فنحاس وذكرهُ عند الكلدان في الجمعة الثانية من القيامة.



مار افرام الملفان

(١٥ حزيران سنة ٣٧٣)

وُلد مار افرام في عهد قسطنطين الملك في مدينة نصيبين، وكان ابوهُ فيها كاهنا للصنم أبيزل الذي هدمهُ فيما بعد الملك يوبنيان وكانت أمهُ من مدينة آمد، وظهرت النعمة الآلهية في الصبيّ منذ طفولتهِ، ورأى وهو رضيع غصنا قد نبت في فيه ونما حتى بلغ السماء، وصار فيه ربوات من العناقيد وربوات الربوات من العنب كما أخبر هو في كتاب وصيّته، وكانت تلك الرؤيا إشارة الى كثرة مصنفاتهِ وكان الصبيّ لاينقاد للذهاب الى بيوت الاصنام، فان الله كان قد زرع في قلبهِ وهو صبيّ بذور الايمان الصحيح، فرفع عن قلبهِ ديجور الظلام فتشرّب بغض الاباطيل الدنيويّة وتعشّق الفضيلة فكان يحب مخالطة النصارى ويهرب من عشرة الوثنيّين ورآهُ يوماً أبوهُ يكلم نصرانيّا، فشك من ذلك وضربهُ ضربا عنيفا وقال لهُ: "لقد اخطأت وهاءنذا ذاهب الى معبد الآلهة استغفرها من اجلك" وانطلق، وبينما هو يقدم الذبائح أتاهُ صوت من داخل الصنم وأعلمهُ انّ الآلهة لم يكونوا ليرضوا عنهُ أبدا ما دام في داره الصبى افرام عدوّهم، وانهُ لا سبيل الى ترضيتهم الا طردهُ" ففعل الأب المغرور كما أمرهُ الشيطان وطرد الصبيّ افرام ابنهُ من داره، فخرج وقد سُرّ في قلبه وسار طريقهُ متكلا على ربه، فأتت به العناية الربانيّة الى بيعة النصارى، فوجد افرامُ في مار يعقوب الاسقف ما لم يجدهُ قط في أبيه الجسداني من الود والشفقة والنفع، فأحلهُ مار يعقوب في داره الاسقفيّة يعلمهُ القواعد النصرانيّة والتراتيب الكنائسية وجعل يرشدهُ في جادّة الكمال الانجيليّ حتى بلغ به في مدة وجيزة درجة سامية فمكث لديه تلميذاً

عزيزاً نشيطاً تقيّاً نقيّاً لطيفاً وديعاً وهو كلما زاد سناً ازداد بالفضيلة شغفاً ولها اتباعا وكان حينئذٍ في نصيبين مدرسة شهيرة ولا بد انهُ فيها تخرج مار افرام في علم الكتاب المقدس ولم يلبث ان فاق جميع رفاقهِ في المدرسة فنصبهُ فيها مار يعقوب معلماً، واخذ منذ ذلك الحين يصنف القصائد البديعة الباهرة، ومن ذلك الوقت ابتدأت حياتهُ الطاهرة التي ضم فيها الى القداسة توقد الذهن وحذاقة البصيرة فاضحى رجلاً عظيماً قلما قدَّمت الأرض مثلهُ للسماء.

لكن الشيطان عدو الصالحين حسدهُ حسداً شديداً لِمَا رأى ما هو عليهِ من القداسة والصيت الحسن، وأهاج عليهِ تجربةً باهظة، وهي انهُ كان في بيعة نصيبين ساعور اسمهُ افرام ايضاً، فأغراهُ الشيطان فارتكب الفحشاء ولقن شريكتهُ فيها ان تقول اذا ما انفضح أمرها انّ افرام تلميذ الاسقف مار يعقوب هو المذنب ففعلت كما علمها مفسدها افرام الساعور، فاقبل ابواها الى مار يعقوب واخبراهُ بالواقع، فاحتار القديس وطلب من الله انْ يُطلعهُ على الحقيقة، فلم يكشف الله لهُ ذلك لانّ مار افرام كان قد توسل اليهِ تعالى ان يسمح بتهمته هذه ويخفي حقيقتها زماناً لاجل ترويضه بالفضيلة فسأل مار يعقوب تلميذهُ افرام عن ذلك، فأجاب بالتواضع قائلاً: "اعفُ عني يا ابت فاني خاطئ" فسكت الاسقف منذهلاً وهو من ذلك على ارتياب عظيم، ثمّ ولدت الجارية ابناً فحملهُ والداها الى مار افرام قائلين: "هاك ولدك ربّه" فأخذهُ والناس يسخرون بهِ ويعيرونهُ وهو صامت بتواضع وصبر لا يوصفان، وصار يلتمس حليباً يُغذيهِ، فرأى الله تجلُّدهُ وثباتهُ وشاءَ ان يكشف الحقيقة مدحاً لصفيهِ وخزياً لعدوهِ فأوقع في قلب القديس انهُ لا ينبغي ان يكون هو سبب عثرة وشكوك للشعب المسيحيّ ولو نال من ذلك

فائدة كبيرة: وقد قيل في الانجيل المقدس: "الويل للذي تاتي على يده الشكوك" فبينما هو متفكر في هذا اذ اصبح نهار الاحد، فدخل الكنيسة ومعهُ الطفل والشعب مزدحم، فاستأذن القديس يعقوب وصعد في المنبر ورفع الطفل الى فوق قبالة المذبح وصرخ بأعلى صوته قائلاً للطفل الرضيع: "أُقسم عليك باسم يسوع المسيح خالق السماء والارض وكل ما فيهما ان تقول لنا الحقّ: من هو ابوك" فنطق الطفل وقال ثلاث مرّات: "افرام ساعور البيعة هو ابي" قال هذا واسلم الروح فلما رأى الشعب ذلك وسمع ما سمع شهد للآية الكبيرة واخذتهُ الرعبة، فصار الحاضرون يبكون بكاءً مراً ويعتذرون الى القديس المتهم، فصلى عليهم وفعل كذلك القديس يعقوب ايضاً وعفا عنهم، ومن ذلك اليوم عظم قدر مار افرام في عيون الجميع ولاسيما في عينيَ معلمهِ مار يعقوب، فلم تزدهُ الأيام الا عجباً بهِ ورغبةً فيه وتقريباً منهُ.

وفي غضون ذلك بثَ اريوس في الكنيسة روح العصيان والفتنة اذ جدّف على ابن الله وقال انهُ ليس مساوياً للاب في الجوهر، فعُقد في نيقية مجمع مسكونيّ لقهر الضلالة سنة ٣٢٥، وحضرهُ مار يعقوب، وقيل ان مار افرام ايضاً ذهب معهُ اليه، ولما كانت السنة ٣٣٧ توفي قسطنطين الكبير فملك مكانهُ اولادهُ، فتحرش بهم شابور ملك الفُرس وغزا بلاد المشرق التي كانت في حوزة الروميّين، فحاصر مدينة نصيبين محاصرةً قوّية، وبدّد الله جيشهُ بتضرّعات القديسين مار يعقوب ومار افرام كما سبق القول في قصّة مار يعقوب وفي تلك السنة عينها اقبل الموت يطرق باب القديس مار يعقوب، فطارت نفسهُ البارّة الى الملكوت مخلفاً لكنيسته أشدّ الأسف على فقده، وللمؤمنين حسرات تدفع من العيون عبرات أحرّ من الجمرات، وكانت وفاته

كصاعقةٍ انقضت على قلب مار افرام فبكاهُ طويلاً لانهُ لم يفقد به فقط مرشداً ومحامياً بل بالخصوص مثالاً كاملاً للغيرة الرسوليّة والقداسة الكهنوتيّة ومات قسطنطيوس بن قسطنطين الملك وتولى المملكة الرومية يليانس الكافر (سنة ٣٦٠) الذي شدد على النصارى وآذاهم ونفى الاساقفة والقسوس وهدم البيع وبذل كل جهده في دعوة النصارى الى الوثنيّة، فأصاب جزاءهُ بضربةٍ من السماء وهو يحارب الفُرس في مملكتهم، فهلك وهو يجدف على السيد المسيح وتخلف بعدهُ يوبنيانوس الملك المؤمن (سنة ٣٦٣) الذي قدم الى نصيبين وعقد الصلح مع شابور الملك بتسليمه اليه مدينة نصيبين فاصبحت في حوزة الفُرس.

ولما رأى مار افرام نصيبين في حوزة أعداء الدين ولم تعد حاصلةً كالسابق على الحرية المسيحية تركها هو وكثير من اهلها النصارى ودخل بلاد الروم فذهب أولاً الى مدينة آمد، ثم انطلق الى الرها، فيكون اذاً مار افرام قد مكث في نصيبين عقب انتقال معلمه مار يعقوب خمساً وعشرين سنة، على ان مار يعقوب توفي سنة ٣٣٨ ونصيبين أُسلِمت الى الفرس سنة ٣٦٣.

وقيل أنهُ لما كان ماراً بنهر الرها المدعو ديصان وعلى ساحله نساء يغسلن ثياباً تفرّست احداهنّ فيه طويلاً بقلة استحياء، فانكر ذلك عليها وقال لها: "يا امراة الأحرى انّ تلبسي الحياء فتتفرسي في الارض" قالت: "لا بل الاحرى ان تتفرّس انت بالارض لانك منها جُبِلتَ، أمّا انا فلما كنتُ أُخذتُ من الرجل فلاَ أُعاب انّ نظرتُ اليك بل يليق بي ذلك" فتعجب افرام من حكمة المرأة وقال في نفسه: "انّ كانت نساء هذه المدينة هذه حكمتهنّ وهذا حذقهنّ فما ترى يكون من رجالها؟".

وكان في ذلك الزمان أغلب أهل الرها وثنيّين، فانقطع مار افرام الى صاحب حمام يشتغل ويربح بتعب يديهِ، وكان اذا فرغ من شغل الحمام يعلم ويرشد من استطاع الى طريق الحقّ وذات يوم مرَّ بهِ احد الشيوخ النساك فرآهُ يجادل وثنيّاً، فقال لهُ الشيخ: "من اين انتَ يا ابني؟"فقص عليهِ مار افرام قصتهُ، فاشار عليهِ انّ ينعزل في الجبل منقطعاً فيه للعبادة، فانقاد لهُ مار افرام وصعد معهُ الى الجبل، فتمنطق بزيّ النساك وتبوأ مغارةً يعبد الله فيها، وتسلق مراقي الكمال سريعاً وشرع يصنف تفسير الكتب المقدَّسة وذات ليلةٍ لما فرغ ذلك الشيخ الراهب من صلاته خرج من قلايته، فرأى ملاك الرب نازلاً من السماء وفي يده مَدرَج عليهِ كتابةٌ من جميع اطرافه فقال للذين حولهُ: "بيد من أسلم هذا المَدرَج؟" فقالوا: "بيد اوجانيوس الراهب" قال: "انّ الربّ لم يامرني بهذا" قالوا: "اذا سلمهُ بيد يوليانس الراهب" قال: "اليوم ليس احد يستاهلهُ الا افرام النصيبينيّ الذي في جبل الرها" قال هذا وغابت الرؤيا عن عيني الراهب، وظنها هو من التخيلات فذات يوم خرج ذلك الراهب صباحاً وانطلق الى مار افرام فرآهُ يكتب تفسير السفر الأول من التوراة، فأخذهُ الانذهال مما رأى فيه من المعاني الفائقة والفصاحة الرائقة، فأيقن حينئذٍ بصحة الرؤيا التي كان رآها فلما كمل الكتاب أخذهُ وذهب بهِ الى مدرسة الرها وأراهُ للمعلمين والكهنة، فقرأوهُ وكادوا يطيرون فرحاً واندهالاً من سمو افكار مؤلفه وبلاغة كلامه وظرافة عباراتهِ، وظنوا انّ ذلك الراهب الفهُ، فقبضوا عليهِ أما هو فكان يصرخ ويقول: "لستُ انا مؤلفهُ بل افرام النصيبيني" وقص عليهم الرؤيا. فأرسلوا الى مار افرام يستدعونهُ اليهم لكي يكون معلماً في مدرستهم واما هو فلما شعر بذلك استخفى عنهم ونزل الى وادٍ، واذا بملاك الربَّ امامهُ فقال لهُ:

"افرام الى اين تهرب؟" قال: "لأجلس وحدي في الخلوة فانجو من تيار العالم" قال الملاك: "حذارِ ان يتّم فيك ما قيل في الكتاب المقدس انّ افرام هرب مني نظير عجلة خرجت من تحت النير عاصيةً" قال باكياً: "اني ضعيف ولستُ اهلاً لشيء" قال: "ما من أحد يوقد سراجاً ويضعهُ تحت المكيال لكن على المنارة ليضيء لكل من في البيت".

فانطلق مار افرام الى الرها، ولما انتهى الى باب المدينة رفع قلبهُ الى الله عزَّ وجلَّ وصلى قائلاً: "يا ربّ انتَ الذي اعطيتَ رسلك الأطهار قوةً على الشيطان وعلى جيوشه، شجعني وقوني على جميع الهراطقة الذين يجدفون على اسمك القدوس" فلما فرغ من صلاته دخل الباب فألقى نفسهُ في برج من أبراج السور ونام، ثم قام ودخل المدينة، فبصر به الذين كانوا أُرسلوا اليه ليأتوا به المدينة وعرفوهُ، فاخذوا يضحكون عليه ويقول بعضهم لبعض: "يا لهُ من مُراءٍ، اننا خرجنا في اثره فهرب منا، والآن اتانا من تلقاء نفسه" فقبضوا عليه وذهبوا به الى المدرسة واما القديس فلم يتظلم منهم بل انحنى امامهم بكل تواضع وقال: "اعفوا عني فاني رجل غريب فقير" وكان حينئذٍ في الرها مدرسة شهيرة كان نخبة شبان البلاد يؤمونها من كل انحاء بلاد الفرس، فسلمت ادارة المدرسة الى مار افرام، فقام القديس باعباء خدمته هذه حق القيام، فصار لهُ عدة تلاميذ والذين اشتهروا منهم بالتصانيف زينوب الجزري شماس بيعة الرها وأبا واسحق وشمعون وابراهيم وغيرهم كثيرون[1].

١ – وقال برحذبشبا مطران حلوان انهُ بعد وفاة مار افرام سُلمت ادارة المدرسة الى رجل فاضل قديس اسمهُ قيوري ثم الى نرساي الشهير الذي انحاز الى النساطرة.

وما اكتفى مار افرام بتعليم الشبان وباماتة جسده بالتقشفات وبرياضة نفسه بالتقوى، بل كان ملتهبا بالغيرة المقدسة لمحاربة الهرطقات والضلالات وكانت جيوش الضلال الواقفة لاهالي الرها الامناء بالمرصاد مؤلفة من الاريوسيّين والمانيَين والمرقيونيّين والبرديصانيين الذين وان كانوا مفترقين عن بعضهم في كل الامور، فكانوا متفقين كالاخوة على شيء واحد وهو ان يحملوا حملة واحدة كرجل واحد على كنيسة يسوع المسيح الطاهرة النقيّة فكان مار افرام يفرق اليهم سهام الحرب صبرة مبدّداً شملهم ايادي سبا.

وكان الهراطقة البرديصانيون كثيرون في مدينة الرها ونواحيها، وانما جرى عليهم هذا اللقب نسبةً الى زعيم بدعتهم برديصان من مدينة الرها الذي كان ظهر في الجيل الثاني، فتمسك بضلالات كثيرة اعظمها الزعم بوجود الاهين إله الخير واله الشر وانّ المسيح لم يكن لهُ جسم ارضي بل سماوي وانكر قيامة الموتى، وكان بليغاً في الكلام متفنناً فيه وصنف قصائد كثيرة وفيها دسّ أضاليلهُ وبثها في افواه الناس وخلفهُ ابنهُ هرمونيوس فألف هو ايضا نظير ابيه ابيات اشعار مشحونة تعاليم خطرة مفسدة لقلوب الاحداث فلما رأى ذلك مار افرام اخذتهُ الحمية المقدسة ونظم اشعارا بديعة وترانيل مقدسة تشتمل على معاني التدبير الالهي باجمعه في السبّار[1] والميلاد والدنح والصوم والآلام والقيامة والصعود وحلول الروح القدس، وفي مريم العذراء القديسة وفي الشهداء وفي جميع الموتى وفي شروط التوبة وغير ذلك من الموضوعات الدينية والاصول المسيحية والقواعد الأدبية فلله دره من عمل وصارت العذارى يجتمعن في البيعة في الاعياد الربانية وفي الآحاد وفي حفلات

---

(١) كلمة سريانية كلدانية معناها البشارة [illegible]

الشهداء والموتى فيقف القديس افرام يعلمهن الالحان المختلفة والتراتيل المقدسة التي اشرنا اليها، فيرتلن تلك القصائد الروحية فتنطبع معانيها في قلوب العامة، فلصقت المدينة كلها بالقديس وتلاشى جانب الشمال.

وانّ تاليفات مار افرام كثيرة تكاد ان لا تُحصَى فانهُ لم يترك معنى من المعاني الدينية والالهية والفلسفية والكتابية الا وصنف فيه التصانيف العجيبة التي اذاعت اسمهُ في العالم وهو بعد في قيد الحيوة، حتى ان كثيراً منها استُخرجَ الى اللغة اليونانية قبل وفاته، وتاليفاتهُ مطبوع منها جانب كبير في رومية على يد الشيخ السمعاني وهي عبارة عن ستة مجلدات ثلاثة منها سريانية وثلاثة يونانية ولاتينية[1]، وفي صدرها سيرة حياته، وانّ ما في تاليفاته من سمو الافكار وبلاغة الكلام وعذوبة الالفاظ وطلاوة العبارة لم نَرَهُ في تاليفات غيره من ايمة ملافنة السريان، فبكل حقٍّ وصواب سماهُ السريان الشرقيون نبي السريان وملفان الملافنة وافرام الكبير وعمود البيعة، ودعاهُ السريان الغربيون شمس السريان وكنارة الروح الى غير ذلك، وانّ الكنيسة السريانية مع اتساعها وتشعبها لم تزل الى يومنا هذا تتغنى كل يوم بقصائده واناشيده الحلوة في صلواتها وتسابيحها، اذ ان كتب فرض الكلدان والسريان والموارنة ممتلئة من تسابيحه وقصائده.

ومما يروى ان راهباً جليلاً قديساً اتى ذات يوم مدينة الرها ليبتاع لهُ طعاماً، فصادف مار افرام في أزقة المدينة فتبعهُ في الأزقة وهو يصرخ ويقول: "هذا هو الرفش الذي في يد الرب به يفرز ويميز القمح الجيد من

١- ان قصائد كثيرة من تاليفات نرساي وغيره منسوبة غلطاً في هذه المجلدات الى مار افرام لا بل وانهُ في نفس طقس الموارنة واليعاقبة دخلت قصائد كثيرة من تاليفات نرساي باسم مار افرام من ذلك قصيدة في البشارة وهي محاورة بين مريم والملاك جبرائيل دخلت في طقس الموارنة وقصيدة أخرى وهي محاورة بين قائين وهابيل دخلت في طقس اليعاقبة وهي مسطورة في فنقيث الآلام عندهم.

زؤان الهرطقات فيحرقهُ بالنار، هذا هو النار التي قال عنها ربنا في انجيله الطاهر اني اتيتُ لألقي ناراً على الارض" وقيل انّ الهراطقة واليهود والوثنيين لما سمعوا ذلك استشاطوا غضباً فقبضوا على مار افرام وأخرجوهُ من المدينة ورجموهُ بالحجارة وتركوهُ وفيه رمق يسير ولما أصبحت قام وهرب الى الجبل حيث كان ساكناً من قبل.

وذات يوم أتَتهُ امراة فاجرة لتصيدهُ في فخها الجهنميّ، واخذت تحملهُ على فعل الخطية، فأجاب القديس الى سؤلها بشرط ان يختار هو المكان الذي يريدهُ، فقالت: "وأين يكون؟" قال:"في السوق" قالت: "كيف يكون هذا وجميع الناس ينظرون الينا؟" قال: "فكيف يكون هذا وخالق السماء والأرض ينظر الينا أمَا تخافين الله الموجود في كل مكان" لم يزل يوجه اليها نصائح حكمية وخلاصية حتى حرك قلبها فتابت ورجعت الى الله فدخلت بعض الأديرة وهناك قضت حياتها بالتوبة.

ويوماً آخر اذ كان القديس في بيت يهيء لهُ طعاماً أشرفت عليه امرأة من نافذة فقالت لهُ: "اما يعوزك شيء يا راهب".

قال: "لايعوزني شيء سوى ثلاثة أحجار وقليل من الطين لأسد هذه الكوة التي بيني وبينك" فولت الامرأة مُدبرةً.

وكان رجل مُخَلع يجلس دائماً على باب كنيسة مار توما ويطلب صدقة فذات يوم رآهُ مار افرام وتحنن عليه فنظر يمنةً ويسرةً فلم يَرَ أحداً فدنا اليه وقال لهُ: "أتريد ان تُشفى؟" قال متنهداً: "وكيف لا اريد؟" فصلى عليه القديس وقال لهُ: "باسم المسيح قم امش" وللحال انتصب قائماً واخذ يسبح الله.

وفي السنين الاخيرة من حياة القديس، وقع اهالي الرها فريسة لمجاعةٍ شديدة، فكان الفقراء يتجرعون غصص المرائر والمصائب فيهلكون جوعاً، فنشط القديس لاغاثتهم معتبراً اياهم كنز الكنيسة وابناء الله الأعزاء، فسداً لنفقاتهم لم يكن يذوق راحة البتة، بل جعل يطرق ابواب الاغنياء ويقرع قلوبهم مثيراً فيها عوامل الشفقة ومستمطراً من ايديهم غيث المبرات ومستفتحاً كنوزهم كنبعٍ غزير يروي ظمأ المائتين عطشاً، فطفق يسعى بالليل والنهار لا ياخذهُ عياء ولا ملل في سبيل من أضرَّ بهِ الجوع القتال، فهيأ نحو الف وثلثمائة سرير واستكرى بيوتاً، فكان يقبل كل المحتاجين الذين يقصدونهُ من المدينة والقرى فيقوم بكل حاجاتهم من طعام وكسوة ويداري المرضى منهم ويدفن من تختطفهُ المنية، ودامت المجاعة سنة كاملة فولتها سنو الرخص والسعة، ورجع كل من الفقراء الى شغلهِ وقلوبهم طافحة بالمحبة والشكر لمنقذهم الجليل.

وبعد ان قضى القديس حياةً ممتلئةً فضائل واعمالاً صالحة وأنشأ تآليف جليلة بديعة، أراد الربّ ان يدعوهُ لكي يستريح من اتعابهِ فينال اجرتهُ في الملكوت، فلما رأى القديس منيتهُ قريبة جمع اليهِ تلاميذهُ الرهبان واجتمع جمّ غفير من النساك والاقليروس والأهالي ايضاً، وأعلن قدامهم وصيتهُ الأخيرة الشهيرة وهي طويلة، قال فيها من الجملة: "انا افرام مائت، وكاتب هذهِ الوصية، لتبقى ذكراً لكل من يختص بي، لعل معارفي يذكروني من اجل الفاظي، الويل لي انّ حياتي قد دنت الى الزوال، قد دنا النسيج الى القطع ونفذ الزيت من السراج، فحان الأجل، واحتاط بي الجلادون وكبلوني بالقيود، الويل لك يا افرام اذا وقفت قدام منبر ابن الله، فأتردى حينئذٍ لباس العار وأُطرق خجلاً، فالويل للذي يخجل هناك، ان هوشع النبيّ

يخوفني كثيراً ويكدرني شديداً اذ يقول: "انّ الشيب فشا في افرام وهو لايخجل لكن داود يفرحني قليلاً بقوله: انّ افرام مقوي رأسي تعالوا يا تلاميذي اغمضوا عينيَّ لأنهُ لا مناص لي من الموت، وبحياة افرام لا سبيل لافرام الى القيام من الفراش، بحياتكم يا تلاميذي لا تقبروني تحت المذبح ولا في الهيكل، لأنهُ ليس من الواجب ان تُلقى الرائحة الكريهة في المكان المقدَّس لا يضع احد في جنازتي خزّاً ولا ثوباً فاخراً بل اقبروني بقميصي وقبعتي لأني مملوّ خطايا وآثاماً مع هذا إيتوني يا اخوتي واعزّتي وآبائي بما نذرتموهُ لي ليُقسمّ على الفقراء والبائسين والسقماء والمحتاجين فيكون لكم الاجر عند الله يا مدينة الرها امَّ الحكماء عليكِ تلك البركة التي اتتك من المسيح بيد تلميذه لا يحمل احد شمعة قدّامي، وايّ نفع من النار لمن نارهُ فيهِ، ويل لي لأني منذ حبلت بي أُمّي لم اقبِل على تقديم الخير واني في تذكري ما ارتكبتُ من السيئات فزع قلبي وتحرك من مكانهِ ولصق لساني بحنكي وتفككت كل عظامي وحياتكم لا تبخّروا على قبري فإن البخور لايجديني نفعاً، بل بخروا في الكنيسة وصلوا لاجلي قد عاهدتُ آلهي ان لا أُدفن الا في مقبرة الغرباء فاني غريب نظيرهم تعالوا يا اخوتي مددوني فانّ الساعة قد دنت، زودوني الصلوات والمزامير والقرابين، واذا انقضت الثلاثون يوماً فاذكروني يا اخوتي بصلواتكم، لأن الاموات ينتفعون من القرابين التي تصنعها الاحياء فالوداع يا اعزتي صلوا عليّ يا معارفي فها قد دنت ساعة ارتحالي".

وكانت وفاة مار افرام في الخامس عشر من حزيران وقيل في التاسع منهُ سنة ٣٧٣، وكان مار افرام نحيف المزاج قصير القامة كوسجا أصلَع حزين

الصورة وذكرهُ عند الكلدان في جمعة اسبوع الباعوث وعند الـروم والـسريان في ٢٨ كانون الثاني.



مار ابرهام القيدوني

(١٤ كانون الأوّل سنة ٣٦٦)

ان كاتب القصة لا يذكر من اي مدينة كان هذا القدّيس الجليل، والظاهر انهُ كان من مدينة الرها، وانما سُمي قيدونياً نسبة الى قرية يقال لها قيدون اقتنص اهلها من صحاري ضلالات الوثنيين وكان من ارفع وأغنى طبقات الأُسر الشريفة، وكان منشأهُ في نعمة كاملة وكريماً على ابويه فحافظا عليه اشد المحافظة وأسلماهُ الى المؤدب، فتخرج في علم الكتاب المقدس، وكان تقياً نقياً وارث المعارف حائز الفضائل واللطائف، فكان منذ نعومة أظافره يواظب على الصلوة وعلى زيارة الكنائس وتلاوة الكتاب المقدس، وخطب لهُ والداهُ ابنة شريفة، فارادا ان يعقدا لهُ عليها، فلم يكن ينقاد لهما وآثرَ العبادة على لذَّات الدنيا الغرور، فلم يزالا يطلبان اليهِ بلحاجة ان يذعن لهما، فرضخ لسؤالهما كرامةً لهما، فصنعا لهُ عرساً وقلباهما يتهللان فرحاً وسروراً ولكن ما كاد يمضي على عرسه سبعة أيام إلا وأطلع الله في أُفق قلبهِ قمر معرفته، فخرج حالاً من الخدر وهجر المدينة، وبعد ان سار ميلين انتهى الى بيت فدخلهُ ولما رآهُ خالياً تبوأهُ أما ما كان من أمر والديه فإنهما سألا عنهُ ولم يطلِعَا على خبرهِ فساورتهما جيوش الأحزان والأشجان وجرت من عيونهما العبرات النزيرة، ولم يتركا مكاناً في المدينة وخارجها وفي المدن والقرى المجاورة الا وفتشا فيه عنهُ، وبعد مرور سبعة عشر يوماً وجداهُ في ذلك البيت قائماً بالصلوة فالتمسا اليه بلجاجة ان يرجع معهما الى المدينة، فلم ينقَذ لهما وقال: "عليكما انّ تسبحا الله عزَّ وجلَّ وتشكراهُ لكونه أخرجني من وحل الخطايا، وصَليا عليَّ لاحتمل هذا الحمل الخفيف حتى الموت،

واني لا أزال اشكر ربي على هذه النعمة العظيمة، وقد قصدتُ قصداً ثابتاً ألا ارجع ابداً الى بحر العالم فقد ألفتُ السيرة النسكية فلن اضربنّ عنها" فلما رأياهُ لا يتزعزع بسطوة التهديد ولا بقوة الالحاح خلياهُ وشانهُ، ورجعا الى دارهما حزينين كئيبين، فشكر ابرهام الله عزَّ وجلَّ شكراً جزيلاً، وقام فسدَّ باب البيت لئلا يدخل عليه أحد فيُزعجهُ، وفتح لهُ فيهِ كوة صغيرة ليتناول منها الطعام فاستنار عقلهُ بالنور الآلهي وشرع يُميت جسدهُ بالاصوام الشاقة والاسهار الطويلة، فارتقى سريعاً في معارج الكمال المسيحيّ، وذاع صيتهُ في كل البلد، فكان الجميع يهزهم الاشتياق الى مشاهدته ومخاطبته.

ولما مرَّ عشر سنين على انتخابهِ السيرة النسكيّة توفي والداهُ تاركَين لهُ أموالاً كثيرة فلم تقدر هذه الثروة ان تزعزعهُ من مكانه، فكلف احد أصدقائه ان يوزعها على الفقراء، ولله درُّهُ فإنّ نفسهُ لم تكن تتوق الا الى الاختلاء فكانت تجدد اجنحتها لتتطاير بها الى العلاء متنزهة عن محبة العالم ولذاته وعن كثافة الانسان العتيق فمع كل ما كان لهُ من الاموال الوافرة لم يملك في العالم سوى نسيج غليظ من شعر المعزى، وحصير كان يضطجع عليه، ومنقر كان ياكل فيه فتواضع وقنع فاستغنى، وخلع الدنيا فنجا من الشرور، ورفض الشهوات فصار طاهراً وأحبَّ الله، واحبَّ الغني والفقير مثل نفسه، وكان في غاية الحصافة والمعرفة والظرافة، فكان الجميع يبادرون اليه ليسمعوا الاقوال الحلوة اللذيذة الخارجة من فمه.

وانّ قرية من قرى المدينة يُقال لها قيدون كان جميع سكانها وثنيين، وكان كلما ارسل اليهم الاسقف كاهناً مبشراً او راهباً مُنذراً اضطهدوهُ واساؤوا اليه فأضرب الكهنة والرهبان عن الذهاب اليهم وكان قد اتصل خبر

مار ابرهام بالاسقف، فعزم ان يرسمهُ كاهناً ويرسلهُ الى تلك القرية رجاء ان يدك بقداسته حصون اضاليلهم فانطلق اليه مصحوبا بكهنته واطلعهُ على ما سنح لهُ من الفكر وطلب اليهِ ان يجيب الى هذه الدعوة الجليلة، وينطلق الى تلك القرية فيزرع في قلوب سكانها بذور الايمان الصحيح فحزن القديس حزناً عظيماً وقال للاسقف: "ارجو منك ان تعفيني من هذا الخطب الجليل، فاني رجل عاجز لا قدرة لي على القيام به، فما شاني الا انّ ابكي على خطاياي" قال الاسقف: "انك لحقيق بالقيام بهذا الخطب الجليل فكن طائعا خاضعاً" فقال: "التمس اليك يا سيدي ان تعفيني فتخليني وحدي في هذا البيت ابكي على آثامي، وهذا اوفق لي" قال الاسقف: "انك قد هجرتَ العالم ومقتَّ كل ما فيه من اللذات فانقطعتَ للعبادة فالطاعة فقط تعوزك" فبكى القديس بكاءً مرّاً، واستتلى الاسقف كلامهُ فقال: "ان اقامتك هنا لا تجدي نفعاً الا لك، فاذا انقذتَ لي وانطلقتَ الى القرية أنقذتَ نفوساً كثيرة من انياب الشيطان، فتفكر يا بُنيّ اي الأمرين خير لك أأن تبقى وحدك هنا فتخلص نفسك فقط، ام ان تذعن لي فتذهب الى القرية فتخلص نفسك ونفوساً أُخرى ايضاً" فقال لهُ القديس باكياً: "لتكن إرادة الله" فاخرجوهُ حينئذٍ من البيت الذي كان احتبس فيه، واتوا به المدينة، فارتسم كاهناً وانطلق الى القرية، وكان في الطريق يصلي ويقول: "انظر يا رب الى ضعفي فايدني بنعمتك وقوني ليتمجد اسمك القدوس".

ولما دخل القرية وراى ألوية الوثنيّة منشورة فيها تنهد وبكى ورفع عينيه الى العلى قائلا: "ايها الرب الرحوم لا ترد وجهك عن جبلة يدك" وكان قد بقي شيء من اموال والدَيه عند خليلهِ فطلبها منهُ وشيد بها كنيسةً فصلى بدموع سخينة قائلا: "اجمع يا ربّ سكان هذه القرية وادخل بهم هيكلك هذا

المقدس، أنر عيون عقولهم ليرفعوا الحق فيسجدوا لك" وحالما فرغ من صلاته خرج من البيعة فطاف في القرية، فكسر ودك كلّ ما وجد من الاصنام فلما راى الوثنيّون ذلك هجموا عليه كالأُسود الضارية فاوسعوهُ ضرباً وطردوهُ من قريتهم، لكنهُ رجع ليلاً ودخل الكنيسة وأخذ يصلي من اجلهم، فلما اصبحت دخل كثير من سكان القرية الى الكنيسة بغية ان يشاهدوا بنيانها الفاخر وما فيها من الزينة واذا بالقدّيس قائم فيها بالصلوة، فاخذهم العجب وهجموا عليه بالعصي فضربوهُ، وشرع هو ينذرهم بالانجيل، فغضبوا عليه غضباً شديداً وهجموا عليه ثانيةً بالعصي وضربوهُ بقساوة وحشية حتى انهُ أُغمي عليه، فشدوا رجلَيه بحبل وجروهُ في الازقة الى ظاهر القرية، وهناك كوموا عليه حجارة لأنهم ظنوهُ ميّتاً فلما انتصف الليل أفاق من غشيته، فبكى بكاءً مراً وصلى قائلاً: "لماذا يا ربّ اهملتَني ولماذا رَددتَ وجهك عني واختفيت في حين الشدّة؟ اسمع يا ربَّ صلاتي وقوني وانقذ عبادك من ضلالة الشياطين وانر عقولهم لكي يعرفوا انك الآله الحق" ثم نهض واتى القرية ودخل الكنيسة وانحبس فيها للصلوة فهجموا عليه ثالثة وضربوهُ وأخرجوهُ من القرية، فرجع ثالثة الى مقره، وثابروا على اضطهاده على هذه الحالة ثلاث سنوات وهو لا يزال يحتمل بصبر عجيب هذه العذابات القاسية حباً لخلاصهم، فيبارك من لعنهُ ويحب من ابغضهُ ويسالم من نازعهُ ويوادع من واقعهُ ويدعو الجميع الى الدين الحق المبين.

فوقع صبرهُ العجيب وقعاً عظيماً في قلوبهم، وأخذوا يتحادثون عن تمسكه بالصبر بفرحٍ شديد، ففتح الله عيونهم وأنار عقولهم ففر عنهم ظلام الأضاليل وأسفر صباح الانجيل، وقالوا لا بُد انّ الآله الذي يعبدهُ هذا حق لا آله الا هو وحدهُ وانما بقوته ونعمته يحتمل بفرح هذه ضروب العذابات

ويتجرع بسرورٍ غصص هذه الإهانات، فانطلقوا اليهِ في الكنيسة وانطرحوا على قدميهِ هاتفين قائلين: "نمجد الله الحقّ خالق السماء والأرض الذي أرسل الينا هذا عبدهُ الأمين لكي ينقذنا من ضلالة الوثنيين" ففاض قلب ابرهام فرحاً وتعزيةً ورفع عينيهِ الى العلى وشكر الله عزَّ وعلا، ثم اخذ يكلمهم عن العناية الربانية وخلقة العالم والآباء الاوَّلين والانبياء الطاهرين ومجيء يسوع مخلص العالمين وانذار الرسل النقيين، فكانوا يتعجبون من اقوالهِ، فأطلع الله سبحانهُ في أفاق قلوبهم اقمار معرفتهِ وقادهم بزمام الاهتداء من تيه الاضاليل الى مناهج طاعتهِ، وعمذ منهم مار ابرهام الفاً ونيفا وبقي عندهم سنة كاملة وهو لا يزال يودع اراضي قلوبهم بذور الحيوة الابدية ويغذيهم بالاقوات السرمدية ثم قام ذات ليلة وصلى طويلاً من اجل قطيعهِ الجديد واستودعهُ الله سبحانهُ، ولما فرغ من صلاتهِ خرج ورسم على القرية علامة الصليب ثلاث مرات وذهب فاستخفى.

فلما كان الصباح اتى النصارى الجُدُد الى الكنيسة كجاري العادة فلم يروا القديس، فاخذهم العجب وشرعوا يفتشون عنهُ باكين نائحين ولم يجدوهُ، فاخذت الكآبة من نفوسهم كل مأخذ، وانطلقوا الى الاسقف وأطلعوهُ على الأمر، فحزن وبحث هو ايضاً عنهُ كثيراً لكن أتعابهُ ذهبت ادراج الرياح، فحينئذٍ قام الاسقف وذهب معهم الى قريتهم ورسم لهم كهنة وشمامسة.

اما مار ابرهام فلما بلغهُ ما فعل الاسقف فرح فرحاً جزيلاً ورجع الى مسكنهِ الأول وبنى حجرةً صغيرة هناك، وانحبس في الحجرة الداخلية وسد عليه الباب لئلا يدخل عليه احد فيزعجهُ، وثابر على الصوم والصلوة ومناجاة الله، فلما رأى الشيطان انّ القديس غلبهُ في القرية وأنّ منزلتهُ عند الله تأبى الا ارتفاعاً حسدهُ حسداً عظيماً وبلغ منهُ غيظهُ كلّ مبلغ، فأخذ

يهيج عليه تجارب شديدة فذات ليلة اذ كان مار ابرهام يصلي متخشعاً تظاهر لهُ اللعين بزيّ رجل يتلألأ نوراً ساطعاً وقال لهُ: "طوبى لك يا ابرهام ثم طوبى لك فانهُ لم يحرز رجل ما احرزتَ انتَ من الفضائل السامية، فلاجل هذا اعطيتك الطوبى" فعرف القديس حالاً انهُ الشيطان، فرفع صوتهُ وقال: "لحاك الله ايها الحسود الخداع، اني رجل خاطئ، ومع كوني ضعيفاً فلستُ أخافك لأن الله معي وهو ملجئي وقوتي، زجرَك سيدي يسوع المسيح الذي أحببتُهُ" قال هذا ورسم على وجههِ اشارة الصليب، فما كان من الشيطان الا انهُ ولى هارباً وبعد مرور ايام قليلة رجع الى محاربتهِ فتناول فاساً وهجم ليلاً على مسكن القديس وجعل يضرب الحائط بالفأس وظن انهُ نقبهُ، فصرخ حينئذٍ بصوتٍ عالٍ قائلاً: "اعجلوا اعجلوا يا اصدقائي وادخلوا عليهِ واقبضوا عليهِ ونكلوا به" فأجاب القديس قائلاً: "كلّ الأُمم أحاطوا بي وباسم الرب بددتهم" ومرة أُخرى اذ كان يصلي صلاة نصف الليل رأى الحصير الذي تحتهُ يحترق كانهُ أُضرمتَ فيه نار شديدة فداس اللهيب قائلاً: "على الليث والأفعى أطأ وادوس الشبل والتنين وكل قوة العدو باسم ربّنا يسوع المسيح الذي هو معونتي" وحالاً انهزم الشيطان.

وذات يوم لما كان مار ابرهام يتناول الطعام كجاري عادتهِ اتاهُ الشرير بزي شابّ، فدنا اليه ليكب المنقر الذي كان ياكل فيه فعلم القديس أنهُ الشيطان ومسك المنقر وواصل الاكل بلا خوف غير انّ الشرير تناول سراجاً واوقدهُ ووضعهُ على المنارة، واخذ يرتل باعلى صوته: "طوبى للذين هم بلا عيب في الطريق السالكين في شريعة الربّ" (مزمور: ١٨٨) وتلا من هذا المزمور أيات كثيرة ولم يجاوبهُ القديس حتى فرغ من الاكل فرسم على وجهه إشارة الصليب وقال لهُ: "ايها الكلب النجس الذليل الحقير قد علمت

ان خائفي الله أُعطُوا الطوبى فما بالك تقلقهم؟" اجاب الشرير: "إني أُزعجهم بغيةَ ان اغلبهم فأمنعهم عن كل ممارسة صالحة" قال القديس: "اعوذ بالله منك يارجيم، انك لاتغلب الا الذين يشابهونك اثماً وقباحةً واياهم تحمل على الضلالة أما الابرار فكما يذوب الشمع من قدام النار هكذا تذوب انت من قدام حرارة صلاتهم" فلما قال هذا غاب الشرير وولى مدبراً لكنهُ بعد مرور خمسة ايام اتاهُ مصحوباً بشياطين أُخَر كثيرين، فشدوا حبلاً على وسط حائط البيت وارادوا انّ يقلبوهُ عليه وصاحوا بصوت واحد قائلين: "هلمّ بنا نلق هذا البيت في الوهدة" فنظر اليهم القديس وقال: "احاطوا بي مثل الزنابير وانطفأوا كنار القذاة وباسم الرب بددتهم" (مزمور ١١٧:١٢) فصرخ الشرير قائلاً: "ويحي ويحي لست أدري ماذا اعمل، ها انك غلبتَني ودستَ قوتي، لكني لا ابتعد عنك حتى أغلبك" قال القديس: "لحاك الله انت وجميع عساكرك اننا لا نزال نسبح الله عزّ وجلّ الذي ينصرنا عليك فيجعلك هُزءاً وسخرّيةً لنا، فأيقنَنّ يا شقيّ اننا لا نخافك ابداً فافعل ما شئت".

فكان القديس لا يبالي بكل ما كان الشيطان يبرم عليهِ من الدسائس الجهنمية، بل كان يواصل اعمال الفضائل الآلهية بغيرة ونشاط لا نظير لهما وكان كلما ازدادت عليه التجارب الشيطانيّة ازداد هو اضطراماً بنار المحبة الآلهية وبقي خمسين سنة على تلك الحالة قاضياً حياتهُ بالصلوات المتواصلة والتاملات الطويلة والمناجَيات الغير المنقطعة والبكاء الدائم وقيل عنهُ انهُ لم يضحك قط.

وكان لمار ابرهام اخ لهُ ابنة وحيدة اسمها مريم فلما توفي ابوها أُتي بها الى القديس، لأنهُ لم يكن لها احد يقوم باودها وترتيبها فأسكنها في الحجرة الخارجية، وكان بينهما نافذة صغيرة، فعلمها المزامير وأخذ يرشدها في

جادة الكمال الانجيليّ، فكانت تتلو معهُ المزامير ليلاً ونهاراً، وعكفت على السيرة النسكيّة متفرغةً ان تحذو حذو عَمها في ممارسة الفضائل الانجيليّة وإماتة الحواسّ وإتمام الفروض الرهبانيّة، وكان القديس لا يزال يصلي لاجلها حتى تسلم من الفخاخ الجهنميّة، وكان والدها ترك لها أموالاً كثيرة، فأمر القديسُ بتوزيعها على الفقراء وكانت مريم تطلب مراراً الى عَمها ان يصلي عليها لكي ينقذها الربَّ من الافكار الرديئة، فأحبها مار ابرهام لأنهُ رآها ذات فضيلة سامية، وبقيت عندهُ عشرين سنة مواظبة على الصوم والصلوة والتقشف لكن الشيطان عدو الطهارة نصب لها شبكتهُ ونثر عليها حب الشهوة فوقعت على الحب تلتقطهُ وعلقت في الشبكة وذلك ان شاباً لم يكن راهباً الا بالاسم لا غير كان لهُ صداقة مع عَمها فكان يزورهُ مراراً، فذات يوم بصر بالفتاة وكانت حسناء فأعجبهُ حسنها وعلق بها قلبهُ، ولم يزل يكمن لها حتى اوقعها في الخطية، فانقبض صدرها كدراً وخجلاً ومزقت ثيابها واخذت تبكي بكاءً مراً وتقول في نفسها: "اني لقد متُّ، وفقدتُ كل ما ربحتهُ من الفضائل، إني اسخطتُ الله وقتلتُ نفسي واحزنتُ عمي اذ لفحتني ريح السموم وسرى اليَّ السوس والدود فتقمصتُ بثوب العار، وا ويلي ماذا حدث لي، وا ويلي ماذا صنعتُ، وا ويلي ماذا اصابني، كيف اظلمت بصيرتي ففقدتُ درتي الثمينة؟ كيف عميتُ فوقعت في الهوة، فأين اذهب واين استخفي، فآهاً من هواني، آهاً من شقاوتي فكيف اتجاسر وانظر الى العُلى واني قد متُّ عن الله، وكيف اتجرأُ انّ ادنوَ من هذه النافذة واخاطب هذا الرجل البار الذي لاعيب فيهِ واني مملوة آثاماً باهظة ومغتمسة في وحل الخطية، فاذا دنوتُ منهُ تخرج النار من النافذة فتحرقني" هذا ولم يكتفِ الرجيم بأنهُ أسقطها في الخطية بل حملها على قطع الرجاء من الخلاص،

فخرجت من مسكنها وانطلقت الى مدينة اخرى، فتبرَّجت وسكنت فندقاً منقادة الى كل شهواتها.

فلما عرض لمريم هذا عارض السوء، رأى مار ابرهام حلماً مزعجاً، فعاين تنيناً عظيماً خرج من مكانهِ وأتى بيتهُ فوجد فيهِ حمامةً فبلعها ورجع الى مكانهِ فلما استيقظ القديس، حزن حزناً عظيماً فبكى وقال: "لعل العدو يثير اضطهاداً على الكنيسة فيحمل كثيرين على نبذ ديانتهم، او يقدح فيها نار الفتنة والانشقاق" ثم بعد يومين رأى ثانيةً ذلك التنين خارجاً من مكانهِ واتياً حتى بيتهِ فوضع رأسهُ تحت رجليه فانشقت بطنهُ وخرجت تلك الحمامة من بطنهِ سالمةً، فمد يدهُ واخذها فلما استيقظ القديس صاح بابنة اخيه وقال: "ما بالك تتغافلين يا ابنتي منذ يومين عن تسبحة الله؟" ودعاها باسمها مراراً فلم يستمع لها صوتاً ولما كان منذ يومين لم يسمعها تتلو المزامير علم انّ الله قد اعلمهُ بواسطة الحلم بما جرى لبنت اخيه، فتنهد وبكى بكاءً مراً وقال: "ويحي انّ نعجتي قد خطفها الذئب" ثم صلى قائلاً: "ايها المسيح مخلص العالم رجِع مريم الى حظيرتك، لا تسمح ان تنزل شيخوختي الى القبر كئيبة حزينة، اسمع ياربَّ صلاتي وانقذ سريعاً الحمامة من فم التنين" ومنذ ذلك اليوم لم يزل يتضرع الى الله عزّ وجلّ لاجلها.

ولما قضى سنتين في الصلوة والتضرع الى الله من اجلها بلغهُ الخبر عنها، فارسل بعضاً من ثِقاتهِ ليتحقق امرها ويرى المكان الساكنة هي فيهِ، فعاد المُرسل واطلعهُ على جميع امورها، فتزيأ مار ابرهام بزي جندي رومي، ووضع قلنسوةً على راسهِ، وركب حصاناً فانطلق حيث كانت ساكنة فلما بلغ الفندق الذي قيل لهُ عنهُ، تلفت يميناً وشمالاً لعلهُ يقع نظرهُ عليها، ولما طال به المكث ولم يرها تقدم الى صاحب الفندق وقال لهُ: "سمعتُ يا صاح

ان لك هنا فتاة حسناء فأريد مواجهتها" وكان القديس قد طعن في السن، فلامهُ صاحب الفندق في نفسه، واجابهُ: "نعم لي فتاةٌ وهي حسناء جداً" فقال: "وما اسمها؟" قال: "مريم" حينئذٍ قال لهُ القديس بفرحٍ: "هلا تاتيني بها فاستلذ بها اليوم، فاني مشتاق كثيراً الى مشاهدتها" فدعاها، فدخلت عليه، فلما رآها متبرجة تفطر قلبهُ من الحزن والكدر لكنهُ كظم حزنهُ خوف ان تعرفهُ فتنهزم، ثم اخذا يشربان، وجعل القديس يتملق لها، فدنت اليه فعانقتهُ فتذكرت في تلك الاثناء ايام زهدها فتنهدت وقالت: "ويحي انا الشقية" فتعجب صاحب الفندق وقال لها: "ياسيدتي مريم انك اقمتِ عندنا سنتين ولم اراكِ تتنهدين ابداً او تقولين هذا الكلام الحزين فماذا أصابك؟" قالت: "لو متُّ قبل ثلاث سنين لكنتُ سعيدة" وامّا القديس فلئلا تعرفهُ قال لها بشدّة: "ألاجل اني أتيتكِ اليوم ذكرتِ خطاياكِ؟" قال هذا وأخرج درهماً فاعطاهُ لصاحب الفندق قائلاً: "خذ هذا وأعِد لنا طعاماً فاخراً لأتمتع مع هذه الفتاة، لأني من مكان بعيد أتيتُ لزيارتها" يا لهُ من أمر عُجاب، ان القديس لاجل خلاص نفس واحدة ارتضى في ذلك اليوم ان يتلذذ باطعمة فاخرة، هو الذي كان حتم على نفسهِ الا ياكل لحماً ولايشرب شراباً، فلما أكلا قالت الفتاة للقديس: "هلُم ندخل الحجرة" فلما دخلا رأى مار ابرهام مناماً فاخراً فجلس عليهِ، فدنت اليه مريم وارادت ان تخلع حذاءَهُ، فأشار عليها ان توصد أولاً الباب ثمَّ تاتي فتفعل ما بدا لها، فأطبقت الباب وأغلقتهُ وأتت فجلست جنبهُ، فقبض عليها القديس ورفع القلنسوة من راسهِ وأخذ يبكي ويقول: "اما تعرفيني يا ابنتي مريم؟ انا ابوك ابرهام، انا الذي ربيتُك وارشدتُك في جادة الكمال الانجيلي، فماذا أصابكِ يا عزيزتي؟ من قتلك؟ أين زيَّكِ الفاخر المقدس؟ كيف سقطت يا

ابنتي من العلى الى اسفل؟ ولماذا لم تخبريني بحالك؟ فانا كنتُ أُكفر عوضكِ عن خطاياكِ، فلِمَ تركتني وحدي اتقلب ظهراً لبطنٍ من شدة ما اصابني من الكدر والحزن على فُقدانِك؟ انّ جميع الناس خطأة، ولولا التوبة لهلكوا قاطبةً، فلماذا يئستِ انتِ من الخلاص؟" وكانت مريم ترتعد وترتجف بين يديهِ، لا تتفوه بكلمة كأنها صخرة صماء، فقال لها القديس باكياً: "أما تتكلمين معي يا ابنتي؟ اني من اجلك اتيتُ هنا، فلا تخافي انا اعطي الجواب عنك قدام الله الديان" ولم يزل يخاطبها بهذا الكلام وأمثاله الى نصف الليل، فصار لها دالة قليلة عليه، فقالت له باكيةً: "لا اقدر انّ أنظر اليك يا سيد فان اثمي عظيم وذنبي جسيم، وكيف اقدر ان اصلي ونفسي ملوثة باقذار الخطية؟" فقال لها القدّيس: "اثمك عليَّ يا عزيزتي، فقط اذعني لي و ارجعي معي الى سكناك وانقطعي للتوبة فانّ الله غفور رحيم، واني اتضرع الى الله لأجلك، فترحمي على شيخوختي وتوبي الى الله فيعفو عن آثامكِ" فتأثرت فيها هذه الاقوال وتفتت قلبها أسفاً على ما فعلت واخذت تقبل رجلي عمها وتستغفرهُ وتابت عن ذنبها وقضت ما كان بقي من الليل بالبكاء والتنهدات فلما اصبحت قال لها عمها: "قومي يا ابنتي ننتقل من هنا" فقالت: "ان لي هنا ذهباً قليلاً وثياباً فاخرةً كثيرةً" قال: "انَّ هذه كلها حصة الشرير فاضربي عنها" وللحال قاما وخرجا من هناك فأركبها حصانهُ وصار يقودهُ حتى انتهيا الى سكناهما، فحبسها في الحجرة الداخلية حيث كان هو قبلاً وبقي هو في الحجرة الخارجية حيث كانت هي قبلاً، فانقطعت حينئذ مريم أتم انقطاع للتوبة وممارسة الفضائل والتقشفات، وما زالت تبكي بكاء مراً ليلاً ونهاراً على ما اجترحتهُ من السيئات فغسلت ادران آثامها بدموعها السخينة التي كانت تجري من عينيها كالسيول فقبل الله

توبتها، وما قدمت لهُ من الصلوات والتضرعات، وصنع على يديها كثيراً من الآيات والمعجزات.

وكان القدّيس يتهلل قلبهُ بالحبور لدى مشاهدته ابنة اخيه منقطعة للتوبة والتكفير عن خطاياها، فكان يسبح الله ويشكرهُ على احسانهِ هذا الفائق ولما مضى على وجدان ابنة اخيه عشر سنين انتقل الى ربهِ عن سبعين سنة، وكان قد قضى منها خمسين في الزهد والعبادة وكانت وفاتهُ في ١٤ كانون الأول سنة ٣٦٦ ولما ذاع خبر وفاتهِ في المدينة تداكّ عليه القوم وصاروا يخطفون من ثيابهِ انتجاعاً للبركة، وكل من دنا اليه من المرضى شفي من علتهِ، فوُضع في صندوق ودُفن بإكرام عظيم.

قال الراوي: "ان مار افرام ايضاً بعد وفاته وُضِع جسدهُ في ذلك الصندوق عينه".

وعاشت مريم من بعد وفاة عمها خمس سنوات وهي لا تزال تبكي ليلاً ونهاراً على آثامها، حتى ان المارين كانوا يسمعون بكاءَها فيقفون ويبكون معها مسبحين الله تعالى، وكانت وفاتها سنة ٣٧٦.

وذكر مار ابرهام عند الكلدان في الرابع عشر من كانون الاوّل كما جاء في قائمة القديسين السنوية المحفوظة في دير مار يعقوب الحبيسي بجانب سعرد، وعند السريان في الرابع عشر منهُ.



مار افراهاط الفارسي

(في اواخر الجيل الرابع)

ان هذا القديس وُلد ببلاد فارس في بداءة الجيل الرابع للمسيح، وكان ابواهُ من عبدة الاوثان، فتربى على دين والديه، ولسلامة طويته اشتهر بين قومه في اخلاص العبادة للاوثان، وما برح يفعل ذلك حتى بلغ سن الرشد، وحينئذٍ شرع يتأمل عبادة الاوثان فلم يرَ لها وجهاً سديداً يحكم العقل بصحته، ولذلك رأى ان السجود للشمس والقمر ضلال مبين، ولا جرم انهُ كان ميالا الى الحق والصلاح طبعاً ومما يدل على ذلك ويؤيدهُ اشمئزازُهُ من السجود للنار فاتفق بعناية الله انهُ وجد مسيحيين قد اتو من بلاد ما بين النهرين، فشرع يعاشرهم وكان يتعجب من وداعتهم واحتشامهم واستقامة سيرتهم، فأخذ يسألهم عن قواعد ايمانهم، ولما عرف منهم ما يتعلق بتوحيد اللاهوت وتثليث الاقانيم الآلهية وتجسد المسيح لاجل فداء البشر وعقاب جهنم وسعادة القديسين ونقاوة اوامر الانجيل وكمال تعليمه حصل على سرور لا يكاد يوصف، فهتف بين ايديهم قائلاً: "قد تنصرتُ والحمد لله" ثم رفع يديه نحو السماء وقال: "كن مباركاً ايها الآله خالق السماء والارض لانك اظهرت لي الحق وعرفتني بطلان ديانة المجوس" وغبّ ذلك بقليل اي بعد ان تعلم جيداً الحقائق المسيحية واعتصم بها بكل قلبه اعتمد، وحينئذٍ تاق قلبهُ الى اكتساب الكمال المسيحي، فحدثتهُ نفسهُ بان يخرج من ارضه كما قال الملك لابراهيم، فخرج من منزله وترك كل امواله، وانطلق الى بلاد ما بين النهرين وسكن هناك في مدينة الرها حيث كانت الديانة المسيحية نامية زاهية. وبقي في هاتيك المدينة حتى عرف كل اسرار الدين المسيحي. ثم

انفرد في مكان قريب من المدينة ليهتم بخلاص نفسه، وكان يسلك طرق الكمال وينمو في الفضائل، ولذلك لم يلبث ان فاح عبير بره وانتشر عرف فضله في كل ناحية، فتقاطر الناس اليه ليعاينوا هاتيك الاعجوبة ولهذا عزم على الاختلاء، في مكان آخر فانطلق الى سورية، وافتقد هناك الاباء السياح ابتغاء ان يتمهر بارشادهم في علم الكمال، ثم عزم على الاقامة في اراضي انطاكية.

وكانت وقتئذ بدعة اريوس قد تقوت جداً في انطاكية وامتدت بمساعدة الملك والنس الذي كان يضطهد الكاثوليكيين برجز وغضب شديد، فلذلك لم يشأ القديس ان يدخل مدينة قد فشت فيها البدعة، بل جعل سكناهُ في مكان قريب منها، فأقام لنفسه هناك قلاية صغيرة وكان يقيم فيها الصلوات ويمارس التقشفات على انهُ لم يكن ياكل الا خبزاً ولا يشرب الا ماء وذلك بعد غروب الشمس ولا ينام الا على حصيرة ممتدة على الارض وافتقدهُ يوماً رجل جليل القدر اسمهُ انتيموس وهو الذي صار فيما بعد والياً على الشرق، فقدم انتيموس للقديس ثوباً من بلاد العجم فقبلهُ منهُ ببشاشة لطيفة لأن عيشةُ القشف لم يغير شيئاً من وسامة وجهه، ثم قال للرجل المقتدر: "اني استشير حضرتكم في قضية حيرتني وبلبلت فكري، وهي اني من زمن مديد عزمتُ على انهُ لا يكون لي الا رفيق واحد، والذي اخترتهُ واعيش معهُ منذ ست عشرة سنة يعجبني جداً ويعزيني كثيراً ولم يحزني ابداً، فمن زمن يسير اتى واحد آخر من بلدي يريد ان يطرد الأول ويكون في موضعه، فأي الاثنين يجب ان أقبلهُ؟" اما انتيموس فلم يفهم المراد بذلك الكلام الرمزي، ومن ثمَّ قال لهُ: "إنهُ ليجب عليك ان تفضل الذي يعيش معك منذ ست عشرة سنة" فثنى القديس كلامهُ وقال لانتموس: "لا تغتَظ

اذاً من عدم قبولي الثوب العجمي الذي أتيتَ به اليَّ، لأنَّ ثوبي هذا الضيق الذي لبسته ستة عشر عاماً يكفيني ولا يليق بي ان ابدله بثوب اخر، وذلك فضلاً عن انه لا يجوز ان يكون لي ثوبان" فتبسم انتيموس لِما رأى من اللطف في سؤال القدّيس وعظم في نفسه اعتبار بره.

وبقي القديس الى ذلك العهد ملازماً قلايتهُ لا يخرج الى موضع، وكان الناس يفتقدونهُ ويستشيرونهُ في ما يتعلق بأمر الخلاص، ولكنهُ لما عرف ان الملك والنس نفى القدّيس ملاتيوس اسقف انطاكية وانهُ يمنع الكاثوليكيين من اجتماعاتهم المقدسة ويلزمهم بالانقياد لبدعته، خرج حالاً من خلوته ودخل مدينة انطاكية، واخذ يشجع المؤمنين ويشددهم في الايمان القويم ويبين لهم نفاق المبتدعين الناكري الوهية سيدنا يسوع المسيح واما الاريوسيون فلم يتجرأ احدهم ان يجادلهُ او يمانعهُ لان استقامة سيرته وكثرة عجائبه وشدة شجاعته في محاربتهِ اياهم جعلتهُ مهيباً في عيونهم وكان الملك والنس يومئذٍ في انطاكية، فرأى وهو في بلاطهِ القديس ماشياً بسرعة مع انهُ شيخ، فسأل عنهُ، ولما عرف انَّهُ هو ذاك السَّائح المعتَبر من الجميع استدعاهُ وسألهُ الى اين يمضي بهذه السرعة فاجابهُ القديس قائلاً: "الى حيث يجتمع الكاثوليكيين لكي أُصلي من اجل المملكة" فقال لهُ الملك: "كان الأولى بك ان تلازم قلايتك وفيها تقيم الصلاة" فقال القدّيس: "لله درك ايها الملك ما أحسن ما قلتَ فاني على هذا جريتُ وهكذا فعلتُ طالما كانت رعية المسيح في سلامٍ، اما الآن وقد احاطت بها الذئاب الخاطفة فهل يحسن بي ان أُلازم قلايتي، فماذا يجب على ابنة ابصرت النار تلتهب في بيت ابيها، أأن تبقى متسترة في خدرها حياءً وحشمةً وتترك النار تحرق بيت ابيها بل تحرقها هي ايضاً، ام تخرج خارجاً وتدعو الناس ليطفئوا النار وتسعى هي معهم بكل

قوتها؟ فهذا ما افعلهُ انا الان لأني لما رايتُ من قلايتي نار الاضطهاد قلتُ قد احترقت كنيسة الله فبادرتُ الى إطفائها" فلم يجبهُ الملك بكلمة، بل اطلقهُ بسلام غير ان واحداً من خدام الملك شتم القديس، فانتقم الله منهُ سريعاً فانهُ في ذلك اليوم نفسه مات فجأةً، وكان لذلك الكلام في قلب الملك وقع عظيم حتى انهُ لم يُرِدْ ان ينفي القدّيس وان كان الاريوسيون قد الحوا عليه بذلك.

وعقيب قليل مات والنس حريقاً، فاستراح الكاثوليكيون وحينئذٍ لم يعد القديس يرى وجهاً للبقاء بين الشعب فرجع الى قلايته، واختلى فيها ممارساً افعال التوبة ومقيماً الصلوة لمساعدة النفوس، ولم يزل كذلك حتى انتقل الى رحمة الله في انتهاء الجيل الرابع للمسيح، واما تذكارهُ فمختلف فيه، فالكنيسة الغربية تعدُّهُ في اليوم السابع من نيسان، والكنيسة الشرقيّة في اليوم التاسع والعشرين من شهر كانون الثاني.



مار عبد المسيح الشهيد

(٢٧ تموز ٣٩٠)

في نحو سنة ٣٩٠ للمسيح، لما كانت المجوسيّة تنتصر في بلاد فارس، واليهوديّة ترفع عن وجهها حجاب الخوف في بلد سنجار كان في سنجار رجل يهودي اسمهُ لاوي صاحب ثروة ومواشٍ كثيرة وكان رئيساً لليهود، فهذا كان محتفظاً باموالهِ ومواشيه احتفاظاً شديداً حتى انهُ لم يكن يسلم مقتناهُ الى رجل ما لم يكن من أهل بيتهِ، فكان كل من اولادهِ يرعى قطيعاً من مواشيهِ، وكان لهُ ابن صغير اسمهُ أشير، وهو عبد المسيح الذي كلامنا عليهِ، فلما بلغ أشدهُ وصار عمرهُ احدى عشرة سنة سلم اليهِ أبوهُ قطيع بقر، فأخذ اشير يرعى بقر أبيه فيخرج من البيت صباحاً ويرجع مساءً وكان كلما اتي الى العين لإسقاء قطيعه صادف هناك شباناً كثيرين من الوثنيين والنصارى يلعبون بعضهم مع بعض حتى اذا حان وقت الغذاء اعتزل كل من الفريقَين، فأكل الوثنيون على جانب والنصارى على جانب، وبقي اشير وحدَهُ بدون رفيق ياكل معهُ، لأنهُ وحدهُ كان يهودياً، فكان يميل الى النصارى ويُريد أن ياكل معهم، اما هم فلم يكونوا يطردونهُ من عندهم بل كانوا يرومون أن يصير مثلهم مسيحياً، فكانوا دائماً يكلمونهُ في شان المسيح والقدّيسين كما كانوا يسمعون من آبائهم واذ كان يوماً الصبيان مجتمعين كلهم في مكان واحد وهم يأكلون، دنا منهم اشير وقال لهم: "أُريد أن آكل معكم خبزاً ولا تتقرفوا مني" فقالوا: "إن اعتمذتَ باسم المسيح وصرتَ مسيحياً فدونك ذلك والا فَلا" قال: "ها هو ذا الماء واني مستعد، فما المانع؟" قالوا: "لا بل يجب ان تعتمذ على يد كاهن في الكنيسة" قال:

"حقاً قلتم، ولكن الكنيسة بعيدة، وليس احد من الكهنة هنا، واني اخاف من أهلي واقربائي، فانهم اذا سمعوا فيكون في ذلك ما أكره، اي اني أُحرَمَ مخالطتكم الشهيّة، ويذهب استعدادي للمعموذية عبثاً هذا وعلى كل حال فاني مؤمل لا بل متأكد ان المسيح يقبل قربان ذهني ويفرح باستعداد قلبي بناءً على قولكم انهُ يفضل النفس المتواضعة على الذبائح والمحرقات الكاملة، فتشجعوا اذاً اخوتي وعمذوني باسم المسيح، وهو يستحسن فعلكم ويكمل مباشرتكم القدسيّة" فعند ذلك قالوا فيما بينهم: "لقد ظفرنا بالفرصة، فعلينا ان ندخل بسرعة هذا الخروف في حظيرة المسيح" ثم قالوا لهُ: "تقدم فانت اخونا الاعز" فنزعوا ثيابهُ، وغطسوهُ في ماء العين قائلين بصوتٍ واحد: "يعتمذ عبد المسيح باسم الآب والابن والروح القدس، وانت يا ايها المسيح آلهنا وآله الكهنة بارك هذا الماء معوضاً عن جميع الكلمات التي يتلوها الكهنة على المعموذية حتى تكتمل معموذية عبدك هذا" واذ غطسوهُ ثلاث مرات في الماء كما تعلموا من آبائهم واخرجوهُ من العين، ودعوا اسمهُ عبد المسيح، وجعلوا يقبلونهُ، ثم القوا عليه اثمن ارديتهم وحملوهُ على اياديهم مزيحين اياهُ كما يزيح الكهنة الولد المعتمذ حديثاً، ثم جلسوا ياكلون بالفرح والسرور وهم يوقرونهُ كالعريس في يوم عرسهِ وفي خلال هذه المدة كان يفوح من بين هؤلاء الشبان روائح عطرية منتشرة في الفضاء حتى استنشقها الرعاة والشبان الوثنيون الذين من بُعدٍ كانوا يتعجبون من الامر المذهل الذي كان يكتمل على ايادي الشبان المسيحيّين قائلين بالخوف والرعدة: "حقاً ان سرَّ النصارى لعظيم جداً".

ثم اخذ رفقاء عبد المسيح يشجعونهُ ويحثونهُ أن يحسن القيام بالامانة التي قبلها، ولا يستخف بالموهبة السماوية فيبقى للابد خاسراً، اما هو

فكان يعدهم بما يفوق ذلك مفتخرا باسم المسيح فقام حينئذٍ في الوسط واحد من الشبان وقال: "من المعلوم ايها الأخوة الاعزاء ان اليهود لا ينقبون أذن الذكر، فإن حسن لكم نقبنا اذن اخينا عبد المسيح وعلقنا بها احد قرطي، فيكون ذلك عربونٍ محبتنا له وعلامةً منه على ثبات عزمه انه يكفر باليهودية ويعترف بكونه مسيحيا اينما كان الى النهاية" فاستحسن الجميع هذا القول، ونقبوا أذن عبد المسيح وعلقوا بها القرط الذهبي، ثم ذهب كل منهم على وجههِ مفتكرين ما عسى ان يكون اذا انكشف الامر لأبيه واطلع عليه.

فلما كان المساءُ عاد عبد المسيح الى البيت، ودخل الى أمه، فاذ رأتهُ والقرط في أُذنه طار عقلها مستقبحةً سوء فعله، فأخذت تلطم رأسها وتولول قائلةَ: "ما شانك يا ابني وما هذا الذي في اذنك، يا ويلاه، من غشك حتى جلبتَ علينا هذه الفضيحة التي قصاصها عظيم، ألم تعرف أنهُ مكتوب حتماً في شريعة موسى ألاّ تُنقب اذن ذكر في شعب اسرائيل ما لم يكن عبداً يريد المكث مع سيده الى الأبد، واذا أحس بك أبوك فماذا تُرَى يصنع بك، اذ ان أباك ممن يهمهُ أمر الشريعة، فما العمل الآن اذا يا ابني، فانَّ الاذن مما لا يختبئ" فقال لها: "صهٍ يا أماه ولا يرتعد قلبك خوفاً، فاني من الآن وصاعداً نصراني وعبد للمسيح، فقد احببت المسيح وهو سيدي والهي، واما قولك في شريعة موسى فإنها لا تمنع العبيد من ان يحبوا ساداتهم، ولكن بالعكس فإنها تأمر ان تنقب أذن العبد في باب دار سيده ويكون عبداً الى الأبد، وقد صنعت بسك الآن [illegible]

[illegible]

فقالت لهُ امهُ: "فقل لي يا ابني كيف أفضى بك الحال الى ان تنصرتَ على الفور؟ ومَن جعلك عبداً للمسيح وعلمك ما تتكلم بهِ أمامي؟" فأجاب عبد المسيح قائلاً: "إن الذي علمني ما اتفوه بهِ الآن هو المسيح الذي قال لتلاميذهُ من يؤمن بي لايستحي، ولاتهتموا بما تجاوبون اعداءَكم" ثم اخبرها بالأمر على جليتهُ، فوقع كلامهُ في نفسها، واذ ذاك انفتحت عيناها فأبصرتهُ على ما كان عليهِ من الحسن والبهاء السماويّ، واخذت تستنشق من جسدهِ روائح سماوية حتى انهُ بان لها ان في ذلك سراً عظيماً، فمن ثم اخذت تخفيهِ نحو مدة ثلاثين يوماً محتفظة بهِ لئلا يراهُ أبوهُ فيقتلهُ خوفاً من اليهود وخجلاً من طائفتهِ أما عبد المسيح فكان يخرج كل يوم صباحاً يرعى قطيعهُ ثم يرجع نحو العصر يبيت عند أمهِ من دون ان يحس بهِ ابوهُ لانعكافهِ على الأمور الدينية التي كانت تشغلهُ كثيراً.

فاتفق ذات يومٍ أن بعض آباء رفقاء عبد المسيح اذ كانوا في دير من أديرة الرهبان في الجبل، قرأ الرهبان عليهم قصة استشهاد بابولا وثلاثة رفقائهِ الشهداء فعاد الرجال وقصوا على أولادهم القصة تمجيداً لله ومدحاً للشهداء فأخذ الاولاد يتكلمون بينهم بما تعلموهُ من آبائهم فلما سمع عبد المسيح بهذهِ القصة اضطرم قلبهُ شوقاً الى نيل إكليل الاستشهاد اقراراً بالايمان واتحاداً بالمسيح، حتى اذ كان ليلة من الليالي سَهِدَ، فبينما كان هاجعاً اذ رأى نفسَهُ كأنهُ منقبض في بيت مُعتَم تحت الارض يتعذب مع بني داثان وابيرام بحال يُرثَى لهُ، وهو فيما بين ذلك يتنهد ويُصعد الزفرات من عمق قلبهِ في قعر الجحيم متصوراً في عقلهِ الشبان رفقاءَهُ ومردداً في ذهنهِ كلامهم وحسن اتكالهم على المسيح.

ففيما هو بين هذه الضيقات اذ بَصُر على الفور بشابّ جميل قد اتى ضارباً عَقَبهُ على ذلك الجب، فشق الجبَ شطرين، ومدَّ لهُ يدهُ، فنشلهُ ورفعهُ اليه، وأقامهُ في صف أولاد كانوا محيطين به يسبحونهُ، فعند ذلك انفرج عنهُ روعهُ، وسرى عنهُ ما كان وقع في نفسه من الخوف، فخرَّ ساجداً لهُ، ثم سالهُ قائلاً: "من انت سيدي حتى مَننتَ علي بذلك، فانقذتني من العذاب الذي كنتُ اتقلب فيه؟" فقال لهُ الشابّ: "انا هو المسيح الذي اتكلتَ عليه ودعوتهُ، فتشجع الآن ولا تخف ها إنَّ منزلتك مُعدة واكليلك محفوظ بين الشهداء القديسين، وبعد قليل من الزمان آخذك عندي في السماء، لاني منذ اليوم الذي لبستَني ودخلتَ تحتَ لوائي بواسطة المعموذية على أيادي الشبان نويتُ ان أجعلكَ وريث ملكوتي الى الابد" فتعجب القديس وخرَّ ساجداً لهُ، وقال: "حمداً وشكراً لك يا ربي وإلهي أما إن حسن لك فقل لي من هم الذين كنتُ أتعذَّب معهم، فها ان الهاوية قد انسدت في وجههم من جديد" قال لهُ المسيح: "هم الرجال بنو شعبك وأولاد طائفة أبيك الذين صلبوني على عود الصليب" فقال القديس: "ناضل عني ياسيدي، وأيدني حتى اكمل ارادتك، وهبني أن أُنذر باسمك بالحق، وأهلني ان استحق التمتع بنور وجهك البهيّ".

ففيما كان غائصاً ومتوغلاً في هذه المنادمات المرغوبة مع ربه اذ استيقظت أمهُ لصوته، فأيقظتهُ قائلة: "ما شانك يا ابني؟ فكأنك تتكلم مع أحد أصدقائك، فأخبرني مع من كنتَ تتكلم وماذا كنت تقول؟".

فحدثها بالحديث وهو يرجف لهيبةٍ أدركتهُ عند رؤيتهُ المسيح، ثم سألتهُ عن منظر المسيح فقال:"ان المسيح خريق القميص، مفتوح الجنب، مخدوش اليَدين والرجلَين، وهو مع ذلك جميل المنظر، رشيق القد، رائقُ

الخلق، تنبعث من وجهه أشعة الضوء وبروق النار، وعلى ردائه مكتوب: هذا هو الذي صلبه اليهود في اورشليم ووَطن نفسه على تكفير دَين آدم وجرمه، هذا هو حمل الله الحامل خطايا العالم، هذا هو الذي يناضل عن الشهداء في حومة القتال ويكلل الصناديد بعد ظفرهم بالغلبة".

ورأيتُ ايضاً شباناً كمثلي عمراً محيطين به يرتلون قائلين: "اللهم نجني، اللهم خلصني، مبارك الآتي باسم الرب، وكان بعضهم مكللَين بأكاليل تتلألأ لامعةً وحاملين بأياديهم أغصان الزيتون، وبعضهم ماسكين إناءً ذهبياً عليه يقدمون للمسيح دَمَ أعناقهم كالقربان المقبول قائلين: هذا هو إلهنا الذي قد انتظرناهُ، فلنفرح ونسرّ بخلاصه، هذا ما رأيتُ يا أماهُ وقد كنت ارغب أن اكون في أجواقهم وأصير في زمراتهم وأهلل معهم، فبعد اليوم لن يطيب لي العيش في الدنيا، اذ ان هذه الرؤية سلبت فؤادي، فمن ثمَّ لم يبقَ لي من الآن فصاعداً الا ان اوطن نفسي على أن استحلي مرارةَ أي موتٍ كان لأقترب الى المسيح، واتصلَ بالشبان المحدقين به".

فلما سمعت أمهُ هذه الكلمات، تمزق قلبها خوفاً عليه، وكانت تقول في نفسها: "ما عسى أن يكون من أمره" وكانت تحفظ كل هذا في قلبها مخافة ان يسمع أبوهُ فيقتلهُ فخلت به يوماً وقالت لهُ: "لا يبعدنّ عليك ابني ان الاحلام على الاغلب باطلة، او على الاقل لها وجوه مختلفة ومعانٍ متباينة تتطلب من يشرحها ويعبر عنها، ومن امثال ذلك أحلام يوسف الحسن وفرعون ودانيال وملك بابل" فقال لها: "نعم، غير ان هذه كلها كانت احلام يحتاج الى شرحها، واما ما رأيته انا فواضح صريح، اذ انه وحي جلي ورؤية ثابتة، جلية اكيدة، وبهجته صحيحة وهي المسيح، هذا واني الآن اطلب اليك يا أمي العزيزة أن [illegible]

فاسمعيني، فإني قد آمنتُ به مستعداً ان اموت لأجله" فاذ سمعت أمه بذكر الموت انسجمت دموعها وجعلت تبكي بصوتٍ هادٍ فقال لها: "لا تبكي يا أماه، فالأحرى بك ان تتأملي أن عظام يوسف بعدما بليت أضحت سوراً لبني شعبه، ولو كان ابراهيم واسحاق ويعقوب في الحيوة الدنيا لما قال الله تعالى لموسى انا هو إلههم فمن هنا تيقني ان المائت لأجل الرب هو حيّ؛ فحتى أجزيكِ على ما لكِ عليَّ من الحق الوالدي، اشير عليكِ ان تؤمني بالمسيح وتعملي بموجب كلامهِ لتنجي من العذابات المُعدة للذين ينكرون عليه الطاعة ويرفضون الخضوع الواجب لهُ فاذا ذهبت على هذا، فافرح بكِ، انتِ أمي الحبيبة، وتفرحين بي انا ابنكِ، واتمتع بمشاهدة وجهكِ في العالم العتيد حيثُ تكونين لي أُماً واختاً بالمعمودية، هذا وردي دائماً في ذهنكِ ما اطلعتك عليه من الوحي والرؤيا" فقالت: "نعم يا ابني فلا يخامرنكَ شك في ذلك، فإني قد آمنتُ من كل قلبي ونفسي حتى اذا صار لي فرصة بينتُ ذلك فعلاً، أما الآن فليكن الأمر بيني وبينكَ لئلا يسمع ابوك واخوتك فيقتلونا" فحينئذٍ أخذ القديس هميانهُ ومزاودهُ وقال: "أسلم عليك مستودعاً اياكِ المسيحَ، ها اني منطلق الى رفقائي أما انت فلا تتعوقي، فالحقيني" (مشيراً بهذه الكلمات الى قتله واعتراف آمه).

فلما خرج مع قطيعهِ حسب عادته بصر من بُعدٍ بأسقف يسير من قرية الى قرية، فبادر اليه، وخرَّ أمامهُ، قائلاً: "باركني ياسيد وكمل معموديّتي" فقال لهُ الاسقف: "من اين عرفتني؟ فهل لك من أحدٍ أعلمك بي إذ انني أسير كأحد العوام لبس لي ما يدل على كوني اسقفاً؟" فأجاب القدّيس: "قد أعلمني بك من ألهمك ان [illegible] إياه، [illegible] مستعد ان [illegible] قبلا" فبهت الاسقف وقال: "نعم انا ايضاً [illegible]

قبلما تتكلل" فوضع عليه يَدَهُ مُوصِلاً اياهُ موهبة الروح ثم قال لهُ: "اذهب وانت متمنطق بقوة الروح القدس، احتمل الآم المسيح...بارَك البارئ تعالى في الصبيان الذين عمذوك، وخولهم من المنازل أعلاها ومن الدرجات أفضلها" فأتى القديس أصحابهُ قاصاً عليهم ما رآهُ في الرؤية وما كان من أمره وأمر الاسقف، فتعجبوا من ذلك، وتيقنوا ان معموذيتهُ قد صحت لاقتباله سر الميرون من الاسقف.

وكان ذلك اليوم يوم الجمعة، والسبت كان عيداً لليهود وكان لاوي أبوهُ أدَب مأدبة كبيرة ودعا جميع أصدقائه اليها، وأرسل من خدامه من ياتي بأولاده عندهُ، وأمر ان يكونوا في البيت قبل دخول السبت، فلما وصل القدّيس الى بيت أبيه أراد ان يتوجه الى مسكن أمه، لكن الخدام خطفوهُ من عند الباب وذهبوا به الى المأدبة، فلما نظر اليه أبوهُ والحضار ورأوا القرط في اذنه اضطربوا مستغربين فعلَهُ هذا فقال لهُ ابوهُ بغضبٍ: "أشير! ما هذا الذي في اذنك؟ من خدعك حتى عيرتَ نفسك بهذا العار الشنيع؟ ألم تعرف أنّ هذا مما يختص بالعبيد الفاقدي الحرية؟" فأجاب القديس وقال لهُ: "لا تخف أيها الشيخ، اني عالم بما تقول، غير اني قد جعلتُ نفسي عبداً للمسيح الى الأبد، وعلامةً لذلك نقبتُ اذني معلقاً بها هذا القرط الذي تستغربهُ انتَ" فعند ذلك تغير وجه أبيه، فضربهُ على وجهه ثم تناولهُ فضرب به الأرض واخذ يرفسهُ برجلَيه أما الحضار فمنعوهُ وقالوا لهُ: "إنهُ ولد لا عقل لهُ، فاتركهُ الآن على حاله ولا تغضب عليه، فان اليوم عيد فلا يكوننَّ فيه سجس وقلق" فأمسَكَ عنهُ، وعمدوا على الأكل والشرب، ثم أخذوا يلاطفونهُ قائلين: "تعال كُل معنا" أما هو فكان يرد عليهم قائلاً: "لا تخدعوا أنفسكم، فاني مسيحي فلا يجوز لي الأكل معكم لكونكم يهوداً"

فاستحى ابوهُ بهذا الكلام وأقبل عليه يضربهُ، فمسكوهُ، ثم دعوهُ ثانية وقالوا: "هلم ياعزيزنا كُل معنا لكي يتصالح ابوك معك، وان اليوم عيد عظيم، فتعال كُل ولا تُقلق الجماعة" فأجابهم قائلاً: "لو كنتم تعرفون ما جرى لي لَمَا كنتم تضطروني الى الأكل معكم ولكن حسب البائن هوذا الحجاب موضوع بعد على وجه موسى واضع الشريعة" فتعجبوا حينئذٍ لكثرة شجاعته وحُسن كلامهِ وشرع يقول بعضهم لبعض: "من الممكن انهُ رأى رؤيةً، فانّ هذا الكلام ليس بكلام ولدٍ كهذا، قادر الله، فانهُ قد أوحى اشياء باهرة الى الانبياء اذ كانوا حديثي السن، كمثل موسى ويشوع بن نون وجدعون وسموئيل وداود وارمياء ودانيال واولاد حاننيا وغيرهم، فليس بأمر عجيب ان يخرج من أمتنا مصباح الاعجوبة، اذ ان طائفتنا ليست بصغيرة في شعب اسرائيل" واذ كانوا يتكلمون هكذا كان ابوهُ ساكتاً، فالتفتوا اليهِ وقالوا: "ايها الولد النجيب والاخ الأعز قل لنا من هو الذي لسنا نعرفهُ، فأعلمنا بهِ وزدنا ايضاحاً في ما تقول" فقال لهم: "رأيتُ ان الذي صلبهُ آباؤكم في اورشليم هو حمل الله الذي أعلنهُ يوحنا على نهر الأُردن، فاعتمذتُ باسمهِ وعلى رجائهِ أموت، وأما انتم فإن لم تتبرروا بمعموذيته فينتَقِم منكم جرمَ آبائكم اي الدَم الذي سفكوهُ ظلماً فصار خلاصاً لَمِن اعترف بهِ وهلاكاً لَمِن كفر بهِ، ها قد قلتُ لكم، فعليكم ان ترفعوا البرقع الذي على قلوبكم وتُؤمنوا معترفين باسمهِ".

فكرهَ الجمعُ ما بدأهم بهِ وامتلأوا غضباً وحنقاً، وأضمر أبوهُ أن يقتلهُ، وللحال قام بغضب شديد لا مزيد عليهِ، وأخذ سكيناً من على المائدة وحمل على ابنهِ، فجد القدّيس بالهرب من امام أبيهِ، ولم يزل هارباً حتى اقترب من العين التي اعتمذ فيها، وقد أدركهُ التعب وبلغ منهُ الجهد، وكانت الشمس

قريبة من الغياب، فالتفت اذ ذاك الى أبيه وقال لهُ: "إن كنتَ يهودياً فاحفظ سبتك، وإن كنت تلميذ موسى فلا تتعد شريعتهُ، اما إن كنت مثلي تلميذ المسيح فلا تنجس يديك بدم عبده، ولستُ اقول هذا كراهةً للموت عن المسيح، ولكن مرادي بذلك ألاّ تكون قصاباً فَتُبيد نفسك".

أما أبوهُ فكان كلما يسمع ذلك يستشيط غضباً ويُحرق نابهُ عليه مريداً إدراك ثاره منهُ كالاسد الزائر للوثبة وهو يجدف ويكفر، فإذ وصل القديس الى العين جثا على ركبتَيه ورفع ألحاظهُ الى السماء وقال والدموع تهطل من عينيه: "أيها المسيح الذي اجتذبني اقبلني في عدد المعتمذين، وهنا على هذه العين افتح لي باباً لأنضم الى شهدائك واختلط فيما بين صناديدك، هأنذا اقرب لك دم عنقي كقربان ذكي ليكون لك كالعرف الطيب، اجعلني ياسيّدي في زمرة الصبيان الذين رأيتهم محدقين بك، وهم يرتلون لك اوشعنا، أنعم علي ياربّ بان اسبحك واقول: اتيتُ الى مذبح الربّ المفرح صبوتي، واشكرك بالقيثار ايها الرب ربي، ولا تذكر خطية أبي الذي يضطهدني، وانعطف بنظرك الرأوف الى أمي التي ربتني على ركبتَيها جاعلاً اياها لي أما حقيقةً واختاً بالمعموذية المقدّسة، وشريكةً في الثواب المحفوظ لخائفيك، ساعد ياربّ الذين يلتجئون اليك ويذكروني، ومُنّ عليهم بفضلك وكرمك، وارزقهم ما يقدرون به على إصلاح معيشتهم في الدنيا، ويدركون فيه استنقاذ أرواحهم من العذاب في الحيوة الأخيرة، هأنذا اقدم لك دمي على انّك جعلتني عبدك وأخرجتني من تلك الهاوية العميقة، وأظهرتَ بي صدقك وحقيقتك، وخولّتني أن اكون كاروزاً لاسمك ومنذراً بتعليمك، فصرتُ غريباً لاخوتي، آه وانتم يا اصدقائي فأين انتم؟ وارُفقائي اين انتم؟ هلموا انظروا مدافعتي عن كرازتكم، تعالوا تمتعوا بثمرة تعليمكم، هاءنذا أباشر بالفعل ما

فلدتموني أياهُ بالقول، بادروا أحضروا الى عرسي، واسكروا عني على مأدبة الدم، وأسفاه يا أحبائي من حرمكم يوم تخليني، فإنه يوم يرغب في اجتماع الأحبة، الوداع يا إخوان، أُدعُوا لي أن احظى بمشاهدتكم في مجلس العريس السماويّ، الوداع يا أمي المحبوبة، الوداع أيها البطن الذي حملني والحضن الذي رباني، والثديان اللذانِ أرضعاني، الوداع يا اخوتي أولاد أمي، يا ليتكم كنتم أخوتي في المعمودية!"

فاذ كان على هذا الحال وهو جاثٍ يصلي ويبكي متنهداً باعلى صوته لحقهُ أبوهُ وهو حردان يلهث كالثور الهائج لشدة التعب، وَواثبهُ في شدة حنقه ومددهُ على حجر كان على حافة العين ونحره كما يُنحر الخروف. ولما تخضب عبد المسيح بدمهِ هتف الى الله قائلا: "بيدَيك يارب أسلِم روحي"

ثم إن أباهُ رجع الى البيت، وقد دخل الليل، فقال لأولاده خذوا هذا السكين المخضب بدم اخيكم الشقي فاستحال عيدهم الى عزاء وفرحهم الى حزن، ثم إن الأُم بعد أن بكت وتنهدت كثيراً تشجعت اخيراً لدى تاملها ما كان القاهُ اليها من الوحي حبيبُها عبد المسيح، فمن هنا كانت ترصد فرصةً حتى تعتمد، وكانت متيقنة انها إن ماتت بالايمان المسيحي فقد حظيت بمشاهدة وجهِ ابنها في الحيوة المؤبَّدة ولما أُقيم بعد حينٍ معبد على قبرهِ أتت فاعتمدت خفيةً عند ذلك القبر العزيز.

وفي غداة استشهاد القديس أتى الشبان على عادتهم الى العين فرأوا جثتهُ ملقاة هناك وهي مُخَضّبة بالدماء، فأخذوا يلطمون على رؤوسهم قائلين: "يا خروف المسيح مَن افتتن بجمالك فلوَّث بهاءَك ولطخ يديه بدمك البري؟ ايها الاخ الأعزّ من حرمنا مشاهدتك الشهيّة؟ يا ابن كرازتنا وثمرة تعليمنا مَن خطفك من ايادينا؟ ليتنا نعرف كيف قابلك الرب حين تكليلك، الرب

الذي صعد بك من وهدة المشقات التي اخبرتنا بها هو يكون لك أخاً عوضنا في ملكوته، أما الآن فمن حيث اننا قد حُرمنا مواجهتك المرغوبة فنتوسل اليك ان تشفع فينا عند المسيح لانك الآن أقرب اليهِ منا ألا اسألهُ أن يمنَّ علينا بان نفرح يوماً بعرسك العظيم في ملكوتهِ السماوي" ثم لفوهُ برداء من أرديتهم، وحفروا مكاناً بعصيهم، فوضعوهُ في الحفرة، ورموا عليهِ التراب المُخَضب بدمهِ، ووضعوا على القبر الحجر الذي ذُبح عليهِ، ثم تشاوروا فيما بينهم ألا يخبروا احداً بما جرى مخافةَ ان يُطالَبوا بالأمر على انهم صاروا سبب قتله، وكانوا ياتون يوماً فيوماً يزورون ضريحهُ باكين ونائحين عليهِ.

فاتفق أنهُ بعد بضعة ايام مرَّ ليلاً بالطريق الذي كان تجاه قبر القدّيس قافلةُ من التجار سائرين من المشرق نحو الغرب، فبصروا بنارٍ تلمع على القبر وتُنير الفضاء باشعتها الساطعة، فتقدم بعضهم ليختبروا الامر، فلما وصلوا الى القبر رأوا الحجر الذي كان على القبر تنبثق من أسفلهِ شرار نار تضارع أشعة الشمس وينتشر حواليهِ من الروائح السموية ما يفوق بما لا يقاس الطيبَ والأريجَ، واذ كان هؤلاء التجار مسيحيين من العرب المغربيين لم يخامرهم شكٍ في كون الأمر اعجوبة، فقالوا فيما بينهم: "ان هنا ذخيرة أحد القدّيسيين لم يحس بها اهل البلد، فالأولى بنا ان نحولها الى موطننا فنحصل منها مكاسب وفوائد روحية، فان المسيح الذي آمنَّا بهِ هو مَنَّ علينا بها إرادة منهُ ان يُغنينا بها".

فعند ذلك دحرجوا الحجر من على القبر وأخرجوا جسد القدّيس وكان مخضباً بالدم، فعرفوا انهُ صبي مقتول قبل أيام يسيرة، فلفوهُ في أرديتهم هو وجميع التراب المضرَّج بالدم، وجعلوا يتراوحون حملَهُ الى ان لحقوا القافلة، فلما انضموا الى أصحابهم التفتوا واذا بالنار تلازمهم متصلة بهم،

فتحققوا حينئذٍ ان مصدر النار الجسد الذي بين اياديهم وكان بينهم تاجر غني اسمهُ نسطير لهُ امراة كثيرة الهم والحزن على انها كانت عاقراً، فهذا لما شاهد هذه الأُعجوبة، أبرز نذراً علانيةً قدام الجميع وقال وهو يبكي وينوح: "ان رزقني الله ابناً ذكراً وعزاني انا وقرينتي شيدتُ لهذا القدّيس معبداً من مصارفي وبالغتُ في تكريم عظامه ما دمتُ حياً، وجعلتهُ لي ابناً ووارثاً واستخبرتُ عن اسمه، حتى اجعل لهُ تذكاراً وعيداً وسميتُ باسمه الغلام الذي يرزقني الله بشفاعته، ثمّ يكون لي القدّيس ابناً ووارثاً وانا اكون لهُ تلميذاً وعبداً حتى استحقَّ معهُ ثواب الصالحين في العالم المُخلَّد".

فاذ وصل التجار الى بلدهم، أخذ التاجر المذكور جسد القدّيس وذهب به الى بيته، فوضعهُ في مكان يجدر به من حيث هو قدّيس الله، وأخبر اهلهُ بالحادث وما كان من نذره، ففرح اهل البيت وحمدوا مقصدهُ الصالح ممجدين البارئ تعالى على الأُعجوبة، وطلبوا الى الله ان ينجز نذرهم بشفاعة القدّيس، فاستجاب البارئ تعالى نذرهم حالا اذ فتح رحم المراة فغدت حاملاً، فصار من ذلك فرح عظيم لجميع اهل البيت، فمجدوا قائلين: "إن الله قريب من الذين يدعونهُ بالحق" فمن ثم أسرع التاجر في إقامة هيكل حسن لذخيرة القدّيس، وفي أيام قليلة جهزهُ بجميع مقتضياته ونصب فيه مذبحاً للربِّ وصار اهل بيته يواظبون على الصلوة رجاء ان ينيلهم الله مرادهم ويكشف لهم اسم القدّيس.

أما الصبيان رفقاء القدّيس، فاذ انطلقوا كعادتهم الى العين يوم الاحد التابع دفنتهُ ورأوا الحجر مُدَحرَجاً والقبر فارغاً وأنهُ لم يبق من الذخيرة الا قليلاً من التراب المُخضّب بالدم تعجبوا واخذوا يبكون بكاءً مراً.

فقال بعضهم: " انّ الوحوش الضارية اكلتهُ".

وقال بعضهم: "بل انَّ النصارى اختلسوهُ".

وقال الآخرون: "لا، لكن اهلهُ اخذوهُ ليقبروهُ عندهم".

فعادوا حينئذٍ الى بيوتهم وهم مكتئبون، فأخبروا اهلهم بما كان من امرهم وامر القدّيس من البداءَة الى النهاية، فشاع حينئذٍ الخبر في كل البلد بان لاوي اليهوديّ قتل ابنهُ على انهُ تنصر، فمن هنا تأكد المسيحيون ان اشير مات شهيداً، وان الله تعالى جعلهُ عوناً وغنىً للكنيسة، كما وانّ لفظة اشير تعني غنىً.

فبادَر اذ ذاك المؤمنون الى العين فرأوا الحجر مصبوغاً بالدم وأُذُن الشهيد ملتصقة بالحجر وعليها القرط، فقالوا: "حقاً ان كنزاً عظيماً اختُلس من بين ايادينا" ثم اقاموا هيكلاً صغيراً مكان القبر، ووضعوا فيهِ علامة الصليب، وكتبوا فوق ذلك الحجر هذه الكلمات: "هنا تكلل الشهيد عبد المسيح" وكان المؤمنون يترددون الى الهيكل مقتبلين الشفاء من امراضهم، حتى ان خبر العجائب شاع وذاع في كل ذلك البلد، ووصل الى نحو العرب وبلد خابور في كل المشرق.

وفي نحو نهاية السنة اجتاز مرة أُخرى التجار المذكورون تلك النواحي، وهم يبذلون جهدهم ويسألون هنا وهنا ليعلَموا اسم الشهيد، فاذ وصلوا تجاه القبر عاينوا هيكلاً صغيراً، فقصدوا زيارتهُ، فلما دخلوا الهيكل ورأوا الحجر وفوقهُ علامة الصليب، سألوا أناساً عن اسم الشهيد وما كان من أمر استشهادهِ، فأخبروهم بالأمر كما كان ففرح هؤلاء التجار وحكوا هم ايضاً كيف صادفوا ذخيرة الشهيد ونقلوها عندهم وشيدوا لها هيكلاً فاخراً، وانهُ صار لديهم أُعجوبة من ذلك، فلما سمعوا عن اكتشاف جسد الشهيد فرحوا فرحاً لا مثيل لهُ وطلبوا اليهم بإِلحاح ان يُرسِلوا لهم جزءًا فيحفظوهُ في

هيكل الشهيد عندهم، فأجابهم التجار الى ذلك وبعثوا لهم جزءًا من ذخيرته فلما عاد التجار الى بلدهم راوا ان المرأة ولدت غلاماً حسناً، فأمر أبوهُ ان يُعتمذ في هيكل الشهيد ودعاهُ باسمهِ اي عبد المسيح، وصنع وليمةً عظيمةً في ذلك اليوم.

وكان القدّيس قد تراءى للمرأة وهي حبلى وقال لها: "ها انك تلدين ابناً مثلي شخصاً وقامةً وتسمينهُ باسمي" فقالت لهُ: "وما اسمك ياسيدي؟" فاجابها: "لما يؤوب بعلكِ من البلد الذي تربيتُ فيه يُعلمك باسمي" قال هذا واستيقظت المرأة، فلما أصبحت اخبرت اهلها بالرؤية، فاتخذ الشعب هذه الكلمات أُعجوبةً، ومن ذلك اليوم أخذ اسم الشهيد ينتشر في جميع البلدان في المشرق والمغرب، وكل من كان يدعو باسمه كان الله يعطيه مرامهُ.

أما أبوهُ لاوي فلما طعن في السن استولى عليه الروح الشرير وكان يعذبهُ، حتى انهُ ذات يوم اذ تمكن منهُ الروح الشرير اوقع صيحةً عظيمةً ارتج لها اهل البيت وقال: "ابني ابني اشير لا تنتقم منيّ كما استحقّ" فحضر اليهِ اولادهُ وانطلقوا به الى هيكل الشهيد، وشدوهُ بالحجر المصبوغ بدم عبد المسيح، فلبث على هذه الحالة مربوطاً عدة ايام، ثم شُفيّ بشفاعة الشهيد، فعند ذلك آمن بالمسيح وبعبدهِ، واعتمذ هو واولادهُ وجميع اهل بيتهِ في العين التي فيها اعتمذ عبد المسيح فأخذت حينئذٍ الناس تقول: "في هذا اليهوديّ صح النص الانجيلي القائل كل من هو عطشان فليأت الي ويشرب".

وكان الله يصنع على ضريح الشهيد من العجائب والمعجزات ما لايُعَد وذلك اثباتاً لقداسته واسعافاً للكنيسة.

فاتفق ذات يوم أنَّ قطيعاً من الجمال شردَ تائهاً في القفر، وكان هذا القطيع لتاجر عربي، فهذا لما يئس من الجمال ولم يَعُد يؤمل الحصول عليها التجأ الى هيكل القديس منطرحاً على قبرهِ قائلاً بقلبٍ منكسرٍ وبكاءٍ مرٍ: "ايها الشهيد المعظم، إن انتَ أرجعتها لي عشرتُها لك بطيب خاطر مني" فلم يَعُد الى البيت الا ورأى الجمال حول القرية، ففرح عند ذلك هو وعبيدهُ، غير أنه استكبر النذر وقال: "يكفي ان اعطي للقدّيس عشرة جمال، بما ان القدّيس لم يتكلف من مشقةً وتعب في اعادة الجمال" فقال لهُ أصحابهُ: "انك قد اخطأت، فانّ الأمر على غير ما تكلمتَ بهِ، عجل بتقديم ما أبرزتَ من النذر للقدّيس لئلا اذا داهمك هذا الحادث بعينهِ ودعوتهُ ينكر عليك الغوث" أما هو فاذ كان لهُ كثرة الجمال لم يصغَ الى قولهم وقال لهم: "إن القديس لم يلقَ في ذلك من عناءٍ او تعب او مشقةٍ او حرٍ او بردٍ او خسارةٍ مهما كانت جزئية او جهادٍ او مبارزة الأعداء، ولذلك فعشرة جمال حَسبُهُ" ثم فصل من قطيعهِ عشرة جمال وبعثها مع خدامهِ الى هيكل القدّيس.

فاتفق أنهُ بعد أيام ليست بكثيرة خرج الرعاة على عادتهم يرعون الجمال، فقبل ان يصلوا الى المرعى المعيَّن هاجت الجمال اكثر من هيجانها الأول، واقبلت على وجهتها تابى الا تيهاناً في البراري، والرعاة على ظُهورها فاذ سمع التاجر تذكر عند ذلك اصحابهُ وما كان من قولهم لهُ فارعوى وقال: "لقد أسأتُ في ما صنعتُ بهذا الشهيد اذ ضيعتُ واجب حقهِ، وما حملني على ذلك سوى الشح والبخل لا غير" فدعا حينئذٍ اصحابهُ واقر قدامهم بقبح ذنبه، متوسلاً اليهم ان ينطلقوا الى القدّيس ويقدموا لهُ من الهدايا والقرابين ما شاؤوا حتى يصالحوهُ معهُ، مُؤَمناً اياهم وجاعلاً لهم من ذمتهِ انهُ يوطن نفسهُ على غرامة كل ما يعطونهُ للقدّيس بالتدفيق فلما انطلق هؤلاء الرجال

وتضرعوا الى القدّيس في شان هذا التاجر رأوا قطيع جمال عظيم ياتي من بعرٍ قاصداً منزل القديس، فخافوا لذلك خوفاً شديداً ظناً منهم انهُ عساكر الاعداء، لكنهم لم يروا غير الجمال، فتعجبوا لذلك وقالوا: "سبحان الله انّ الشهيد منتقم عادل، لانهُ اذ لم يوفَ حقهُ، قاد الجمال الى بيته"

فعشَّروا لهُ الجمال مخلفين لهُ من العبيد رعاةً لجماله، ثم توسلوا اليه قائلين: "خُذ يا سيد حصتك وأذَن لنا بالذهاب" فما كان من قولهم هذا الا ومالت الجمال الى الطريق متوجهةً نحو بيت صاحبها دلالةً على ان القدّيس قد تصالح معهم فعادوا مخبرين التاجر بما كان من امرهم وامر الشهيد حتى ان كل من بلغهُ هذا الامر مجد الله تعالى خائفاً من القديس صفيه.

واتفق مرةً أُخرى ان رجلا كان مصاباً بالجرب والقروح بحيث ما كان احد يقدر على الاقتراب منهُ لكراهة الروائح التي كانت تنبعث من جسمه الممتلئ من الديدان فكان اهلهُ اذا نظروا اليه يغتمون ويتمزق قلبهم ألماً على ما كان عليه من شقاوة الحال، فقاموا وانطلقوا به الى قبر الشهيد واسبحوهُ في العين فشُفيَ من ساعته حتى انهُ خرج من العين ماشياً امام الحضار الذين لما رأوا ما كان من امره تعجبوا ممجدين الله تعالى.

وقد صنع الشهيد عجائب أُخرى لا يسعنا ان نذكرها تفصيلاً، والى الآن ما من احدٍ التجأ الى قبره الا ونال مرامهُ، وكان استشهاد القدّيس في يوم الجمعة الواقع في ٢٧ تموز سنة ٣٩٠ مسيحيّة، وذكرهُ عند الكلدان في الثامن من شهر تشرين الأول كما جاء في قائمة القدّيسين السنوية.



مار بختيشوع الشماس الشهيد
ومار تومرصا الجاثليق

(سنة ٣٩٧)

رَوَى بعض المؤرخين أنهُ منذ استشهد القدّيس بربعشمين حتى نُصب تومرصا، خلا كرسي المدائن نحو عشرين عاماً لا غير، وذهب غيرهم الى أنَّ خليفة بربعشمين لم يُنصَب الا بعد موت شابور الملك، فعلى هذه الرواية الثانية يجب الاستلزام وكان تومرصا من اهل باجرمي وكان زاهداً تقياً صالح التدبير، فالظاهر انهُ جلس على كرسي المدائن سنة ٣٨٩م، فاهتمَّ ببنيان الكنائس وسد الخلل الذي كان قد ظهر من سبب الاضطهاد في النصرانية، وصرف كلَّ عنايته الى حمل المؤمنين على التمسك بالشريعة المقدسة والجري على ما سنتهُ الكنيسة مما يعزز أسباب التقدم المسيحي ويولي السلام للهيئة الاجتماعية، وكان عضيداً لمار تومرصا في تعمير الكنائس واسعاف المسيحيين الشماس بختيشوع وكان رجلاً مقتدراً ممتلئاً فضائل واعمالاً صالحة، ونال اكليل الشهادة من سبب الايمان في عهد ورهاران الرابع، وهذا الملك أوصل بالقدّيس تومرصا شدائد كثيرة وعذابات وافرة من تحريك المجوس وسائر اعداء دين المسيح الذي كان هذا الأب مجتهداً باقامته اذ كان يطوف في البلدان وينصب الاساقفة على الاماكن القريبة والبعيدة ويتعهد رعيتهُ في كل ما يقتضى لهم، ورقد بالرب معترفاً جليلاً سنة ٣٩٧ ودُفن بالمدائن، وذكرهُ عند الكلدان في الجمعة السابقة من القيامة كما جاء في انجيل عتيق محفوظ في القلاية البطريركية الكلدانية التي في الموصل.

مار غريغوريوس الراهب

(في اواخر الجيل الرابع)

كان من بلاد الفرس وكان تاجراً، فتلألأ فيه نور النعمة الآلهية فتاق الى السيرة النسكية، فاراد ان يحتفر بينهُ وبين العالم هاوية عميقة حتى لا يستطيع الى العبور اليه سبيلاً فزهد في ملاذ الدنيا الغرور وترك كل مقتناهُ، وخلع عنهُ الثياب العالمية واتشح بالأطمار منتهجاً طريق التوبة فانطلق الى مدينة الرها طالباً العلم المقدّس من موسى الملفان، فكانت مخايل النجابة على محياهُ لائحة فلم يلبث ان فاق جميع رفاقه، ثم قصد مار اوجين وتتلمذ لهُ في ديرهِ واخذ يرتقي في معارج الكمال المسيحيّ طائراً على جناح ايمانٍ حار الى المرافع السماوية، ثم عاد الى وطنه وذهب باخته الى نصيبين فوضعها في أحد الأديرة، ورجع هو الى قلايته منقطعاً للتوبة مذللاً جسدهُ بالاتعاب الشاقة، ثم ذهب الى جزيرة قبرص وصار هناك بستانيا ثم رجع الى ديره وفيه كانت وفاتهُ، وكان مار غريغوريوس متضلعاً من معرفة الكتاب المقدّس يقرأهُ كله ظاهراً، وصنع آيات كثيرة، وعاش في النصف الاخير من الجيل الرابع، ومن تأليفاته كتاب جليل ورسائل كثيرة في السيرة الرهبانية.



ماريوحنا الباجرمي

(في اواخر الجيل الرابع)

كان من بلاد باجرمي ومن سلالة ملوك فارس وكان والداه متسكعَين في ظلام المجوسية، لكن الله أنار عقلهُ فاعتنق الديانة النصرانية، ثم فكر في اباطيل العالم واراد الانضمام الى النساك فانطلق الى نصيبين وتتلمذ لمار اوجين، ورقي معارج التقدم والفلاح، ثم ذهب الى جبل قيبوث[1] وانقطع فيه للتوبة واقام ديراً بقرب قرية كامول في بلاد بازبدي، وصنع الله على يديه معجزات كثيرة.



١- جبل قيبوث هو الجبل المسمى الآن الجودي وهو في الشمال الشرقي من جزيرة ابن عمر على مسافة خمس ساعات منها

مار خوداوي

(في اواخر الجيل الرابع)

ان القديس خوداوي[١] كان من بلاد [illegible] واسم أبيه قرياقس وأمهُ كانت تدعى حنة، وتتلمذ لمار اوجين واتى معهُ الى بلادنا هذهِ، وانفرد في بريةٍ عاملاً عمل آخرتهِ بعيشة قشفةٍ وبقمع جسدهِ. ومكث على هذهِ الحالة ثلاثين سنة، فحسدهُ الشيطان وأثار عليهِ تجارب صعبة شديدة، فكسر القديس قوتهُ بشدة الصوم وطول الصلوة. وصنع الله على يديه معجزات كثيرة، ثم انتقل بوحي إلهي الى جبل اوكاما (اسود) وبنى فيهِ ديراً، وتتلمذ لهُ جم وافر، فذاع صيتهُ في كل تلك النواحي وكانوا يقبلون اليه زرافات ولاسيما المرضى لينالوا منهُ الشفاء فقصدتهُ ذات يوم امرأة عاقر واخذت تتضرع اليهِ ان يصلي عليها، فسلاها القديس وقال لها: "تهللي فرحاً لانك السنة تُرزقين ابنَين توأمين" وكان كذلك وتتلمذ احدهما لمار خوداوي وترهب ثم انطلق القدّيس الى نصيبين واقام هناك ميتاً وشفى كثيراً من السقماء وبنى ديراً في شمال قرية معرى ودعاهُ حولي، واجتمع اليهِ مائة وثلاثون راهباً، وتوفي ولهُ من العمر مائة وثلاث عشرة سنة.



١- لفظة فارسية (خداي) ومعناها الإلهي [illegible] القديس [illegible] الى المشرق [illegible] لعله من بلاد الشرق.

مار ميخائيل رفيق الملائكة

(في اواخر الجيل الرابع)

بالحقيقة ان الرياض والبساتين المتعددة المرصعة بصفايح الأرض والمحلاة بأنواع الزهور اللطيفة الأشكال والمختلفة الألوان ليست بشيءٍ بالنظر الى زمرة القديسين الفضلاء المزينين كنيسة السيد المسيح على اختلاف رتبهم ومنازلهم وفضائلهم واستحقاقاتهم وقد شهد بذلك داود النبي بقوله: "كلّ مجد ابنة الملك من داخل متجملة بأثواب ذهبية مختلفة" وتنبأ سليمان في سفر الحكمة بقولهِ عن كل واحد منهم: "لم يكن واحد مثلهُ يحفظ ناموس الله".

وقد رأينا ذلك في القدّيس السعيد مار ميخائيل رفيق الملائكة اذ قد أفرعت وأزهرت وأثمرت فيهِ المواهب الإلهية كنباتات لطيفة مختلفة، لأنّهُ أشرق كالشمس من تحت حجاب الغيم منوَّر العقل بنور الدّين منذ صباهُ فهذا القدّيس السعيد كان اصلهُ من كورة آمد من قرية يقال لها سوسنة، وولِدَ من والدين مسيحيَّين شريفي النسب أغنياء جداً، وكانت والدتهُ قد رأت في الحلم ملاكاً يقول لها: "انا هو ميخائيل الملاك القائِم امام الربّ، ابشركِ بابن ستلدينهُ ويكون عظيماً على الارض، ويكون كالسراج لكل العالم، فتسمينهُ انت بأسمي" ولذلك دُعيَ رفيق الملائكة ولما وُلِدَ أشرق نورٌ عظيمٌ في هيكل البيعة التي في قريتهِ حتى تعجبت منهُ كل الناس، واخذ ميخائيل ينشأ ويتقوى بالروح ممتلئاً حكمةً ونعمةً، ولم يكن مثل الأولاد الذين لا يميلون الا الى الأعمال الناشئة عن الجهل ويحبون اللعب، بل كان يصرف زمانهُ في العلوم، وكان عقلهُ مائلاً الى امور السماء والعبادة، ولذلك مضى الى المدارس

وتعلم العلوم، ولما انتهى الى السنة الثلاثين من عمره، رأى ان يزهد في الدنيا، وتفكر في قلبهِ أن هذا العالم باطل وملاذهُ زائلة، فأحبَّ الخروج منهُ ولكنهُ لم يعلم الى ايّ جهة ينطلق، فسمع بأخبار مار اوجين السعيد وأنهُ قد جاء من نواحي مصر ومعهُ تلاميذ قدّيسون في عجائبهم وانهم اثنان وسبعون تلميذاً، فاشتهى ان ينضمّ اليهم فترك بيتَ ابيه، وسار في طريقه، ولما صار المساء نام، ورأى في نومهِ عصاً بهيئة صليب، فاخذها وانطلق ولما وصل القفر حيث كان القديس مار اوجين، لاقاهُ اثنان من تلاميذه، فرَحبا بهِ وأحضراهُ امام مار اوجين، فسألهُ عن عملهِ، فاجابهُ: "قد اتيتُ الى قدسكم لتجعلوني في عدد جوقتكم، وتلبسوني إسكيم الرهبنة" فلما عاينهُ مار اوجين ورأى دَعَتَهُ وتواضعهُ وأدَبَهُ ورياضتهُ ألبسهُ إسكيم الرهبان، وجعلهُ في عدد الاثنين والسبعين حينئذٍ حل عليهِ الروح القدس، فشرع ميخائيل يعذب نفسهُ بالصوم والصلوة وبالسهر الطويل والنوم على الحضيض حتى ضعف جسدهُ، وكان يحب الانفراد عن الناس، لكي يواظب على امور الروح، ولكنهُ كان ملتهباً غيرةً على الخطأة والضالين يتوق الى ترجيعهم الى طريق الحيوة، وبهذا القصد أخذ دستوراً من مار اوجين ليمضي الى قريتهِ كي يهدي الناس الى الايمان الصحيح ولما قرب من باب القرية سمع اصوات وَلوَلَة ونحيب من الناس والبهائم المتعذبين عطشاً، لأن المطر انقطع في تلك السنة فيبست الينابيع، ولم يكن لهم ماء ليشربوا ولما ابصرهم على تلك الحالة، جثا على ركبتيهِ وصلى وقال: "يارِبّ الآن أمطر على عبادك هؤلاء، وامنحهم كنزك السماوي ليشربوا ويرووا ويمجدوا اسمَك القدّوس".

ولما كملت صلاتهُ، أرعدت السماء بصوت عظيم، وهطلت الأمطار، وملأت الغدران والينابيع، فشرب الناس وارتووا وسبحوا الله، ثم آمنوا على يده وتقدموا الى المعمودية، فعمذهم جميعهم، وبنى لهم بيعةً ورتبها بكل طقوسها وصلواتها وانطلق من عندهم ولما كان سائراً في الطريق حيثما كانت تُرسلهُ ارادة ربهِ أبصر أسَدَين قد افترسا رجلاً ومزقا بطنهُ وهما يتقاتلان لاجل جثتهِ كلٌّ منهما يريدها لنفسهِ فلما شاهدهما القدّيس زجرهما وجثا على ركبتَيهِ وصلى وقال: "ياسيدي ومخلصي يسوع المسيح خلِص هذهِ جبلتك وردها الى الحيوة" ولما فرغ من صلاتهِ أمسك الرجل بيدهِ وقال: "باسم يسوع المسيح الناصريّ انهض على قدمَيك" وفي تلك الساعة قام الرجل ومجد الله واعتمذ، وشاعت هذهِ الآية عند كل الناس، وكثيرون آمنوا بالرب.

ثم أتى مار ميخائيل الى قرية تسمى بيت العيون وكان اهلها نصارى، وكان يوم الاحد، فدخل البيعة، فرأى رجلاً باكياً بمرارة قلب، فقال لهُ: "لماذا تبكي يا اخي؟" أجابهُ: "اليوم قد صار عرس في قريتنا، واجتمع فيها القسوس والشمامسة والعوام، وقد بقيتُ أنا وحدي ولم يهتم بي أحد، وها هم يأكلون ويشربون، وانا ها هنا اهلك جوعاً" فقال لهُ: "لماذا لم تنطلق معهم" أجابهُ: "ان رجليَّ زمنتَان من بطن امي، فلا اقدر ان أمشي على الارض" فعزاهُ القدّيس، وأمسكهُ بيده، وأقامهُ على رجليهِ، وانطلق معهُ الى العرس فلما أبصرهُ الجموع تعجبوا عجباً عظيماً من هذهِ الآية التي صنعها القدّيس، ومجدوا الربَّ، واتوا اليهِ وتبركوا منهُ وتوسلوا اليهِ ان يجلس معهم، فلم يشأ لكنهُ هرب من بينهم خوفاً من المدح فمضى ودخل قريةً، وكان جميع سكانها مجوساً وفي احد الايام لما كان حاكم القرية جالساً في

بلاطهِ، أتى شيطان ودخل فيهِ، وصار يعذبهُ عذاباً مراً حتى انهُ سقط على الارض، وبدأ يلبط ويزبد، وريقهُ يسيل من فمه، وكان المجوس عالمين بالآيات التي تفعلها النصارى، فوجدوا أحد النصارى يقطع حطبا، فذهبوا به الى الحاكم المصروع واذ كان ماضياً لاقاهُ مار ميخائيل وقال لهُ: "تشجع ولا تخف، لان الربّ في هذا اليوم يصنع على يدك آيةً عظيمةً".

فاعطاهُ حناناً[1] مقدساً وأمرهُ ان يرسم به على الحاكم علامة الصليب، ولما دخل على الحاكم، رآهُ يرتفع من الارض ويسقط ويصرخ ويزبد فخاف ذلك المؤمن من الدنو اليه، حينئذٍ تراءى لهُ مار ميخائيل قائماً هناك، فاذ أبصرهُ الشيطان، أخذ يصرخ ويقول: "ما لي ولك يا ابن الله؟ اين اهرب منك ومن قدّيسك؟ لماذا تعذبنا من قبل الزمان المحدود لنا؟" فاشار القديس الى ذلك المؤمن ان يرسم عليه علامة الصليب، فلما رسمها على وجههِ خرج الشيطان شبهَ حبل واضمحل وصار كالدخان وكان اسم ذلك المؤمن الذي كان يقطع الخشب غوشنازاد[2] فلما أبصر هذه الآية سجد عند قدَمَي مار ميخائيل القدّيس وآمن هو وكل اهل بيتهِ وتبعهُ حيثما شاء وسلك في أثر معلمه وصار يفعل آيات ومعجزات مثلهُ.

وكان مار ميخائيل مثل مرآة جلية بين القدّيسين ومثل الشمس بين الكواكب، كما تنبأ عنهُ مار ميخائيل الملاك قبل أن يولد، وكان مواظباً على الصوم طول عمرهِ وكان وجههُ متجللا بالبهاء مثل موسى بكر الانبياء وكان محبوبا عند خالقه ومكرماً بين القدّيسين وعند السيد المسيح ومن

١- الحنان هو التراب الماخوذ من مرقد الشهداء.

٢- فارسية مركبة من كوشان وآزاد ومعناها المقدام والمجد.

نظرهِ كان الشياطين يفرون وهم يصرخون قائلين: "ويلنا منك يا مار ميخائيل القدّيس".

وسكن سنوات في القفر الخالي من الناس، وكان انيساً مع الوحوش والبهائِم، ومعاشراً الاسود والنمور، وهي تجثو قدامهُ ويستأنس بها كمثل الاهل والاقارب، ولم يكن لهُ قوت سوى البقل والحشائش مثل يوحنا المعمذان، وكان مواظباً على الصلوة الحسنة الدائمة والرياضة والزهد مثل إليا النبي، ليس لاجل نفسهِ فقط لكن عوض الخطاة جميعهم.

وبينما هو ذات يوم قائم بالصلوة أبصر شعباً كثيراً من البرابرة مقبلين اليهِ وقد سبوا وأصابوا غنيمة كبيرة من أرض الرومانيين، وسلبوا كنائس كثيرة وأتوا بزيناتها، وسبوا رجالاً ونساءً، وكان في جملتهم راهب واحد من بعض أديرة الرومانيين، وكان عفيفاً باراً عالماً في الكتب المقدّسة محلى بافعالٍ صالحة ولما دخل ذلك الراهب على القدّيس ميخائيل عرف سريعاً احدهما الآخر، وتعجب الشعب البربريّ من سيرة القدّيس ومن سكناهُ في القفر وحدهُ، فتوسل اليهم ان يتركوا الراهب عندهُ فلم يشاؤوا، لكنهم طلبوا منهُ دراهم ليفكهُ ويخلصهُ وحيث انهُ لم يكن لهُ شيء تضرع الى الرب، فأرسل الله بصلاتهِ أسَدين كبيرين مخيفين، فوثبا على الشعب البربري وحطما ومزقا وافترسا كثيراً منهم، وأخذا منهم ذلك الراهب وآنية البيعة، وأتيا بهِ الى القدّيس مار ميخائيل فلما ابصر الشعب البربري ما فعل الأسدان احتاروا، وعرفوا ان ذلك جرى لسبب مخالفتهم اياهُ، فأتو وخرّوا على رجليه وتوسلوا اليهِ ان يخلصهم من الأسدين الضاريين، ووعدوهُ ان يطلقوا جميع الأسرى ويردوا كل ما سلبوا حتى الرجال والنساء فلما رأى القديس تذللهم اشفق عليهم وطرد عنهم الأسدين، وأخذ اسراهم وغنائمهم.

وشفى المجروحين منهم وأطلقهم بالسلام فخرجوا وهم متعجبون مما فعل وخشوا الربّ خشيةً عظيمة لكن واحداً منهم سرق من بين الأسرى صبياً جميل الصورة حسناً جداً، فاخفاهُ في وسط العسكر ولم يعلم بهِ أحد، ولما سار في الطريق شمص بغلهُ وألقاهُ على الارض وجعل يدوسهُ ويجرحهُ حتى تفككت أعضاؤُهُ، وخرج دماغهُ وجرى الدم من جسدهِ مثل الماء، فحملهُ رفاقهُ واتوا بهِ الى مار ميخائيل، فسألهُ عن علتهِ كانهُ لم يعلم، ففتشوا فوجدوا الصبي، فردوهُ الى أبيهِ، وعلم السارق ان ذلك صار لهُ من اجل سرقتهِ، ثم قام القديس وصلى عليهِ وشفاهُ، وتندم الرجل على ما فعل، وآمن بالربّ واعتمذ وصار خادماً للقديس طول عمرهِ اما الرومانيون المسبيون فبعد أن أعتقهم مار ميخائيل رجعوا الى بلادهم بالسلام، وذاع الخبر بين جميع الرومانيين، واشتهر اسمهُ عندهم، وكانوا يمجدون الله ويسبحون اسمهُ لكونهِ خلصهم من عبدة الاصنام على يد عبدهِ القدّيس مار ميخائيل، وذلك الراهب لم يمضِ مع اصحابهِ ولكن بقي عند مار ميخائيل طول عمرهِ.

وبعد زمن طويل رجع ذلك الشعب البربريّ، وحلوا في جانب القدّيس وسألوا عن الرجل الذي رماهُ البغل، فوجدوهُ في العافية قد لبس اسكيم الرهبنة وهو يخدم الرب مع القدّيس، فتعجبوا منهُ تعجباً عظيماً، وكان معهم صبية ابنة رئيسهم دخل فيها الشيطان، وكان يعذبها عذاباً شديداً، ولما كان الوجع يشتدّ عليها كانت تمزق ثيابها وتقطع لحمها، فقدموها الى القدّيس، ورغبوا اليه ان يشفيها فلما رأى الشيطانُ القدّيسَ آتياً اليه شرع يصرخ ويقول: "ما لي ولك يا مار ميخائيل؟ اين اهرب منك؟ ومن رفقائك؟ فقد طردتمونا من المدن والآن تطردوني من القفر ايضا" فلما رأى القدّيس الصبية تقاسي

عذاباً مراً، جثا على ركبتيه وصلى وقال: "يا سيدي يسوع المسيح اشفق على هذه أمتك ولا تسلمها بيد الشيطان المارد فانها جبلتك، ترحم عليها واشفها واطرد الشيطان عنها، كما طردت اللجيون من الرجل الذي كان يسكن بين القبور، وكما طردت الشيطان من ابنة الامراة الكنعانية كذلك اطرد الشيطان من هذه أمَتِك" ولما فرغ من صلاتِه، خرج الشيطان من الصبية وهو يصرخ ويولول فلما عاين البرابرة هذه الآية وقعوا على قدمي القدّيس وقالوا جميعهم: "قد آمنا بآلهك" ورغبوا اليه ان يعلمهم الايمان المستقيم، لانهم كانوا مثل البهائِم في ذلك القفر لا يعلمون كيف يتدبَّرون فقال لهم: "ان لم يعتمد الانسان بالماء والروح لا يعاين ملكوت السماوات" فقالوا: "نحن نؤمن بالسيد المسيح الذي أتى الى العالم وصنع العجائب على الارض وصُلب ومات وقُبر وقام وصعد الى السماء وأرسل الروح الفارقليط الى رسلهِ واعطاهم المواهب ليصنعوا هذه العجائب" حينئذٍ عمدهم جميعهم مار ميخائيل باسم الآب والابن والروح القدس، وعلمهم الأسرار الآلهية وارشدهم الى طريق الحيوة، وجعلهم من خراف السيد المسيح وكانوا زهاء خمسمائة رجل، واذ كانوا ذئاباً خاطفة كفرة صاروا خرافاً ودعاء وآنية طاهرة للسيد المسيح، وكانوا يجاهدون بالأفعال الصالحة وعددهم يكثر يوماً فيوماً، ولم يَعُد اعداؤهم يتمكنون من كسرهم فلما مضى عليهم ثلاث سنوات وهم على تلك الحالة بدأ أُناس منهم يشكون في ايمان المسيح ولم ينشأ ذلك الا عن جهلهم لا عن خبث منهم، والرب العالِم في القلوب الذي لم يتركهم على هذا الضلال يبس ذلك القفر من الماء، وعذبهم بشدة العطش، فاتوا وانطرحوا على قدمَي مار ميخائيل قائلين: "أخطَأنا قدّام الرب إلهنا اذ شككنا في الايمان الحق، فانهض الآن لمعونتنا فقد هلكنا من العطش"

فاشفق عليهم القدّيس وسجد قدام ربهِ وصلى وقال: "ياسيدي يسوع المسيح ابن الله الحيّ الذي خلصتَ الطبيعة البشرية من عبادة الاوثان، وعلمت طريق الحيوة لكل مؤمن، انت أخرجت ماءً من الصخرة للشعب لما خرج من مصر، وأرسلتَ الماء لشمشون الجبار من عظم الميت، اشفق الآن على هذا شعبك ونزل لهم برحمتك مطراً من السماء لئلا يبيدوا من العطش، ويكونوا عاراً ومثلا بين الشعوب" وفي الحال رعدت رعود شديدة وبرقت بروق هائلة وظهر في المشرق غيمة صغيرة فامطرت عليهم مطراً كثيراً، وامتلأت العيون والغدران، وشربوا وارتووا وسبحوا الله على المواهب التي افاضها على قدّيسه الأفضل مار ميخائيل، وشكروا كثيراً، وثبتوا في ايمانهم الذي كانوا قد شكوا فيه، وصاروا يستعينون بصلوات مار ميخائيل وكان هو يقضي أُمورهم ويشفي أمراضهم. فكان أباً للأيتام والأرامل والفقراء والمساكين.

ولما كان القدّيس في مغارته مواظباً على أفعال الرياضة بالصوم والصلوة والسباع والبهائم تانس اليه، اتاهُ الشيطان عدو البشر ليجربهُ بمكيدة نصبها لهُ وذلك انهُ وسوس في صدور ثلاثة من اللصوص فظنوا أنهُ يوجد عند القدّيس اموال كثيرة، فأتوا اليه متظاهرين بالورع والحياء، كأنهم يريدون ان يصيروا لهُ تلاميذ فاما القدّيس فعرف مكرهم فتركهم في المغارة وخرج، وفي الحال أتى الى باب المغارة ثلاثة اسود ضارية فشرعت تزأر بهم وتزمجر، فلما عاين اللصوص ذلك سقطوا على الارض كالموتى من فزعهم، فأرادوا الهرب فلم يستطيعوا وبقوا محبوسين في المغارة والسباع قائمة على بابها، والقدّيس بعيد منهم فحاروا ولم يعرفوا ماذا يصنعون، فان خرجوا خارجاً افترسهم الأسود، وان بقوا داخل المغارة ماتوا جوعاً وعطشاً

واستمروا ستة ايام على هذه الحالة داخل المغارة منتظرين القدّيس لمعونتهم ولم يات، وهم يبكون ويُولولون ويقولون: "يا مار ميخائيل القدّيس أخطأنا قدام الله وقدامك، هلم لمعونتنا وارحمنا" وتندموا على ما صنعوا وتابوا من كل قلوبهم فعلم القدّيس ما في ضمائرهم، فأتى اليهم، فوجدهم كالموتى من شدة الخوف والجوع والعطش متغيري اللون غير قادرين على ان يفوهوا بكلمة، ولم يبقَ فيهم سوى رمقٍ قليل، ولما أبصرتهُ الأُسود نهضت امامهُ ورحبت به ببشاشة، وعندما عاين اللصوص مار ميخائيل والأُسود تأنس اليه بهتوا وخروا امامهُ ساجدين واعترفوا لهُ بذنبهم وعاهدوهُ أنهم من ذلك الوقت وصاعداً لن يعودوا الى السرقة وأن يؤمنوا بالمسيح فلما تحقق صدق مقصودهم طرد عنهم الأُسود وعمذهم وألبسهم إسكيم الرهبنة، فأخذوا يفلحون كرم المسيح، وصاروا آنية طاهرة يُرشِدون الناس الى طريق الحيوة الأبدية.

وبينما كان مار ميخائيل عايشاً في البرية ثارت الحرب على المسيحيين الذين كانوا من البرابرة، فأتى عليهم قوم كفار لينهبوهم فتراءى لهُ ملاك الرب وعرفهُ البلاء الحادث للمسيحيين الذين تلمذهم فأرسل القدّيس ودعا رؤساءَهم وأعلمهم الأمر، وأمرهم ان يقيموا لهم حراساً في الليل والنهار، ولما راى بكاءَهم ونحيبهم كأنهم قد يئسوا من الحيوة تضرع الى الله لاجلهم، فقبل الله دعاءَهُ، وارسل على الاعداء ملاكاً وهم نائمون ليلاً فقتل منهم الف رجل، فلما اصبحوا وابصروا اصحابهم موتى خافوا خوفاً عظيماً، وتركوا خيامهم وثيابهم وانهزموا، وجاءَ المسيحيون سريعاً وغنموا ثيابهم وهم يمجدون الله ويسبحونهُ على هذه الآية التي اجراها على يد عبده مار ميخائيل رفيق الملائكة.

ولما تم لهُ في البرية أربعون سنة أعلمهُ الروح القدس أن ينطلق فيفتقد الاماكن الأُخرى، ويجمع الأغنام الضالة ويدخلها الى حظيرة يسوع المسيح، فترك البرية وانطلق الى جبل قردو وبقي هناك زماناً كثيراً، ولم يعلم به الناس، وكان يتقوّت بثمار الاشجار وبنبات الأرض ولما اشتهر اسمهُ شرع الناس يقصدونهُ من كل مكان، وكانوا يأتونهُ بالمرضى والعميان والبرص فيضع يده عليهم ويشفيهم، وكثير منهم آمنوا بالمسيح واعتمذوا باسمه وكان البرص يتطهرون حال خروجهم من المعموذية، اما الذين كانوا يشكون في الايمان فما كانوا يُبرأون الا ان يرجعوا من كل قلوبهم لينالوا الشفاء وبعد زمان كثير أُتي من ارض داسان بعشرة مجانين، وكانوا تائهين في الجبال لا يفرقون بين الليل والنهار، وكانوا يمزقون ثيابهم ويقطعون لحمهم ويكسرون السلاسل فأخبر الناسُ القدّيس بأمرهم لكي يخلصهم من العذاب، فاعطاهم الصليب والحنان وأرسل معهم رجُلَين ليأتيا بهم اليه فلما عاينهما المجانين استحوا جداً، وأخذوا ورق الأشجار واستتروا بها فتقدم أحد المُرسَلين الى المجانين واوعز اليهم ان يأتوا ويتبركوا منهُ فاجتمعوا وانطلقوا كلهم ومضوا، ولما كان بقي لهم للوصول فرسخ واحد تحرَّك الشيطان في واحد منهم فصار ياخذ الحجارة ويرجم نفسهُ ورفقاءَهُ، فتبددوا بين الجبال، وبَقيَ المُرسلان وحدهما، فأتيا الى القدّيس واخبراهُ، فاخذ عصاهُ وقام على تلٍ من التلال وقدم صلاةً لله، فشرع أُولئك المجانين ياتون اليه: والشياطين من داخلهم يصيحون قائلين: "ما لنا ولك يا مار ميخائيل عبد الله العليّ، اتيتَ لتطردنا وتُخرجنا من مسكننا" والقدّيس السعيد كان يزجرهم ليخرجوا، وهم كانوا يشتمونهُ ويقولون لا نخرج واذ رأى حينئذٍ تمردهم وعنادهم ركع قدام الله تعالى وقال: "اللهمَّ خالق السماء والارض والبحور وكل ما فيها

اشفق على هؤلاء البشر الذين هم على صورتك لئلا يكونوا مسكناً للشياطين" ولما كمل صلاتهُ زجر الشياطين وأخرجهم، ولما عاين الناس هذه الآية سبحوا الله ومجدوهُ.

وكان في ارض قردو قريتان بينهما نهر عظيم يسقي جميع البساتين والكروم، وكان ينشأ في كل سنة مقتلة عظيمة بسببهِ، لأن كلاً من الأهالي كان يريد ان يدير الماء في بستانهِ فاتوا الى القدّيس توسلوا اليهِ ان يقضي بينهم كيلا يتعدى بعضهم على بعض، فحكم القدّيس بالحق، ولكن بعضهم عصوا فلم يقبلوا حكمهُ، فصلى حينئذٍ الى الله فيبس النهر من تلك الساعة، ولم يعد يجري الى هذا اليوم وخاف اهل المكان مخافة عظيمة من القدّيس لما أبصروا هذهِ الآية، وسمع خبرهُ احد الرؤساء الذين في قردو وكان حاكماً على احد الاماكن، واراد ان يقصدهُ لان كان لهُ ابنة وحيدة فيها بَرَص، فاخذها وأتى بها الى القدّيس ورافقهُ اجناد كثيرة، فلما كان القدّيس في مغارتهِ، راى جمعاً كثيراً من الفرسان مقبلين اليهِ، فخرج من مغارتهِ واقام بعيداً عنهم كيلا يعرفوهُ، وعند بلوغهم مغارتهُ لم يجدوهُ، فشرعوا يفتشون عنهُ، فلاقاهم بزي رجلٍ غريب عابر طريق، فسألهم عن علة مجيئهم فقالوا: "نريد ان نرى القدّيس مار ميخائيل وها اننا لا نجِدُهُ، فإن تعرفهُ فقل لنا اين هو" فقال لهم: "ماذا تريدون منهُ؟" فقالوا: "قد سمعنا انهُ رجل صدّيق يجري الآيات والمعجزات، ويشفي المرضى ويطرد الشياطين من ابدان الناس، ولنا ابنة نُريد ان يضع يدهُ المباركة عليها ويشفيها سريعاً" فقال لهم القدّيس: "ان الرجل لا يصنع هذهِ الآيات الا للمؤمنين" أجابوهُ: "ان شفى هذه الابنة آمنا كلنا بالمسيح على يدهِ" حينئذٍ اظهر لهم نفسهُ ودعا أبا الصبية وامها وقال لهما: "إن وعدتماني أنكما تصيران مسيحيَّين شفيتُ

ابنتكما" فوعداهُ انهما يتنصران هما وكل من معهما فحينئذٍ بارك ماءً وعمد الصبية وللحال طهرت من البَرَص وعاد اليها حسنها الاوّل، وآمنتْ بالسيّد المسيح وتركت العالم وترهبت، وبنت لها ديراً في مدينة معلتاي واجتمع عندها اخوات كثيرات، وسكنتْ معهنَّ بخوف الله والطهارة والقداسة اما الحاكم أبو الصبية والذين معهُ وامها فاعتمذوا ايضاً وابتنوا لهم بيعاً، واقاموا لهم معلمين ليرشدوهم في الطريق الحق، وكَثُرَ الشعب المسيحي في ذلك المكان بواسطة مار ميخائيل، وأهدوا لهُ كثيراً من الفضة والذهب والثياب ففرقها على الايتام والارامل والمساكين والغرباء والمتضايقين.

وسمع ذلك أناس من الاحرار الساكنين في ارض التيمَن قبلما تُبنى مدينة الموصل وقد كان بها كثير من المسيحيين والبيع والمدارس، اجتمعوا الى مار ميخائيل وتوسلوا اليه ان يأتي ويسكن قريبا منهم، فلما وقف على شوقهم الكثير ومحبتهم الزائدة ورأى نفسهُ انهُ قد شاخ وضعفتْ قوّتهُ أحبَّ ان يصنع لهُ بيتاً ليكون تذكاراً لهُ وللشعب في حياتهِ وموتهِ، فقبل سؤالهم وعاهدهم ان يسكن قريباً منهم، وحدد زمان وصولهِ اليهم ففرحوا فرحاً عظيماً لا يوصف، وكل واحدة من القرى كانت تشاء ان تبني لهُ ديراً عندها، ولاجل ذلك نشأت مخاصمة بين المسيحيين، فنهض بينهم شيوخ عقلاء وتشاوروا جميعاً وجزموا ان لا يبني احد ديراً للقدّيس جانب قريتهِ، واتفقوا ان يُبنى دير بعيداً من جميع القرى، وامروا ان يُبنى الدير على نهر دجلة فاجتمع أُلوف من النصارى شيوخاً وشباباً وصبياناً وصبايا وبنوا هذا الدير على اسم مار ميخائيل لكي يستعين بصلاتهِ الملاحون وركاب السفن والصيادون والسالكون في البحور والأنهر واليَبَس ولما سمع القدّيس بأن قد بنوا لهُ ديرا وفيه هيكل شاهق مزين، أرسل الى جميع الذين تتلمذوا

وجمعهم عندهُ وكانوا من البرابرة والاكراد فاحبوا ان يكونوا رهباناً، وذلك الراهب الذي سَباهُ الروم اتى هو ايضاً الى الدير ومعهُ ثلاثمائة راهب، ولما وصلوا الى جانب نهر دجلة قبالة الدير الذي بُني توقف مار ميخائيل وصلى هو وجميع رفقائه، وقال لهم: "انظروا، مهما اصنع فاصنعوا" ونزع مئزرَهُ المربوط في كتفيهِ وبسطهُ على وجه الماء وجلس عليهِ وقال: "كل من لا يشك في قلبهِ فليأتِ ويجلس معي على هذا المئزر" وصعد على ذلك المئزر مائة وخمسون رجلاً، وكان القدّيس قائماً بجانبهِ وماسكاً طرفهُ وصار يعبرَّهم بالتدريج، والذين بقوا عبر كلّ منهم وحدهُ، ولما دخلوا الدير جعل القدّيس يسبح الله ويقول: "من اجل هذا فرح قلبي وسُرَّ ضميري" وفرحوا بهِ فرحاً عظيماً، وكانوا يقولون جميعاً: "ما أحبَّ مساكنك ايُّها الربّ القوي" وكلَّ واحد من نصارى ارض التيمن نذر نذراً واتى بهِ، فمنهم اعطوا حقولاً، ومنهم حنطةً وشعيراً، ومنهم ثيراناً وحميراً وبغالاً، ومنهم آنية، ومنهم بنوا قلالي، واجتمع الى حظيرة القدّيس اخوة من كل مكان حتى صار في الدير زهاء سبعمائة راهب، كلهم اناس روحانيون مملؤون من نعمة الرب واذ لم يسعهم الدير خرج بعضهم بامر القدّيس وسكنوا في القفر والجبال، ثم قسمهم وجعل منهم رؤساء ومدبرين وقارئين وشمامسة ومُدرسين وبوابين وطباخين وخادمين وخازنين وحافظين مثلما ألهمهُ روح القدس، وكانوا يتزايدون بالفضائل يوماً فيوماً، وجعلَ خالهُ رئيساً على الرهبان، وسلم اليهِ مفاتيح القلالي، وسلم بيت القنكي الى رجل فاضل اسمهُ آنوش من بين النهرين كان قد تربى في المدارس وتعلم العلوم فوضع كتباً نفيسة مملوة علوماً روحانية وميز القدّيس اربعة رجال لخدمة الغرباء اثنين من البرابرة كانا قد تتلمذا لهُ، احدهما يدعى زير والآخر حوباق والاثنين الآخرين من

ارض قردو، احدهما اسمهُ ملكيشوع، والآخر عطاء الله، وكانوا يخدمون بالطاعة قدام الجميع، ويزدفنة ونوح سُلم اليهما حمير الدير، وهذا يزدفنة[1] صنع في احد الايام شيئاً عجيباً قدام الأُخوة، وذلك ان واحداً من الاخوة صنع مأدبةً للرهبان، واخذ يطبخ طبيخاً لكل الجمعية، فأتى واحد من القنوبيين[2] وألقى ملحاً في القدر ثلاث مرات بغير إرادته، ولما كان الطبيخ يغلي قام الاخوة ليُسيئوا اليه، فلم يدعهم يزدنفة، لكنهُ مدَّ يدهُ الى داخل القدر الحارة وهي تغلي، واخذ الملح قبل ان يذوب وأخرجهُ ودفعهُ لهم ولم تحترق يدهُ فقال: "لا تُسيئوا الى الاخ بشيءَ لانهُ صنع بغير علمه" وصنع رفيقهُ نوح اعجوبة وهي ان القسيس لم يبقَ لهُ في الدير خمرٌ لإقامة القدّاس، فأمر القدّيس ان يعطوا نوحاً عشرة دراهم من الدير ليشتري بها خمراً، فاخذها ووضع على حماره الزقَّ وانطلق ولما مشى نحو ميل في الطريق أبصر رجلاً شيخاً حاملاً خشباً وهو يبكي بكاءً مراً، فسألهُ: "لماذا تبكي يا اخي؟" فاجابهُ الشيخ: "ابكي لسبب العازة والفقر، لأنّ عليَّ حملاً ثقيلاً، ولي بنون وبنات صغار، وحالي ضعيف فلا يمكني تربيتهم" فمدَّ الراهب يدهُ واعطاهُ تلك العشرة الدراهم ثمن الخمر وتقدَّم الى نهر دجلة وملأ زقهُ ماءً وحملهُ على حماره ورجع، ولما قرب الى الدير اسرع اليه الاخوة، لأنهُ كان قد دنا وقت القدّاس، وفتحوا الزقّ فأبصروهُ مملوّاً خمراً جيدةً، ففرحوا بها فرحاً عظيماً.

واقام ايضاً مار ميخائيل قارئَين احدهما يقرأ في النهار والآخر في الليل ففي النهار كان يُقرأ في الكتب المقدسة والتفاسير، وفي الليل كانت تُقرأ قصص

١– فارسية وهي مركبة من يزدان اي الله ومن بناه اي ملجأ.

٢– معناها المبتدئون او الرهبان العائشون سوية وهي مأخوذة من اليوناني.

الآباء، وكان اسم احد القارئين حزقيال والآخر يوانيس فالذي كان يقرأ في النهار كانت تجتمع لصوته الاخوة من كل مكان، والذي كان يقرأ في الليل كانت تجتمع لصوته البهائم الى باب الهيكل بهدوٍ واطمئنانٍ لتسمع القراءة وفي احد الايام لما كان جالساً على كرسيه وهو يقرأ رأى اكثر الاخوة ناعسين وقد غرقوا في نوم ثقيل، فأشار الى أسد كان نائماً على باب الهيكل ان يوقظهم، فزعق الأسد بصوتٍ شديد، ومن زئيرهِ وهديرهِ استيقظوا جميعاً من النوم.

وفي يوم من الأيام اجتمع ثلاثمائة من اللصوص ليسلبوا الدير وينهبوا جميع ما فيهِ اما القدّيس فعلم ذلك بالروح، فصعد على سطح الدير وقام امامهم، فابصرهم جائين وهم عازمون على نهبهِ، فاخذ عصاهُ ونصبها امامهم وكتف يديهِ وصلى وقال هكذا: "فليرتبط هؤلآء الأعداء" وفي الحال ارتبطوا جميعهم بالعصي التي في اياديهم وبقوا يومَين مُلقين على وجوههم، وحينئذٍ كانوا يتضرعون الى عابري الطريق ويقولون لهم: "توسلوا عنا الى ذلك الشيخ العابد القائمِ امامنا ليحل رباطنا ونحن نقسم لهُ اننا نتوب ونرجع عن فعلنا السيء".

ولما علم القدّيس أنهم تابوا من كل قلوبهم حلَّ رباطهم ورجعهم الى منازلهم وفي أحد الايام نفدت الحنطة من الدير وأتى المُدبِرون والخادمون الى القدّيس وعرفوهُ بذلك، فحزن عليهم، وأخذ المفاتيح وقام بالصلوة طول الليل، ولما أصبح النهار أتى الرهبان ليطلبوا خبزاً فلم يجدوا، فاتوا الى القديس فأعطاهم المفاتيح ففتحوا الأبواب فوجدوا البيوت كلها مملوة من الحنطة والشعير والخيرات، ثم أمرهم ان يوزعوا القوت على الفقراء والسائلين

والعابرين في الطريق ولا يردوا أحداً من المساكين فتناولوا وأكلوا وسبحوا الله الذي افاض عليهم هذه الإنعامات.

وذات يوم زاد نهر دجلة وفاض كثيراً حتى وصل الى حائط الدير فضعضعهُ، فأخذوا يحسبون النفقات التي تكفي لعمارته، ولم يكن عندهم شيءٌ ليعمروهُ، فاجتمعوا عند القدّيس ليتشاوروا في ما يصنعون، فامرهم ان يتركوا الدير الى الصباح، ولما انتصف الليل أرسل فدعا عشرة من الشيوخ الفضلاء وقام معهم بالصلوة والدعاء، وخرج معهم الى جانب النهر واقسم عليه ان يرجع عن الدير، وجعل لهُ حداً لا يتعداهُ فرجع الماء عن الهيكل، والى يومنا هذا لم يقترب الماء الى القلالي القريبة ولا الى الهيكل، وذلك بصلوات القدّيس، وهذه الآية ظهرت لعيان جميع الساكنين في ذلك المكان، واشتهر اسم القدّيس عند كل الناس.

ولما اقام في الدير نحو اثنتي عشرة سنة ورآهُ مثل ما اراد واشتهى فرح فرحاً عظيماً وقرب زمان ارتحاله من هذا العالم ليمضي الى المسيح فياخذ أجر أتعابه فظهر لهُ ملاك وأنبأهُ بدنو رحيله وأمرهُ ان يوصي بالدير وبالأخوة حتى يعيشوا في المحبة بعد سفره من هذا العالم فأرسل ودعا الشيوخ والرهبان وأمرهم ان يكملوا نذورهم وهي الفقر والصبر والطاعة والعفة والصلوات الدائمة، وان يقاوموا الشيطان عدوهم ثم باركهم كمثل يعقوب الذي بارك الاثني عشر سبطاً، وتنبأ على كل واحد منهم وعرفهُ بما يصير لهُ، فوقع الحزن في قلوب الرهبان لاجل فقده، ولكنهُ عزاهم بالروح القدس وجعل عوضهُ رجلاً قديساً ليدبرهم وكان يُدعى مار شموئيل، فأتى هذا وتوسل اليه قائلاً: "يا ابانا صل على هذا العالم وعلى هذا الدير الذي سيوضع فيه جسدك" فبسط مار ميخائيل يديه نحو السماء وقال: "يا ايها

الربّ القويّ القدوس الضابط الكل الذي صنع السماء والارض والنجوم، يا ملك الملوك ورب الارباب أصلح العالم جميعهُ، واجعل الأمن والسلام بين الناس، وأصلح الملوك والسلاطين لنحل بهدوٍ في هذا وادي الدموع، واجعل الرحمة والبركة في هذا الدير، واطرد الشياطين عن الرهبان لكي لا يسقطوا في حفرة جهنم، وكثر الامطار، وربِ الزروع لتأتي الاثمار فيكون الواحد ثلاثين وستين ومائة، وخلص السالكين في الانهر والابحر بين الامواج، واوصلهم يا رب الى المينا بالسلامة، والذين يسافرون في البر والبحر والطرق الصعبة البعيدة رجعهم الى بيوتهم بالسلام ونجِهم من اللصوص والظلام" وكذلك كان يسألهُ تلميذهُ ان يصلي في شان الدير، فتنبأ عليهِ واخبر وقال: "انهُ من بعد زمن طويل يخرب هذا الدير ولا يبقى فيهِ احدٌ، لكنهُ يصير مسكن الغنم والبقر، ولا يُقام فيهِ قداس وصلوات الى ان ينتخب الرب رجلاً صالحاً من مدينة الموصل يرجعهُ الى حالهِ الاول" وبعد ما انهى صلاتهُ رأى ملاكين آتيين اليهِ فلما تقدما لياخذاهُ عاينهما تلميذهُ، فسمع صوتاً من السماء يقول: "لا تتعبوا ولا تزحموا فانهُ اناء طاهر لي لم يعصني" فبَعُدَ الملاكان عنهُ قليلاً، ووقفا امامهُ وشرعا يلحنان ويهللان ويمجدان، فشاق ذلك الترتيل نفسهُ فخرجت من جسدهِ مثل النجمة بالفرح والسرور، وهكذا توفيَّ بشيخوخة صالحة، وزيحهُ الوف الوف من الرهبان والمؤمنين ودفنوهُ في ديرهِ، وهكذا يقيمون عيدهُ من سنة الى سنة في منتصف تشرين الأول الذي هو يوم انتقالهِ الى دار البقاء.



اخبار ما جرى في الدير
بعد وفاة القديس مار ميخائيل رفيق الملائكة

من بعد موت مار ميخائيل، انتُخب مكانهُ رجل مختار اسمهُ مار شموئيل، وسلك في اثر معلمه ممارساً الفضائل، وفرح به الناس على الأرض والملائكة في السماء لاجل تدابيرهِ الحسنة ومشوراته الصالحة واقواله الصادقة وأفعالهِ الحميدة وكان يزداد في الدير الخير الجزيل، وفي كل سنة كانوا يقيمون عيداً عظيماً ويجرون فيهِ خيرات كثيرة من الأكل والشرب لكل المؤمنين وكان مار شموئيل قد وضع قانوناً لجميع الرهبان أن يجلسوا في يوم عيد مار ميخائيل الى مائدة واحدة ويأكلوا جميعاً، فلما مضت سنة واحدة على موت القدّيس اقاموا عيداً عظيماً واجتمع كل الرهبان القريبين والبعيدين، وكانوا نحو سبعمائة راهب، ثم وضعوا المائدة، ومزجوا الخمر ومدوا أياديهم الى الطعام، وكان خادم القنكي الذي يخدمهم اسمهُ نيسان وأصلهُ من بيت الجبابرة[1] وكان رجلاً فاضلاً حسن التدبير يعلم بخدمة كل راهب وما هو فعلهُ وما هو طعامهُ، فأبصر في تلك الساعة على المائدة سبعين شيخاً يتراءَون للناس كانهم يأكلون وهم لا ياكلون، فوقف امام الاخوة واتكأ على عكازه وأقسم عليهم وقال: "كل من لم يدخل الى بطنه طعامٌ فليقم عن المائدة" فقام سبعون شيخاً من الجمعية المباركة ولم يكونوا قد ذاقوا شيئاً من الطعام، ولكنهم لاموهُ على فعله، لكونهم ما ارادوا ان ينكشف امرهم، وفي جملتهم كان شموئيل وأقام كلَّ أيام حياتهِ في هذا الدير بالراحة والسلامة ودبرهُ بخوف الله، الى أن شاء الرب فدعاهُ اليه فقبر

١– كانت قرية على شاطئ دجلة في بلد نينوى.

بشيخوخة صالحةٍ في هذا الدير، اما ما نذكرهُ هنا من وصف فضائله وافعاله وباقي ما فعل معلمهُ مار ميخائيل فهو مكتوب في قصة مار شموئيل.

وقام من بعده رجلٌ فاضلٌ اسمهُ الربان يوسف البوسناي، وقد كان تتلمذ لهُ وقبل منهُ إسكيم الرهبنة، وكان يفعل أفعالاً صالحة في قنوبين مثلما يليق لدرجته، وبعد ان سكن في القلاية سنين تتلمذ لهُ رجل اسمهُ الربان يوحنا الحجري وكان فاضلاً فنال منهُ إسكيم الرهبنة وكان يخدم معهُ بموجب القانون الذي وضعهُ الآباء وذلك في دير مار ابراهام وتصاحب الربان يوحنا بن كلدون والربان يوحنا الحجري وصارا يفعلان أفعال الملائكة بمشورة الشيخ المبارك الربان يوسف فلما كان هذان القدّيسان في دير بيت الصائرين[1] زماناً كثيراً، قال لهما الربان يوسف: "قوما انطلقا الى دير مار ميخائيل الذي هو على جانب مدينة الموصل" امّا هما فاطاعاهُ سريعاً وقاما وأتيا الى الموصل، وسألا عن دير مار ميخائيل، فقيل لهما أنَّ فيه رهباناً قليلين وقد نسوا تدابير معلمهم، فتركاهُ وانطلقا الى دير مار إليا[2] وبقيا فيه زماناً قليلاً، فاصابهما ضيقة من الرهبان الذين كانوا هناك فذكرا كلام معلمهما اذ اوصاهما ان ينطلقا الى دير مار ميخائيل فقاما وأتيا اليه هما وتلاميذهما، ولما وصلا لم يجدا سوى سبعة رهبان غرباء يشتغلون باياديهم ويقتاتون، اذ لم يكن في الدير شيء من الحبوب والمواشي ولم يكن فيه الا الرجاء المسيحيّ فقط ففار حينئذٍ الربان يوحنا بن كلدون غيرةً روحانية وتسلح كرجل جبار وكالعبد الحكيم المدبر بيت سيده فأتى بالاموال التي

١– ان يوحنا بن كلدون ويوسف البوسناي كانا في الجيل العاشر للميلاد ودير بيت الصائرين كان في ناحية صفنا في قضاء عمادية ودير مار ابراهام كان بجانب قرية باطنايا والى الآن باقية آثارهُ.

٢– وهو في شرقي الموصل على مسافة ساعة منها وبعض أبنيته باقية الى الآن.

كانت لهُ في بيت ابيهِ واشترى حنطة وشعيراً وكثر القوت في الدير، وأطعم الغرباء والرهبان المتبدّدين من قلة القوت فلما كثر الطعام في الدير اجتمع فيه جمعية عظيمة، واذ رأى يوحنا بن كلدون أن الدير قد تهدم اخذ بعمارته صارفاً من المال الذي جاء به من بيت ابيه، فبنى اولاً اصطبلاً للفلاحين وقلايةً لنفسه على جانب قلاية تلميذه، وصارت قلايتهُ للعامة والربَّ القديرُ احلَّ فيها بركاته.

ومن بعد زمان كثر الرهبان في الدير، فاقام منهم خادمين ومدبرين ومصلين وبوابين، بموجب ما تتطلبهُ خدمة الدير، فانطلق حينئذٍ الى الجانب الشرقي من الدير وبنى لهُ هناك قلاية خصوصية ليسكن فيها بالراحة والسكون، ومدَّ الحائط الى قلايتهِ، ثم كملت فيهِ نبوة داود النبي القائل: "ارتجَت الشعوب وتحركت الممالك" لأنهُ ثار عليهِ اضطهادٌ من الخدام والمدبرين، وسُمع في مدينة الموصل انّ ابن كلدون قد بنى ديراً جديداً، فتشاور الشيوخ والشبان على هدم الدير من الأساس، وقالوا هكذا: "هلموا بنا نهدمهُ ولا نترك حجراً على حجر" وإن اناساً من النصارى عرفوا اهل الدير بما عزم اولئك على فعلهِ فاما الشيخ المبارك ابن كلدون فلم يضعف قلبهُ ولم يغفل، لكنهُ اتكل على ربهِ وقال: "لم يغفل الربّ عن شعبهِ ولا يترك ميراثهُ" ثم أعدَّ نفسهُ بالصلوة وقام من المساء الى الصباح يتضرع بدموعٍ حارة منسجمة ويقول: "لا تعط ياربّ شهوة الاثيم ولا يصعد فكرهُ الى الرأس" ثم اخذ من الدراهم التي كان قد جاءَ بها من بيت ابيه وخرج وقت الصباح وأبصر شيوخ المدينة ومعهم عسكر كثير وقد قربوا من الدير ليهدموهُ ويقتلوا كلَّ من فيهِ، ورأى ان الرهبان هربوا جميعهم من الدير واختفوا، فشجع نفسهُ واتكل على الرب وخرج امام العدو فحينما رآهُ الجنود مقبلاً

اليهم تعجبوا من شجاعته وتحيروا، اما هو فلم يخف ولم يتغير لونهُ ولكن كان وجههُ مضيئاً كالشمس المشرقة، فخجلوا وصاروا يتقدمون اليه ويتبركون منهُ ويقبلون يدهُ ويضعونها على عيونهم، وكان هو يضع في يد كل منهم ديناراً، وهكذا ارضى الأجناد وشيوخ المدينة وأعطاهم دنانير كثيرة كل واحد حسب رتبته، فأعرضوا عن هدم الدير ورجعوا في طريقهم ولم يضروهُ بشيءٍ، فأرسل ابن كلدون ودعا الرهبان الذين هربوا فرجعوا الى الدير فاقاموا فيه الصلوات.

وكان هذا البار يدبرهم تدبيراً حسناً بالأفعال الحميدة التي كان يفعلها امامهم ولكن الشيطان الحقود الحسود عدو الخير حسدهُ ولم يدعهُ يسكن معهم بالهدو والراحة، فدخل في الرهبان الكسالى وحملهم على ان يضطهدوا مدبرهم ويفتروا عليه قائلين انهُ مُراءٍ يُطغي الشعب، وانهُ خالٍ من كل فضيلة، وصاروا يبغضونهُ كثيراً، فانطبق عليهم قول داود النبي القائل: "جازوني بدل الخير شراً لاني ابتغيتُ الصلاح وهم يبغضونني" وحينما انهى ابن كلدون بنيان الدير اشتدَّ الرهبان حسداً وبغضاً لهُ ولم يكن من يحزن عليه لما يراهُ من عمارة الدير الذي جددهُ من مال بيت ابيه، لا بل إن واحداً من الرهبان الخبثاء انطلق الى الموصل وكتب على باب الجامع الاحمر هكذا: "الله يرحم والدَي الذي يلعن ابن كلدون الذي يسلب رزق الناس ويبني به بيوتاً ليعظم اسمهُ في الدنيا" وكل من كان يدخل في الجامع ويخرج كان يقرأُ هذه الكتابة، ولم تكفهم هذه البغضة الناشئة من الشيطان الحسود ولكن تشاوروا عليه وقالوا تعالوا نبيدهُ من الدير ولما رأى ابن كلدون انهُ قد اشتدت عليه البلية من غير ذنب، قال لرفيقه المحبّ الربان يوحنا الحجري: "اعلم يا اخي انّ المصائب قد اشتدت عليّ، والشيطان اللعين الحسود قد

سجس الاخوة من اجلي، فقم ننطلق من ها هنا ونذهب الى حيث يشاء السيد المسيح فيُرينا مكاناً نسكن فيه بالهدوّ والسكون" فقاما وخرجا من الدير، ولم ياخذا معهما زاداً للطريق وانطلقا الى دير الحبيس[1] فدخلاهُ ففرحت بهما الجماعة فرحاً عظيماً، وقبلتهما كانهما ملاكان. وسكنا في الدير نحو سنتين عاكفين على الرياضات الروحية، وكانا كمرآة للفضائل امام جميع الناظرين، وكان الناس يتعجبون من اتضاعهما ومحبتهما الشديدة وسائر فضائلهما وبعد ان اقاما في ذلك الدير نحو سنتين خرجا منهُ فرجع يوحنا الحجري الى دير مار ميخائيل، واما ابن كلدون فاصابهُ في مدينة الجزيرة مرضٌ كانت فيه وفاتهُ، وذلك في اليوم الثامن من شهر آب، واجتمع لجنازته جماعة كثيرة من دير كمول وزرنوقا ومار احًّا[2] ومن سكان المدينة وحينئذٍ جاهد كثير من رهبان الأديرة الثلاثة حتى يدفنوهُ في ديرهم، فلم يتركهم المؤمنون، لأنهم قالوا: "قد اوصانا في حياته ان نذهب به الى دير مار ميخائيل، وهناك نقبرهُ، لانّهُ تعب فيه وبناهُ وجدد حيطانهُ من مال بيت والديه، فإنهُ اخذ منهما نحو عشرين الف درهم فضّة" فكفنوهُ ووضعوا جسدهُ في صندوق وزيحهُ الرهبان والمؤمنون بالعزّ والكرامة، وعيسى بن مارون عمل خيرات كثيرة في يوم جنازه، وبعد اربعة اشهر وصل الخبر الى دير مار ميخائيل بأن قد مات يوحنا بن كلدون ودُفن في مدينة الجزيرة، ثم فتحوا قبرَهُ، ووجدوا جسدهُ الطاهر، فأخذوهُ وأتوا به الى دير مار ميخائيل،

١- هو دير مار يعقوب الحبيسي في جنوبي سعرد على مسافة ساعة منها

٢- دير كمول في الشمال الشرقي من جزيرة ابن عمر على مسافة خمس ساعات منها، ودير مار أحا هو في شماليها على مسافة ثلاث ساعات منها وأما دير زرنوقا فهو نفس دير مار أحا اللهم اذا اريد به هنا دير مار يوحنا وهو قريب منهُ.

وزيحهُ ثانيةَ الرهبان والمؤمنون ودفنوهُ في جانب قبر القدّيس ميخائيل رفيق الملائكة.

وبعد وفاة يوحنا أتى أُناس ماردون مفسودون أقوياء فخربوا وافسدوا جميع الأماكن، وسبوا الناس وتسلطوا على الشعب المسيحيّ وهدموا المذابح وكسروا الصلبان، وصنعوا مقتلة عظيمة من باب مدينة بغداد الى حد تخوم الروم، ودام هذا العمل الفظيع مدة سبع سنوات، فلم يبقَ سوى قليل من الاهالي قد هربوا واختفوا في الجبال والحصون، وخرجت مدينة الموصل ولم يبقَ فيها من ياخذ مالهُ، وخرب ايضاً دير مار ميخائيل مثلما تنبأ عليهِ، ولم يبقَ فيهِ شيء، والرهبان الذين كانوا فيهِ ساكنين هربوا الى الجبل، واقام الناهبون في تلك الارض نحو سبع سنوات، ثم رجعوا الى أراضيهم اما الناس الذين هربوا من الخوف فرجعوا الى اوطانهم، وكذلك الرهبان الغرباء اتوا جميعاً الى دير مار ميخائيل، واجتمع فيهِ رهبان كثيرون حتى رجع الى حالتهِ الأُولى.

كملت القصة على يد الفقير القسيس يعقوب، وقد ترجمها من اللغة السريانية الى العربية القسيس خدر سنة الف وسبعمائة وعشرين المسيحيَّة[1].



١- كان القس خدر نسطوريا، ونصب مدرسة في الموصل وصار لهُ عدة تلاميذ، ثم اعتنق الديانة الكاثوليكية، ورجع كثيرا من تلاميذهُ الى حضن الكنسية المقدسة، فاضطهدهُ ايليا بطريرك النساطرة، فانهزم الى مدينة رومية وتوفي هناك في الربع الاخير من الجيل الثامن عشر، وللقس خدر تاليف كثيرة في العربية وفي السريانية.

مار زَيعا

(في اواخر الجيل الرابع)

كان في فلسطين في نحو سنة ٣٠٩ رجل فاضل اسمهُ شمعون قد جمع الى الثروة اجل الفضائل المسيحية، فعُقد لهُ على فتاة على شاكلته مزدانة باحمد المناقب اسمها هيلانة، فرزقهما الله ابنَين ربياهما في خوف الله ولما كبرا دخلا في سلك الجندية وكانا من الخيالة ثم ان شمعون سأل ربهُ ولداً ثالثاً فاستجابهُ الله، ووضعت امرأتهُ ابناً فسماهُ زَيعَا[١] وتفرغ الى تربيتهِ على سنن البر والصلاح ولما شبَّ وضعهُ في المدرسة، فلم يلبث ان فاق جميع رفاقهِ واصبح في المدرسة اماماً واقبل على مَعين الكتب المقدّسة ليستقي العلوم الآلهية من اطهر الموارد، فتشرَّب بغض الاباطيل الدنيويّة وتعشق الفضيلة الآلهية، فشرع يميت جسدهُ بالاصوام الشاقة والاسهار الطويلة ثم انَّ نفسهُ استثقلت حمل العوائد العالمية واثر فيهِ قول المسيح القائل في الانجيل الطاهر من احبَّ أباً او أماً اكثر مني فلا يستحقني فتاقت نفسهُ الى زيارة الأماكن المقدسة، فانطلق الى اورشليم وارتسم كاهناً، ورغب في ان يرتقي في سلم الكمال الرهباني، فترك ارض فلسطين وجاء الى المشرق مع تلميذٍ لهُ اسمهُ تابور ورجَع جماً غفيراً من الوثنيين واليهود الى الايمان الصحيح وذلك بواسطة المعجزات التي كان يصنعها الله على يده.

ثمَّ انَّ القدّيس وتلميذهُ تابور أوَيا الى مغارة في جبل جورزان وهو جهران ويدعى الآن كارا وهو في غربي شمال عقر وكان قوتهما الجسدي حشائش الجبل، والروحي الكتاب المقدّس، وهما يصلان الليل بالنهار غارقين في بحار

---

[١] ربعا لفظة سريانية ومعناها الخوف.

التأمل والمناجاة الربانية، ومكثا في تلك المغارة نحو اربعين سنة فهزل جسمهما ايّ هزال حتى امسى كالخيال، ثم انّ مار زيعا بوحيٍ آلهي ترك تلك المغارة وذهب الى بلد صبنا[1] الى قرية تدعى موردني وصنع فيها عجائب كثيرة، وكان الاسقف في تلك القرية مار شملي وكان في زيارتهِ الاماكن المقدسة قد التقى بمار زيعا وتلميذهِ المذكور، فرحبَّ بهما واحسن مثواهما ولما رأى ما هما عليهِ من الهزال الشديد اشار عليهما ان يعدلا عن تلك السيرة الشاقة فيتناولا قليلاً من الطعام لسدّ رمقهما، فأبى القدّيس وقال لهُ: "لا يليق ان نسمن جسمنا للدود والعث".

ومن ثَمَّ انطلق الى قرية أقديش، وكان فيها امراة فقيرة لها بنت وحيدة كان الروح النجس يعذبها منذ خمس سنين، فلما اتصل بها خبر مار زيعا اتتهُ بابنتها، فقام القديس وأبرأها من مرضها، فشاع خبرهُ، فاخذوا يقدمون اليهِ كل السقماء المصابين بامراضٍ مختلفة، فشفاهم قاطبةً.

وانتقل من هناك الى قرية كوماني، وكان ظهر فيها مَوَتان وصار يفتك باهلها وكانوا وثنيّين، فقال لهم القدّيس: "اذا اعتقدتم بالآله الواحد وبابنهِ يسوع المسيح الذي صار انساناً مثلنا فخلصنا من عبودية الشيطان انقذكم من انياب هذا الوباء" فقالوا لهُ: "آمنَّا بآلهك" فقام القدّيس وصلى قائلاً: "يا ربنا يسوع المسيح الذي لا يخزى المتكلون عليهِ اطلب اليك ان تترحم على هؤلاء المساكين البائسين فتزيل عنهم هذهِ الضربة لكي يؤمنوا بك فيرجعوا اليك تائبين" فسمع الله صلاتهِ، ومنذ ذلك اليوم لم يفتك الوبأ باحدٍ البتة وصنع القدّيس في تلك القرية غير ذلك من المعجزات الربانية، وفي جملتها انهُ كان فيها امرأة لها ابن الكن وأخرس وأعمى، فذهبت بهِ الى

١- بلاد صبنا هي في شمالي الموصل على مسافة ثلاث مراحل منها.

القدّيس فرسم عليهِ اشارة الصليب فشُفي من ساعتهِ، فصار فرح عظيم في كل القرية ونالوا جميعاً نعمة المعموذية.

وصعد من هناك الى قرية أربوش، وكان فيها ايضاً ظهر الوبأ، فلما رأى مار زيعا ما هم عليهِ سكان القرية من البؤس والجزع تحنن عليهم وتضرع الى الله طالباً منهُ ان يزيل عنهم تلك الضربة القاسية فاستمع الله تعالى صلاتهُ فاخذت الجميع هزة الانذهال والفرح.

ومن ثم ذهب الى بلد باز بغية ان يسكن فيهِ، لكنهُ لم يقم فيه، لان سكانهُ كانوا غليظي الجانب سيئي الخلق فمضى مع تلميذهِ تابور الى جيلو واقاما في لحف جبل دوراخ[1] عائشَين بقداسة عجيبة دائبَين الليل والنهار في الصلوة وممارسة الاماتات، وصنعا معجزات كثيرة، وبنيا في ذلك المكان هيكلاً فاخراً وكان الملك على تلك البلاد ارباق بن زوراق، فهو اعانهما كثيراً في بنيان ذلك الهيكل، وبعد ان اقاما فيهِ سنتين وتسعة اشهر مرض مار تابور مرضاً عضالاً وقضى نحبهُ في غرة ايلول، وكان عمرهُ تسعين سنة وثلاثة اشهر وتوفي مار زيعا في الاربعاء الاولى من شهر كانون الثاني وعمرهُ مائة واثنتان وعشرون سنة وقُبر في الهيكل الذي بناهُ وهو الى اليوم موجود في جيلو.



١– هذا الجبل بين جيلو وكاوار وفي لحفه قرية مار زيعا.

مار شليطا

(في بداية الجيل الخامس)

انّ مار شليطا كان من بلاد مصر وكان والداهُ وثنيين، ثم تنصرا في عهد قسطنطين الملك، وكانت مخايل النجابة لائحة على محيا شليطا، فتخرج في علم الفلسفة، ثم اقبل على معين الكتب المقدسة يستقي العلوم الآلهية من اطهر الموارد، فبرع في العلوم وتشرَّب بغض الاباطيل الدنيوية فلما ناهز العشرين من عمرهِ هجر قريتهُ وذهب الى الاسكندرية فتتلمذ للقدّيس اثناسيوس، فجعل يرشدهُ في جادة الكمال المسيحي.

وكانت بيعة الله قد وقعت حينئذٍ في قلاقل وبلايا شتى كثيرة من جرى هرطقة اريوس الذي كان ينكر الوهية المسيح اذ يقول بانهُ ليس متساوياً في الجوهر مع الله الآب، وكان المجمع النيقاوي قد قهر هذه الضلالة سنة ٣٢٥ وردع اصحابها لكن الاريوسيين لم يزالوا يحركون فتناً كثيرة في الكنيسة فلما رأى مار شليطا ما هي عليهِ الكنيسة من الضيقة والأذى دعتهُ نفسهُ الى اقتحام المخاوف حباً للايمان الصحيح، فكان يطوف البيوت ويخاطب الشعب في المحلات والازقة ويشجع كل احدٍ محرضاً اياهُ ان يثبت في ايمانهِ الصحيح قائلاً: "تشجعوا يا اخوتي، واياكم ان تجدفوا على ابن الله بقولكم أنّهُ ليس مساوياً للآب في الجوهر، اسمعوا ما قال روح القدس على لسان يوحنا الانجيلي القائل في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله، والله كان الكلمةُ، كان هذا في البدء عند الله، كل شيءٍ بهِ كان انهُ لكفرٌ ان ندعو ابن الله خليقةً، فعليكم ان تتعوذوا من تعليم الأريوسيين ومن مخالطتهم" ولم يزل على هذا الحال الى ان فشا أمره وظهر صنيعهُ لحاكم الاسكندرية وكان

اريوسياً، فأحضرهُ وقال لهُ: "ما ايمانك؟" قال: "انّ ايماني ما علمهُ ربّنا يسوع المسيح لتلاميذه، اذ قال لهم: اذهبوا وتلمذوا وعمذوا جميع الأُمم باسم الآب والابن والروح القدس" فقال لهُ الحاكم: "ومن هو الآب؟" قال القدّيس: "الآب هو الله ربّ العالمين" قال الحاكم: "ومن هو الابن؟" قال القدّيس: "الابن هو الله الكلمة المولود من الآب قبل كل الدهور الذي بيده صار كل شيءٍ" قال الحاكم: "ومن هو الروح القدس؟" قال القدّيس: "الروح القدس ينبثق من الآب والابن[1] وهو مساوٍ للآب والابن في الازلية" قال الحاكم: "اذاً انما بثلاثة آلهة تؤمن وتقر، اذاً انت وثني" قال القديس: "حاشا وكلا، بل اني اقر بثلاثة اقانيم وجوهر واحد وذات واحدة وإله واحد" قال الحاكم: "كيف يمكن ان تكون ثلاثة اقانيم جوهراً واحداً وذاتاً واحدةً؟" قال القدّيس: "قولنا ان الآب والابن والروح القدس إله واحد كقولنا لهيب وضوءها النار وحرارتها وهي نار واحدة وليست ثلاث نيران، وكقولنا قرص الشمس وضوؤها وحرارتها وهي شمس واحدة وليس ثلاث شموس، ونفسك ايضاً لها ثلاث صفات اي العقل والنطق والحيوة وانت واحد ولست ثلاثة".

فقال واحد من الحضار وكان اسمهُ سنبريوس: "اذا كان الله الكلمة ليس مخلوقاً مثلما تزعم بل انهُ مساوٍ للآب في كل شيء فمن هو يا ترى الذي

١- لاحظ كيف انهُ منذ ذلك الوقت كانت الكنيسة تعترف بانبثاق الروح القدس من الابن ايضا، وانّ الكنيسة الكلدانية في كل وقت اعترفت بهذه العقيدة، فان يوسف الخزاني الذي كان في نهاية الجيل السابع اثبت هذا في كتابه : (روح القدس ينبثق من الاب والابن)... وكذا قال ايضا كيوركيس وردا في احدى قصائده، والكنيسة نفسها لا تزال تعترف بذلك في طقسها الجليل، من ذلك العونيثة التي ترتلها في صلاة يوم الثلاثاء الثالثة من الصوم الكبير وفي الاحد الرابع من سابوع موسى تعترف على رؤوس الملا بهذه الحقيقة، وهذا تعريبها: الله الازلي واحد هو ولا يُدرَك، وهو في ثلاثة اقانيم وليس لهم بداية، الآب الذي ليس لهُ أب ابداً، وابنهُ الذي ليس لهُ ابن، وروح القدس الذي ينبثق منهما وهو إله قدير ضابط الكلّ الذي لهُ المجد وعلينا نعمتهُ.

صلبهُ اليهود فمات وقُبر وقام؟" قال القدّيس: "انهُ ابن الله الذي صار انساناً ووُلد من مريم البتول بقوة روح القدس" وقال جبرائيل الملاك لامهِ الطاهرة الروح القدس يحل عليكِ وقوة العليّ تظللكِ، لذلك فالقدّوس المولود منكِ ابن الله يُدعى (لوقا ١:٣٥) قال لهُ الأريوسي: "فبمن صار الخلاص للعالم أبالله ام بالانسان؟" قال القدّيس: "انّ الخلاص انما بالآله المتجسد صار، لان الرسول يقول اذ كان في صورة الله لم يحسب خلسةً ان يكون عديلاً لله، ولكنهُ اخلى نفسهُ واخذ شبه العبد وصار بالشكل مثل الانسان" (اهل فيلبي:٢:٦) ثم ان الحاكم امر بهِ فكبل بالسلاسل وطُرح في السجن الا انهُ بعد ذلك خلى سبيلهُ وطردهُ من المدينة.

فاخذ القدّيس يطوف بلاد مصر ويُنذر بالانجيل، فرفع برقع الظلام عن قلوب كثير من الوثنيين وذات يوم دخل قرية كان جميع سكانها وثنيين، فعرفوا من زيهِ انهُ نصرانيّ واخذوا يستهزئون بهِ ويشتمونهُ ولم يلتفت القدّيس الى كلامهم، لكن الله تعالى ضرب بالبرص واحداً منهم، فخاف رفاقهُ خوفاً عظيماً، فاتوا وانطرحوا على قدمي مار شليطا طالبين اليهِ ان يترحم عليهِ فيُبرئَهُ فصلى عليهِ القدّيس متخشعاً وأبرأهُ فتالب جميع سكان القرية وقدموا لهُ كثيراً من السقماء فشفاهم، واخذ ينثر على مسامعهم جواهر الانجيل، ثم عمذهم وكانوا خمسمائة واثنين وثلاثين نفساً، واقام لهم ثلاث كنائس، لان تلك القرية كانت كبيرة.

ثم انّ مار شليطا ذهب الى دير مار فاخوميس بغية ان ينقطع فيهِ للعبادة، فرحب بهِ رئيس الدير وألبسهُ الزي الرهباني، فالف السيرة الرهبانية وتسلق مراقي الكمال سريعاً، فجعل حياتهُ معرضاً لضروب الإماتات وأفعال التوبة وهو مع ذلك يبذل كل جهدهِ الا يُريَ احداً ما كانت نفسهُ مزدانة بهِ من الدرر

النفيسة وبقي على تلك الحالة خمس سنوات فاراد ربهُ ان يرفعهُ من تحت المكيال ويضعهُ على المنارة، وبينما كان ذات يوم ينسج الخوص مع الرهبان التقى برجلٍ كان فيهِ روح نجس وكان يشقق ثيابهُ ويجرح نفسهُ بالحجارة فانهزم جميع الرهبان، اما مار شليطا فدنا من الرجل وقبض عليهِ، فشرع يضجّ ويقول: "اذهب عني يا ابن الوثنيين ولا تقترب اليّ" لكن القديس انتهرهُ وقال لهُ: "سد فاك واخرج منهُ باسم ربّنا يسوع المسيح" فخرج منهُ الشيطان وبرئ الرجل من تلك الساعة، فلما رأى الرهبان ذلك تقدموا اليهِ وانطرحوا على قدميهِ طالبين بركتهُ، واخذوا منذ ذلك اليوم يعظمونهُ ويوقرونهُ، لكن القدّيس خاف من المجد والكبرياء فخرج من الدير خفيةً فتوغل في القفر وأوى الى مغارةٍ وبقي فيها عشر سنين، وكان قوتهُ الحشائش فحمل عليهِ الشياطين وقاتلوهُ شديداً فذات ليلة اذ كان يصلي صلاة نصف الليل تراءى لهُ رئيس الشياطين على شكل عمود من النور يصل راسهُ الى السماء فقال لهُ: "اني انا المسيح نور العالم واني اتيتُ لأُكافئك على اعمالك الصالحة" اما القدّيس فعلم انهُ الشيطان، فوسم نفسهُ بسيماء الصليب وقال لهُ: "لستَ المسيح نور العالم بل انك ظلام العالم، فأبادك المسيح وافناك" وللحال ولّى عنهُ هارباً، ومرةً أخرى هجم عليهِ الشيطان مصحوباً بعدد كثير من جنوده، فضربوهُ بقساوة شديدة، فسقط مغشيًا عليهِ يوماً كاملاً، وفي اليوم الثاني ظهر لهُ يسوع المسيح فشجعهُ وقال لهُ: "لا تخف فانا معك جميع ايام حياتك" وللحال استفاق فأُفعم قلبهُ حبوراً، وكان الله لا يزال يسليه ويشجعهُ في ضيقاته هذه وينصرهُ على اعدائه، وكان مراراً يستحير طويلاً بالله تعالى فيعاين السمويات فذات يوم اذ كان يتفكر في انتشار هرطقة اريوس ويطلب الى الله ان يزيلها من على وجه

الارض، اختُطف عقلهُ فرأى نفسهُ في حقلٍ مملوء شوكاً وزؤاناً، واذا بالنـ
اخذت تشتعل فيه وتفنيه، ولما أفاق علم ان الشوك هرطقة أريوس والنـ
الايمان الصحيح الذي أودعهُ ربنا كنيستهُ المقدّسة، فكما ان النار تفنـ
الهشيم كذلك الكنيسة الكاثوليكية تبدد جميع الهرطقات ففاض قلبهُ تعزيـ
وفرحاً.

ثم ان مار شليطا اتى الى بلاد المشرق وتتلمذ لمار اوجين وسكن معهُ
جبل ماردين ونصيبين، وكان كلما زاد سناً ازداد في الفضيلة شغفاً ولهـ
اتباعاً، وظهر الوبأ في تلك الاثناء في مدينة نصيبين، فصار يفتك بالاهالي
فتكاً ذريعاً فاوحى الله هذا الامر الى مار اوجين ومار شليطا فأشار ما
اوجين الى مار شليطا ان ينزل الى نصيبين فيصلي الى الله لكي يزيل عنهـ
الوبأ، فامتثل القدّيس امرهُ، ولما انتهى الى المدينة وسمع صوت البكا
والعويل تمزق قلبهُ حزناً، فدخل المدينة وجثا ودعا ربهُ متخشعاً وطالباً ا
يرحم عبادهُ فيفرج عنهم ثم انطلق الى الكنيسة فبات في الرواق، وسمع اللـ
تعالى صلاتهُ، وفي تلك الليلة أُوحيَ الى احد الكهنة أنَّهُ انما بصلاة مار شليط
فرَّج الله عن المدينة وانَّهُ بائت في رواق الكنيسة فلما اصبحت أخبر الكاهـ
اكابر المدينة بما راى في حلمهِ فاسرعوا الى الكنيسة وانطرحوا على قدمي
القدّيس طالبين اليهِ ان يُبرئ الذين كانوا اصيبوا بالوباء، فصلى عليهم ولـ
يمت واحد منهم، وشفى في ذلك اليوم كثيراً من المرضى ومن الجملة انهُ أبر
اثنين من البُرص وشفى ايضاً امراة من آكلة كانت في ساقها اليمنى.

ثم انّ القديس رجع الى معلمهِ مار اوجين، وكل ليلة كان يقوم فياخذ قلتيـ
ويملأُهما ماءً فيخرج الى مفرق الطرق فيسقي كل من يجتاز هناك فذات ليلة
اذ كان يمشي في الجبل عضت حية رجلهُ، فضربها القدّيس بعصاً كانت في

يده فاصاب راسها وقتلها قائلاً: "ايتها الحية الشريرة ان ربّنا اعطانا سلطاناً ان نطأ الحيات والعقارب فانتِ تتجاسرين ان تقربي اليَّ" ولم يصب القديس ضررٌ، ولما بنى مار يعقوب ديراً في جبل الجودي وانطلق ليكرسهُ صحبهُ مار شليطا ايضاً هو ومار اوجين وكثير من الرهبان، ثم انهُ لما شاهد انّ الرهبان اخوتهُ يمدحونهُ كثيراً ويثنون عليهِ لِمَا كانوا يرون فيه من الفضائل الجليلة وصنع المعجزات تفكر ان يهجر الدير خفيةً فيذهب يتبوأ مكاناً مقفراً منقطعاً فيهِ للعبادة.

فقام القديس ذات ليلةٍ وخرج خفيةً من الدير وهو غير حامل الا مزوداً فيه الانجيل الطاهر، فلما صار على مسافة ميل من الدير جثا وصلى متضرعاً متخشعاً وقال: "يا ربّ أعطني ان امشي في طريق الحيوة، اسند خطاي في سُبلك لئلا يحيد عقلي عن النظر اليك، أعدَّ لي مكاناً فيهِ اخدمك، يا فاحص القلوب والكلى انت تعلم اني انما من اجلك قد تركتُ كل شيء فتبعتك فلستُ احبُّ الا صليبك لانك رجائي الوحيد" فلما فرغ من صلاتهِ القى الله في قلبهِ ان يذهب الى بلاد بازبدي الى جبل يُدعى شبا[1] وكان بقرب قرية فنك، فانقاد لكلام الله واتجهِ نحو ذلك الجبل فلما وصل الى نهر دجلة نظر يميناً وشمالاً فلم يرَ احداً، فرسم اشارة الصليب على الماء وعبر النهر ماشياً، ثم صعَّدَ في جبل شبا فوجد فيه كهفاً فتبوأهُ، واخذ يمارس اجلَّ اعمال الفضائل المسيحية مميتاً جسمهُ بالاصوام الشاقة وفي الشتاء كان الثلج يقع كثيراً على ذلك الجبل حتى انهُ كان مراراً يغطي مدخل ذلك الكهف فلا يجد القدّيس الى الخروج منهُ سبيلاً فكان يبقى محبوساً فيهِ شهراً او شهرين دون

١– الى الان يُسمى ذلك الجبل شو، وفي لحفه قرية يسكنها الان اهالِ مسلمون وتدعى دير شو، وهي بجنوب شرقي سعرد في ناحية بهتان على مسافة يومين عنها.

ان يرى نور الشمس وكانت نفسهُ متعرية عن كثافة الانسان العتيق ولا تـزال تجدد اجنحتها الروحية لتتطاير بها الى العلاء ولما رأى الشيطان ذلـك وايقـن انهُ لا يتمكن مـن القـدّيس لا بواسـطة الافكـار الرديـة ولا بواسـطة التجـارب، انتجت لهُ حيلتهُ الجهنمية ان يـثير عليـهِ اهـل قريـة ميزانفـاص الـتي كانـت بقرب الجبل الساكن هو فيهِ، ودُعيت باسم الصنم الذي كان يُسجَد لـهُ فيهـا فذات يوم اذ قدموا السجود للصنم خاطبهم الشيطان الساكن فيهِ وقال لهم: "إنّ في الكهـف الفلانـي رجـلاً مـن تلاميـذ يـسوع الناصـري، فـاذا كنـتم لا تخرجونهُ بضربات قاسية من محلهِ يجعل قريتكم خراباً صفصفاً" فجاشـت في صدورهم عوامل الغضب وتهيـأوا لقتـل القـدّيس، فهجمـوا عليـهِ كالاسـود الضارية ونكلوا بهِ طويلاً حتى انهُ أُغميَ عليهِ، فظنوهُ ميتاً واضـربوا عنـهُ، لكن الله ابرأهُ فقام لا عيب فيهِ، وان الله تعالى حبًّا لخلاص تلك القرية ارسـل اليهم الطاعون ففتك بهم فتكـاً ذريعـاً، وان واحـداً مـنهم رأى في الحلـم شـاباً بهيَّ المنظر يقول لهُ: "انما لكونكم عذبتم تلميـذ يـسوع الناصـري قـد حـل بكم هذا الغضب الشديد، فان لم يصلِ عليكم فكلكم تموتون" فلما اصبحت حكى الرجـل ذلـك لـبني قريتـهِ، فتـألبوا قاطبـةً رجـالاً ونـساءً وانطلقـوا الى القدّيس وهم يبكون ويصرخون، فوقعوا على رجليهِ والتمـسوا منـهُ ان يغفـر لهم، فتحنن عليهم القدّيس وصـلى علـيهم وعفـا عـنهم وقـال لهـم: "اذهبـوا بالسلام والباريءُ تعالى بنعمتهِ يغفر ذنوبكم" فقالوا لهُ: "ان لم تاتِ معنـا الى القرية فلا نصدق انك عفـوتَ عنـا" فـنهض حينئـذٍ القـدّيس ونـزل معهـم الى القرية وصلى فردَّ الله غضبهُ فارعووا عن غيهم فكسروا الـصنم الـذي كـانوا يسجدون لهُ واعتمذوا.

ثم عاد الى كهفهِ، ولكن لما ذاع في القرى المجاورة خبر ما فعلهُ من المعجزات في قرية ميزانفاص اتوا اليهِ وطلبوا منهُ ان يزورهم فيشفي امراضهم ويتلمذهم، فأجاب القدّيس الى سؤلهم، وعمذ كثيرين ولما وصل الى قرية اسمها زادون وكان سكانها اشدَّ الوثنيين قساوةً، صادف ميتاً فقال لهم: "اذا اقمتُ هذا الميت أتنبذون عبادة الاصنام فتسجدون للآله الحق الذي خلق السماء والارض؟" فقالوا لهُ: "اذا عملتَ هذا لا نسجد الا للآله الذي انت تسجد لهُ" فدنا حينئذٍ من الميت وجثا وصلى ورسم اشارة الصليب عليهِ وقال لهُ: "باسم يسوع المسيح قم وامشِ" وللحال قام الميت وجلس في النعش واخذ يتكلم ويقول للحضار: "شاهدتُ رجلاً ملتحفاً بمجدٍ لا يوصف وعليهِ ثياب من النور والكرسي الذي كان جالساً عليهِ كان نظير لهيب النار، وهذا الشيخ كان جالساً عن يمينهِ وهو الذي خرَّ ساجداً امام ذلك الرجل الجالس على الكرسي وتضرع اليهِ أن يهبهُ روحي" فكان الجميع يتفرسون فيهِ بانذهال عظيم، وانتهز القدّيس الفرصة فاخذ يخاطبهم عن صحة الديانة المسيحيّة، وعمذهم كلهم قاطبةً وبعد ان ثبتهم في الايمان رجع قافلاً الى كهفهِ منقطعاً فيهِ للعبادة.

ثم انهُ حان زمان انتقالهِ من هذا العالم ليذهب فينال اكليل المجد المعد لهُ في السماء وكان لهُ رفيق يسكن بجانب دجلة بقرب قرية باماويلي[1] وكان ايضاً من تلاميذ مار اوجين فبلغ مار شليطا ان المرض اضنى هذا الناسك الجليل، فقام وذهب لزيارتهِ وكان ماء دجلة قد فاض فلما انتهى اليهِ لم يرَ سفينة يعبر بها، فدنا الى النهر ورسم اشارة الصليب ومشى عليهِ مشية رجل

١- هذه القرية هي على شاطئ دجلة بإزاء مصب نهر البهتان في دجلة، واما الآن فتُدعى مويلي وسكانها مُسلمون.

على الارض اليابسة، وكانت في تلك الاثناء قد خرجت امرأة من باماويلي لتستقي ماءً فرأتهُ ماشياً على الماء، فاستحوذ عليها الخوف فتركت جرتها ومضت مسرعة الى القرية وقالت للناس: "تعالوا وانظروا رجلاً يمشي على مياه النهر" فخرجوا من القرية وانطلقوا الى النهر ليروا الاعجوبة واما القدّيس فحالما خرج من النهر توجه نحو مغارة الناسك، فرأتهُ تلك المرأة وقالت لاهل القرية: "هذا هو الرجل الذي رأيتهُ يمشي على ماء النهر" ولما رآهم القدّيس مبادرين اليهِ لياخذوا بركتهُ جثا وصلى والتمس الى الله ان ياخذ روحهُ خوف ان تتسلط عليهِ الكبرياء فتهلك نفسهُ فسمع الله صلاتهُ ففاضت نفسهُ، ولما انتهى اليهِ اولئك الناس ورأوهُ جاثياً ظنوا انهُ يصلي، وكان وجههُ قد اشرق عليهِ نور ساطع وكانت تفوح منهُ رائحة ذكية ولما طال بهم الوقوف دنوا منهُ وقالوا لهُ: "قم يا ابانا وباركنا لاننا نعلم انك خليل الله الحي" ولما علموا أنهُ قد قضى نحبهُ فاضت دموعهم مدراراً واخذوا يبكون ويُعولون، واتصل خبر وفاتهِ بالقرى المجاورة فألب اليهِ القوم، فاراد كل منهم ان يذهب بجثتهِ المباركة الى قريتهِ فيدفنها فيها، وبسبب ذلك وقع بينهم الخلف وعظمت الفتنة بينهم فنادوا بالقتال ولولا ان العقلاء منهم تداركوا الامر بآرائهم الصائبة لكان اثخن الجراح بعضهم في بعضٍ فانهم اجتمعوا وقال بعضهم لبعضٍ: "ما بالنا نقتل بعضنا بعضاً مُسخطين الله وقديسهُ، هلم نأتِ بدابة غير مَروضة فنضع عليها جسد القدّيس، ونخلي سبيلها، فأينما ذهبت بهِ فهناك ندفنهُ باكرام وتبجيل" فاستحسن الجميع هذا الراي، وأتوا ببغلة غير مروضة والقوا عليها جثة القدّيس وخلوا سبيلها، فتوجهت نحو الكهف الذي كان يسكن فيهِ القدّيس ولما وصلت الى دجلة عبرتهُ كالذي يجوز في اليبس، ولم تقف الى ان انتهت

الى الكهف، فاخذت الجميع هـزة الانـذهال وانطلقـوا فـدفنوا جثـة القـدّيس في ذلك الكهف ثم بنوا عليه ديراً وكانت وفاة مـار شـليطا في التاسـع عـشر مـن ايلول في بداءة الجيـل الخـامس، واما تـذكاره فكـان عنـد الكلـدان في اليـوم العاشـر مـن آب كمـا جـاء في قائمـة القديـسين الـسنوية، وعنـد الـسريان في الخامس عشر من حزيران.



مار يونان الغريب

(في بداية الجيل الخامس)

ان قصة مار يونان الغريب كتبها مار زادوي رئيس دير مار توما الذي في بلاد الهند تحت بلاد القطاريين، والقطاريون كانوا في شرقي بلاد العرب على ساحل خليج العجم وكتب هذه القصة اجابةً الى طلب رهبان ذلك الدير، وقسّمها الى تسعة ابواب، وهاك ملخص ما يقولهُ في المقدمة وهو الباب الاول.



الباب الاول

طلبتم مني يا اخوتي وآبائي ان اتحفكم بسيرة القديس الجليل والناسك الكميل الفضيل مار يونان الغريب الذي قطن اولاً في برية فيروز شابور ثلاثين سنة ثم اتى ديرنا فرأيتهُ بعينيَّ وعاشرتهُ وازددتُ رغبةً في إخائهِ وثقةً بعقلهِ وقداستهِ وهو الذي قصَّ عليَّ خبر انضمامهِ الى النساك وزهدهِ في ملاذ هذهِ الدنيا الغرور، وشاهدتُ ايضا المعجزات التي صنعها الله على يدهِ، فما أرى بداً من الاجابة الى سؤالكم المطاع رغماً عما ارى فيَّ من عدم الكفاءَة وقصر الباع فعولتُ ان انشد مفاخرهُ واذكر مآثرهُ واعطر ديرنا هذا وكل من يقرأ سيرتهُ بعبير شمائلهِ وانشر شذا فضائلهِ، فعلى الله الاتكال، إنهُ تعالى وليّ الآمال.



الباب الثاني

في وطن مار يونان

انّ مار يونان أخبرني ان والدَيه كانا يسكنان جزيرة قبرص، واظنّ انّ تواضعه حمله ان يضرب كشحاً عن المكان الذي كانا يسكنان فيه قبلاً فانّ الخبيرين باحوال أبوَي القديس الذين يُستوثَقُ بقولهم حدَّثوا أنّ اجدادَهُ من مدينة رومية من نسل الملوك من سلالة قسطنطين الملك العظيم، وكان اهلهُ قد اعتنقوا منذ زمان الديانة المسيحيّة وهجروا وطنهم خوفاً من الملوك الوثنيين، فاتوا قبرص واستوطنوها، وكانوا قبلاً أعضاء في مجلس المشيخة، فلما تغربوا اتخذوا الطب حرفةً لهم، لانهم كانوا من الفلاسفة وماهرين في كتب الطب ايضاً، وفضلوا الاشتغال بالطب لاجل اسباب اخصها أولاً:

لانهم بالطب يمكنهم ان يمارسوا افعال الرحمة بمعالجتهم المعترين بالاسقام من الفقراء والمحتاجين الذين هم اخوة يسوع المسيح فيزداد حبهم لله ويضحون اهلاً لأن يُدعوا بني الملكوت الموعود بهِ للذين يفتقدون المرضى والمساكين في هذه الحيوة ويتصدقون عليهم ويساعدونهم في احتياجاتهم وبلاياهم.

وثانياً:

لانّ علم الطب مقبول وممدوح عند الناس اكثر من غيره لأن باقي المحترفين انما بما هو خارج عن الجسد يعتنون، واما الطب فانما بالجسد يعتني، فحرص آباء مار يونان على علم الطب وكانوا كلما توسعوا فيهِ علماً ازدادوا عليهِ حرصاً ولهُ اتباعاً فذاع صيتهم في كل الجزيرة فعظم فيها شأنهم وارتفعت منزلتهم.

الباب الثالث

في زهد مار يونان

وكان والدا مار يونان يحتفظان به احتفاظاً شديداً فربياهُ تربيةً حسنةً، وحذق في علم الكتب المقدسة، وحدَّثني القدّيس انهُ اذ كان ذات يوم في الكنيسة والانجيل يُتلى على الشعب، سمع فيه هذه الالفاظ وهي من احبَّ اباً او اماً اكثر مني فما يستحقني، ومن لا يحمل صليبهُ ويتبعني فلا يستحقني فأثرت فيه هذه الاقوال ونجعت وكان قد ناهز حينئذٍ العشرين من سنه نتفكر في الزهد في الدنيا ولم يزدد في النسك نظراً الا ازداد فيه رغبةً، حتى تمَّ ان يكون من اهله، فرأى ان يجد لهُ ديراً يسكن فيه او بلداً فيه ينقطع للعبادة مع الذين خلعوا الدنيا فنجوا من الشرور واما والداه اللذان كانا يريان ما هو عليه من ذكاء العقل وتوقد الذهن كانا يهمان ان يخرجاهُ في علم الطب والمنطق، وأجبراهُ على ذلك، ولما رآهُ ابيفانيوس اسقف الجزيرة[1] انهُ اضرب عن الكتب المقدّسة فأقبل على درس كتب الطب والمنطق، دعا أباهُ وقال لهُ: "يا ابني لا تُتعب ابنك يوأنيس لان الرب قد اختارهُ ليكون لهُ جندياً نشيطاً" فشق هذا الأمر على ابيه كثيراً، لانهُ عليه كان يعلق آمالهُ، وظنَّ ان الأُسقف يريد ان يجتذبهُ الى الطغمة الكهنوتية وذات يوم اذ كان مار يوانيس في الكنيسة يسمع القدّاس، دنا اليه الاسقف ابيفانيوس ومسكهُ بيده وقدمهُ الى المذبح ورسمهُ كاهناً، وقال لهُ: "اني رغبتُ يا بنيَّ ان اتبرك

---

[1] القديس ابيفانوس صار اسقفا سنة ٣٦٧ وتوفي سنة ٤٠٣، والحالة هذه ان مار يونان في سنة [illegible]

منك قبل ان تصبح طبيباً في الجبل، فانّك مزمع ان تكون للمسيح اناء اختيار وابا لرهبان كثيرين" وكان القديس يحفظ هذه الامور في قلبه، ويستغيث بالله طالباً اليه ان يحلهُ من قيود هذه الدنيا الغرور.

وكان والداهُ لا يزالان يهتمان في تخريجه في علم الطب والمنطق، فأرسلوهُ مصحوباً باطباء ماهرين الى الجبال والبراري بغيةً ان يتعلم منهم ما يدخل في الأدوية من النباتات والعقاقير فطاف معهم في الجبال والآكام وهو لا يظهر رغبةً في تعلم العقاقير بل غايتهُ الوحيدة ان يصادف مكاناً فيه يعبد الله تعالى ويخدمهُ فقال لهُ رفاقهُ: "هلا تقول لنا يا عزيزنا لماذا أرسلك والدك معنا؟ ألِتتنزهَ في الجبال والآكام أم لتستبحث عن الادوية؟" اما القديس فلم يكن ليصغي الى اقوالهم، بل كان يهزهُ الاشتياق الى الإقامة في تلك الجبال ولما جُنَّ الليل قام للصلوة فبسط يديه الى العُلى وصلى وقال: "ايها الرب القدير العليم بذات الصدور انت تعلم جيداً انَّ غاية خروجي الى هذه الجبال ليست ان ابحث عن العقاقير بل ان اخلع الدنيا فاخلص فاعمل لنفسي واحتال لنجاتها، والآن علمني يارب طريقك واهدني في سبيل الخلاص، لانني عليك اتكلتُ منذ نعومة اظفاري، اياك اتوقع وبك ارجو واليك التجئ لكي تساعدني" وحالما نهض من صلاته رسم على وجهه اشارة الصليب وترك رفاقهُ وانهزم عنهم هارباً، وكان يمشي مسرعاً خوف ان يلحقهُ رفاقهُ فيرجعوهُ الى والديه ولما مشى يومين ولم يصادف احداً ارتاح قلبهُ، فكان يمشي نحو المشرق وهو يسبح الله تعالى ويشكرهُ من صميم الفؤاد على انهُ اهلهُ ان ينجو من شرور هذا العالم واذا برجل يُقبل اليه ويدعوهُ باسمه قائلاً: "يوأنيس يوأنيس!" فاضطرب القدّيس وخاف منهُ خوفاً عظيماً ثم قال لهُ ذلك الرجل: "ادنون اليّ يا بنيَّ ولا تخافنَّ، فانني انسان نظيرك وانا

نصراني وللسيح اسجد" واما القديس فلم يزل خائفاً ومتعجباً، وكان ذلك الرجل مار اوجين وقد أُوحي اليه أمر مار يونان، فأتاهُ بقوة الروح، فدنا مار اوجين الى القدّيس وقبلهُ ومسكهُ بيده وقال لهُ: "هلمَّ بالسلام يابنيَّ هلمَّ بالسلام، فانا منتظرك ومن اجلك اتيتُ هنا" وانطلق به الى بلاد مصر الى الصوامع التي كان يسكنها مع اولاده، وكانوا حينئذٍ عشرة، ومكث القدّيس يونان في ذلك الموضع خمس عشرة سنة، فألف السيرة الرهبانية وتسلق مراقي الكمال سريعاً طائراً على جناح ايمان حار الى المراتع السموية.



الباب الرابع

في مجئ القدّيس الى بلاد المشرق وتغيير اسمهِ

ولما ازداد عدد الرهبان وبلغوا سبعين راهباً على التقريب، كان مار اوجين يريد ان يقيم عليهم رئيساً فينتقل هو الى بلد شاسع، فقال لما يونان: "اتصحبني يا بنيّ حيث انا مزمع ان انطلق؟" قال: "والى اين تنطلق يا ابانا؟" قال: "أذهب الآن الى دير الأب فاخوميس، ثم اذا اراد الربّ انطلق الى بلد شاسع" قال: "الآن اذهب يا ابانا الى دير الاب فاخوميس، واذا ما رجعتَ فانطلقتَ الى بلد بعيد فأصحبك" وكان مار يونان يُحبَّ الموضع الذي كان ساكناً فيهِ، فانهُ فيهِ كان انتظم في سلك الجندية المسيحيّة، واكتسب فضيلة التوبة ولما عاد مار اوجين من دير الأب فاخوميس، خرج جميع الأخوة لاستقبال رئيسهم وهم يرنمون ترانيم السرور ثم قال لهم مار اوجين انهُ مزمع أن ينطلق الى بلاد الفرس فقالوا لهُ بصوت واحد: "نحن ايضاً نرافقك يا أبانا" لكن مار يونان واثنين آخرَين من الاخوة أرادوا البقاء في ذلك الموضع، غير أن مار اوجين وسائر تلاميذه انكروا عليهم ذلك، وقال لهم القدّيس: "من الواجب أن تشاركونا انتم ايضاً في هذه البركة السامية" فانقادوا لهُ، ولما كان ثلاثة رهبان يُدعى كل واحد منهم يوانيس غير مار اوجين اسم قديسنا وسماهُ يونان وذلك ليمتاز عن الاثنين الآخرَين.

ولمَا وصلوا الى الرها، صادفوا فيها القدّيس ميليس اسقف سوس الذي كان رحل الى بلاد المغرب فتبركوا منهُ، ولما رأى مار ميليس القدّيس يونان أحبهُ كثيراً وطلب الى مار اوجين ان يتركهُ عندهُ، لكن مار اوجين لم يذعن لهُ وقال: "إِن هذا اهل لامر عظيم ونحن محتاجون اليهِ احتياجاً كلياً".

ثم ان القدّيسين قدموا الى مدينة نصيبين وسكنوا خفيةً في اول الأمر في الجانب الجنوبي من المدينة ثم ظهر أمرهم بسبب رجل مجنون كانوا قد ابرأُوهُ من مرضهِ، فانطلقوا من هناك وصعدوا الى جبل الازل من مشرق المدينة في مكان بقرب قرية معري، وسكنوا ناسكين في مغارةٍ مدة اربعين سنة[1] في الزهد والتقشفات، ولما جلس يوبنيان على سرير الملك، دخل شابور ملك الفرس في حدود الروم فصار بينهم الصلح وأُعطي شابور مدينة نصيبين، ولما بلغ شابور ما كان يصنعهُ مار اوجين من المعجزات اراد ان يشاهدهُ، فأرسل رجالاً من النصارى الذين كانوا في معسكر من الاهواز الى القدّيس يطلبون اليهِ ان ينزل عندهُ ويُبرئَ ابنهُ لانهُ كان فيهِ روح نجس فأجاب القديس الى سوال الملك ونزل عندهُ مصحوباً بجميع تلاميذهِ، فسجدوا لهُ، واكرمهم الملك جداً عند مشاهدتهِ ما صنعوا قدّامهُ من المعجزات، وانّ المعجزة التي صنعها مار يونان نذكرها في محلها ثم ان مار اوجين لما خرج من عند الملك ارسل تلاميذهُ ثُناءَ الى المواضع المختلفة لينذروا بالانجيل ويعمذوا ويبنوا كنائس واديرة اما مار يونان فزلف الى مار اوجين وقال لهُ: "اطلب اليك يا ابانا ان تأذن لي ان ابقى في الخلوة والانفراد لانَّ نفسي تتقزّز كثيراً من هؤلاء المجوس وعاداتهم" فأطرق مار اوجين على الارض ساعةً وهو يصلي متخشعاً، ثم رفع راسهُ والتفت الى مار يونان وقال لهُ: "امَا تذهب يا ابني مع يوسف لكي تبنيا كنائس واديرة؟" فقال: "لا، لكن بغيتي أن ترخص لي في الرجوع الى الموضع الذي كنا في اول الأمر" فقال لهُ: "اذهب يا ابني بالسلام، الربّ معك أخضعك سبحانهُ لإرادتهِ المقدسة، فإنك ستكون اباً ورئيساً لالوف كثيرة".

١- في قصة مار اوجين مكتوب انهم سكنوا في تلك المغارة ثلاثين سنة.

الباب الخامس

في ذهاب مار يونان الى بريّة فيروز شابور

ولما أصبحت، دخل مار يونان على مار اوجين ليتبرك منهُ فقبلهُ القديس وباركهُ وقال لهُ ثانيةً: "إن المسيح يجعلك أباً لشعبٍ عظيم، فاشتدَّنَّ اذاً وتَشَجعنَّ، والرب الذي كان مع آبائنا القدّيسين يكون معك ويقويك لتكمل ارادتهُ" فخرج مار يونان من عندهِ وأخذ يمشي في الطريق تجاههُ وهو يصلي ويقول: "يا رب انت اهدِني الى طريق مستقيم يُعجبك وأرِني مكاناً فيهِ اسبحك" ومشى اياماً كثيرةً ضالاً في البرية فانتهى الى حدود مدينة فيروز شابور، فرأى المكان قفراً خالياً من الناس وكان فيهِ غدير وأجَمَة عظيمة، ولوجود كثرة الأُسود فيهِ لم يكن احد يتجاسر ان يقترب منهُ، وبقي القدّيس اياماً كثيرة يدور حول تلك الأجمة، وكان يصلي ويتضرع الى الله ان يهديهُ في سبيل وصاياهُ واذ كان يصلي في نصف النهار لمح سبيلاً ضيقاً، فاراد ان يدخلهُ، غير انهُ تفكر الا يعجل خوف ان يكون ذلك من الحيل الجهنمية، بل ان يصلي وبعدهُ يدخل، لانهُ كان يعلم ان جميع حيل الشيطان تهرب من قدام الصلوة فقضى في الصلوة بقية ذلك النهار والليل كلهُ واليوم الثاني الى الساعة التي فيها كان لمح ذلك السبيل ثم رسم على وجهِ اشارة الصليب وأوغل في السبيل، فانتهى الى أُكيمةٍ كانت في وسط الأجمة، فشملهُ فرح عظيم واخذ يصلي ويشكر الله، وحَفر في تلك الأُكيمة حفرة وظلل عليها القصب، فاستراحت فيها نفسهُ، فانهُ قال في نفسهِ: "من يقدر ان يأتي هنا، فيسكن بين هذه السباع؟" وكان المساء وكانت الارض ترتج لزئير الأُسود الضارية وبقي القدّيس في ذلك المكان ثلاثين سنة،

فقضى منها عشرين في الخلوة والانفراد دون ان يُظهر نفسهُ لأحدٍ ابداً كما قال هو عن نفسه، والعَشَر الباقية قضاها في ارشاد الرهبان الذين اتوا فسكنوا مكاناً يُدعى طبا كان على مسافة فرسخين من مظلته، وفي هذه المدة كان الله يُرسل لهُ القوت بواسطة غراب كان ياتيه كل يوم بنصف رغيف من الخبز في غاية الجودة الأمر الذي أخفاهُ عنّا القدّيس تواضعاً ولكن كشفهُ الأب فيلون الذي سنذكرهُ في محله ان شاء الله تعالى.



الباب السادس

انتقال القدّيس من بريّة فيروز شابور الى ديرنا

فبعد ان قضى القدّيس عشرين سنة في مظلتـهِ، اتـصل خـبرهُ بالرهبـان، فألبوا اليهِ وسكنوا مكاناً يدعى طبًّا كان قريباً من مظلتهِ، وكانو ياتونهُ بـلا انقطاع مستشيرين اياهُ وطالبين بركتهُ ودعاءَهُ فكـان كـالأب الحنـون يـوزع علـيهم خبـز حقـائق الايمـان المسيحي والخبـز الروحـي والرجـاء الـسموي والمحبة الآلهيـة ويحرضـهم علـى ممارسـة أجَـل الفـضائل المـسيحية ويشير علـيهم ان ينقطعـوا أتم الانقطـاع الى ممارسـة التقـشفات وقـضى علـى هـذا المنوال عشر سنين، وبلغ عدد الرهبان عشرة انفـار، فطلبـوا اليـهِ ان يكـون عليهم رئيساً فلم يذعن لهم، فلم يزالـوا يلحـون عليـهِ قـائلين: "انـت المقـدم علينا، وليس فينا واحد مثلـك تليـق بـهِ الرئاسـة، وانـت متـضلع ايـضاً مـن الكتب المقدسة وخبير بامور الرهبان وقد أحكمتـك التجـارب، فانـت اهـل ان تبسط للعيون واجبات الراهب نـاثراً علـى المـسامع دُرَر اقوالـك ونـصائحك" فلما رأى مار يونان انّ الرهبان لا يزالون يحثونهُ على قبـول الرئاسـة، عـزم ان ينهزم منهم خوف ان يحملهُ تواضعهُ وحلمهُ ان ينقاد لهم، وكان الرهبـان قد أخبروهُ انهُ بالقرب من الجزيرة السوداء يوجد دير يـدعى ديـر مـار تومـا فيهِ مائتا راهب، فرغب في رؤيتهِ والحظوة بمشاهدة الرهبان الموجودين فيـهِ وبمشاهدة الأب فيلون، وهذا الأب القدّيس كان طلب مـن الله ان يُرِيَـهُ واحـداً من تلاميذ مار اوجين، فقام مار يونان ذات ليلـةٍ خفيـةً وتوجـه الى ديـر مـار توما، ولم يخبر بذلك احداً سوى شيخ قدّيس فانهُ قبـل ان يـذهب الى مكانـهِ انطلق اليهِ، وطلب دعاءهُ وقال لهُ أنهُ مزمع ان يذهب الى دير مار توما.

الباب السابع

في مجيء مار يونان الى ديرنا وقصّه عليَّ قصَّتَهُ وفي المعجزات التي صنعها عندنا وكنتُ انا معايناً وخادماً لها

فلنرجعنَّ الآن الى ما صنعهُ القدّيس هنا في هذا الدير، فنقول: "انّهُ في الاحد الاول من السُبَّار اذ كان جميع الاخوة مجتمعين في الكنيسة وكانت الذبيحة الآلهية تُقرَّب لله تعالى، دخل غفلةً الكنيسة شيخ جليل تام القامة جميل المنظر، فظنَّ جميع الاخوة انهُ اسقف استعفى عن الرئاسة فأتى يخدم الله في الغربة، فدعوتُ انا واحداً من الاخوة وقلتُ لهُ انظر اين نزل هذا الغريب واين يدخل فامتثل الراهب أمري، فلما انتهى القداس أسرع الغريب في الخروج من الكنيسة، فتبعهُ ذلك الراهب، وخرج الغريب من الدير، ودخل قلايةً كبيرة كانت تُعرف بقلاية بُوختي لم تكن بعيدة كثيراً عن الدير، فأتى الراهب وأخبرني بذلك، فللحال قمتُ واخذتُ كتاب الانجيل وذهبتُ الى تلك القلاية ودخلتُ الدهليز، واذا بهِ قد خرج من القلاية وقال لي: "لماذا أتعبتَ نفسك يا سيدي رئيس الدير، فانا أجيء الى قلايتك" فاضطربتُ وتعجبتُ من انهُ مع كونه داخل القلاية حسَّ بمجيئي، فأدخلني القلاية، وبعد ان صلينا كجاري العادة عانقني وقبلني بمحبة واستخبرني عن الدير وعن الرهبان فجاوبتهُ قائلاً: "انهم على اكمل الصحة بادعيتكم المستجابة" وبعد ان جلستُ عندهُ برهة من الزمان دُق ناقوس الرمش فقال لي: "لنقم يا سيّدي فنصلي صلاة الرمش" فقمنا وصلينا صلاة الرمش وصلاة السُباع وبعد الحوتام جلس مار يونان تجاه المشرق وأجلسني بجنبه، واذا بغراب اتى وبمنقاره قرصةُ خبز منطوية فوضعها قدام القدّيس، فرأينا فيها اثنتي

عشرة تمرةً فالتفت القدّيس الى الغراب وقال لـهُ: "أنـا أدرَد فكيـف اتيـتني بالتمر؟" وللحال طار ذلك الغراب وانـصرف فـصلى القـديس و كـسر الخبـز فتناول هو نصفهُ والنصف الآخر وضعهُ مع التمر قدامي قائلاً: "انّي لا اقدر ان آكل التمر لاني أدرد، فكُل انت ياسيدي" فاستحوذ عليّ خوفٌ شديد من مشاهدتي هـذهِ الأعجوبـة، واذا بـالغراب أتـى ثانيـةً وبمنقـارهِ عنقـود عنـب فوضعهُ قدام القديس، فقال لهُ: "اذهب بالسلام" فطار وذهـب، فقلـتُ لمـار يونان: "ما هذا ياسيّدي؟" فقال لي: "هذا عنب وهو ثمر الكرمة" فقلتُ لهُ: "لا الكرمة رأيتُ ولا العنب، ولم اسمع سوى الاسم لا غير، لانهُ ما يوجد منـهُ في بلدنا" فتناول حينئذٍ عشر عنباتٍ واعطانيها قائلاً: "فها هوذا ثمر الكـرم فخذ وكُل" وبعد أن اكلنا، قال لي: "ألك يا سيدي قلاية صغيرة أسكن فيها اياماً قليلة؟" فقمتُ وخرَرتُ الى الارض قدامهُ وقلتُ لهُ: "انا خادم لـك وانـت سيّدي فدونك قلايتي" قال لي: "انيّ لستُ أُريد قلايتك، بـل ارغـب اليـك ان تجد لي كُرَيحاً" فانطلقتُ وهيأتُ لهُ في تلك الليلة كِرحـاً فانتقـل اليـهِ، وقـال لـي: "اطلـب اليـك أن تنبـهَ الرهبـان الا يـاتوني فيقرعـوا بـاب قلايـتي ويُزعجوني، بل انت فقط ادخل عليّ وذلك في ايام الآحاد فقط لا غير" فقمتُ وانحنيتُ قدَّامهُ وقلتُ: "احتم عليَّ امراً، فلـن اتجـاوزهُ ابـداً، واذا امكـن فـلا أدَع عصفوراً يطير حول كرحك" ثمَّ نبهتُ الاخوة قـائلاً: "ايـاكم ان تـدخلوا على هذا الشيخ الغريب".

واني كنتُ اريد ان اسأل الشيخ القدّيس عن وطنـهِ واحوالـهِ لكـني أمـسكتُ عن ابتدآئهِ بالكلام وذلك اجلالاً لهُ لهيبتهِ، ثم اني أفرختُ رَوعي لِمَا صار لي عليهِ من الدالة فذات ليلـةٍ حـين دخـولي عليـهِ سـجدتُ علـى الارض قدامـهُ، وامسكتُ برجليهِ متخشعا متضرعاً، فأقامني قهـراً وقـال لـي: "مـا بغيتـك"

قلتُ: "أطلب اليك يا سيدي ان تقول لي من اي بلدٍ انت، وكيف انتظمت في سلك الجندية المسيحية، وكيف أتيت هنا" فتبسم الشيخ القديس وقال لي: "اظنّ انكم سئمتم مني" فقلتُ لهُ: "معاذ الله، ولو انك جلستَ عشر سنين على رأسي لما استثقلتُك، فكيف تقول لي هذا الكلام، ولكن قد هزتني نشوة الاشتياق الى معرفة امورك، واذا ما أوليتني هذا الاحسان فتكون قد أفضت في قلبي تعزيةً وفرحاً" فحينئذٍ قصّ عليَّ قصتهُ كلها مثلما هي مسطورة في الفصول الأُولى وانَّ المعجزات التي صنعها القدّيس ها هنا لكثيرة ولا نذكر من كثيرها الا القليل، من ذلك انَّ واحداً من الرهبان كان ذهب بعد عيد الميلاد الى مدينة مارون، فنزل ضيفاً على نُعيم المؤمن، وكان لنُعيم ابن وحيد وكان مبتلى بداء عُضَال، فأشار اليهِ الراهب ان ينطلق بابنهِ الى مار يونان، وأخبرهُ بما كان يصنع من المعجزات فانقاد لهُ، وكانت مدينة مارون على مسافة ستة ايام من الدير بحراً، فركب نُعيم البحر ومعهُ كثير من اهلهِ قاصداً الدير، ولما كان اليوم الخامس اشتدَّ المرض على الصبيّ فقتلهُ، فاخذت امهُ تبكي بمرارة وتقول لزوجها: "ليتك تركتَ الصبي في الدار فماذا نعمل بهِ الآن واين ندفنهُ؟" اما نُعيم فانتهرها قائلاً: "إِن شآء الله تعالى نصل الى الدير، فيدفنهُ الرهبان" وفي الغد صباحاً وصلوا الى الدير وكان يوم الاحد، وكنتُ جالساً مع خمسة من شيوخ الدير في قلاية القدّيس، فسمعنا صوت عويل وبكاء، فاضطربنا وتفكرنا ماذا يكون سبب ذلك واذ بنعيم دخل مصحوباً بجميع اهل داره، فوضعوا الميت قدام مار يونان، وهم يبكون ويشقون ثيابهم فسألهم القديس عن سبب ذلك، فقالوا: "انّ هذا الصبي اعتراهُ مرض عضال، فاتصل بنا خبرك، فعزمنا ان ناتيك بهِ لكي تصلي عليه وتبرئهُ، والبارحة توفي" فالتفت القدّيس الى نُعيم وقال لهُ: "ما

بالكم تبكون وتشقون ثيابكم كالوثنيين الذين لا إله لهم ولا رجاء؟ ليس لنا بدٌّ من الموت شيوخا كنّا او أطفالاً، فأحمد الله واشكره، واذهب الى الرهبان فهم يدقون الناقوس فيجتمعون ويدفنون الصبي" فأخذ حينئذٍ ابو الولد ينتف شعر رأسه ولحيته ويبكي بكاءً مراً ثم انطرح على قدمي مار يونان وقال لهُ: "ارحمني يا عبد الله الحيّ ارحمني، فانَّ هذا الولد وحيد لي وليس لي وارث غيرهُ" فأقامهُ القدّيس وحمل الصبي على ذراعيه وكان عمرهُ اربع سنوات، ودخل به قلايتهُ وبعد ساعةٍ خرج والصبي يمشي امامهُ وهو ماسكهُ بيده، فسلمهُ الى والده قائلا لهُ: "خذ يا بنيَّ ابنَك واذهب بالسلام فإني وإن كنتُ خاطئاً فكما آمنت انت صار لك" ولما رأينا نحن هذه المعجزة، اخذ العجب والخوف من نفوسنا كل مأخذ، وكان وجه القدّيس حينئذٍ يتلألأ نوراً مثل الشمس، وكان الصبي يأكل جزراً كان في يده وقد أخذهُ من القديس اذ كان في قلايته، ورأينا القديس يقول لهُ مبتسماً: "كُل يا بنيَّ كُل" وذاع خبر هذه المعجزة في جميع الجزائر التي حولنا وكل بلاد القطاريين، فكل من سمع سبح الله وعظم ديانة النصارى، وكان نُعيم ذا أملاك كثيرة وثروة واسعة، فوهب لديرنا سفينة لهُ أتتهُ في تلك الأيام من بلاد الصين، فبعناها بالف وثلاثمائة دينار.

وانَّ رجلا غنياً من مدينة ميلون من الذين يُخرجون لآلئ من البحر اسمهُ زرقون اتصل به خبر ما كان يصنع مار يونان من المعجزات الباهرة، وكان لهُ ابن فيه روح نجس، فاتى به الدير، فقال لهُ الرهبان انَّ مار يونان لا يخرج من قلايته الا يوم الاحد وذلك وقت تقديم الذبيحة الالهية، فبقي زرقون في الدير الى يوم الاحد، ولما حان وقت القداس خرج مار يونان من قلايته وكنتُ انا ايضاً برفقته مع شيوخ الدير، فأتى زرقون وانطرح على

قدميه وقال: "يا سيدي يونان القدّيس ترحم عليَّ وعلى ابني هذا الذي فيه روح نجس" فمسكهُ القدّيس بيده وأقامهُ وتنحى بهِ وقال لهُ: "اذهب الى دارك واقطع السبب الفلاني الذي لا يزال يوقعك في الخطية الشنيعة فيشفى ابنك حالاً، فانك نصراني فلا يليق بك ان تتجاوز اوامر الله وتحيا نظير الوثنيين الذين لا إله لهم" فلما سمع زرقون هذا الكلام أطرق وجلاً وانقبض فؤادهُ خجلاً فأقرَّ بذنبهِ وندم ندامة حقيقية، فعزم عزماً ثابتاً ان يمتثل امر القدّيس فنال بصلاة مار يونان شفاء ابنهِ وشفاء نفسهِ ايضاً، وأجزل للدير العطاء.

ثم ان راهباً من الرهبان أتى مار يونان وعرض لهُ ما كان يقاسيهِ من محاربة الشيطان اياهُ، فصلى لهُ القديس ونصحهُ فانقذهُ من التجارب الجهنمية، وطلب اليهِ الراهب ان ياتي قلايتهُ فيباركها ففعل القدّيس ذلك، وكان قدام قلاية الراهب شجرة نخل فلما خرج مار يونان من القلاية قال لهُ الراهب: "انظر يا ابانا الى هذه النخلة فانها لا تثمر وان كانت باسقة" فضربها القدّيس بالعصا التي في يده قائلاً: "أطعمي يا نخلة هذا الاخ من ثماركِ" ولما اصبحت خرج الراهب من قلايتهِ فرأى النخلة حاملةً سبعة اعذاق، فأتى واخبرنا بما جرى، فانطلقنا نحن ايضاً، ولما شاهدنا الأُعجوبة اخذتنا هزة الطرب والانذهال وسبحنا الله مُعظِم قديسيه، وقطع حينئذٍ الراهب تلك الاعذاق فوزع التمر على الرهبان، وكل سنة الى يومنا هذا تحمل هذه النخلة سبعة اعذاق ويُقَسَّم التمر على الاخوة.

وانّ واحداً من الاخوة عرض في مراق بطنهِ حجر شبه رمانة، فألمهُ زمناً طويلاً حتى اننا يئِسنا من حياته فانطلقتُ انا الى مار يونان واخبرتُهُ بامره، فأتى ليزورهُ، ولما مدَّ يدهُ وجسَّهُ، قال متنهداً: "آه، إن هذا المرض غير

قابل الشفاء" فلما قال القديس هذا الكلام اغرورقت عينا الراهب بالدموع، لكن القدّيس سكن روعهُ وأتى بماء فوضع فيهِ الصليب وسقاهُ منهُ، وصبَّ منهُ على مكان الوجع ايضاً، فشُفي تماماً حتى أنهُ في الاحد القادم قرب الذبيحة الالهية.

وكان لي ابن اخت اسمهُ خسرو، فذات يوم اذ كان يلتقط تمراً سقط من النخل فتكسرت فخذهُ، فانطلقتُ انا الى القدّيس وأخبرتهُ بالأمر فقال لي: "اذهب بهِ سريعاً الى الطبيب في المدينة" فقلتُ لهُ: "بقوة المسيح الحال فيك انت كُن لهُ طبيباً" فقال لي: "أتريد يا سيّدي أن تطردني من ديركم؟" وفي تلك الساعة عينها اتى الاخوة بخسرو وكانوا حاملين اياهُ على السرير، فوضعوهُ قدام القدّيس وهو يبكي بكاءَ مراً ويصرخ من شدة ما فيهِ من الوجع ويقول للقدّيس: "ترحّم عليَّ يا مار يونان القدّيس" فتقدّم اليهِ وجَسَّهُ وقال: "لم يُصِبهُ ضرر" ثم اخذ المنديل الذي كان متأزراً بهِ وشدَّ بهِ فخذ خسرو، وقال للرهبان اذهبوا بهِ الى قلايتهِ وفي تلك الليلة شُفي تماماً.

ثمَّ انّ نُعيماً الذي ذكرناهُ آنفاً اتى الى الدير ليسلم على القديس، وكان قد اتى بقارورة كبيرة مملوة خمراً نفيسةً أُرسِلت لهُ من بلاد الفرس، وترك الخمر في قلاية مار يونان لكي ياتي الساعور فيأخذها، وسمع واحد من الرهبان كان من البلاد العليا انَّ نُعيماً اتى بخمرٍ وتركها في قلاية القديس، فاراد أن يذهب اليهِ طالباً ان يعطيهُ قليلاً منها، وحيث انهُ لم يكن لهُ إناءٌ صغيرٌ في قلايتهِ تناول اناءً قدر الاناء الذي كان اتى بهِ نُعيم، فأتى بهِ الى قلاية مار يونان وهو يقول في نفسهِ: "يا ليت القدّيس يونان يملأهُ كلهُ خمراً" ولما قرع باب القلاية استحى ان يُدخِلهُ معهُ لانهُ استكبرهُ، فتركهُ في دهليز القلاية ودخل على القديس وسلم عليهِ، فقال لهُ القديس: "ألك بغية

يا اخانا؟" قال: "بغيتي ان تصلي عليَّ" قال لهُ القديس مبتسماً: "اذاً إيتني بالإناء الذي اتيت به لكي أملأهُ كما ابتغيت" فخجل الراهب وقال: "العفو يا ابانا، منذ خرجتُ من بلدنا لم أذُق الخمر ابداً، وانما اتيتُ لكي تعطيني قليلاً من الخمر التي عندك" فأمرهُ القديس ان يأتي بالإناء، وملأهُ خمراً، ولما خرج الراهب اتى الساعور فقال لهُ مار يونان: "ادخل يا بُنيَّ وخذ الخمر التي اتاك بها نعيم" وفي تلك الساعة دخل الراهب على الساعور بحجةٍ، ودنا من القارورة فرآها ممتلئة خمراً، فاخذهُ التعجب وأخبر الساعور بقصته، فأتَيا واخبراني بذلك، فانطلقتُ ورأيتُ كلتا القارورتين مملوئتين خمراً، فاخذنا نسبح الله، واوصيتُ الرهبان ان لا يذيعوا المعجزة خوف ان يشُقَّ ذلك على القدّيس فينهزم.

ثم انّ الساعور عازهُ ذات يوم الخمر للقدّاس، فاحتار في امرهِ لكن مار يونان دعاهُ وقال لهُ: "كلما احتجتَ الى الخمر فتعال فأعطيك، فانهُ يوجد منها عندي" فقال لهُ الساعور: "والحق يُقال يا ابانا انهُ ليس لي اليوم خمر للقدّاس" فأعطاهُ القدّيس جرة مملوةً خمراً وفي ذلك اليوم اتيتُ انا ومار موسى رئيس الجمعية لنتناول القربان، فلما تناولنا واعطينا بعضنا بعضاً السلام استدعى مار موسى الساعور وقال لهُ: "من اين لك يا ابني هذه الخمر؟" فقال: "لم يكن لي اليوم من الخمر شيء، واذ كنتُ محتاراً في أمري دعاني مار يونان واعطاني هذه الخمر" فسبح مار موسى الله تعالى وقال: "في الحقيقة إن هذه الخمر ليست من ثمار الكرمة بل انها ماء حُوِّل الى الخمر نظير الماء المتحول خمراً في قانا الجليل".

ثم انهُ في يوم الجمعة صباحاً قرع الساعور باب قلايتي قائلاً: "هيَّا يا سيد" فخرجتُ على العجلة، فقال لي: "مار يونان يدعوك فاذهب اليه

سريعاً" فانطلقتُ حالاً، فقال لي الشيخ القديس: "ارسل سريعاً ثلاثةً من الرهبان الى شرقي الدير، فإنَّ واحداً من الرهبان في ضيقة شديدة" فعجلتُ في ارسال خمسة من الرهبان، وتبعتهم انا ايضاً اما ذلك الراهب الذي ذكرهُ فكان احد الاخوة قد بكر ليأتي باوراق النخل، فالتقى بهِ يهودي شرير، ولما رآهُ وحدهُ أخذ يضربهُ شديداً، وكان يريد قتلهُ لو لم يدركهُ الرهبان، فقبضوا على اليهودي ليعاقبوهُ وحملوا الراهب وأتوا بهِ الى الدير وفيهِ رَمَق يسير فانفذ مار يونان من يقول لي: "اياكم ان تسيئوا الى اليهودي فان المسيح الذي جدف عليهِ هو يميتهُ موتاً فظيعاً" فانقذه من ايدي الرهبان، وفي تلك الليلة صعد اليهودي الى نخلةٍ لكي يختبئ فيهرب، فسقط منها وتمزق، وكل من بلغهُ ذلك اخذهُ العجب فسبح المسيح.

وفي الجمعة الأولى من بعد السلاق (الصعود) اذ كنتُ كجاري العادة أُحادث مار يونان، جرى ذكر فيلون الحبيس الذي كان ساكناً الجزيرة السوداء فقلتُ: "كنتُ اود ان اشاهد هذا القدّيس" قال: "هلم ننطلق اليهِ" فقلتُ: "ومتى يا ابانا؟" قال: "الساعة" وللحال ذهبتُ واوصيتُ وكيل الدير ان يهتمَّ بالامور، وقلتُ لهُ: "إنَّ قدّامي سَفراً، وان شاء الله فبعد مرور عشرة ايام ارجع اليكم" ثم اخذتُ خبزاً وقربة ماءٍ واتيتُ القدّيس، فخرجنا فسار وانا وراءَهُ، فالتفت فلمح ما كنتُ حاملهُ، فقال لي: "ما هذا؟" قلتُ: "خبز وماء" فقال متنهداً: "لا حاجة اليهما" فتركتهما في الدير ولما خرجنا أخذ القديس يتلو المزامير فبدأنا من (المزمور ٢٨) وتلونا عشر مرميثات فنظرتُ واذا بالجبال حولنا من كل جانب واذ كنتُ انظر هنا وهنا لأُشاهدها عثرتُ فوقعتُ، فبادر اليَّ مار يونان ومسكني بيديَّ واقامني، وقال لي: "انظر الى قدامك لئلا تقع" فقلتُ لهُ: "الا يا ابانا انا لستُ ادري اين انا"

فقال لي: "انّك تحت ذيل عناية الله" ثم اخذ يسبح المسيح ويعظمهُ فقلتُ: "ماذا ترى" قال: "اشاهد اشعة النور تنبعث من نفس مار فيلون، وقد أُوحيَ اليهِ مجيئُنا" وكنا نتحادث بهذا ونحن نازلون من الجبل والبحر تحتنا، فأخذني الخوف والانذهال، ولولا انهُ امسكني بيدهِ فجرني لَما قدرتُ على المشي ايضاً.

فلما انتهينا الى ساحل الجزيرة كنتُ اسمع صوتاً يقول بهدوء وسكون: "اطلعوا واركبوهُ فاعبروا عندنا" وللحال خرج شيء من البحر يشبه بيتاً عظيماً، فتأملتهُ فاذا هو السَرَطان البحري، فمسكني القدّيس بيدي فطلعنا وجلسنا عليهِ، فعبر البحر بنا الى ان انتهينا الى الجزيرة، فلاقانا مار فيلون، وكان المكان دغلاً ممتلئاً شوكاً وقصباً، فلم يكن يمكن المشي فيهِ، فطلع مار فيلون وجلس هو ايضاً معنا على السَرَطان الى ان انتهينا الى مغارتهِ، فدخلناها وصلينا كجاري العادة، وكان السرطان في مكانه لا يتحرك الى ان أمَرهُ القدّيس ان ينطلق الى مرعاهُ فقال مار يونان لمار فيلون: "انّ هذه الدابة منقادة لك يا ابانا انقياداً تاماً" فاجابهُ مار فيلون: "ولك ايضاً يا ابانا كان الغراب ينقاد انقياداً تاماً في برية فيروز شابور وتبعك في دير مار توما ايضاً" وكنتُ انا استنصت ناحيةً وكان مار فيلون يسأل شيخنا القدّيس عن مار اوجين وتلاميذهِ وكيف انفصل هو عنهم فأتى برية فيروز شابور فسكن بين تلك الأُسود، وكان يلح عليهِ ان يرجع الى مكانه، فانّ الاخوة الذين كانوا تتلمذوا لهُ كانوا من جراء انفصاله عنهم محفوفين بالاحزان مكنوفين بالاشجان ولم يكن مار يونان يذعن لقوله ولما رايتُ ذلك من مار فيلون أقبلتُ عليه متوسلاً ألا يقول لمار يونان ان ينفصل عنا، وافصحتُ لهُ عما حصل عليهِ الدير بواسطته من المساعدة والمنفعة، وانَّ نُعيماً اعطانا سفينةً

وبعناها بالف وثلاثمائة دينار فاشترينا بها أرضاً ونخلاً، وقد عزمنا ان نـرمم الهيكل بما فضل منها وقال لي مار فيلون: "اعلم يا سيدي رئيس الدير انـهُ ينبغي لديركم ان ينقص ولدير مـار يونـان ان ينمـو" ثـم قـال لمـار يونـان: "واعلم انت ايضاً يا اخي انهُ ان لم تذهب أرسَلوا اليك فافا تلميذك مصحوباً برسالةٍ منهم، وانّي اطلب اليك ألا تتكلف مـشقة الطريـق، لانـي انـا التمسـتُ من الربّ ان يريني واحداً من تلاميذ مار اوجين، فرأيتُ وطبتُ نفسـاً" ثـمّ انّ مار يونان طلب الى مار فيلون ان يعطيهُ شيئاً من الفردوس بركـةً، فقـال لـهُ مار فيلون: "وانت ايضاً أعطني الأديم المتمنطق انت بهِ على حقويك فانـهُ خاصَّة مار اوجين" فحلَّ الأديم من حقويـه وسـلمهُ الى مـار فيلـون، فاخـذهُ وقبَّلهُ، وأخرج هو ايضاً من مغارتهِ قُضيباً فناصفهُ اياهُ وقـال: "ادفـن هـذا في البريّة الساكنون انتم فيها وضعهُ في حائط هيكلكم" ولما اصبحت توغـل كلاهما في الجزيرة ولم يرجعا الا المساء ولما عادا قربنا الذبيحة الالهية فـانّي كنتُ بأمر مار يونان قد اخذتُ معي كلَّ ما كان يلزم لذلك، ولما مرَّ من الليل نحو ثلاث ساعات قمنا نصلي، ولما فرغنـا مـن الـصلوة اذا بالـسَّرطان آتٍ، فجلسنا عليهِ فعبَرنا البحر وأتينا الى الدير، وكـان مـار يونـان لا يـزال يقـول لي: "لم أرَ احداً ارتقى نظير مار اوجين في معـارج المحبـة والتواضـع الا مـار فيلون القدّيس".

وبعد مدة يسيرة أتى اسـقف البلـد الى ديرنـا مـصحوباً بكـثير مـن الكهنـة، وبعد أن استراح قليلاً قـال لـي: "أُريـد أن اشـاهد مـار يونـان فـاتبرك بـهِ" فذهبنا اليهِ، فشمل الاسقفَ فرحٌ عظيم وبينما كنا نتحادث، قـام واحـد مـن الكهنة الذين صحبوا الاسقف فجر كاهناً آخر طاعناً في السن واوقفهُ قدام مار يونان وقال: "يا مار يونان قل لهذا الشيخ المنكود الحظ ان يرد مـا سـرق

من البيعة من آنية الذهب والفضة" فنظر القديس ساعةً الى الكاهن الشاكي متعجباً من جسارتهِ، ثمَّ قال لهُ: "ايها الشقي الغدار أتتجرأ مع كل ما فعلتَ من السيئات ان تسلب ايضاً آنية البيعة لا بل ان تُلقي هذا الشيخ البائس بهذا الملقى وتنكل به؟" فلما سمعنا هذه المقالة ذهبنا بالكاهن الشاكي الى ناحية، واخذنا نخوفهُ طوراً ونتملق لهُ أُخرى لكي يقرَّ بذنبه، وقلنا لهُ: "انّ مار يونان يعرف الخطايا، فأقر بذنبك لئلاً يحلَّ بك غضب الله" فاقر انهُ هو السارق وانهُ ظلماً سعى بذلك الكاهن الشيخ حينئذٍ نهض الاسقف وكسَّرَ عكازتهُ وألقى عنهُ ردآءَهُ الاسقفيّ قائلاً: "حاشاي ان اعود احكم منذ الآن بين المسيحيين، فلعلَّ جميع القضايا التي قضيتها نظير هذهِ" فاستغفر الكاهن المسعي بهِ ظلماً وأعطاهُ خمسين ديناراً، ودخل قلايةً فانقطع فيها للعبادة ولم يرجع بعد الى كرسيهِ أبداً.



الباب الثامن

في مجيء فافا الى ديرنا والمعجزات التي كان صنعها مار يونان في بريّة فيروز شابور، ورجوعهِ الى مكانهِ

بعد شهر نيسان اتى الدير راهب غريب وكان يسأل الاخوة قائلاً: "اين يسكن الأب يونان الشيخ الجليل؟" فاقبل اليَّ الاخوة واخبروني بالامر، فخرجتُ اليهِ وقلتُ لهُ: "من اين اتيت يا بُنيَّ؟" قال: "من بلد بابل، وخرجتُ في طلب الشيخ الاب يونان" قلتُ: "أأنت فافا" قال: "نعم" فانطلقتُ بهِ الى القديس فقال لهُ: "هلم بالسلام ايها الاخ الامين" وخرّ فافا للارض امام مار يونان وسلم عليهِ، قال القدّيس: "اعطني يا بنيَّ الرسالة، فأرتاح قليلاً" فاخذ الرسالة وقال لي: "اذهب بهذا الراهب الى قلايتك فيستريح فيها" فامتثلتُ امرهُ، ولما استراح اخذتُ اسألهُ عن بريتهم وعن عدد رهبانهم، فقال: "نحن عشرة رهبان، وكان كل منا بعيداً عن صاحبهِ مسافة ميلين، فسنحَ لنا راي ان نبني قلالي قريبة بعضها من بعض، فانطلقنا الى مار يونان واخبرناهُ بالامر ففرح فرحاً شديداً، ثمَّ طلبنا اليهِ ان يكون رئيساً علينا فلم يرتضِ بذلك، فلم نزل نلح عليهِ بلجاجة فقال اتركوني اصلي وفي تلك الليلة انهزم وما علمنا الى اين توجه، فشرعنا نطلبهُ في البراري والجبال، فحينئذٍ قال لنا واحد منّا اسمهُ شاهدُست: "لا تجهدوا انفسكم في التفتيش عن مار يونان، فانهُ يوجد بيننا وبينهُ اكثر من مسافة ثلاثمائة فرسخ" والححنا عليهِ كثيراً ان يعلمنا بمكانهِ فلما اضطرَّ قال: "في الليلة التي فيها انفصل عنّا قال لي: اني ذاهب الى بلد القطاريّين الى دير مار توما" وللحال اجمع الرهبان على ان يكتبوا لهُ رسالةً وارسلوني انا اليهِ

قائلين: "لنا أمل وطيد بالمسيح انهُ حالما يقرأُ هذهِ الرسالة يقوم يجيء الينا سريعاً ولما دخلتُ مدينة فيروز شابور، احترتُ في امري لاني لم اكن اعلم الطريق المؤدية الى بلد القطاريّين لكنَّ الله قيض لي تاجراً قطارياً، وذلك اذ كنتُ مجتازاً في السوق دنوتُ الى صائغ، فرأيتُ عندهُ رجلاً تاجراً يبيعهُ اللآلئ، فسنحَ لي فكر ان ازلف اليهِ فاسألهُ، فقلتُ لهُ: "من اين انت؟" قال: "انّي من بلد القطاريّين والليلة ارجع الى بلدي" فقلتُ لهُ: "اطلب اليك ان تاذن لي بالمجيء معك لاني اريد ان اذهب الى دير مار توما" فانغص راسهُ وقال: "لَعظيم آله النصارى الذين في دير مار توما" وقال لي: "تعال معي، لانَّ محلنا قريب من دير مار توما" ثمّ انهُ اركبني جملاً، وقام باودي الى ان وصلنا هنا.

وحينئذٍ طلبتُ انا زادوي من فافا ان ينقل لي ما فعل مار يونان من المعجزات في بريّة فيروز شابور، فقال لي: "انَّ لي خمس سنين منذ صحبتُ اولئك الرهبان القديسين، وسمعتهم يقولون: انَّ شاباً من مدينة فيروز شابور اذ كان يجتاز مع امه في تلك الاجمة هجم عليهِ أسد فقبض عليهِ وتوغل بهِ في الاجمة فاخذت امُّهُ تبكي بكاءً مراً، فبلغ صوت عويلها مسامع مار يونان، فخرج من مظلتهِ وسألها عن سبب بكائها فأخبرتهُ بالأمر فتحنن عليها ورسم على وجههِ اشارة الصليب فدخل الأجمة في طلب الفريسة، فتبعتهُ هي ايضاً، فرأيا الفريسة مطروحة قدام الاسد، فاخذت المرأة تنتف شعرها وتشقق ثيابها، وطرحت نفسها على جثة ابنها، وكان القديس ايضاً يبكي بكاءً مراً وقال لها: لا تخافي، فاني متوكل على ربنا يسوع المسيح انهُ يرجعهُ الى الحيوة قال هذا وحملا جثة الشاب فاتيا بها الى المظلة، فصلى عليه، فسمع الله صلاتهُ واحياهُ، ففرحت أُمهُ فرحاً لا مزيد عليه واذاعت

هذه المعجزة في مدينة فيروز شابور وفي القرى المجاورة لها، وكان ذلك سبب رجوع كثير من المجوس الى الديانة النصرانيّة، فانهم كانوا ياتون القدّيس فينثر على مسامعهم جواهر الانجيل ويمنحهم نعمة المعموذية".

"وكان ايضا مرزبان في فيروز شابور، فخرج ذات يوم ابنهُ الى الصيد مصحوباً بكثير من حاشيته، فاجتازوا في الأجمة الساكن فيها مار يونان، وان اين المرزبان بصر بالقدّيس فاستهزأ بهِ، واخذ سهماً واراد أن يرشقهُ بهِ، وللحال ضربهُ ملاك الربّ فوقع ميتاً ولما اقبل اليهِ خدامهُ ورأوهُ ميتاً ولم يكونوا يعرفون سبب موتهِ اخذوا يبكون ويولولون، وانَّ القدّيس خرج من مظلتهِ وقال لهم: ما لي اراكم تبكون بكاءً مراً، قالوا: انَّ هذا ابن سيدنا انفصل عنا الآن ولسنا نعرف ايَّ عارض سوء عرض لهُ فأماتهُ غفلةً، فدنا القديس من الشاب وجسهُ وقال لهم: لا تخافوا فانَّ فيهِ رمقاً، ومسكهُ بيدهِ واقامهُ، فامتلأت قلوبهم فرحاً ولما عادوا الى المدينة اخبروا المرزبان بكل ما جرى، فقام واتى الى القديس مصحوباً بجميع آلهِ، واسترشدوهُ فارشدهم وعمذهم كلهم، هذا ما سمعتهُ من الآباء".

واما ما رايتهُ بعينيَّ فهو انَّ رجلاً كان ياتينا بالماء من نهر الفرات، فبينما كان ذات يوم يذهب على عادتهِ ليملأ قربتهُ ماءً لدغت الافعى رجلَهُ فكان لا يزال يبكي ويتالم كثيراً، ونحن ايضاً كنا نبكي معهُ، فانطلقنا واخبرنا مار يونان بامرهِ، فأتاهُ ورسم على رجلهِ اشارة الصليب فابرأهُ، وفي تلك الليلة قام وذهب ليستقي ماءً على عادته وحكى الرهبان وقالوا: "لما كنا نذهب في الليالي الى مظلة القدّيس طلباً للنجاة من التجارب بصلواتهِ وارشاداتهِ كنا نعاين كثيراً من الاسود حول مظلتهِ وهي لا تعرض بسوء للمقبلين والمدبرين" وقالوا ايضاً: "لما كنا جالسين ذات ليلةٍ في مظلتهِ اتاهُ اسدٌ

كان الصيادون قد اثخنوا فيه الجراح، فشرع يئنّ كأنّهُ يطلب الشفاء، فأخذ القدّيس قليلاً من التراب ورسم عليه اشارة الصليب فذرّهُ على جراحه فشفي من ساعته".

وكان لي عادة أن اذهب لمشاهدة معلمي الأب برحذبشبا القدّيس تلميذ مار عبد يشوع الذي تلمذ مار قرداغ الشهيد، فاكلمهُ عن أمجاد مار يونان القديس، وعما كان يصنع من المعجزات فقال لي: "إنّ مار يوحنا اسقفنا الطيب الذكر قال لي ان الراهب الذي دخل النار قدام شابور الملك بامر مار اوجين كان مار يونان القدّيس".

فأنا زادوي اذ لم يكن مار يونان قد أخبرني بهذا الأمر ولم اكن قد سمعتهُ من الآخرين قلتُ لفافا: "اطلب اليك يا اخي ان تقصّ عليّ هذه القصة" فقال: "لما اتى شابور الملك مدينة نصيبين واصطلح هو ويوبنيان الملك، وبواسطته سكن الاضطهاد الشديد الذي كان شابور أثارهُ على كنائس الشرق، فاصبح نصارى المشرق في راحةٍ وامان، فاتصل خبر مار اوجين بشابور، فاراد ان يشاهدهُ فأوفدَ اليه نصارى كانوا في معسكره طالباً اليه ان يبرئَ ابنهُ الذي كان فيه روح نجس ولما دخل عليه مار اوجين مصحوباً بتلاميذ رحب بهم واحسن مثواهم، لكنَّ المجوس امتعضوا من ذلك ايَّ امتعاض، فاخذوا يجادلون القديس ويسعون به فقال مار اوجين للملك: لتأمر دولتكم ان يوقدوا ناراً شديدة، فندخلها نحن والمجوس، فاينا لا تمسهُ النار فاعلموا انَّ آلههُ اعظم واقوى، فرضي الملك بذلك، واضرموا النار، فقال مار اوجين للمجوس: ادخلوا انتم اولاً النار وانتصبوا قائمين في وسطها، فانها لكونكم تسجدون لها فلا تضرّ بكم، فلم يلتفتوا الى قوله، فأمر حينئذٍ القديس تلميذهُ مار يونان ان يدخل النار، فامتثل امرهُ، والقى عنهُ حذاءهُ

ورداءَهُ ودخل النار وجلس في وسطها، فأحدق بهِ اللهيب من كل جانب ولم يضرهُ، فاستغرب الملك ذلك وسبح آله النصارى وأوعز الى المجوس ان يدخلوا هم ايضاً النار فلم يفعلوا، ثم قال مار اوجين لمار يونان، اخرج يا بنيَّ اخرج، إله ابيك يباركك فخرج مار يونان ولم يكن قد اصابهُ ادنى مضرة، وتعجب الملك ورجال دولتهِ عند هذه الرؤية وطارت عقولهم، فهذه هي يا سيدي رئيس الدير كل قصة مار يونان" ولما كان في الغداة اتى مار يونان الهيكلَ فصلى على الرهبان وسلاهم وانطلق مع فافا الى بلد فيروز شابور، وخلف لنا حزناً عظيماً.



الباب التاسع

وصول القدّيس الى بريّة فيروز شابور وموتهُ

لما وصل القدّيس برية فيروز شابور فرح اولئك الرهبان فرحاً عظيماً، فاجتمعوا وخرجوا لاستقبالهِ وبايديهم شموع موقدة ومجامر وهم يرنمون ترانيم السرور ويتغنون باناشيد التهانئ والحبور، فسجدوا لهُ وشرعوا يعبرون لهُ عما احدق بهم من الاحزان والأشجان الشديدة من جرى انفصالهِ عنهم، وانهم لم يتركوا جبلاً في بلد الاراميّين الا وفتشوا فيهِ عنهُ، ولم يحصلوا على الراحة الا لما اخبرهم شاهدُست بانهُ قد توجه الى بلد القطاريّين وقالوا لهُ: "الآن يا ابانا نحن عبيدك وتلاميذك مستعدون لاجراء جميع اوامرك" فقال لهم: "اذا حفظتم كلامي وانقدتم لقولي فتقضون جميع ايام حياتكم بالفرح والسرور، وانا ايضاً اكون في الراحة، والا فأنهزم ثانيةً" قالوا: "مُر يا ابانا فنحفظ كل ما تأمرنا بهِ" قال: "بغيتي ان تتركوني وحدي في هذهِ المظلة فلا يجبرني واحد منكم على الخروج منها باي نوع كان، واني هنا في هذهِ المظلة ادبر الامور المختصة بجميعكم، واذا عرض لاحدكم عارض فلياتِ هذهِ المظلة فأصلي عليهِ، والربّ الرحمن يستجيب" فانقادوا لرأيهِ فرحين مسرورين، ومكثوا عندهُ ذلك النهار كلهُ، واتى ايضاً المرزبان الذي كان القديس احيا ابنهُ مصحوباً بجميع آلهِ وحاشيتهِ ففرح بهم القديس وبايمانهم ورحب بهم وقبلهم كلهم ودعا لهم واوصى الرهبان ان يجتمعوا كل يوم احد فيقربوا الذبيحة الالهية في الموضع المخصص لذلك، وكان هو ايضاً يحضرها في جميع أيام الآحاد والاعياد، وكان يقول لتلاميذه ولنا أيضاً لما كان عندنا: "انّ كلّ من يغتذي يوم الاحد بجسد ودم ربنا

يسوع المسيح تتطهر نفسهُ وتستنير، واما الذي يتغافل عن ذلك فتُظلم نفسهُ وتكمه بصيرتهُ" وعاش القديس في تلك البريَّة بعد رجوعهِ من دير مار توما نحو عشر سنين ولما علم انّ أجَلَهُ قد دنا دعا المرزبان فأتى، وكان المرزبان لا يزال يعرض للقدّيس ان يطلب منهُ ما شاء فقال لهُ القديس: "انّي مزمع يا ابني ان اطلب منك حاجة، فاذا أسعفتني بها بَقِيَت لي ولك بعدنا ذكراً على غابر الدهور" فصار المرزبان يطلب منهُ ان يقول لهُ حاجتهُ اما هو فكان يجاوبهُ: "لم يَحُن بعد الزمان" ثمّ انهُ قال يوماً: "حان لي ان اطلب منك الحاجة، انّي في هذهِ الليلة انتقل الى دار البقاء فبغيتي ان تبني في هذا المكان الذي تبوأتهُ ديراً وفي الدير كنيسةً ليتمجدَ فيهما اسم الله في كل وقت" فأجابهُ المرزبان الى ذلك بفرح عظيم، ورجع قافلاً الى المدينة ولما اصبحت عاد اليهِ فرآهُ قد قضى نحبهُ، فأمر من ساعتهِ ان ياتوهُ من المدينة بتابوت جديد من فخار مع غطائهِ، فوضعوا فيهِ القدّيس ودفنوهُ في مظلتهِ باكرام وتبجيل.

ولما مرَّ ثلاثة ايّام على وفاة القدّيس أحضر المرزبان فَعَلة كثيرين من المدينة، ومن قراها واتى بهم مظلة القديس وقطع ما في تلك الأجمة من الشجر والقصب وبنى فيها ديراً وهيكلاً، فاتى الاسقف وكرَّسَهُ، وكل سنة في مثل يوم وفاة القديس الواقع في الأحد الثالث من القيامة يأتي هنالك الاسقف مصحوباً بالكهنة والشمامسة وبكثير من المؤمنين فيعيدون لهُ عيداً كبيراً قائمين الليل كلهُ في التراتيل الروحيَّة وفي تلاوة المزامير، ثم يقربون الذبيحة الالهية فيغتذون بجسد ودم ربنا يسوع المسيح وينال الشفاء جميع المرضى الملتجئين اليهِ.

وكل ما كتبناهُ عن القدّيس من حين وصوله الى بريّة فيروز شابور الى مماتهِ سمعناهُ من الذين يوثق بهم أتونا من تلك الاقطار، هذه هي قصة مار يونان الحبيس القدّيس الذي يضنّ الزمان ان ياتي بمثلهِ، فلتكن صلاتهُ معنا آمين.

انّ تذكار مار يونان عند الكلدان في الثاني والعشرين من كانون الثاني كما جاء في قائمة القدّيسين السنوية الموجودة في مكتبة دير مار يعقوب الحبيسي بجانب سعرد.



مار دانيال الطبيب

(في مبادئ الجيل الخامس)

ان هذا القديس كان من بلاد مصر من احدى قرى تيبس واسمهُ مهرسطوس، وكان والداهُ وثنيين، فسلماهُ الى مؤدب وثني، وكان في قريتهِ قليل من النصارى لهم فيها بيعة صغيرة، وحيث انّ الله كان قد اصطفاهُ ليشرق في كنيستهِ كوكباً لامعاً فكان هو يهرب مراراً من مدرسة الوثنيين فينطلق الى مكتب النصارى فيتعلم المزامير فاطلع والدهُ على امرهِ فغضب عليهِ واوسعهُ ضرباً ونهاهُ عن المضي الى النصارى غير انّ الصبي كان قد نزع عن قلبهِ ستور الشبهة فأيقن بصحة الديانة النصرانية فلم يبالِ بامر ابيهِ، فكان يذهب الى البيعة صباحاً ومساءً ويلتمس الى الله ان يقودهُ بزمام الاهتداء من تيهِ الاضاليل الى مناهج طاعتهِ، وكان والدهُ يمض من ذلك كثيراً فاستنفذ وسعهُ في إبعادهِ عن النصارى بكل ما امكن من الوسائل الفعالة، وذهبت اتعابهُ ادراج الرياح، وكان الصبي كل ليلة أحد يقوم للصلوة فيتلو المزامير فذات ليلة رأى في الحلم ربنا يسوع المسيح جالساً على كرسي يتلألأ بانوار ساطعة باهرة تقدح من اسارير وجنتيهِ وقد أحدق بالكرسي جمٌّ غفير من الجيوش السموية والنصارى ياتون فيختلطون بتلك الاجواق الروحانية ثمَّ راى الوثنيين يتقلبون ظهراً لبطنٍ في نار شديدة وعذابات قاسية، وسمع صوتاً يدعوهُ باسمهِ قائلاً: "مهرسطوس مهرسطوس" فأجاب قائلاً: "هاءنذا يا سيد" فقال لهُ الرب: "لا يجب ان يُدعى بعد اسمك مهرسطوس، بل دانيال اي سنة الله لاني اخترتك لتكون لي جندياً نشيطاً" وللحال استيقظ الصبي مذعوراً، فانطلق الى الكاهن الذي

كان يُعلمهُ المزامير وأطلعهُ على ما رآهُ في الحلم، فتعجب الكاهن مما قصَّ عليهِ الصبي وايقن انهُ مزمع ان يكون اناء اختيار للربَّ عزَّ وجل، فعمدهُ من ساعتهِ ودعا اسمهُ دانيال.

وبعد عماذهِ لم يُعد يذهب الى معبد الوثنيين، ولا الى مدرستهم، وأفرغ والداهُ كل مجهودهما ليحملاهُ على نبذ النصرانيّة فلم يزدد هو الا رغبةً في الديانة النصرانيّة، لا بل لم يكن يفتر يتلو على مسامعهما اقوال مار بولس فكان يقول لهما: "لانكما لم تحكما على نفسيكما ان تعرفا الله اسلمكما اللهُ الى ذهن مرفوض لتستبدلا بمجد الله الذي لا ينالهُ فساد شبهَ صورة الانسان الفاسد، وبدلتما حقّ الله بالكذب واتقيتما المخلوق وعبدتماهُ دون الخالق الذي هو مبارك الى الابد" فكان نصلُ هذا الكلام بجرح فؤاديهما فيزداد حقدهما عليهِ سعراً فيبالغان في ضربهِ واهانتهِ، وهو يابى الا ثباتاً في الدين المستقيم، فلا يتزعزع عن منهاج الايمان بسطوة الضرب والتهديد.

فلما حيَّا الخامسة عشرة من عمرهِ عزم والداهُ ان يخطبا لهُ امرأة واكرهاهُ على ذلك ظناً منهما انهما يحملانهِ على نبذ النصرانيّة فلما شاهد انهما يحتفران بينهُ وبين الكمال المسيحي هوتة عميقة كي لا يستطيع الى العبور اليهِ سبيلاً، انطلق الى الكاهن الذي عمدهُ فأطلعهُ على الأمر، فسألهُ الكاهن: "ماذا تريد انت" قال: "انّي ارغب ان اكون راهباً، والا فكيف يثبت فيَّ قول المسيح القائل من احبَّ اباً او اماً اكثر مني فلا يستحقني، ومن لا يحمل صليبهُ ويتبعني فلا يستحقني وكيف اقدر ان ابلغ في وسط العالم درجةً سامية من الكمال المسيحي؟" فوقع هذا الكلام في قلب الكاهن وقعاً شديداً وعلم ان دعوتهُ من الله فقال لهُ: "حيث بدا لك ان تزهد في ملاذ الدنيا الغرور فلا تقدر على ذلك في هذه القرية، فأشير اليك ان تذهب الى دير الأب

فاخوم" فقال: "لستُ اعرف الطريق" قال: "انتظر الى أن ياتي الرهبان لِبيع ما نسجتهُ ايديهم، فاصحبهم واعتصم بالله وهو يهديك الى الطريق المستقيم" وبعد ايام قليلة اتى الى قريتهُ رهبان من دير الأب فاخوم، فصحبهم فرحَّب بهِ الرهبان وانضمَّ اليهم، وفي مدة قليلة ارتقى الى معارج الكمال المسيحي ممارساً اجلَّ الفضائل الانجيلية وكان يرى في سلوك بعض الرهبان القديسين مثالاً حياً ينشطهُ، فشرع يُميت جسدهُ بالاصوام الشاقَّة والاسهار الطويلة ولا يتناول سوى البقول كالفرفحين والكرنب والسلق وغير ذلك وكان منطقهُ الصواب وملبسهُ الاحتّشام ومشيهُ التواضع، حتى انهُ في مدة قليلة من الزمان اصبح مثالاً كاملاً للسيرة الرهبانيّة والكمال المسيحيَ.

وقضى القدّيس على هذا المنوال ستة اعوام متسلقاً مراقي الكمال يوماً فيوماً، فحسدهُ الشيطان حسداً شديداً فأثار عليهِ الحرب، فانقضت عليهِ صواعق التجارب، لكنهُ دفعها بقوة عجيبة، فكسر راس الحية الجهنمية، فلم يحتمل الشياطين ذلك منهُ فاخذوا يهجمون عليهِ بالليالي فيوسعونهُ ضرباً، ولم يكن من القديس الا انهُ اتكل على الله سبحانهُ وتعالى مترنماً بهذه الآيات من المزامير وهي يقوم الله ويتبدد جميع اعدائهِ ويهرب مبغضوهُ من امام وجههِ، كما يُذرى الدخان يُذرون، والصدّيقون يفرحون ويبتهجون امام الله ويطفرون سروراً، هؤلاء بالمراكب وهؤلاء بالخيل، واما نحن فباسم الربَّ إلاهنا نتقوى.

وبعد ان قضى مار دانيال عشر سنين في دير مار فاخوم، اتى الى دير القديس مار اوجين، فأحبَّهُ مار دانيال والفهُ لِمَا رأى منهُ ما ذاع وملأ الاسماع من ادلة التقوى والسيرة النسكية والفضائل الرسوليّة، فاصطحبا وتآلفا، ولم تزدهما الأيام الا محبة فلما أتى مار اوجين بلاد المشرق،

اصطحبهُ معهُ في جملة السبعين تلميذاً الذين اتى بهم الى النواحي الشرقية، وانشأ فيها الحيوة الرهبانيّة، وكان في غضون ذلك شابور ملك الفرس قد اثار اضطهاداً شديداً على نصارى المشرق وطال هذا الاضطهاد اربعين سنة فلما خمدت نارهُ بواسطة الصلح الذي انعقد بين يوبنيانس ملك الروم وشابور وبلغ شابور خبر مار اوجين وتلامذته فدعاهُ اليه في نصيبين، ورأى ما رأى من العجائب كما سبق القول في قصّة مار اوجين ومار يونان وغيرهما واذن لهُ ولاصحابه بالدستور المكرَّم في جميع مملكته وان يبتنوا البيع ويقيموا الاديرة حينئذٍ اقبل من جبل الازل مار دانيال الذي نحن في صدده صحبة مار ميخائيل الى موضع فوق القلعة العبرانية، ولم يكن هناك يومئذٍ عمارةٌ للسكنى، وهذه القلعة العبرانية هي مدينة الموصل التي فيما بعد اخذت بالعمارة، ومار ميخائيل هو المعروف برفيق الملائكة الذي آثار ديره اليوم في الوجود فُوَيق الموصل ثم بعد مرور عشر سنين ترك مار دانيال رفيقَهُ ميخائيل هناك، وقام رحل الى ارض نوهدرا وسكن هناك في مغارة على ساحل نهر معلثايا بازاء قرية اسمها بيت قيطا مدة اثنتين وعشرين سنة، وكان الموضع كثير القصب والبردي تأوي اليه الوحوش، فالفت القديس، وكان بعض الاحيان يخرج الى المرعى معها.

ويقال انهُ اتتهُ ذات يوم لبوءة ماسكة بفيها جروها فطرحتهُ على قدميه، وكان اعمى، فعلم القديس انها انما اتتهُ به لكي يفتح عينيه، فوضع يدهُ على عينيه وقال: "باسم ربنا يسوع المسيح لتفتح هاتان العينان" وللحال انفتحت عيناهُ، قال كاتب القصة: لواحدة القوة الالهية الصانعة المعجزات على ايدي القديسين، فهذه الاعجوبة التي صنعها مار دانيال نظير الاعجوبة التي فعلها الاب مقاريوس المصري، فانهُ هو ايضاً أتتهُ ضَبُع بولدٍ لها كان

اعمى، ففتح القديس عينيهِ، ومكافأة لهُ اتتهُ الضبع بفروةٍ وهكذا فعلت اللبوءَة اذ اتت مار دانيال بخروفٍ حيٍ، فلما رآهُ ضحك وقال لها: "اذهبي رجعي الخروف الى صاحبهِ، فانهُ لا يلزمني" فامتثلت امرهُ ورجعتهُ الى صاحبه حيّا.

ويوماً آخر اذ كانت الحيوانات ترد الماء في وقت الظهيرة خرجت افعى من داخل البردي فوثبت على ابن غزالةٍ فبلعتهُ، فاخذت الغزالة تيعَر يُعاراً مراً فبادر اليها القديس، ولما رأى الافعى قد بلعت ابنها غضب وضربها بالعصا التي بيده فانشقّت حالاً من راسها حتى ذَنَبها، فكاني بهِ قد نحا نحوَ مار ميليس الذي بمجرد قولهِ قتل الافعى التي كانت ساكنة في مغارة راهب.

وكان الى الجانب الشرقي من النهر المذكور مدينة عامرة تدعى تلحش، وكان فيها عامل للملك اسمهُ حَش وكان مقتدراً الى الغاية وولايتهُ من الزاب الاكبر الى ارمنيّة ونهر الفرات، وكان لهُ ابنة مخلعة فخرج ذات يوم في جماعةٍ الى الصيد فصادفوا قطيع ظباءٍ، فلحقوا في اثرهِ، فالتجأ القطيع حيث كان مار دانيال، فلما بصر القدّيس بالخيالة مُقبلين نحو مغارتهِ خرج منها فدخل القصب بغية ان يختفي عن ابصارهم، لكن واحداً منهم بصر بهِ فدنا منهُ، واذا بالوحوش محتاطة بهِ، فبادر الى سيدهِ لكي يُطلِعَهُ على أمرهِ، فخرج حينئذٍ القديس للقاء الأمير واقبل عليهِ مستبشراً بهِ، فسألهُ حَش قائلاً: "ما هذا الزيّ المرتديهِ انت، وما لي اراك ساكناً وحدك في هذا المكان القفر" قال القدّيس: "إنّ إلهنا يقول لنا هكذا كل من لا يترك العالم ويتبعني فلا يستحقني" ثم جرت بينهما المخاطبة الآتية وكان الامير يسأل والقديس يجاوب على هذه الصورة وهي:

الامير: "وما شانك هنا".

القديس: "اني اسجد لله الخالق الكل".

الامير: "من هو إلهك؟".

القديس: "إنَّ الهي هو الذي خلق السَّماء والارض والملائكة والبشر والحيوانات والطيور ولجبال والآكام والبحار والأنهر والاشجار والاثمار".

الامير: "وأين هو إلهك؟".

القديس: "إنّ إلهي في السماء".

الامير: "ومن اين تعرفهُ؟".

القديس: "الانبياء والرسل أخبروا بهِ".

الامير: "من هم الانبياء والرسل؟".

القديس: "هم اناس ابرار ظهر لهم الروح القدس".

الامير: "ومن هو الروح القدس؟".

القديس: "ان الروح القدس هو روح الله الحي وهو يزور جميع الذين يتقونهُ ويكملون ارادتهُ".

الامير: "أيُعطيك إلهك كل ما تطلب منهُ؟".

القديس: "نعم انّ كل من يطلب اليهِ بالايمان يظفر بمطلوبهِ".

الامير: "انّ لي ابنة مخلعة، فان أبرأها الهك آمنتُ بهِ".

القديس: "واين هي ابنتك؟".

الامير: "في مدينة تلحش".

القديس: "أذهب معكم لأراها" وحينئذٍ اعطوا القدّيس ركوبةً فعلاها وانطلق معهم الى تلحش فأتوهُ بالفتاة، فاخذ يصلي ويقول: "ايها الرب يسوع المسيح الذي أرسلهُ الآب الى العالم لكي يشفي جراحاتنا بمعجزات كثيرة باهرة، ثمَّ صلبهُ اليهود فدُفن وقام من بين الاموات وصعد الى السماء

وجلس عن يمين الله أبيهِ، انت يا ربَّ قلتَ اسألوا تُعطوا اطلبوا تجدوا، اقرعوا يُفتح لكم والآن اسمع صلاتي وأبرئ هذهِ الفتاة البائسة لكي يتمجد اسمك الآن وفي كل زمان والى دهر الداهرين آمين" قال هذا ورسم ثلاث مرَّات اشارة الصليب على راس الفتاة وقال: "باسم ربنّا يسوع المسيح قومي وامشي" وللحال قامت فانتصبت على رجلَيها، فأخذت الحضار هزَّة الانذهال ففرحوا وصرخوا قائلين: "لَعظيم آله النصارى الذي يصنع معجزات باهرة كهذه، فهو وحدهُ الإله الحقّ" فقام الامير وقال: "ارعوني سمعكم يا اخوتنا واولادنا، اننا الى الآن انما الالهة الكاذبة عبدنا ولها سجدنا، والآن اذ عرفنا الإله الحق بواسطة خادمهِ هذا الذي أرسلهُ هو الينا فمن الواجب ان لا نسجد الا لهُ، فهلمَّ بنا نتتلمذ لهُ جميعاً" فقالوا بصوتٍ واحد: "اننا ننقاد لقولك ونمتثل امرك، فَمُر ما بدا لك، ونحن قد آمنا بالاله الذي لهُ يسجد دانيال، لا آله الا هو وحدهُ" وجعل القديس يرشدهم ويخاطبهم عن العقائد النصرانيّة، وعمذ اولاً الملك وابنتهُ ثمَّ جماً غفيراً من الأهالي بلغ عددهم نحو ثمانية آلاف نفس.

وإنَّ الامير صنع وليمة لجميع عظمائهِ واهالي المدينة، فصار فرح شديد في كل البلد وشكروا الله على ما نالوا منهُ من الاحسان، واقبل الامير على مار دانيال مستبشراً بهِ وقال: "يا معلمنا ويا عبد الاله الحي العظيم، اطلب ما شئت، فكل حاجة لك عندنا مقضية، فانك عظيم في عيننا، ولو طلبت ملكنا لأعطينا ولم نرد طلبتك" فقال القديس: "أكرم الله الامير كرامة الدنيا والآخرة، اما الذهب فلا حاجة لي اليهِ لان ربنّا أمرنا في انجيلهِ أن لا نقتني ذهباً ولافضَّة ولا نحاساً، واما الكرامة فلستُ اريد شيئاً منها، اما بغيتي فهي ان تبني في هذه المدينة هيكلاً فيهِ يسبَّح اسم الله القدير وتقيم لي ديراً

في الموضع الذي رأيتني فيهِ" قال الامير: "حباً وكرامةً يا خادم الله" ثمَّ ابتنى الامير كنيسة فاخرة في تلحش[1] وبنى ايضاً ديراً لمار دانيال على نهر معلثايا بازاء قرية بيت قيطي.

ثمَّ إن القديس والامير والأهالي كتبوا رسالةً الى مطران نهر بيت لافاط ليرسل لهم اسقفاً يرعاهم[2]، فارسل مار ميليس وكان هذا أول اسقف في ارض نوهدرا، وهو غير ميليس اسقف سوس الشهيد فخرج للقائهِ مار دانيال والامير حَش وجمٌ غفير من الأهالي، وأكرموهُ الكرامة كلها، وكان وصولهُ الى تلحَش في الاحد الاوَّل من الميلاد، فكرَّس الاسقف الجديد الكنيسة التي بناها الامير حَش وتوفي مار دانيال في الاحد الاول من ايار ودُفن في ديره بعز واكرام، وكان عمرهُ خمساً وتسعين سنة ويقول كاتب القصة:

ان مار دانيال ليس فقط في حياتهِ صنع المعجزات بل بعد مماتهِ ايضاً فرُوي انهُ كان شماس مخلع في كرخ بيت يازدين[3] فذات ليلةٍ سمع في الحلم قائلاً يقول لهُ: "اذا انطلقتَ الى دير مار دانيال شُفيتَ لا محالة" فلما استيقظ قصَّ على امهِ ما سمع، فذهبت بهِ أُمهُ الى دير القديس ومكثا فيهِ نحو سبعة ايام عند مرقدهِ وشُفي الشماس تماماً، وامرٌ محقق هو ان القديسين ليس فقط في حياتهم بل بعد مماتهم ايضاً يصنعون المعجزات وذلك لانهم احباء الله.

١- لعلها هي الباقي اثرها الى هذا اليوم في قرية تلحش وباسم القديس ميليس، وهي في غربي القوش على مسافة ساعة منها.

٢- من المحتمل انهُ في ذلك الوقت كان كرسي ساليق خاليا، فانهُ بعد استشهاد بربعشمين الجاثليق فرغ الكرسي مدة مستطيلة.

٣- ان يزدين المشهور في تواريخ الكلدان كان من باجرمي، اذا كرخ بيت يزدين كان في هذه النواحي.

واما الامير حَش فثارت فتنة عليهِ بسبب تنصره فقُبض عليهِ، وقيل لهُ ان يتمجس فلم يقبل فقُتل بالسيف ونال اكليل الاستشهاد في ثاني تموز، ودُفن في الكنيسة التي كان بناها ومنذ ذلك الحين أخذ المجوس يضطهدون النصارى في مدينة تلحش، وقبضوا على مار ميليس ايضا فرجموهُ، وكان استشهادهُ في ثالث حزيران.



مار ميخا النوهدري

(في مبادئ الجيل الخامس)

انّ القدّيس ميخا كان اصلهُ من بانوهدرا من عائلة شهيرة ومعلومة، وكان أجدادهُ من رؤساء المجوس وندماء الملوك، واما والداهُ فاعتمذا وصارا مسيحيَّين على يد القدّيس مار اوجين وكان اسم ابيه كورشاه[1]، وامهُ كان أبوهُ تزوّجها كعادة المجوس، لكن منذ اقتبالهما سرّ المعموذية لم يسكنا معاً بل افترقا، وانّ القدّيس ميخا بعد ان اعتمذ بدأ ان يتعلم كتاب المزامير ومكث في البيعة زمناً طويلاً ومن حيث انّ والديه كانا من الاغنياء فكانا كل سنة يجيئان اليه بذهب وفضة وثياب وغير ذلك اما هو فكان بعد سفرهما من عنده يقسم كل شيء على المساكين تاركاً فقط ما به تُسدّ الحاجة. وكان متجلداً بالصوم والصلوة وقراءَة الكتب الالهية ولما تمهر في الكتب مقدار عشرين سنة جاء عند مار اوجين واقتبل منهُ اسكيم الرهبنة، وبدأ يسير حسب القرانين مع الاخوة وكان مار اوجين يعدهُ كابنه، وهو كان يطيعهُ في كل شيء واذ نزل القدّيس اوجين الى نصيبين لاجل رؤية الهيكل الذي بناهُ مار يعقوب اسقف نصيبين هو ايضاً نزل معهُ ولما ذهب مار يعقوب ومار اوجين لبناء وتقديس الهيكل الذي بُني في جبل الجودي هو ايضاً رافقهما، لانهما كانا يحبانه كثيراً ولما اضطهد يوليانس المنافق البيعة وهرب الرهبان من امام غضبه بقي هو في الدير عند مار اوجين مع عشرة من الاخوة.

---

[1] فارسية مركبة من كوراي عيشة ومن شاه اي سلطان.

وبعد ان اشتغل مار ميخا مع الاخوة عشر سنين وكمل القانون الموضوع على الرهبان، خرج الى القلاية واما التقشفات التي مارسها في القلاية فلا توصف كما اخبر بذلك الرهبان رفاقهُ ومار اوجين معلمهُ فانهُ حتمَ على نفسه ان لا يأكل كل ثلاثة أيام الا مرة واحدة، وذلك قرصة واحدة لا غير وان يشمس[1] كل كتاب المزامير كل يوم مرتين، مرةً في الليل ومرةً في النهار ولما كان يزورهُ احد الاخوة او احد اقربائهِ كان يتناول ما كان يوجد عندهُ من الطعام مظهراً بذلك انهُ ليس من الصائمين، وكان يقول مراراً متأسفاً: "إنهُ ما من احد ارتكب مثلي ومثل والديَّ خطايا وجرائم جسيمة" فكان يطلب الى الذين يحضرون عندهُ من الاخوة ان يصلوا لاجلهِ ولاجل والديه قائلاً: "صلوا عليَّ وعلى والديَّ لانا اكبر الخطأة" فمنذ تنصرهِ لم يذق طعاماً مطبوخاً ولا سمناً، الا اذا زارهُ احد، ولباسهُ كان قميصاً من شعر وفوقهُ اقمشة حسنة، وتحت قميصهِ كان متنطقاً بثلاث مناطق من حديد على صدرهِ وعلى رقبتهِ وعلى حقويهِ هكذا اخبر عنهُ بعض الشيوخ، ولم يكن يخرج من قلايتهِ الا يوم الأحد وذلك ليتناول جسد ودم ربنا يسوع المسيح فقضى عشرين سنة على هذهِ الحالة، حينئذٍ حمل عليهِ الشيطان وجربهُ بكل انواع التجارب لعلهُ يحملهُ على ان يُمسك عن عبادة الله، ومن الجملة انهُ كان يتراءى لهُ بزيّ اهلهِ واقربائهِ ليُشغِلهُ بهم، فيُحضر لهم الطعام فيضرب عن العبادة والصوم والصلوة، لكنَّ اتعابَهُ ذهبت ادراج الرياح، فإنَّ القديس عرف بذلك وشرع يطلب الى الله ان يخرجهُ من الدير فيذهب بهِ حيث لا يكون انسان، وفي تلك الاثناء توفّي والداهُ فقسم جميع

١- كلمة كلدانية سريانية معناها خدم ويراد بها هنا تلا يتلو.

اموالهما على الفقراء والأديرة والكنائس، ثمَّ ترك الدير وارتحل عنهُ في الجبل مسافة عشرة اميال واختلى في مغارة ضيقة.

وفي تلك المغارة تعوَّد ألا ياكل في الاسبوع كله إلا قرصة واحدة اما الشيطان فما زال يجربهُ، فكان ياتي بالأطعمة اللذيذة فيضعها قدامهُ قائلاً: "تعال كُل" وهو كان يصلي بلا فتور فيقول: "لا ترفضني ولا تتخلَّ عني يا إلهي ومخلصي(مزمور٩:٢٧) لا تبلغ الشرير يا ربّ مناه، ولا تنولهُ مآربهُ" (مزمور١٢٩: ٢٩) وكان يرسم على وجههِ اشارة الصليب، فتهرب الشياطين حالاً ثم انّ الماء كان بعيداً عنهُ مقدار فرسخ ونيف، فكان كل شهر يذهب فيملأ ماءً قُلّةً كانت لهُ، فكان الشيطان في حر الصيف المذيب ياتيه بجرة مملوة ماءً زلالاً فيقدمها لهُ قائلاً: "تعال اشرب يا ربّان[1] وارو عطشك، لانّي اعرف انّك عطشان" فيجاوبهُ القديس بشجاعةٍ ويقول: "إنَّ الربّ الذي اخرج ماءً من الصخرة فسقى منهُ شعبهُ وأمطر على بني اسرائيل المنّ فأكلوا لا يتغافل عني انا الخاطئ" وكان يرنم ويقول: "قم يارب إعانةً لي وأفدني من اجل رحمتك، ليَعُد عدوّي في شان خزيهِ فلا اخزى انا فانّي عليك اتكلتُ" وكان اللعين بعض الاحيان يتزيأ بزي امرأة جميلة المنظر فياتي ويقف الليل كلهُ على باب مغارتهِ ولا يزال يقول لهُ: "أدخلني مغارتك والا فتفترسني الوحوش فياخذ منك المسيح بثاري" واما القدّيس فلم يكن يُمسك عن صلاتهِ، فكان يقول: "يخزى ويخجل معاً الذين يفرحون بمضرتي، يلبس الخزي والعار الذين يبغضونني، واما انا فكل حين أُصلي واستكثر من تسبيحك" فلما رأى الشيطان انهُ لا يتمكن من القدّيس بكل ما يستعملهُ من الوسائل الجهنمية بادر الى اخذ الثار بوسائط أُخرى، فكان

١- معناها الاستاذ والإمام.

يتخذ هيئة ريح شديدة فينقض على القُلة، فيسكب ما فيها من الماء، الأمر الذي كان يفعلهُ خصوصاً في يوم الاحد الذي فيهِ كان القدّيس يتناول الطعام ويشرب الماء وكان القدّيس يُؤَخِر أكلهُ الى الأحد التالي مخزياً بذلك الشيطان الرجيم.

ولم يزل الشيطان يجربهُ، وهو بصلاتهِ يغلبهُ وكان يوماً فيوماً يزداد غيرة وفضائل إلهية فذات يوم جيء اليهِ بمجنونة، فلم يُرِد ان يشفيها بل ارسلها الى مار اوجين وذلك لئلا يشيع خبرهُ، فيبادر اليهِ المرضى فيسلبوا راحتهُ، فاطاعهُ الذين اتوا بالمجنونة، وخرجوا بها من عندهِ، لكن القدّيس بعد خروجهم تحنن على المجنونة فصلى لاجلها فشُفيت قبل ان تنتهي الى دير مار اوجين فمنذ ذلك اليوم اخذ المرضى يقصدونهُ أفواجاً افواجاً طَلَباً للشفاء، فترك مكانهُ وسافر الى اورشليم ليتبرك بالاماكن التي قدّسها ربنّا يسوع المسيح فلما وصل الى حمص اراد ان يتبرك بالهيكل الذي فيهِ كان راس مار يوحنا المعمذان، فطلب بتواضع الى الساعور ان يُرِيَهُ رأس القديس يوحنا ليقبلهُ، فلم يُرِد، ولما مضى هو امام الصندوق، انفتح من ساعتهِ فتبارك مار ميخا برأس القدّيس (هذا ما سمعهُ كاتب القصة من يوسف الذي كان ساكناً في هيكل حمص) وصنع مار ميخا عجائب كثيرة هناك، وأبرأ ابن رئيس المائة وقد كان مجنوناً منذ عشرين سنة.

وخرج مار ميخا من هناك، ورافقهُ رجلان كانا ماضيَين الى اورشليم، فصادفهم قطاع الطريق فقبضوا عليهم ولما لم يجدوا معهم شيئاً ظنوا انهم جواسيس، فحبسوهم في مغارة، ففي تلك الليلة ابتُلِي ثلاثة من اللصوص بالقولنج، فرأى احد اللصوص في الحلم أنّ القديس ميخا هو الذي يشفي رفاقهُ، فلما اصبحت وقع على رجليهِ طالباً منهُ ان يشفي رفاقهُ، فانذرهم

ان يعدوهُ بان يضربوا عن سيئاتهم فلا يضروا احداً، فوعدوهُ، فحينئذٍ اخذ زيتاً وباركهُ ومسح بهِ المرضى، فللوقت شُفوا وانجزوا ما وعدوا بهِ، فسافر القدّيس ورفقاءَهُ الى اورشليم، وزار الأماكن المقدّسة، وفي غضون ذلك كان في اوشليم فلابيانس[1] مطران انطاكية، فهذا عرف القدّيس ميخا، فاخذهُ الى قلايتهِ وفي تلك الأيام اتى اناس من طرسوس ليطلبوا من المطران فلابيانس ان يرسم لهم اسقفاً، فاشار عليهم ان ينتخبوا القديس ميخا، فسهروا تلك الليلة، وفي وقت القداس فرزهُ مار فلابيانس ليُرسَم اسقفاً لطرسوس، فقبل الرسامةَ طاعةً لهُ، وكان ذلك في يوم احد العنصرة وبعد مرور ثلاثة ايام اذ كانوا مزمعين ان ياخذوهُ الى مدينتهم قام وهرب ليلاً وتوجه نحو جبل سينا، ولما اصبحت فتشوا عنهُ فلم يجدوهُ واما القدّيس فبعد أن زار هيكل جبل سينا حيث قبل موسى الوحي من الله، مضى الى برية الاسقيط فتبارك بالاخوة القدّيسين، ثم سافر الى البريّة الجوانية ووجد كوخاً فتبوأهُ، وبقوة العناية الربانيّة تعود ان يقتات بحشائش تلك البريّة، لانهُ لم يكن لهُ ما ياكل، وبقي هو على تلك الحالة نحو عشرين سنة ممارساً أجلَ الفضائل المسيحيّة فأتاهُ يوماً الشياطين وضربوهُ ضرباً شديداً وبقي مغشيّاً عليهِ خمس ليالٍ وخمسة ايام ومرة اخرى تراءى لهُ الشيطان بمجد عظيم محتاطاً بالملائكة الأشرار وهم يوقرونهُ ويبجلونهُ ويقولون: "هذا هو المسيح نور العالم" والتفت اليه ابليس وقال لهُ: "اني اتيتك لاكافئَك على ما تمارسهُ من الفضائل" فقال لهُ القديس بشجاعةٍ عظيمة: "اذهب عني يا شيطان، فإنَّ المسيح إلهي يتراءى لي ليسَ في هذا العالم بل في العالم العتيد" وللحال قام يصلي متخشعاً، فتبدد الاعداء، فحتم على نفسه ان يسهر الليل والنهار

١- فلابيانس صار اسقفاً على انطاكية سنة ٣٨١ وتوفي سنة ٤٠٤.

مواظباً على الصلوة ليتخلص من تجارب الشيطان، لانهُ كان يقول في نفسه: "انما من جراء خطاياي وخطايا والديَّ امسيتُ عرضة للشياطين" وإنَّ الله لما راى صبرهُ الجميل وثباتهُ العجيب في ممارسة الفضائل أنقذهُ من تجارب الشيطان فلم يَعُد يقلقهُ.

ثمّ انَّ الله أوحى لهُ ان يرجع الى المشرق ويبني ديراً يكون ملجأً للغرباء والفقراء، فرجع وزار ثانيةً قبر المخلص، ثم اتى دير معلمهِ مار اوجين ليتبرك بعظامهِ المقدسة لانهُ كان قد قضى نحبهُ، ثمَّ اتى القوش قرية ناحوم النبي في ارض نينوى، وكان وباء في القرية يفتك بالاطفال فتكاً ذريعاً، فانذر القدّيس اهلها ان يتوبوا ويحفظوا وصايا الله ليزول الوباء عن اطفالهم، فقدموا التوبة وصلى القديس فزال الوباء، واجتمع اليهِ جمٌ غفير من المرضى من ارض نينوى فابرأهم وكان في القرية امرأة مجنونة ترجم بالحجارة كل من يمر بها، وذات يوم مرَّ بها القدّيس فاخذت ترجمهُ بالحجارة، فتحنن عليها وصلى فشفاها.

ولم يكن القدّيس مالكاً سوى الانجيل لا غير، فلبث في القوش منتظراً من الرب ان يدبرَ امرهُ وسمع بشهرتهِ سكان المدن المجاورة فأتوهُ من معلثايا ونينوى، وقدموا كمية معتبرة من الذهب والفضة لبنيان الدير، فبناهُ في شرقي القوش، ثمَّ أتى اسقف معلثايا مع كل الاكليروس وقدسوا الدير واشترى القديس حقولاً في شرقي القرية وغربيها، وبنى حوالي الدير بيوتاً للتعليم وأقام فيها معلمين فاجتمع اليهِ الطلاب من كل جهة، فكان القدّيس يقوم بمعاشهم ولبسهم وبكل ما يحتاجون اليهِ، وكان الناس يتقاطرون اليهِ من القرى المجاورة ليفوزوا منهُ بالبركة، وبقي في كوخ لهُ في ذلك الدير مدة خمس عشرة سنة منقطعاً فيهِ للصلوة والفضائل المسيحية كانهُ ملاك الله

على الارض والصورة الحية لآلام ورحمة يسوع المسيح ثمَّ انهُ علم بوحيٍ إلاهيّ أنَّ اجلهُ قد دنا، فدعا اليهِ تلاميذهُ وباركهم وعزاهم، ثمَّ أمر ان ياتوهُ بمجرفة فحفر قبرهُ بيدهِ، وتزود بجسد ودم ربنّا يسوع المسيح، وانتقل الى حضن ربهِ في اليوم الاول من تشرين الثاني، ودُفن في القبر الذي حفرهُ لنفسهِ وبعد مرور ثلاث سنوات فتحوا قبرهُ فوجدوهُ شبه العاج لم يمسهُ الفساد، فاخذوهُ ووضعوهُ في صندوق جديد[1] وجعلوا لهُ تذكاراً في اليوم الاول من تشرين الثاني وفيهِ يجعل لهُ عيداً سكان قرية القوش، وكان عمرهُ لما توفيّ مائة وعشرين سنة.



١- ان قبر مار ميخا موجود في كنيسة مبنية على اسمه في القوش.

مار اشعيا الحلبي

(في بداية الجيل الخامس)

كان في حلب رجل فاضل ذو ثروة وفيرة اسمهُ سوماخوس عُقِدَ لهُ على فتاةٍ على شاكلته مزدانة باحمد المناقب اسمها مريم، وكان قسطنطين الملك يحبهُ كثيراً وجعلهُ والياً على حلب لِمَا رأى فيهِ من الفضائل العجيبة والمحبة الشديدة للفقراء والمحتاجين الذين كان يقوم بأودهم وانّ الله سبحانهُ أراد اختبار صبره فإنهُ لم يرزقهُ ولداً الى السنة العاشرة من زواجه وهو لا يزال يسألهُ تعالى ولداً، فاعطاهُ ولداً فسماهُ اشعيا وسلمهُ الى المؤدب فتعلم القراءَة، ثمَّ فكر في تخرجهِ في علوم الأدب، لأن الفصاحة كانت حينئذٍ اقرب مرقاة الى ذرى المناصب العالية الا انّ الله سبحانهُ لم يكن يعدهُ للتقلب في المناصب الرفيعة، بل اصطفاهُ لنفسهِ ليشرق في سماء كنيستهِ كوكباً لامعاً فيقود الضالين الى الطريق المستقيم، وكان قد ذاق لذة الاختلاء وزَهد في العالم مستعداً للانقطاع الى خدمة الربّ على مثال الرسل الاطهار.

ولما ناهز الثانية والعشرين من عمرهِ أكرههُ والداهُ على التزوج فعُقد لهُ رغماً عنهُ على فتاة بارعة الجمال اسمها حنّة، ولم يكن من اشعيا الا انهُ استغاث بربهِ طالباً اليهِ ان ينقذهُ من الفخ الساقط فيهِ، ولما دخل الخدر تراءَى لهُ ملاك الرب فقال لهُ: "يا اشعيا تقوَّ بالربّ ولاتخف فان الله ليس لاجل هذا الخدر الزائل الفاسد قد خلقك، بل لتنتظم في سلك الجندية المسيحية فتصير اهلاً ان تدخل الخدر السموي الذي لا يزول" فلما سمع اشعيا هذهِ الاقوال تقوى وتشجع فنهض حالاً من سريرهِ وشكر من صميم فؤاده الله تعالى اذ زارهُ فأنعم عليه ان يغلب العالم، فدعا العروسَ وقال لها:

"انت اليوم عزيزتي امي واختي، فتعالي ننتخب لنا ما يجدينا نفعاً فنقايض الشقاوة بالهناء ألا انّ لذات هذه الدنيا الغرور تزول، اما اللذات السموية فلا انتهاء لها ابداً" وكانت حنّة قد سمعت صوت الملاك، فقالت لاشعيا: "افعل ما بدا لك يا عزيزي، فاني منقادة لك فعزمتُ ان اعيش انا ايضاً في الطهارة كل ايام حياتي" فقال: "اجلسي الآن انتِ في هذا الخدر، ونُعد لنا سريرَين واحداً لي والآخر لكِ، فنعيش هنا منقطعَين عن لذّات العالم الى ان نتوسط خدور الملكوت" وبقيا ثلاث سنوات على هذه الحالة عائشين عيشة ملاكية لا عيب فيها.

وفي غضون ذلك دعت النعمة الآلهية مار اوجين لياتي بلاد المشرق فيزرع فيها زرع الايمان الحق، فذاك الصوت الذي كان قد دعاهُ وهو في الخدر مع عروسه واوعز اليه ان يضرب عن اللذات الدنيوية فيحب الطهارة والنقاوة الروحية دعاهُ هذه المرة ايضاً ان يجدد اجنحة نفسه النقية لتتطاير بها الى العلاء متنزهة عن كثافة الانسان العتيق فلما طرق مسامعهُ ان مار اوجين اجتاز بالقرب من حلب قاصداً البلاد الشرقية، مضى اليه مصحوباً بجماعة من عبيدهِ حتى يتبرك بهِ فلما وصل اليهِ رحب بهِ مار اوجين، فقصّ عليهِ مار اشعيا قصتهُ على جليتها، فقال لهُ مار اوجين: "حسَناً بدأتَ يا ابني، والأحسن لك ان تحمل صليبك فتتقفى آثار ربّك، كما قد قال هو سبحانهُ في انجيلهُ الطاهر كل من لايحمل صليبهُ ويتبعني فلا يستحقني" فلما سمع هذه الاقوال من مار اوجين اضطرمت فيه نار المحبة الآلهية فرجع حالاً الى منزله، ودعا قرينتهُ حنة وقال لها: "تعرفين يا عزيزتي حنّة كيف اننا في هذه المدة حفظنا طهارتنا، والآن انّ الربّ قد دعاني ان انضمّ الى النساك، فمن الواجب عليَّ ان اتركك وشانك واما انتِ فاختاري لنفسكِ ما تريدين،

وقد وهبتُ لك هذه الدار وكل مافيها" قالت: "اذا كنتَ انتَ تتركني فتصير راهباً فانا ايضاً انضم الى الراهبات فاحافظ على بتوليتي، فانتظرني انتَ قليلاً ريثما اخرج انا من هنا واذهب الى دير الراهبات، وحينئذٍ اذهب انت حيث تدعوك النعمة الآلهية" فأطاعها فالقت عنها في منصتها كل ما كان عليها من الحلى والذهب والجواهر الثمينة والثياب النفيسة وتسربلت بردائها فخرجت قاصدة الدير ولما رآها اشعيا خارجة من منصتها بزيّ فقيرة تفطر قلبهُ من الحزن عليها فتشهق بالبكاء وقال لها: "خذي اقلّ ما يكون ثياب عرسك" فلم تقبل، فتوادعا وقد فاضت دموعهما مدراراً ورافقها اشعيا الى باب الدير، ورجع الى دارهِ وقلبهُ موعب سروراً وحزناً، فسأل عن مار اوجين الذي كان بالقرب من المدينة، فقيل لهُ انهُ سافر مع تلاميذه، فحزن شديداً، ثم دعا خمسين من عبيده من الذين كانوا يودونهُ كثيراً ويكتمون سرهُ، وقصَّ عليهم قصتهُ كلها، فانقبضت صدورهم كدراً واخذوا يبكون بكاءً مراً فقال لهم مار اشعيا: "اني دعوتكم لا لتبكوا بل لتفرحوا معي لاني اقايض الشقاوة بالهناء والخدر الارضي الزائل بخدر الملكوت الدائِم، فما لي اراكمَ تبكون مثل الاطفال فتكدرون صفاء ضميري، فما من شيء حتى الموت قادر ان يفصلني عن محبة يسوع آلهي، فقوموا سريعاً واعدوا الخيل لكي ننطلق اسرع ما يكون خوف ان يتصل الخبر بابي فيمنعني" فامتثلوا امرَهُ وفي اول هجعة من الليل قاموا ليسافروا، واراد مار اشعيا ان يحذو حذوَ قرينته بالقائهِ عنهُ ثيابهُ الثمينة، غير انّ عبيدهُ ناشدوهُ بدموع الا يفعل ذلك طالما هو موجود فيما بينهم، وقالوا: "لإِثم عظيم ان يكون العبيد متقمصين بثياب فاخرة ويكون مولاهم لابساً الاطمار".

فانقاد لهم ولما بعدوا عن المدينة قليلاً صادفوا ثلاثة رجال مصابين بأوجاع مختلفة، فقالوا لهم: "الى اين تذهبون؟" قالوا: "اننا قصدنا مار اوجين بغية ان ننال منهُ الشفاء، وها انهُ قد رحل" فساروا الليل كلهُ والنهار الى ان انتهوا الى نهرٍ وصحبهم اولئك المرضى ايضاً، فنظروا ولم يجدوا زورقاً يعبرون بهِ النهر، فوقفوا على ساحلهِ منتظرين لعل احداً ياتي فيعبر بهم الماء اما مار اشعيا فنزع عنهُ الثوب الثمين الذي كان متوشحاً بهِ وقدمهُ لواحد من أُولئك السقماء واخذ بدلهُ أطمارهُ، ورسم على وجههِ اشارة الصليب والقى نفسهُ في الماء، فاخذهُ روح الربّ على اجنحة الريح، ولما شاهدهُ السقماء ماشياً على الماء اخذتهم هزة الانذهال، فصاحوا قائلين: "يا عبد الله صلِ لاجلنا واطلب من ربّك ان يشفينا من أمراضنا" فرسم عليهم اشارة الصليب فشُفوا حالاً، وكان عبيدهُ ايضاً ينظرون اليهِ منذهلين، ثمَّ غاب عنهم، فظنوا ان الامواج تلاطمت بهِ فغرق في النهر، فتصدعت قلوبهم اسفاً واخذوا يبكون ويقولون وهم محتارون في امرهم لا يدرون كيف يُقبلون على سوماخوس فيخبرونهُ بموت ابنهِ الوحيد فدنا منهم حينئذٍ أُولئك المرضى الذين نالوا الشفاء، وقالوا: "لا تنقبض صدوركم كدراً فاننا شهود لكم عند سوماخوس وعند جميع الناس، فأفرغوا رَوْعكم" ثمَّ انطلقوا جميعاً الى حلب، وكان سوماخوس وجميع اهل الدار يبكون بكاءً مراً على فقدان اشعيا وقرينتهُ حنّة، فدنا اليهِ اولئك العبيد وطرحوا أنفسهم على قدميهِ وهم يبكون ويقولون: "اعفُ يا مولانا عن المذنبين وترحم اليوم على الخاطئين لنخبرك بما جرى" وكان سوماخوس شفوقاً عفواً، فأقسم لهم بالله انهُ لا يضر بهم، فقصوا عليه حينئذٍ القصة على جليتها، وقدموا اليه اولئك المرضى الذين شُفوا. فأخبروهُ هم ايضاً بما جرى لهم، فأدهشهُ

هذا الخبر وأزعج نفسهُ وقبض صدرهُ فجرى من عينيهِ الدمع مدراراً، فانهُ أيقن بغرق ابنهِ اشعيا في ماء النهر ثمَّ دعا حنة من الدير وقال لها: "لماذا لم تخبراني بعزائمكما فكنتُ أُسعفكما بحاجتكما؟" فاخبرتهُ حنّة بقصتهما من اولها الى آخرها، فتعجب كل من يسمع، ثمَّ ان القدّيسة لما سمعت بغرق حبيبها اشعيا، ذاب قلبها اسفاً وتفتت كبدها حزناً فاخذتْ تبكي بكاءً مراً وتنتحب على حبيبها وتقول: "واحبيبي اين انتَ الآن واويلي كيف خانك النهر فأغرقك، اننا حُرمنا الخدر الارضيّ فلا تحرمنا ياربّ الخدر السماوي" وأشار عليها سوماخوس ان ترجع الى خدرها، فأبتْ وقالت: "إني لستُ اتمنى الا الخدر السماويّ الذي أعدَّهُ المسيح لي ولحبيبي اشعيا، فحاشاي ان ارجع الى الخدر الذي خرجنا منهُ" ثمَّ ان سوماخوس انطلق بحشمهِ وحاشيتهِ الى النهر الذي قيل لهُ انهُ فيهِ غرق ابنهُ ليتفقدهُ فلعلهُ يفوز اقلما يكون بجثتهِ فيأتي بها المدينة ويدفنها بكل ما يستحقهُ ابنهُ من العز والاكرام.

واما مار اشعيا فكان روح الربّ قد اخذهُ فانطلق بهِ الى مار اوجين، ففرح بهِ القديس فرحاً عظيماً لان الله أوحى في قلبهِ انهُ هو الذي انتخبهُ، وبعد ان مكث عندهُ يومين أُوحيَ الى مار اوجين ما كان يقاسي والدا اشعيا من الاحزان والاشجان، فانطلق هو وتلاميذهُ الى النهر فعبروهُ وفيما هم منطلقون التقوا بسوماخوس، فنزل عن حصانهِ واتى فتبرك بمار اوجين، وجعل يبكي، فسبقهُ القديس وقال لهُ: "اظن انّ سيدي على ابنهِ يبكي، فكن في راحة البال، فانّ ابنك لم يغرق كما ظننت بل انّ الله صادهُ الى الحيوة الأبديَّة" فهش سوماخوس لما عَلِم ان ابنهُ حيّ، فطلب الى مار اوجين بدموع سخينة ان يُريهُ اياهُ فدعاهُ مار اوجين فمثل اشعيا بين يدي

ابيه، فنظر اليه ابوهُ واذا به قد تغير تغييراً تاماً عما كان في بيت والدَيه، فانهُ عوَض الثياب المذهبة كان متردياً باطمار بالية فاخذهُ العجب وقال لهُ: "انَّ امرك عجيب يا بنيَّ، فلستُ اعرف كيف تغيرت احوالك في هذه المدة الوجيزة" قال اشعيا: "اني اتلذذ بهذه الحالة اكثر مما بجميع ما في المملكة الروميّة من اللذة والنعمى" ولما ايقن سوماخوس أنهُ من المحال ان يرجع ابنهُ الى العالم طفق يبث مار اوجين شكواهُ متذمراً منهُ بمحبة، ومما قال لهُ: "إنَّ هذا الابن وحيد لي فهو وارثي الفريد. واني عليهِ قد علقتُ آمالاً كبيرة، فلا تسلية لي بعدهُ" فقال مار اوجين: "اسمع ياسوماخوس المؤمن، إنَّ الله تعالى انما لخدمته قد اصطفى ابنك هذا، واما قولك انهُ ليس لك وارث غيرهُ فاعلمنَّ انَّهُ ما يحول عليك حَوْل الا ويرزقك الله ابنَين توأمَين فتقر بهما عيناك ويسكب الله عليك سوابغ النعم والبركات، فتعاين أولاد أولادك، فيوعب قلبك سلوةً وسروراً" فتغير قلب سوماخوس مما كان عليه فجثا قدام القدّيس وقال لهُ: "اطلب اليك يا عبد المسيح ان تصلي عليّ وحيث انّ الربّ قد اختار ابني هذا لينتظم في سلك الجندية المسيحية، فهو لك من الآن فصاعداً" وانّ حنّة قرينة اشعيا لما بلغها خبر وجدان اشعيا طارت اليه على جناح السرعة فعانقتهُ وقبلتهُ وهي تذرف العبرات السخينة، ثم انّ سوماخوس قبل ابنهُ اشعيا ورجع الى داره.

واما مار اوجين وتلاميذهُ فتوجهوا الى المشرق وسكنوا في جبل الازل كما سبق القول في قصة مار اوجين، وصنع الله معجزات كثيرة على يد مار اشعيا ولما ذهب مار اوجين وتلاميذهُ الى بلاد قردو لينيرها بمصباح الانجيل ومشى مار اوجين على مياه دجلة كان مار اشعيا من الذين تبعوهُ في النهر ومشوا نظيرهُ على المياه ولما رجع مار اوجين وتلاميذهُ الى جبل الازل بقي

مار اشعيا مع مار حبيب في جزيرة بازبدي وصادفا ميتاً، فدنا اليهِ مار اشعيا وقال للذين كانوا ينطلقون بهِ الى المقبرة ليدفنوهُ ان يقفوا فانهُ سيحيا فقالوا: "ومتى يحيا؟" قال: "لما تتركون ما لكم من التماثيل والاصنام الميتة" قالوا: "ليس لنا اصنام فانّ مار اوجين استاصلها كلها" فقال: "انّ الشياطين اتوكم بديانة فاسدة كاذبة فنبذتم الديانة الحقيقية"...اننا رأينا في قصة مار اوجين انّ هذا القديس كان طرد من نصيبين الكهنة المرقيونيين، فكان واحد منهم أتى جزيرة بازبدي وحلّ في دار قسطنطين الذي كان فيها عاملاً وأفسد قلبهُ، والميت المذكور كان ابن قسطنطين هذا، فترحم الله عليهِ وعلى سكان المدينة وارسل اليهم مار اشعيا لكي يستأصل ضلالة مرقيون من المدينة قبل ان تسري فيها فقال القدّيس لقسطنطين: "اذا اقررت بالايمان الصحيح فنبذت ضلالة مرقيون وطردت المرقيونيّين النازلين في دارك فأسأل ربي فيحيي ابنك هذا" فقال قسطنطين: "آمنتُ ونبذتُ ضلالة مرقيون" فحينئذٍ دنا القديس من الميت وصلى وقال لهُ ثلاث مرات: "باسم يسوع قم امشِ يا شابّ" وللحال قام الشابّ فجلس، فاخذت الحضار هزة الانذهال، فاخذوا يمجدون ويقولون: "إنّ هذا الرجل هو في الحقيقة مُرسل من الله" وصاحوا بالحاكم والحوا عليهِ ان يطرد المرقيوني من دارهِ، ولما رأى القدّيس ان المرقيوني لا يزال متمسكاً بضلالتهِ لعنهُ، فضربهُ ملاك الربّ ومات، ومكث القدّيسان يومين في جزيرة بازبدي وبعدهُ قفلا الى دير معلمهما مار اوجين.

ثم انتقلا من الدير الى بقعة ارض في شرقيّ جبل إلازل على مسافة خمسة فراسخ منهُ وكانت تلك البقعة ذات رواب كثيرة، فكل منهما اتخذ رابيةً مسكناً لهُ، وحفر آباراً فكان يسقي منها عابري الطريق وكان بالقرب من

الرابية الساكن فيها مار اشعيا قرية اسمها وردانشا بناها احد عظماء شابور الملك اسمهُ كوش، لانَّ شابور الملك كان سلط كثيرين من خاصته على البلاد الممتدة من نصيبين حتى دجلة وكان رعاة كوش نصارى مذهباً وارزونيين وطناً.

وذات يوم كانوا يرعون الغنم حول بئر مار اشعيا، فاتوا البئر ليشربوا ماءً، لانهم رأوهُ يسقي عابري الطريق، وعظم القدّيس بأعينهم لِمَا رأوا فيه من التواضع ومخافة الله والرأفة على البائسين، وكانت غنمهم قد جَربت، فطلبوا اليهِ ان يشفيها، فاخذ القدّيس قليلاً من ماء بئرهِ واعطاهُ اياهم قائلاً لهم: "أَلقُوا هذا الماء في بئركم، واني لواثق بربنّا يسوع المسيح انهُ يُبرِئ غنمكم" فامتثلوا أمرهُ، وشُفيت الغنم، فبادروا الى مولاهم واخبروهُ بما كان فاستدعى كوش[1] مار اشعيا ورحب بهِ واحسن مثواهُ وقال لهُ: "يا رجل من ايّ ديانة انت؟" قال: "انّي اعبد الله الحق ولا إله الا هو وحدهُ، وأُقر بابنهِ الذي صلبهُ اليهود في اورشليم" واراد كوش ان يصلِ القدّيس فلم يقبل ما قدم لهُ من الهدايا ورجع الى محلهِ.

واتفق انهُ بعد مرور ستة اشهر مرض ابن اخت كوش مرضاً عضالاً فتوفي، فحزن عليهِ كوش حزناً شديداً لانهُ لم يكن لهُ ابن، فكان قد اتخذ ابن اختهِ هذا ابناً لهُ ولما رأى عبيدهُ النصارى الذين كانوا يرعون غنمهُ ما نالهُ من الهم والحزن قالوا لهُ: "لا تُدخلنَّ عليك شيئاً من الحزن والكآبة، فانك ان التجأت الى مار اشعيا أحيا هذا الشاب" فدعاهُ، ولما مثل بين يديه قال لهُ: "لقد بلغني انك قادر على إحياء الاموات" قال: "انّ مَن لهُ ايمان يقدر ان يصنع اشياء عظيمة، وان آمنتَ انت نلتَ ما تريد" قال كوش: "وبمن

١- كوش بالديانة الفارسية هو الملاك الموكل على رؤية مهمات جميع الناس.

أُومن؟" قال القديس: "بيسوع المسيح الذي صلبهُ اليهود في اورشليم فدُفن وقام من بين الاموات وصعد الى السماء، وهو الله الحق" قال: "إن أحييتَ هذا الشاب آمنتُ" حينئذٍ دنا القدّيس الى الجثة وصرخ بصوتٍ عالٍ ثلاث مرات وقال: "ايها الشاب الميت قم باسم يسوع الناصري" وللحال استفاق الشاب فجلس، فدنا اليهِ كوش وقال لهُ: "اين كنت يا ابني؟ وماذا رأيتَ؟" قال: "رأيتُ انّ جميع المجوس في هَوِيّة مظلمة يتقلبون فيها ظهراً لبطنٍ من شدة ما يقاسون من العذاب مع الشياطين، واما النصارى فكانوا مقيمين بجنان لا مثيل لها على الارض وهم فيها متمتعون، وانا ايضاً أُلقيتُ في تلك الهاوية فصرتُ اتعذب مع المجوس، واذا بهذا الشيخ الجليل قرب الى ملك النصارى فخر ساجداً امامهُ وتضرع اليهِ ان يهبهُ روحي، فاستُجيبت طلبتهُ" وكان الجميع متفرسين بهِ بتعجب عظيم، ثم قال: "فانا نصراني ولربّ النصارى اسجد واياهُ وحدهُ اعبد" واخذت كوش هزّة الطَرَب والانذهال، فالتفت الى مار اشعيا وقال لهُ: "إنَّ آلهك إلهي فانا نصراني مثلك" فعمذ مار اشعيا كوشاً وجميع اهل قريتهِ وكان عددهم ثلاثة آلاف وستمائة نفس، وبنى كوش بيعة فاقام فيها مار اشعيا كهنة وشمامسة، والحّ عليهِ كوش كثيراً ان يمكث عندهم، فلم يقبل، ورجع الى محله.

وكان مار اشعيا منقطعاً في محلهِ الى الصلوة والفضائل واعمال المحبّة المسيحية، وهو يسقي عابري الطريق ماءً وكان ينسج السلال فيبيعها ويقسم ثمنها على اليتامى والارامل، فذاع صيتهُ ولا سيما بعد ان اقام من بين الاموات ابن اخت كوش، فجعل الناس يقبلون اليهِ زرافات طلباً للشفاء وانتجاعاً للبركة بلثم يديهِ، فخاف ان يصيدهُ الشيطان بفخّ الكبرياء، فانتقل الى موضع في شمال نصيبين عند ينبوع نهر ماشاخ ولبث ثمَّ تسعة

اشهر ثمَّ هجر ذلك المكان ايضاً لانَّ عابري الطريق كانوا يزدحمون حولهُ، وانتقل الى قمة الجبل وبني لهُ هناك كوخاً ضيقاً فتبوأهُ وحفر لهُ بئراً ايضاً. وكان على شمالي كوخهِ قرية اسمها بانَحلي وذات يوم اتفق انَّ مجنوناً من تلك القرية مَرَّ على كوخ القدّيس، وكان عطشان كثيراً، فاراد اصحابهُ ان يدخلوا به الكوخ ليسقوهُ ماءً فأبى، فحينئذٍ استقوا ماءً من البئر وسقوهُ. وللحال اخذ الشيطان يصرخ ويقول: "بئس السقية هذه، فانَّ فيها موتاً" ثم قال: "آه منك يا اشعيا الحلبي" قال هذا وخرج منهُ فشفي المجنون من ساعته، فدخل على القديس وطرح نفسهُ عند قدميه والحَّ عليه كثيراً ان ياذن لهُ بالمكث عندهُ فيصير تلميذهُ، فقبل، وجعل يرشدهُ في جادة الكمال الانجيلي.

ثم انّ مار اشعيا فكر في الذهاب الى ارض فلسطين، وترك تلميذهُ في كوخهِ فانطلق، ولما انتهى الى نهر الفرات اراد ان يعبرهُ ماشياً، غير انهُ اضرب عن ذلك لانهُ رأى اناساً كثيرين قد اجتمعوا ليركبوا زورقاً كان هناك فيعبروا بهِ النهر. فدُعي القديس ايضاً، فجلس معهم في الزورق، ولما وصلوا وسط النهر شرع صاحب الزورق ياخذ من الركاب اجرة المركب، ولما انتهى الى القدّيس قال لهُ:"ليس لي شيء أُعطيك" فنقد بعينيهِ اليهِ لعلهُ يجد عليهِ شيئاً فيأخذهُ منهُ، فلم يجد عليه سوى أطمار حقيرة، فتمزق صاحب الزورق من الغيظ، وكان سَيء الاخلاق الى الغاية، فطرح القدّيس في النهر الا ان قوة الربّ اوقفتهُ على المياه سالماً، وللحال هبت ريح شديدة فاضطرب النهر فتصاعدت امواجهُ وكاد الزورق يغرق فقام الملاح ومسك الزورق ليقودهُ حتى لا يغرق، واذا بريح شديدة ثارت عليهِ فألقتهُ في النهر وكاد يغرق، فشمل الخوف قلوب ركاب الزورق وتغشاها، وبينما هم ينظرون يميناً

وشمالاً الى النهر الهائج عليهم رأوا القديس واقفاً على المياه، فاخذتهم الدهشة وصرخوا اليهِ قائلين: "ارحمنا يا رجل الله" ولما رآهم القديس مشرفين على الهلاك تحنن عليهم فدنا من الزورق وفي لحظة عين جرهُ الى الساحل فأنقذهم.

ثم انّ مار اشعيا بلغ مدينة حلب، وفي اول الأمر لم يُرد ان يدخلها خوف ان يراهُ ابوهُ فيعرفهُ الا انّ الله اوحى اليهِ انهُ قد قرب أجل قرينتهُ حنة البتول الطاهرة، فذهب الى الدير التي كانت فيهِ وقرع الباب ففُتح لهُ، وكانت القدّيسة حنّة قد مرضت مرضاً عضالاً وهي طريحة الفراش منذ ثلاثة ايام، فاوحى الله اليها أنّ حبيبها اشعيا قريبٌ منها وهو في الدير، فدعت رئيسةَ الدير وقالت لها: "انّ في الدير رجلاً غريباً عليهِ ثياب الصعاليك، فاطلب اليك، يا سيدتي ان تفتشي عنهُ فتاتيني بهِ" فخرجت رئيسة الدير وبحثت عنهُ، فرأتهُ قائماً في زاويةٍ يصلي، فدنت وقالت لهُ: "هلم يا سيدي وانظر حنّة القدّيسة التي رأتك بعين الروح، لكن اسرع قبل ان تنتقل الى حضن ربّها" فانطلق اليها القدّيس، فلما نظر بعضهما الى بعض شمل قلبيهما غمّ عظيم وكدر جسيم، فلم يتمالكا أن بكيا، فأشارت القديسة حنّة الى الرئيسة ان تُخرج الراهبات من عندها، ففعلت، وبقيت هي وحدها مع مار اشعيا عند القديسة، فحينئذٍ دعت القدّيسة حنّة قرينها وقالت لهُ: "هلم بالسلام ايها الختن الجديد، هلم بالسلام ايها البتول النقيّ، هلم بالسلام يا اخي القديس انّ الله استجاب طلبتي فأحضرك هنا لكي اراك قبل ان اموت، والآن يا اخي القدّيس قد طلبتُ نفساً، لأني رايتك اليوم، والآن اطلب اليك يا عزيزي ان تدنو اليَّ فتغمض عينيَّ، فانما لاجل هذا سألتُ ربي انْ يحضرك هنا، والآن صلِ عليَّ لابلغ الفردوس السماوي" ثمَّ استتلت كلامها فقالت: "الوداع يا

اخي العزيز، الوداع يا قريني الحبيب" قالت هذا وأسلمت الروح بيد خالقها. وللحال فاحت رائحة ذكية من جسدها المبارك واما رئيسة الدير فلما عرفت مار اشعيا طرحت نفسها على قدميهِ وطلبت اليهِ ان يصلي عليها، واما هو فحتم عليها الا تخبر احداً بامره الى اليوم الذي فيه يخرج من المدينة.

وشاع خبر وفاة القدّيسة حنّة في كل المدينة، فاخذ القوم يقبلون اليها زرافات انتجاعاً للبركة بلثم يديها ومس ثيابها، وكان الله قد استجاب صلاة مار اوجين فرزق سوماخوس ابنين توأمين فسمى احدهما اوجين، والاخر موريقي فحضر هو ايضاً مع ابنيهِ في دفنة القدّيسة، وكان مار اشعيا يمشي مع الفقراء وراء الجنازة وهو يبكي وينحب، فلم يعرفهُ ابوهُ ولا عبيدهُ، لأن جسمهُ كان مهزولاً، فتغير تغيراً تاماً حتى انهُ لو كان يقول لأبيه انا ابنك اشعيا، لما كان ابوهُ يصدقهُ وبعد الدفنة جمع سوماخوس جميع الفقراء والمساكين في الدير، وصنع لهم عشاء، وكان مار اشعيا مع المدعوين، وبات في الدير، لكنهُ قام ليلاً وتوجه الى اورشليم ليزور الاماكن المقدسة ولما اصبحت أعدَّ سوماخوس كمية وافرة من الدراهم وذهب ليقسمها على الفقراء على قبر القدّيسة حنّة كجاري العادة، وكان قد لاحظ في دفنة حنّة مار اشعيا لما رأى من بكائهِ ونحيبهِ، فنوى ان يعطيهُ اكثر من رفاقهِ فلما وزع الدراهم على الفقراء فتش عنهُ فلم يجدهُ، فسأل عنهُ، فقالوا: "انهُ الليلة بات معنا" ففتشوا الدير كلهُ ولم يروهُ، حينئذٍ دعا سوماخوس رئيسة الدير وسألها عنهُ، اما هي فأخذت تبكي، فقال: "ما بالكِ تبكين يا عجوز؟" قالت: "يا سيدي اني رأيتُ اعجوبة عظيمة ما جرى مثلها ابداً، أواه ما لي أراك تسألني عن النسر الخفيف الجناحين، ما بالك تفتش عن الدرة الثمينة، لا تبحث عن احكام الله الغير المدركة التي يُظهرها سبحانهُ في قدّيسيهِ" قال

سوماخوس: "أخبريني بالأمر على جليته" قالت: "ان الغريبَ الذي تسأل عنهُ هو ابنك نفسهُ، وانما الله ارسلهُ هنا ليشاهد قرينتهُ حنّة قبل وفاتها" فحالما سمع سوماخوس هذا الكلام اخذت الكآبة من نفسه كل مأخذ، فوقع على الارض مغشياً عليه، فدنا اليه ابناهُ وعبيدهُ فاقاموهُ، ولما افاق اخذ يبكي بكاءً مراً، فقال لرئيسة الدير: "قولي لي كيف أتى ابني هنا وكيف عرفت انهُ ابني، ولِمَ لم تخبريني بامره قبل الساعة؟" فقصت عليه القصة من اولها الى آخرها وقالت: "اظن انهُ توجهَ الى اورشليم" فخرج سوماخوس بخيله ورَجاله في طلب ابنه، لانهُ كان مشتاقاً الى الغاية الى مشاهدته ولما قطعوا مسافة ثلاثة فراسخ جنَّ عليهم الليل، فنزلوا طلباً للراحة وناموا، فتراءى مار اشعيا لأبيه بالزي الذي كان عليه ايام عرسه، وقال لهُ: "يا ابتاه اضرب عن الجد في اثري فانك لن تعود تراني في هذا العالم، واني ابشرك اننا من الآن الى سنتين نشاهد بعضنا بعضاً في الملكوت، فارجع بالسلام" فلما استيقظ سوماخوس قصَّ ما رآهُ في حلمه على الذين كانوا معهُ، فكفوا عن البحث وعادوا الى منازلهم.

اما القدّيس اشعيا فبعد ان زار الاماكن المقدّسة رجع الى صومعته، وكان الرجل الذي شفاهُ مقيماً فيها مواظباً على الصوم والصلوة، فبنى لهُ صومعة بجانب صومعته، ولم يزالا يمارسان كل ضروب التقشفات سائرين سيرة ملاكية وصنع الله على ايديهما معجزات كثيرة وتلمذا سكان قرية بانحلي، وشاع خبر مار اشعيا في تلك الاقطار، فاجتمع اليه زهاء ستين رجلاً وبنوا لهم قلالي وسكنوها منقطعين فيها الى التوبة، وسكن القديس في صومعته سنتين وثلاثة اشهر.

وكان تلاميذ مار اوجين قد قضوا نحبهم فلم يبقَ منهم سوى مار اشعيا، فلاجل هذا كان يحسب نفسهُ يتيماً وغريباً وذات ليلة اذ كان يصلي متخشعاً، استحار في الإلاهيات وبقي على تلك الحالة الليل كلهُ وليلة أخرى اختطف عقلهُ فرأى نفسهُ في السماء بين الملائكة والانبياء والرسل والشهداء، ثمَّ نظر فرأى الرهبان ومار انطونيوس جالساً في اولهم، ثم جال بنظرهِ فعاين مار اوجين جالساً في صدر تلاميذه السبعين وهم متوشحون بالبهاء والانوار تنبعث من اسارير وجناتهم وتُضيء ثيابهم كلمع البرق وعلى رؤوسهم اكاليل المجد، ثم رأى بيدي مار اوجين اكليلاً من نور لا مثيل لهُ، فقال احد الرهبان لرفاقهِ: "لمن هذا الاكليل الفاخر؟" قال بعضهم: "ليس لهذا الاكليل الا لواحد من تلاميذ مار اوجين" وقال آخرون: "ها انّ واحداً وسبعين راهباً في المصف" فاجاب احدهم وقال: "إن هذا الاكليل ليس الا لاشعيا الحلبيّ الذي هو آخر جميع تلاميذ مار اوجين" فحينئذٍ سُمع صوت من بين الصفوف يقول: "ومتى ياخذ اشعيا الحلبي اكليلهُ هذا؟" فهتف الجميع قائلين: "في اليوم العاشر ياتي اشعيا هنا فياخذ اكليلهُ".

فاخذ مار اشعيا يستعد للانتقال من دار الشقاء والفناء الى دار الهناء والبقاء، وكانت تزداد محبتهُ لله يوماً فيوماً وامتلأت صومعتهُ نوراً سماوياً فلما كان اليوم العاشر، نزل الملائكة فطاروا بروحهِ الى اعلى السموات ولما دخل عليه تلاميذهُ رأوهُ جاثياً ممدود اليدين الى السماء فظنوا في اول الامر انهُ حيّ، فلم يتجاسروا ان يدنوا اليهِ، وطال بهم الوقوف، فلما زلفوا اليهِ علموا انهُ قد مات فبكوا بكاءً مراً، وتوفي القديس في منتصف تشرين الاول ولهُ من العمر احدى وتسعون سنة، وفيهِ يجعل لهُ السريان تذكاراً، ودفن في هيكل ديره وأصبح قبرهُ ينبوع الخيرات لجميع الذين كانوا يستذرون بهِ.

مار ملكي القلوزمي

(في بداية الجيل الخامس)

وُلد مار ملكي في قرية تدعى قلوزما[1] من اسرة شريفة، واسم ابيه يوحن
واسم امه رفقا (وهي اخت مار اوجين الشهير) وكانا تقيين نقيَّين ومكث
زماناً دون ان يُرزقا ولداً، فسألا ربهما ولداً، فاراد سبحانهُ اختبار صبرهما
فوضعت رفقا ابنةً، فسمياها شوفني، ثم بعد ذلك رزقهما ابناً فسمياه
ملكي[2]، وعلقا عليهِ آمالاً كبيرة الا ان الله كان اصطفاهُ لنفسهِ ليشرق في
سماء الرهبانية كوكباً لامعاً، وعطف عليهِ والداهُ متفرغَين لتربيتهِ على سنن
البرّ والصلاح يشربانهِ منذ الصغر تقوى الله وحبّ الفضيلة، ثمَّ علماهُ قواعد
الايمان ومبادئ الآداب الجليلة.

ولما بلغ الصبيّ الخامسة من عمرهِ سلمهُ ابوهُ الى مؤدب اسمهُ شموئيل
لكي يخرجهُ في العلوم الآلهية، وكان على صدرهِ صليب من ذهب وفي كل من
اذنيهِ قرط فيه علامة الصليب فقال لهُ معلمهُ: "ما هذان القرطان اللذان في
اذنيك؟ انهما لا يجديان نفعاً لمن يريد ان يتخرج في العلوم المقدسة" قال
الصبيّ: "انّ هذه الصلبان الثلاثة[3] رمز الى اقانيم الثالوث الاقدس وهي لي
سلاح قويّ بها أُحارب الشيطان فاقوى عليهِ" فتعجب معلمهُ من ذكائه
واحبهُ اكثر من سائر رفاقه الذين في المدرسة وكانوا سبعةً وعشرين، وكانت

١– في قصة مار اوجين مكتوب ان قلزوما جزيرة من جزائر بلاد مصر.

٢– ان ملكي باليونانية معناها اللطيف.

٣– أي الصليب الذي على صدره والقرطان اللذان في اذنيه اذ في كل منهما كان علامة الصليب.

مخايل النجابة على محيا ملكي لائحة، ففاق جميع رفاقهِ في العلم واصبح لهم نبراساً للتقوى ومخافة الله.

وانّ ملكي تشرب تماماً بغض الاباطيل الدنيويّة وتعشق الفضيلة، فاراد الانضمام الى النساك، واما والداهُ فكانا يريدان ان يعقدا لهُ على فتاة فذات يوم دعواهُ فقال لهُ والدهُ: "يا بنيَّ اننا بقينا زمناً لا نرزق ولداً فواظبنا على الصوم والصلوة وأعمال الرحمة، فاستجاب الله صلاتنا، فرزقنا اياك، والآن يا بنيَّ نحن قد طعنا في السنّ، فعزمنا ان نعقد لك على فتاة، فعليك ان تختار انت اية فتاة اردت" فقال لهما: "زوِجا اولاً اختي شوفني وبعدئذٍ اذعن انا لسؤالكما" فقالت اختهُ: "وحياتك يا اخي العزيز ونور عيني لا فعلت هذا" قال لها اخوها: "انت اكبر مني سناً، فلك يجب ان نصنع عرساً اولاً" قالت وقد اغرورقت عيناها بالدموع: "اسكت يا اخي اسكت، فيا ليتني اموت ولا أرى عرسي بعيني... آه لم اكن اود ان اسمع منك هذا الكلام" فلما سمع والداهما اقوالهما اخذا يبكيان، فقال لهما ملكي: "ما لي اراكما باكيَين، هل ضاع لكما شيء؟" قالا: "انّ ما يحملنا على البكاء هو عدم انقيادك لنا" قال: "لقد قلتما قولكما فجاوبتكما عنهُ، فاذا اراد الربّ اكمل ارادتكما والا فلا" فلزم ابواهُ السكوت.

وكان الفتى كلما ازداد سناً ازداد فضيلةً واشتد قوة، فكانت حرارة ايمانهِ تتلألأ كالشمس، فكان يُميت جسدهُ بالاصوام الشاقة والاسهار الطويلة، ولم يزل والداهُ يناشدانهُ بدموع حارة لينقاد لسؤالهما فيتزوّج.

وذات يوم صنع ابوهُ مادبةً عظيمةً دعا اليها جميع اكابر القرية واصدقاء ابنه ملكي بغية ان يتنعم معهم فيحملوهُ هم على التأهل، فرضخ لسؤالهم، ففاض قلبا والديه فرحاً وتعزيةً، فخطبا لهُ فتاة من فتيات أعيان القرى

المجاورة قال اليشاع كاتب القصة: (جاءَني ملكي وسألني عن اخبار خالـ
اوجين، وكنا قد بُحنا بعضنا لبعض بما في ضميرنا من تحري السير
النسكية، فاخبرته بانصراف خاله الى بلاد المشرق، فحزن حزناً عظيم
فقال لي: "فما رأيك انت فاني كنتُ نويتُ ان انبهك لكي تباصرهُ فتعلمني
بما يفعل" قلتُ: "لاتَ حين اغتنام الفرصة" ثمَّ انطلقنا الى معلمنا شموئيل
وأطلعناهُ على امرنا، وطلبنا رأيَهُ فحثّنا على الهرب من هذه الدنيا الغرو
وشجعنا وقال لنا: "إنّ إله اوجين إلهكم، أجَاب الله الى سؤالكما لكي تكملا
مشيتهُ" ثمَّ باركنا وصلى علينا فرجع كلٌّ منا الى داره وقد عولنا على ترك
الأهل بعد مرور عشرة ايام والانضمام الى مار اوجين متكلين على الله تعالى)

وإنّ ملكي بعد مضي خمسة ايام على هذا الكلام قال لأبيه: "اطلب اليك
يا ابتاه ان تصنع لي ضيافة فاتمتع مع اصدقائي" فأجاب ابوهُ الى سؤله
وكان اليشاع من جملة المدعوين فأكلوا وشربوا وشمل الجميع فرح عظيم
وخلا ملكي بصديقه اليشاع وقال لهُ: "ان الوقت الموجَّل قد دنا، فعلينا أن
نُجري عزمنا" ثمَّ واعدهُ الوقت والموضع، فقال اليشاع: "سمعاً وطاعةً"
ولما حان الوقت المؤجَّل بكى ملكي قدّام والديه واخته وقال لهم: "اني منذ
زمن انتظر بفروغ الصبر ان تشيروا عليَّ ان آخذ شيئاً فاذهب به الى دار
خطيبتي واهلها" قالوا: "انّ كل ما لنا لك فخذ ما اردت واهده لخطيبتك
واهلها ونحن تطيب انفسنا بذلك" فاعطاهُ ابوهُ مائة دينار وشيئاً كثيراً من
الثياب الفاخرة والجواهر الكريمة، فأتاهُ عبدهُ سوفينخوس بحصان، وارادت
والدتهُ ان تصحبهُ مي او ابنتها شوفني، فلم يقبل، وكان يبكي وقد سقت
الدموع وجههُ الصبيح فسألهُ والداهُ عن سبب بكائه، وكانا يظنان انهُ يبكي
لكونه يستصغر ما أعطياهُ من الدراهم والحلي، فقال: "إني ابكي لأن خالي

اوجين ليس هو بيننا" قالا: "هو انطلق حيث شاء الربّ نفعنا الله تعالى بصلواته" ثم انهما باركاهُ وصليا عليه فركب دابتهُ وخرج من البيت.

ولما مشى ميلاً صادف ثلاثة رجال فقال لهم: "من انتم والى اين تذهبون؟"

قالوا: "إنّ لكل منا ابنين وقد أُسروا باجمعهم، ونحنُ ليس لنا ما نفديهم به، فانّ فداء كل منهم ثلاثون ديناراً" فتحنن عليهم القديس ونزل حالاً من حصانه فأهداهُ لاحدهم، وأعطى الثاني ما كان معهُ من الثياب الفاخرة، والآخر وهبهُ الأحجار الكريمة، واوصاهم ان يتقاسموا بكل ذلك بمحبةٍ اخوية وانطلق هو الى ان انتهى الى الموعد، فاخذ يتلو المزامير منتظراً مجيء خليله اليشاع فما لبث ان قدم اليه اليشاع فشاركهُ في تلاوة المزامير، ثم جلسا تحت نخلةٍ وقصَّ ملكي على اليشاع كلّ ما جرى لهُ وقصدا بلاد المشرق، ولما مشيا عشرة اميال صادفا ثلاثة عميان يقودهم صبيان، فترحم عليهم ملكي وخلع ثيابهُ وقدمها لهم واهدى لهم ايضاً مائة دينار، واخذ ثياب احدهم فلبسها، ثم إنهما لم يزالا يمشيان سائلين عن مار اوجين الى ان التحقا به، وكان معهُ ستة عشر راهباً.

واما ما كان من أمر والدَي مار ملكي فانهما لما انتظرا ابنهما عشرة ايام ولم يرجع اليهما أرسلا ثلاثة من عبيدهما الى بيت خطيبته ليأتوا به ولما لم يجدوهُ هناك عادوا الى مولاهم مُذرفين العبرات السخينة، فاخبروهُ أنَّهم لم يجدوا ابنهُ ملكي في بيت خطيبته فتلاطمت بهم امواج الجزع والخوف وانقبضت صدورهم كدراً ظناً منهم انّ ملكي إمَّا قُتل او مات، فهملت عبراتهم وارتفعت زفراتهم وعظم الضجيج فاقبل الجيران واخذوا يسلونهم، ثمَّ اشاروا على يوحنا ان يرسل من يفتش عن ابنه في كل قطر ومصر قائلين

لهُ: "لعلهُ انطلق الى مكان يريد التجارة او خرج الى مدينة طلباً للتنزه" فقال لهم: "رأيكم حسن، لكن ابني ليس من الذين يحبون التنـزه او التجـارة، بـل كان يـأبى الا المواظبـة علـى الـصلوة وقـراءة الكتـب المقدّسـة" فلـم يزالـوا يلحون عليهِ الى ان قرَّ رايهُ فارسل عشرة مـن عبيـدهِ في طلـب ابنـهِ فـانطلق اثنان منهم الى قرية تدعى سيسرا، فرأيا اعمى عليـهِ ثيـاب ملكـي مولاهمـا، فسالاهُ عنها، فاخبرهما الأعمى بالقصة على جليتها، فاخذا منهُ ثوباً ورجعا بهِ الى مولاهما وقصا عليهِ القصة، فاخذت الكآبة من نفسَي يوحنا ورفقا كل مأخذ، وجرت من عينيهما العبرات، وكان حزن شوفني اشدّ بكثير ومن شدّة ما اصابها مـن الكـرب وقعـت مغـشياً عليهـا واتـصل الخـبر بـشموئيل معلـم ملكي، فبادر اليهم واخذ يعـزيهم ويـسليهم مفـصحاً لهمـا عمـا مـن شـانهِ ان يـشدّدهما اذ انهمـا قـدما ابنـاً صـالحاً قدّيـساً يـدعو لهمـا علـى الارض وفي السماء، وبشرهما انّ الله تعالى سوف يرزقهمـا ولـداً ذكـراً تقـرّ بـهِ اعينهمـا، وبعد مرور شهرين ماتت شوفني عبطةً فبكاها والداها بكاءً مرّاً وانّ الله نظـر اليهما بعين الرحمة فرزقهما ابناً سمياهُ مَلكشوفني على اسـم ابنهمـا ملكـي واسم ابنتهما شوفني.

اما مار ملكي فحالما التحق بخالهِ مار اوجـين البـسهُ هـو وصـديقهُ اليـشاع الزيّ الرهباني قال اليشاع كاتب القـصة: "انّنـا لم نكـن نفـارق مـار اوجـين، وبعد ان اقمنا عندهُ اربع سنين طلبنا اليهِ ان يأذن لنا بالذهاب الى اورشليم، فقال دونكما ذلك فتبرّكنا بقبر المخلـص وبـسائر الامكنـة الـتي مـشى فيهـا سبحانهُ وتعالى، ثم رحنا الى مصر والى بريـة اسـقيطي ومكثنـا هنالـك ثـلاث سنين، ثم رجعنا الى جبل الإزل حيث كان مار اوجين، واخذنا نواظـب علـى

الصوم والصلوة، ثمَ انَّ مار اوجين نزل بنا الى مدينة نصيبين عند مار يعقوب القدّيس فرقانا الى درجة الكهنوت، وذهب كلّ منا حيث شاء الله".

وانطلق مار ملكي الى موضع بقرب قرية انحال، فلم يعجبهُ المكان فذهب وسكن قريباً من قرية أركاح منقطعاً للعبادة، وكان كل يوم احد يذهب الى دير مار اوجين فيتغذى بجسد ودم مخلصنا يسوع المسيح، ثم بنى لهُ ديراً بقرب قرية أركاح وعاونهُ على البناء سكان تلك القرى المجاورة، وصنع هناك معجزات كثيرة، وتتلمذ لهُ عدة تلاميذ، وكان في عدادهم شليمون بن وهبان من قرية اركاح، فهذا تسلق مراقي الكمال سريعاً، وكان كلما زاد سناً ازداد بالفضيلة شغفاً ولها اتّباعاً.

ثمَّ انّ مار ملكي انطلق الى اورشليم ليزور ثانيةً الاماكن المقدّسة، ومكث هناك سنتين، وفي رجوعهِ لما بلغ دمشق رأى في السوق رجلاً اعمى اخرس اطرش، فاخذتهُ الرحمة عليهِ فصلى عليهِ وقال لهُ: "باسم يسوع المسيح كن معافىً" فقام حالاً وهو يرى ويسمع ويتكلم فذاع خبر المعجزة في كل المدينة فاتوهُ بسقماء كثيرين فشفاهم قاطبةً، وطلب اليهِ الدمشقيون ان يقيم عندهم فلم يقبل، ورجع الى ديرهِ، ففرح بهِ شليمون وسائر تلاميذهِ فرحاً جزيلاً.

وكان أتى الدير قبل ايام قليلة رجل اثوري اسمهُ أوثيل كان قد اصابهُ الفالج وكان ملقىً على فراشهِ قدام الهيكل، فلما رأى اوثيل مار ملكي قال لعبيدهِ ان يقدموهُ اليه، فقال القدّيس: "لا بل انا ادنو اليه" واخذ اوثيل يبكي بكاءً مراً، فقال لهُ القدّيس: "من اين انت، وما شانك ولِمَ تبكي؟" قال: "اني ابن ايوب الآثوري، ولي اربعة اخوة، ولنا املاك كثيرة وثروة وفيرة، وذات يوم انطلقتُ لأرعى غنم ابي، فاصابني هذا الداء الوخيم، ودعا

ابي عدة اطباء ليشفوني، فعالجوني فذهبت اتعابهم ادراج الرياح، وا
بلغنا صيتك، فاوعزتُ الى عبيدي فأركبوني دابةً واتوك بي الى هنا، فالتم
اليك ان تصلي عليَّ فتبرئني" قال لهُ مار ملكي: "شفاك الربّ" قال ه
وصلى عليهِ فنال الشفاء من ساعته.

ولما بقي اوثيل في الدير خمسة عشر يوماً قال لمار ملكي: "اني ابتغي
امكث عندك، فما رايك؟" قال: "اذهب الآن الى والديك وبشرهما بشفا
وعافيتك، ثم اظهر لهما ما سنح لك من الراي واعمل بموجب ما يشير
عليك" فرجع اوثيل الى اهلهِ شاكراً الله تعالى على ما اولاهُ من الإحسا
العظيم على يد خادمهِ ملكي ففرح بهِ اهلهُ فرحاً عظيماً، ثمَّ ان اوثيل بع
ان اقام عند اهلهِ ثلاثة اشهر استأذن والديهِ في الرجوع الى مار ملكي، فق
لهُ: "انّ الرجل قد شفاك، فلا حاجة لك الى الرجوع اليهِ" قال: "انّي وعدة
ان اعود اليهِ، فاكون لهُ تلميذاً" قالا: "انَّنا لا نرغب في انفصالك عنا، ولك
حيث انّك قد وعدتَ الرجل ان ترجع اليهِ فكمل وعدك" ثم اعطاهُ ابوهُ حص
من مالهِ، فاخذ اوثيل ثلاثة واربعين جملاً وكثيراً من الغنم والحمير، وذه
بها الى دير مار ملكي قال لهُ القدّيس: "ما هذهِ المواشي التي اتيت به
قال: "هذهِ حصتي من بيت والدي" ثم انّ اوثيل بنى داراً بقرب الد
لمواشيهِ، واقام هو ايضاً فيها مع عبيدهِ واتفق ذات يوم انّ اللصوص
وقعوا على مواشيهِ فساقوها قاطبةً، فخرج عليهم اوثيل هو وعبيد
فادركوهم وكبلوهم واتوا بهم الدير وقال اوثيل لمار ملكي: "ماذا نص
بهؤلاء اللصوص" فضحك القدّيس وقال لهُ: "اطلق سبيلهم دون ان تسي
اليهم، لانّ الربّ يجازي كلّ انسان بموجب افعالهِ، واما المواشي فَبِعها وقس
ثمنها على الفقراء لئلاً تصدك عن طريق الحق" فانقاد لهُ اوثيل فخلى سبي

الاشقياء وقسم مواشيهُ على الفقراء، وجعل مار ملكي يرشدهُ في جادة الكمال الانجيلي حتى بلغ منهُ بعد مدة وجيزة درجة سامية، فلم يتردد ان ينظمهُ في سلك الرهبان الفاضلين، ولم يزل يمارس حتى وفاته اجل اعمال الفضائل.

وكان لمار ملكي صديق اسمهُ ايشوع بن يوسف من قرية تُدعى حابيب هذا اكرم القدّيس الكرامة كلها، وكان غنياً جداً، واهدى الدير اموالاً كثيرة، وهو الذي بنى واحداً من البيوت التي في الدير، ومن اعمال يديه الحجر المنقوب الذي على باب الهيكل.

وانَّ مار ملكي عاش على الارض سيرة ملاكية مذللاً جسدهُ بالاتعاب الشاقة واصلاً الليل بالنهار غارقاً في بحار التأمل والمناجاة الربانيّة وكان الزم نفسهُ منذ كان في المدرسة ألا ياكل الا اكلةً واحدةً في اليوم عند المساء وهدف للثالثة والتسعين من عمره، فعلم انهُ حان اوان انتقاله الى السماء، فدعا شليمون تلميذهُ واوثيل وسائر الاخوة واخذ يرشدهم قائلاً: "احبوا يا اعزائي الصوم والصلوة، وكونوا انقياء اتقياء متوكلين على ربّ العالمين، احفظوا السنتكم من الشر، واصنعوا الخير طالبين السلامة محبين بعضكم بعضاً، فيفيض الربّ عليكم بركاته السموية" ثمّ صلى متضرعاً، ولما فرغ من صلاته فاضت نفسهُ، وكانت وفاتهُ في ٢١ نيسان في اواخر الجيل الرابع او في مبادئ الجيل الخامس، ودُفن في ديره، وانّ اوثيل الأثوري عاش اربع عشرة سنة بعد وفاة معلمه مار ملكي ودُفن هو ايضاً في الدير، وجعل شليمون لهُ ولمار ملكي تذكاراً في غرة ايلول.

مار عقبلاها[1] اسقف كرخ سلوخ

(في مبادئ الجيل الخامس)

وُلد عقبلاها في كرخ سلوخ (وهي كركوك) من أُسرة شريفة ونشأ في نعمة كاملة وتربى منذ نعومة اظفارهِ في التقوى وخوف الله، فتشرب بغض الاباطيل الدنيوية وتعشق الفضيلة وامتاز خاصةً في حب الفقراء ومؤاساة ذوي البأساء وافراط الرحمة حتى انهُ اذ كان في الخامسة عشرة من عمره كان بعض الاحيان يأخذ من بيت ابوَيه ذهباً وفضةً وثياباً وغير ذلك ويوزعها على المحتاجين والبائسين وكان ابوهُ على باب الملك ولكي يزداد عندهُ مكانةً نبذ الديانة النصرانيّة فسجد للشمس، وكان هذا الخبر كصاعقة انقضت على قلب عقبلاها، فبكاهُ طويلاً، ولم يلبث ان تنغص من البقاء في وسط العالم، فرغب في الانتظام في سلك رهبان القفر.

وكان حينئذٍ مار حزقيال قد اتى باجرمي وشيد ديراً جليلاً بقرب داقوق، فرغب عقبلاها في الانضمام اليهِ لا بل حمل بعضاً من اعوان مدينتهِ على ان ينحبسوا في الدير منقطعين للعبادة، منهم شابور براز واسحق وغيرهما فانطلقوا جميعاً الى مار حزقيال وطلبوا منهُ ان يقبلهم في الطغمة الرهبانية، فقبلهم القديس بفرحٍ شديدٍ وعانقهم وقبَّلهم مرحباً بهم، وتنبَّأ عنهم قائلاً لهم متبسماً: "اهلاً وسهلاً يا اعزتي، انكم ستخلفون يوحنا الاسقف في رعاية الأغنام الناطقة في كرخ سلوخ" واحيوا ذلك الليل كلهُ في الصلوة، ولما كان الصباح قرب مار حزقيال الذبيحة الآلهية واشرك عقبلاها ورفاقهُ بجسد ودم المسيح وحلق هو بيدهِ رؤوسهم.

١- لفظة سريانية مركبة من [illegible] ذكر، [illegible] الله.

وعاش مار عقبلاها ثلاثة اعوام عيشةً اشتراكية في الدير قضاها بالاعمال اليدوية الشاقة، وقد سرَّ بهذهِ السيرة ولكن شقّ عليه تحملها نوعاً لما كان عليهِ من الرغد والترف في صبوتهِ الا انهُ قهر نفسهُ متحملاً كل تعب وعناء وخرج بعد ذلك فسكن في القلاية منقطعاً أتم انقطاع للعبادة ومميتاً حواسهُ وغارقاً في بحار التامل والمناجاة الربانية، وفي مدة يسيرة ارتقى الى ذروة الكمال الرهباني فذاع صيتهُ في كل بلاد باجرمي، وانتُخبَ خليفةً لمار يوحنا اسقف الكرخ الذي كان استشهد في الاضطهاد الاربعيني، فقام باعباء وظيفتهِ احسن قيام، مقدماً نفسهُ لرعيتهِ مثالاً حياً للفضائل الالهية وباذلاً جهدهُ في حماية حظيرة خرافهِ من حملات المجوس والمانويين.

واول شيء صرف اليهِ همتهُ هو تشييد الكنيسة التي كانت قد هُدِمت ودُكت في ايام مار معنا الشهيد، ووهب لها كل ما يلزمها للخدمة الالهية من الاواني الفضية والذهبية والشقق الحريرية وغير ذلك لا بل بعد وفاة والديهِ وقف كل ما كان يملكانه.

وكان غيوراً على خلاص النفوس يُنذر المجوس والوثنيين بالايمان الصحيح وتلمذ منهم كثيرين، وذلك بالارشادات التي كان يُلقيها على مسامعهم وبالمعجزات التي كان يصنعها الله على يده، وتلمذ سكان قرية تيشين الذين كانوا يسجدون لصنم اسمهُ ناني، وكان اصلهم من بلاد ميشان، وكان شابور الملك قد اجلى منها تسعين عائلة واسكنها في هذه القرية التي بهم سُميت تيشين[1] وكان خُمس واردات هذه القرية مختصاً بأبوي الاسقف القديس.

١- ان تيشين معناها تسعون وهي في جنوبي كركوك تبعد عنها مسافة نصف ساعة والآن سكانها رفاض يتكلمون بالتركية.

وكانت أزمّة المملكة الفارسية حينئذٍ بيدي ورهاران الرابع (٣٨٩–٤٠٠) وكان لهُ ابنة يخبطها الشيطان، فدخل عليهِ بعض من النصارى واخبروهُ بما كان يصنع الله في باجرمي من المعجزات على ايادي القدّيسين الجليلَين مار عقبلاها ومار حزقيال وكان الملك يعرف مار عقبلاها بسبب ابيهِ لانهُ كما سبق القول كان على باب الملك فارسل اليهِ ان ياتيهُ مصحوباً بحزقيال الراهب فلما قرأ الاسقف القدّيس رسالة الملك، استدعى مار حزقيال وأراهُ الرسالة، وقال لهُ: "من الواجب علينا ايُها الاب ان ننطلق اليهِ لانهُ أولاً صاحب السلطة والقدرة، وثانياً لاجل بنيان الكنائس" فانقاد لهُ مار حزقيال، فانطلقا الى باب الملك، ولما دخلا عليهِ خاف الملك وصاح قائلاً: "لعظيم الاله الساكن فيكما، لعمري انني لاقيتُ ملوكاً كثيرين وكنتُ في الوغى مراراً عديدة فما من احدٍ أفزعني مثلكما" وأحسن اليهما وقربهما وأجلسهما عن يمينهِ، واخذ يسألهما عن احوال النصارى والرهبان والبلاد التي مرا بها، فجاوباهُ جواباً مرضياً ودَعوا لهُ، ثمَّ أمر الملك بالبنت فأُحضرت، فوضعا عليها ايديهما وللحال شُفيت، فلما رأى الملك ذلك اشتَّد عجبهُ وفرحهُ من القوة العظيمة الكائنة فيهما وصاح: "لعمري إن إلهكم عظيم جليل قويّ" ثمَّ قال: "اطلبا ما تريدان، فكل حاجة لكما قِبلنا مقضية" فطلبا منهُ ان يأمر ببناء الكنائس وبترميم ما هُدم منها، فاجاب الملك الى سؤلهما وأطلق الحريّة للنصارى واذن لهم ان يبنوا معَابد وكنائس، واكرمهما وأحسن اليهما وارسل بصحبتهما أُناساً شيعوهما الى بلاد قوني.

ولما رجع مار عقبلاها الى رعيتهِ وهو مسلح بأوامر الملك راقت لهُ الاحوال فدكّ حصون اضاليل المانويين، فبدد شملهم أيادي سبأ، ورجع كثيرين من المجوس الى الايمان الصحيح، وكانت وفاتهُ في أيام ورهاران الرابع.

مار شابور[1] براز اسقف كرخ سلوخ

(في بداية الجيل الخامس)

كان هذا القدّيس من شرفاء كرخ سلوخ واسم أبيهِ بُورزين، ولهذا يقال لهُ شابور بن بورزين ايضاً، وليس براز الا تحريف بورزين وكان في أيام مار حزقيال، فانهُ لما أتى هذا الراهب الجليل الى كرخ سلوخ اياهُ أرسل يزداد المجوسيّ الى مار حزقيال ليطلب منهُ ان يذهب اليه ويشفيهُ من البرص، كما سنرى في قصة مار حزقيال ومنذ ذلك الحين هزتهُ نشوة الأشواق الى ان يتتلمذ لمار حزقيال لِمَا رأى ما هو عليهِ من حسن السيرة فلما أقام القديس ديرهُ بقرب داقوق ذهب اليه شابور على جناح السرعة، وكان مصحوبا كما رأينا في قصة عقبلاها باثنين آخرين من شرفاء بلدته، وهما عقبلاها واسحق، فقبلهما مار حزقيال بفرحٍ، وألبسهما هو نفسهُ الإسكيم الرهباني، وتنبأ عن عقبلاها وعن شابور قائلاً لهما: "إنكما سوف تجلسان في الكرخ على الكرسي الاسقفي بعد وفاة مار يوحنا" وصحَّ هذا القول، فانهُ بعد استشهاد مار يوحنا، انتُخب خليفةً لهُ مار عقبلاها وبعد مار عقبلاها جلس على كرسي كرخ سلوخ الاسقفي برحذبشبّا، ولما توفي جلس على كرسيهِ أخسنايا، ولما قضى نحبهُ هو ايضاً انتخب مكانهُ شابور براز هذا الذي كلامنا عنهُ وكان طاهر السيرة والسريرة، وكانت تتلألأ فضائلهُ السامية، وقام باعباء خدمته حق القيام، وعاش في حياته كلها بالتقشف والتنسك، وكان غيوراً على خلاص النفوس فأخذ ينذر المجوس بالانجيل، ورجع الى الايمان الصحيح كل عائلته واستأصل كل ما كان بقي من عروق شجر

١- فارسيّ وهو مركب من شاه ومعناهُ السلطان وبور معناهُ ابن اي ابن السلطان.

الضلال المانوي، ثم صرف همتهُ الى الفقراء والسقماء الذين كانوا يئنون تحت أعباء الفاقة والآلام ويتجرعون غصص المرائر والمصائب ففتح كنوز والديهِ قدامهم وأقام لهم بأرضهما مستشفىً وفوض معالجة اسقامهم الى الأطباء وإِصلاح أطعمتهم الى أُناس اتقياء، ووقف املاكاً واموالاً كافية ليسد النفقات اللازمة ولما رأى نفسهُ لا يمكنهُ ان ينقطع أتم الانقطاع الى العبادة استعفى من الرئاسة، فرجع وانحبس في الدير حيث شرع يميت جسدهُ بالاصوام الشاقة والأسهار الطويلة سائراً سيرةً ملكية وكانت وفاتهُ في الربع الأول من الجيل الخامس.



✝ شهداء كركوك الاثنا عشر الفاً ✝

(سنة ٤٠٩)

١- المقدمة

لما تنزل شابور براز عن الرئاسة انتُخِب مكانهُ اسقفاً على الكرخ مار يوحنا الثاني، وكان طاهر السيرة والسريرة، وكان يزدجرد الاول قد مسك بيده ازمة مملكة فارس (٤٠٠-٤٢١) وكان طاغياً باغياً، فأثار على النصارى اضطهاداً شديداً لكن نار سيئاتهِ لم تقدح الا في السنة الثامنة لجلوسهِ على سرير الملك فقتل اولاً ابنتهُ، ثم كثيراً من وزرائهِ كما كان ذلك من عوائد الفرس السمجة. وانطلق الى بلد طاشول وأخضعهُ، وأقام ثَمّ مدينة سماها باسمه شهرستان يزدجرد[١]، ولما كان في طاشول أبعد جميع النصارى من عسكره لظنه أنّ المسيحيين سبب انكساراته، وانتخب من المجوس نحو ثمانية الآف وخصاهم قاطبةً، وجعلهم في خدمتهِ، وكثيرون منهم بادوا في هذه الحالة ولما رجع من طاشول شدَّد الشدة على النصارى وقتل منهم جماعة لا يستقصى عددهم وجعل المذبحة في كرخ سلوخ، وكتب الى طهمزكرد حاكم نصيبين ان يأتي هذه المدينة مصحوباً باذورفرزجرد حاكم بلاد ارزون ودست برهام حاكم حدياب، وسورين حاكم باجرمي فيتفننوا في تعذيب نصارى هذه البلاد طمعاً في فشلهم.

ودخل طهمزكرد الكرخ في الخامس عشر من شهر تموز، فنكّل بالأكابر والشرفاء وأودعهم سجناً ضنكاً، وأوفد جنودهُ الى بلاد بعيدة ليكبلوا كلّ

١- اى مدينة يزدجرد.

من يجدون من النصارى وياتوا بهم الى الكرخ ولما رأى مار يوحنا ما ألمَّ بقطيعة من التباريح الشديدة كتب الى بطريرك انطاكيَّة طالباً منهُ ان ينعكف على الصلوة امام الله لاجلهِ، ولاجل قطيعهُ داعياً لهم بالافلاح والانتصار في هذا الجهاد واما هو فمنذ دخول طهمزكرد المدينة الى العشرين من شهر آب لم يبرح الكنيسة، بل بقي فيها هو ورعيتهُ متضرعين الى الله بحرارة لا مزيد عليها ان ياتي الى معونتهم وفي تلك الايام أمر طهمزكرد ان يُفصل الراعي عن رعيتهِ ويُلقى في السجن وقد كان فيهِ عشرون الفاً من غنمهِ ولما خرج مار يوحنا من الكنيسة ومُثلَ بين يَدي طهمزكرد رفع صوتهُ وقال لهُ: "السلام عليك يا ايها الحاكم والمحكوم عليهِ، السلام عليك يا ايها المُضطَهِد والمضطَهَد، السلام عليك ايها المجوسيَ والمعترف والشهيد اجمعنَّ يا طهمزكرد لك العدة من الشهداء كي تلاقي معنا الختن الذي دعانا الى ملكوتهِ، ها اني اراك مزمعاً ان تُصلب انت ايضاً منكس الراس نظير شمعون كيفا من اجل اسم المسيح" وكان عشرة من شرفاء الكرخ مكبلين ايضاً بالقيود مع الاسقف القديس منهم اسحق بن هرمزدجرد وارداشير بن ارزاني وابراهام، فمنهم من نبذ ديانتهُ، ومنهم من قاسى العذابات فنال اكليل الاستشهاد، واما اسحق بن هرمزدجرد ففتح فاهُ ووجهَ الى طهمزكرد ما كان قال لهُ مار يوحنا الاسقف من الالفاظ النبويّة، اذ قال لهُ: "انت مزمع يا طهمزكرد ان تتكلل باكليل الاستشهاد، وانت الان ذئبٌ ضارٍ ولكن ستصبح حملاً وديعاً ساكناً، وتقرب جسدك ضحيةً لله".

وبعد ان أُلقيَ مار يوحنا ورفاقهُ في السجن امر طهمزكرد بنهب جميع بيوت النصارى، فأجرى امرهُ الوثنيون والمانويون بكل فرح وسرور، وان الذين كانوا أُرسلوا الى بلاد أُخرى ليقبضوا على النصارى وياتوا بهم الكرخ جمعوا

منهم عدداً لا يحصى رجالاً ونساءً وكهنةً واساقفةً، منهم مطران اربيل مع كهنته وشمامسته واسقف بانوهدرا واسقف معلثا ومطران شهركرد واسقف لاشوم واسقف ماحوز واسقف حربات جلال واسقف دارا مع قسوسهم وشمامستهم، وقيل أنّ عددهم كان مائة وثلاثة وثلاثين الف نفر، فأتى جميع هؤلاء النصارى الى الكرخ وقلوبهم موعبة سروراً ومتدفقة حبوراً، وكانت راية الصليب تتقدمهم وهم يترنمون بالمزامير والالحان الروحية استعداداً للموت على حب إلههم المصلوب لاجلهم، فكان دخولهم الكرخ دخول عسكر عرمرم قد ظفر بالغلبة ولما سمع الذين في السجن اصوات التهليل فاضت قلوبهم فرحاً وتعزيةً فاخذوا هم ايضاً يرنمون ترانيم السرور، واما طهمزكرد ورفاقهُ فلما عاينوا هذا الموكب الفائق الابهة وبلغ آذانهم دوي تلك الجلبة اضطربوا اضطراباً شديداً لظنهم انهُ وقع سجس في المدينة فثارت.



٢- جهاد مار اسحق ويوحنا الاسقف وداديشوع[١] وشوحاليشوع[٢] وبختيشوع[٣] الكهنة

(٢٤ آب)

ولما كان اليوم الرابع والعشرون من شهر آب، صعد طهمزكرد والذين معهُ الى محل يُدعى بيت تيثا الذي فيهِ كان ذُبح عدة شهداء في أيام شابور الملك، وجلس على الكرسي، وأمر باخراج يوحنا الاسقف والذين معهُ من كهنة الكرخ وأعوانهِ من السجن فلما أُحضروا وضع امامهم جميع الآت العذابات المهولة، وكان قد أتى ايضاً بستة عشر فيلاً لسحق كل من لا يسجد للشمس، وقال لهم: "ان يزدجرد الملك أمرنا بان نسومكم بهذهِ الآلات المخيفة عذابات قادحة فالموت اذا ما تجرأتم فنقضتم أوامرهُ، فنُشير عليكم ان تسجدوا للشمس الإله العظيم وتوقروا النار والماء لتخلصوا من انياب الموت الشنيع".

فلما رأى المعترفون تلك الآلات الجهنمية هزهم الاشتياق الى الاستشهاد فدنا منها اسحق بن هرمزدجرد وأخذها وقبلها، ثمَّ وضعها على عينيهِ وقال: "السلام على هذهِ الحديدات، فاننا بها ندخل ملكوت السموات ونتمتع بالمظال النورانية الى أبد الابدين".

ثمَّ قال لطهمزكرد: "وانت يا ايها القاضي لماذا تتغافل عما أُمرتَ بهِ، انهضنَّ وافعلنَّ بنا ما تشاء لاننا مستعدون ان نموت بفرح حباً بربنا يسوع

١- كلمة مركبة من داد الفارسية اي عدل او هبة ومن يسوع.

٢- اي المجد ليسوع.

٣- اسم مركب من النارسي بخت ومعناه الحظ والسعادة ومن يسوع.

المسيح" فنبض حينئذٍ عرق الغضب بطهمزكرد، وأمر الجلادين فأضجعوهُ على الارض ودقوا اوتاداً بيدَيهِ ورجلَيهِ، ثمَّ اخذوا امشاطاً حديديةً وجعلوا يجردونهُ بقساوة وحشية حتى ان العظام تسلخت من اللحم، واخذت سيول الدم تجري من كل جهة ولما كان مار اسحق يتجشم ذلك العذاب الفادح أمَرَ طهمزكرد بإِحضار جميع المحبوسين ليُستَنطَقوا فيُجرَّعوا مثل اسحق غصص العذابات واما النصارى فلدى معرفتهم انهُ حان الزمان الذي فيه ينالون الاكليل احتشدوا في الكنيسة وسمعوا القدّاس واغتذوا بدم وجسد ربنا يسوع المسيح، وتعانقوا وقبّل بعضهم بعضاً، وخرجوا من الكنيسة قاصدين بيت تيثا وراية الصليب تتقدمهم، وهم يترنمون بالمزامير وبالحان السرور فلما عاينوا مار اسحق على تلك الحالة الموجعة أكثروا من التسبيح واخذوا يشجعونهُ ويقوونهُ. فلم يكن طهمزكرد الا ليزداد غضباً، فأمر الجلادين ان يأتوا بالنفط ويدهنوا عظام القدّيس ويطلقوا فيها النار، ففعلوا، فلما تأججت النار في عظام القدّيس وكاد يموت رفع صوتهُ وبارك الحضار من النصارى وقضى نحبهُ.

ثمَّ أمر القاضي بإِحضار مار يوحنا اسقف الكرخ مصحوباً بداديشوع وشوحاليشوع وبختيشوع الكهنة، فلما مثل بين يديهِ عرض عليهِ السجود للشمس، فلما امتنع أوعدهُ بالقتل الوبيل، فلم يتزعزع عن عزمهِ الوطيد، فجذم يديه، ثم ذسبوا به وبرفاقه الستين الى الوادي الذي بشرقي بيت تيثا، وكان المعترفون يتراكضون مترنمين بمزامير داود فرِحين، ولما انتهوا الى ذلك المكان، أمر طهمزكرد فتلا الكاتب عليهم رسالة الملك التي كان أوعد فيها من يسجد للشمس بكرامات وعطايا، ومن يأبى فنصيبهُ السيف والنار والعذابات فاجابوا عن بواء واحد: "بقيت عطايا الملك وصلاتهُ لهُ وكراماتهُ

للغير، واما نحن فلنا كنز في السماء لا يفنى البتة وهناك يجلببنا المسيح الذي من اجلهِ نذوق العذابات بجلباب المجد والسعادة" فتوهج القاضي غضباً، وأمر بهم فمنهم من جُذِمت رجلاهُ، ومنهم من استُلَّ لسانهُ، ومنهم من فُقِئت عيناهُ، ومنهم من سُلِخ جلد رأسهِ، ثمَّ اتوا بكثير من القصب والجفنات وصبوا عليها نفطاً، واجلسوا المعترفين عليها واطلقوا فيها النار، فتحرقوا قاطبةً وطارت نفوسهم الى اعلى السموات، وكان استشهادهم في يوم الجمعة في الرابع والعشرين من آب.



٣- جهاد اسحاق واسطيفان الكاهنين وابراهيم وشمعون ومعنا ورفقائهم الثلاثة آلاف الشهيد

(٢٥ آب)

فلما كان في الغداة أخرجوا الى ذلك المحل الذي تكلل فيه مار يوحنا ورفاقه ثلاثة آلاف من نصارى الكرخ منهم كاهنان وهما اسحق واسطيفان وخرج طهمزكرد وجلس هناك وأقام مذبحاً وأجبر النصارى ان يقربوا القرابين. لكنهم امتنعوا وقالوا: "حاشانا ان نترك المسيح الذي بذل نفسه عنا فنذبح للشياطين" فأذيقوا ضروب العذابات وجُرعوا غصص المرائر والإهانات. فلم يكونوا الا ليشتدوا قوةً بالمسيح. فتمزّع القاضي غيظاً. وأمر بمار اسحق واسطيفان وغيرهما فرجموا بالحجارة. واثنتان من الراهبات صُلبتا ورجمتا بالحجارة على صليبيهما. وثلاثة من الشرفاء وهم ابراهيم وشمعون ومعنا أجلسوهم في حفرة وهجم عليهم الجنود كأسود ضارية فرشقوهم بالسهام ثمّ أحموا مسامير بالنار ودقوها في اعينهم. واما الباقون فسامومهم أمرّ العذابات والموت.

٤- جهاد ثمانية اساقفة والصبي ديندوي[1] وشيرين[2] ولديها ورفاقهم الثمانية الاف والتسعمائة والاربعين شهيدا (٢٦ آب)

فلما كان يوم الاحد اخرجوا الى ذلك المكان عينه ٨٩٤٠ معترفاً من الذين كانوا أتوا بهم من المدن والقرى البعيدة والقريبة وفي مقدمتهم مطران اربيل واسقف معلثاي واسقف بانوهدرا ومطران شهركرد واسقف لاشوم واسقف ماحوز واسقف حربات جلال واسقف قرية دارا التي على ساحل الزاب الأصغر ولما اجتمعوا اجلسوا الاساقفة وحدهم وهم مكبلون بالقيود، وباقي القدّيسين أُحضروا أجواقاً أجواقاً للاستنطاق فلما راوهم جميعاً في راي واحد وارادة واحدة غير مستبدلين الحقّ بالباطل مقرين بالمسيح مستهزئين بديانة المجوس وفرحين مسرورين، ولى طهمزكرد زهاء ثلاثة آلاف من المجوس أمرَ قتلهم، فمنهم من أُحرق بالنار، ومنهم من قُطع راسهُ ومنهم من نُشر بالمناشير، ومنهم من رُجم بالحجارة، ومنهم من وُضع خل وخردل في فيهِ وعينَيهِ وانفهِ، وقصارى القول انهم عُذبَوا عذابات فادحة وحُملوا اهانات شديدة وماتوا موتاً وبيلاً فنالوا جميعاً اكليل الاستشهاد.

وحينئذٍ اتى واحد من الحكام الذين بصحبة طهمزكرد وسأل الاساقفة قائلاً: "من هو المقدم فيكم؟" فسكتوا جميعاً، وكان ثمَّ صبي ابن ارملة من الكرخ اسمهُ ديندُوي، وكان هو ايضاً مكبلاً بالسلاسل من اجل الايمان

١- اسم فارسي مركب من دين وهو اسم الملاك الموكّل عند الفرس على محافظة العلم وهو عندهم ايضا اليوم الرابع والعشرون من كلّ شهر وفيهِ كان يهمهم ان يرسلوا اولادهم الى المدرسة ويتزوجوا.

٢- فارسية ومعناها الحلوة.

بالمسيح، وهو صار سبباً لترقية كرسي الكرخ الاسقفي الى كرسي المطرنة. فإنَّ الرئاسة الاسقفية كانت لأسقف شهركرد التي كانت قبل سائر مدن باجرمي قد دخلت فيها الديانة النصرانية، وذلك انهُ لما رأى سكوت الاساقفة اخذتهُ الغيرة القدسية فنهض بشجاعة وقال لهم: "تقووا ايها الآباء بالرب يسوع ولا تخافوا، وجاوبوا الآعداء ولا تخشوا، والا فاعطوا الكرخ الرئاسة فنحن نتجشم عوضكم العذابات".

فلما رأى مطران شهركرد واساقفتهُ ما في دينـدُوي من القوة السماوية والشجاعة المسيحية والغيرة القدسية اتفقوا جميعاً على ان يجعلوه مطراناً، فوضعوا أيَاديهم على رأسهِ ودعوا لهُ وقالوا: "لك تحق المطرنة ايها الصبي انت الذي في زمان الضيقة اصبحتَ مثل ايليا الثاني وداود الصبي" ولما راى المجوس انّ القدّيسين لا يزالون معدين ذواتهم هدفاً لسهام العذاب ثقةً بما أُعِدَّ لهم من المجد الابدي أخذوا أولاً الصبي ديندوي ثمَّ الاساقفة بحد السيف.

وان امرأة بجوار بيت زادوق اسمها شيرين كانت في تلك الأثناء تخبز الخبز في بيتها، فلما سمعت بتكليل الشهداء تركت الخبز والعجين في المعجن، واخذت ولَدَين كانا لها واحداً على كتفها والآخر بيدها، وأسرعت الى بيت تيثا، واجتازت امام العسكر بلا خوف الى ان انتهت الى طهمزكرد، فقبضت على لجام حصانهِ واستحلفتهُ بالفارسية الا يمنعها من اللحاق بزمرة الشهداء فاستغرب هذا الأمرَ العُجَاب وشرع يلح عليها ان تُمسك عن رأيها، فلم تذعن لهُ، فلما رآها تابى الا إِصراراً على رأيها امر بها وبابنها الكبير فقُتِلاَ بالسيف.

واما ابنها الصغير فاكبَّ على جثتها وجثة اخيهِ يقبلهما ويمطرها من الأجفان دموعاً حارة وياخذ من دمها ويدلك بهِ جسمهُ وعينيهِ فلما رأى الاعداء ذلك منهُ اخذهم العجب، فدعوهُ واخذوا يتملقونهُ ويستغوُونهُ بالهدايا، لكنهم لم يستطيعوا سبيلاً الى إغوائهِ، وكان كلما سنحت لهُ الفرصة يتفلت من اياديهم ويسرع الى جثة والدتهِ واخيهِ ويقبلهما باكياً، فضربوا عنقهُ ايضاً.



٥- جهاد مار طهمزكرد

(٢٥ ايلول)

فحينئذٍ فكر طهمزكرد في أمر المقتولين كيف انهم بطيبة نفسٍ وفرح جزيل يقدمون انفسهم للموت الشنيع ثقةً بما وُعدوا من السَّعد السماوي، فأطلع الله في أفق قلبه شمس معرفته، فرأى سلمًا من نور قائمةً على الأرض ورأسها يصل الى السماء، وجميع المقتولين يرتقون فيها الى السماء واذا الربّ واقف عليها في السماء بمجدٍ لا يوصف، وهو يضع على رؤوسهم تيجاناً من نور فللحال ارعوى عن غيهِ، وصاح قائلاً: "انا ايضاً نصراني" وأخذ يبكي وينوح على نفسه ويرفع بصرهُ نحو السماء ويقول: "اغفر لي يا ربّ ذنوبي، فاني قد اخطأتُ اليك كثيراً اذ قتلتُ جماعةً لا تُحصى من الذين يؤمنونَ بك آمنتُ بك ايها المسيح الآله القوي القدير، وأُقر معترفاً انك الآله الحق، الذي خلق السماء والأرض، فعلمني ما يجب عليَّ فعلهُ لامحو بهِ خطاياي، وانا مزمع ان امحوها ليس فقط بدموعي بل بدمي ايضاً" وللحال أوعز الى منادٍ ان ينادي باعلى صوته: "أنْ قد بطل الاضطهاد، وأُطلقت الحرية للنصارى" واما هو فانطلق من ساعتهِ الى الكنيسة، ولبس حلة العماذ، فاخذت جميع النصارى هزة الطرب والانذهال، وتقدم مار طهمزكرد الى الصناع ان يصنعوا صناديق ويغشوها بالفضة ويضعوا فيها ما بقي من أجسام الشهداء، ففعلوا فاتصل الخبر بالنصارى الذين كانوا استخفوا خوفاً من الاضطهاد، فجاؤوا من كل مكان فرحين ولله تعالى شاكرين.

وبلغ يزدجرد الملك خبر تنصر طهمزكرد فجاشت في صدره عوامل الغيظ، فكتب لسورين حاكم باجرمي جميع عمل طهمزكرد، وأمر ان ينكل بهِ حتى

يجبرهُ على العود الى دين المجوس وكان مار طهمزكرد منذ تنصره قد تعشق الفضيلة المسيحية مستعداً للاستشهاد، فلما بَلَغتهُ اوامر الملك لم يزعج بل تشجع وتقوى وانَّ سورين حالما وصلت اليهِ اوامر الملك أمر بطهمزكرد فاحضر، فاخذ يستنطقهُ قائلاً لهُ: "قل لي يا طهمزكرد ما الذي حملك على ان تخون الملك فتنبذ ديانتهُ الجليلة، ومع انك كنتَ تنكل بالنصارى أراك الآن تناضل عنهم" قال لهُ مار طهمزكرد: "انّ نور المسيح اشرق عليَّ، فاستنار عقلي، فعرفتُ انّ ديانة المجوس باطلة، وأيقنتُ أنّ المسيح الذي يسجد لهُ النصارى آله حقّ، فخررتُ ساجداً لهُ، مقراً بالوهيتهِ" فقال سورين: "تامل يا منكود الحظ وانظر الى ماكنتَ عليهِ من الكرامة والعظمة، وانَّ الذي يدينك الآن كان تحت أمرك، فما هذا الجنون الذي اعتراك فأحببت هذا العار؟" أجاب طهمزكرد: "رأيتُ أن عظمة هذهِ الدنيا زائلة فأبغضتها، وان كرامة العالم العتيد باقية ابداً فعشقتها" فقال سورين: "أضرب عن هذا الرأي الفاسد الذي ليس من شانك، وبادر ساجداً للشمس والقمر والنار والماء والا فقسماً بالشمس لأقتلنك قتلة وبيلة" فقال الشهيد: "حاشاي ان اسجد لخليقة معدومة الحيوة والمعرفة والنطق وأُهين بذلك الله الحق الذي كون السماء والأرض، واما القتل فانا لتائق اليهِ لكوني بهِ امحو ما ارتكبتُ من الخطايا لما كنتُ نظيرك متدهوراً في الضلال والكفر" فلما قال هذا غضب عليهِ الحاكم غضباً شديداً فأمر بجلدهِ، فجلدهُ الجلادون بقساوة شديدة حتى انّ الدم انفجر من كل جانب، فقال لهُ سورين: "ماذا تقول يا طهمزكرد، شاهد في اي حال كنت من المجد والعظمة وفي اي حال أمسيت الآن من الفضيحة والهوان" فقال لهُ القديس: "انّ ما

تظنهُ انت فضيحة وهواناً لَمجدٌ وفخرٌ لنا نحن معشر النصارى، فإننا به سنطأ تحت اقدامنا الشمس إلهكم فندخل السماء ونتوسط خدور الملكوت"

ثمَّ أمر الحاكم ان يودعوهُ السجن الى أن يخبر الملك بأمره، فكتب اليه وأخبرهُ بكل ماجرى، فتقلى يزدجرد على جمرات الغضب وأمر بان يزيد التنكيل بطهمزكرد، وان بقي مصراً على رأيهِ فليصلبهُ منكس الرأس فاخرج سورين القديس من السجن وقال لهُ: "صار لك زمان في الحبس، فما الذي قر عليهِ رايك هلا تسجد للشمس".

قال القدّيس: "انّ ما قرَّ عليه رأيي هو ان اموت من اجل الله تعالى الذي خلق الشمس والقمر وكل ما في الارض والسماء، فلا ارجع الى ديانتكم الباطلة، ولا انكر المسيح الذي اعترفتُ به" فاحتدم عليه الحاكم غضباً وأمر ان يُجردَ جسمهُ كلهُ بامشاط من حديد، ففعلوا به ذلك بقساوة وحشية حتى انّ العظام تسلخت من الجلد واللحم، وامَّا هو فكان يرفع بَصَرهُ الى السماء ويستعين بالله تعالى ويقول: "ياربّ أعطِني القوة وانصرني على أعدائي" ولما رأى سورين أنّ عزمهُ لا ينثني ولا يضعف أملهُ مع كل ما لاقى من العذابات الفادحة، أمر به ان يُصلَب منكس الرأس فصُلب، ولما كان معلقاً على الخشبة رفع عينيهِ الى السماء وصلى قائلاً: "يا ربّ ترحم عليَّ واغفر لي ذنوبي الكثيرة، فإني قد ارتكبتُ خطايا باهضة اذ تجرأت على قدّيسيك، وها اني محواً لذنوبي قد سفكتُ دمي، وأهلتني انت ان أُصلَب مثلك على الخشبة، فأملي وطيد انك لا تطردني من امامك بل تقبلني في زمرة الذين نالوا مني اكليل الاستشهاد" قال هذا وطارت نفسهُ الى الملكوت وكان استشهادهُ يوم الاثنين في الخامس والعشرين من شهر ايلول في نحو سنة ٤٠٩.

وان مار مارون مطران الكرخ في نحو سنة ٤٧٠ بنى ديراً جليلاً في محل قتل هؤلاء الشهداء العديدين، وهو موجود الآن ويُدعَى بالتركية قرمزي كليسا اي الكنيسة الحمراء او كنيسة مار طهمزكرد، وهي بشرقي كركوك على مسافة اقل من نصف ساعة، وكل سنة في عيد مار طهمزكرد الواقع في الخامس والعشرين من ايلول تُقرَّب الذبيحة الالهية في هذه الكنيسة، فيقصدها النصارى زرافات زيارةً لعظام الشهداء المدفونة فيها.



مار حزقيال الراهب

(٥ كانون الاوّل في نحو سنة ٤٤٠)

كان هذا القدّيس يهودياً جنساً ومسيحياً ديانةً وقد تتلمذ لمار اوجين القدّيس، ولما كانت سنة ٣٦٣ التي فيها تفرق تلاميذ مار اوجين الى النواحي والاقطار وعمروا الأديرة الكثيرة العجيبة، اتى مار حزقيال الى بلاد حدياب ومنها الى باجرمي، وكان لهُ عدة تلاميذ ودخلوا اولاً في ماحوز ارنون وكان اهلها اشدَّ المجوس قبحاً وقساوةً، ولم يكن فيها من النصارى سوى كاهن اسمهُ يوسف وكان ذا حَسَب ونَسَب يعيش بينهم شرَّ عيشةٍ، وانما كانوا تركوهُ يقيم عندهم لأنهم كانوا محتاجين اليه، فانهُ كان تاجراً ويجلب لهم كل ما يلزمهم من الكسوة وغير ذلك فقبل هذا الكاهن القدّيسين في داره، وأكرم مثواهم فلما سمع رئيس المجوس بمجيئهم أثار عليهم كل المدينة، فهجموا عليهم بالسيوف والعصي لكي يقبضوا عليهم ويقتلوهم فخرج مار حزقيال وزجرهم بعلامة الصليب، وللحال وقفوا مكانهم لا يقدرون ان يتحركوا يميناً ولا شمالاً واما القدّيس مار حزقيال وتلاميذهُ فقاموا خارج المدينة جاثين على ركبهم يتضرعون الى الله ان يترحم عليهم ويرفع عن قلوبهم ديجور الظلام ويُطلع في آفاقها النور الإلهي فقبل الله صلاتهم اذ حلَّ أرجل اولئكَ المجوس، فحسوا بالقوة الآلهية التي للنصارى وللحال بادر رئيسهم وخمسة من خاصته الى القدّيسين وسلموا عليهم وقالوا: "قولوا لنا من انتم؟ وما هذا الزيّ الغريب الذي عليكم" فقال القدّيسون: "اننا نصارى ونُدعى رهبانا، ولإلهٍ واحد نسجد، وبابنه يسوع المسيح نقر ونعترف، وبقوته نشفي المرضى" فلما سمع المجوس بشفاء المرضى رجعوا مسرعين

الى المدينة، ونادوا فيها: "كل من لهُ مريض فليأتِ به الى الرهبان فيُشفى" فأتى جميع الناس من المدينة عند الرهبان فلما رأى مار حزقيال الجموع مقبلين اليهِ زرافات، جثا على ركبتيهِ وصلى قائلاً: "انظر يا ربّ برحمتك الى هذه النفوس التي استعبدها الشيطان، وخلِصها من انيابه، أنت يا ربّ بميلادك فرحت الملائكة والناس وجمعتهم الى حظيرتك المقدّسة، فاطلب اليك ان تزرع في قلوب هذه الجماعة بذور الايمان الصحيح فتقودهم بزمام الاهتداء من تيه الأضاليل الى مناهج طاعتك ليكون الراعي واحداً والرعية واحدة بقوة الوهيتك آمين" فلما فرغ من صلاتهِ ظهر لهُ ملاك الربّ وقال لهُ: "لاتخف يا ابن نثنائيل لان الربّ معك ولا يتركك" وحينئذٍ تناول القديس زيتاً وصلى عليهِ ودهن بهِ كل من كان ثمة من المرضى فنالوا جميعاً الشفاء التام فشمل الجميع فرح عظيم، وطلبوا اليهِ ان يدخل المدينة فيشرح لهم الديانة المسيحية فاجاب الى سؤالهم، وأخذ يخاطبهم عن الله وعن مجيء ربنا يسوع المسيح، فاهتدت المدينة الى الايمان المسيحي، وعمذ منهم في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف نفس وقالوا للقدّيس: "انّ آباءَنا اخبرونا انّ اهل هذهِ المدينة ثلاث مرات اعتنقوا الديانة النصرانية، لكن خوفاً من السيف ارتدوا عن دينهم، فغشيت الضلالة قلوبهم، والآن نطلب منك ان تبني لنا كنيسة" فبنى لهم القديس كنيسة، وابقى عندهم واحداً من تلاميذهِ اسمهُ سبريشوع[١]، وأوصاهُ ان يمكث عندهم الى ان يرجعوا كلهم الى الديانة النصرانية وينطلق بعدئذٍ الى بلد عالثا الذي على الزاب الأصغر، ويتلمذ اهلهُ ويبني ثمة ديراً جليلاً.

١- رجائي يسوع.

واما القديس حزقيال فانطلق توا الى كرخ سلوخ وهي كركوك، وكان حينئذ اسقفاً عليها مار يوحنا الأول فخرج للقاء القدّيس مع جميع الكهنة والشمامسة، وصنع مار حزقيال معجزات كثيرة في كركوك وتلمذ كثيرين من الوثنيين، فمنهم يزداد[1] الذي كان من عظماء المجوس، فهذا لما بلغهُ خبر مار حزقيال أرسل اليه واحداً من أعوان النصارى اسمهُ شابور بن بورزين يطلب اليه ان ياتيهُ خفيةً خوفاً من المجوس ليضع يدهُ عليه فيشفى من الجرب الذي كان اصابهُ، فلما جُنَّ الليل انطلق اليه مار حزقيال ومار يوحنا الاسقف وشابور بن بورزين، فأحسن المجوسي مثواهم، وطلب الشفاء، فقال لهُ مار حزقيال: "أتؤمن بيسوع المسيح ابن الله الحي أنهُ القادر على شفائك، فإنَّ الذي يُؤمن ينال كل شيء؟" فقال لهُ المجوسي: "آمنتُ ايها السيد فساعدني" فاخذ القدّيس زيتاً ورسم عليه اشارة الصليب وناول مار يوحنا ليدهن به جسم يزداد، وفي الحال شُفي تماماً من علته، فاعتمد هو وآل داره قاطبةً.

ثم ان مار حزقيال غادر كركوك وذهب الى قرية يقال لها شعال، ورافقهُ ايضاً مار يوحنا الاسقف، وكان في تلك القرية جَربى كثيرون فنالوا جميعاً الشفاء ما خلا واحداً من تباع ماني، وبعد أن اقام ثمة ثلاثة ايام انطلق الى قرية ايزران حيث أبرا كثيراً من المرضى، وانصرف من هناك الى بيت عيناثا ولما بلغوا الى نهر قرية فاقان صادفهم رجلان من قرية باديوي فيهما أرواح نجسة، فاخذوا حجارةً وشرعا يرميان بها القدّيسين ويقولون: "هلموا وشاهدوا ماذا يصنع بنا ابن مريم، إنهُ أرسل الينا هؤلاء الرجال ليطردونا من بلدنا الذي امتلكهُ آباؤُنا بدمائهم" فانتهر القدّيس الارواح النجسة قائلاً:

[1]- اسم فارسي ومعناه الكثير العدل والسعادة.

"آمركم باسم يسوع المسيح الذي أدخل لجيونكم في الخنازير ودفنهُ معها في أعماق البحر أن تخرجا من هذين الرجلين، فتتخذوا لكم مسكناً في اعماق هذا النهر" وللوقت خرجت الارواح النجسة ودخلت في النهر، واما المجنونان فأتيا وسجدا للقدّيسين وتبعاهم فلما وصلوا الى تل بيت عيناثا رأوا المكان منقطعاً مناسباً لسُكنى الرهبان فيهِ، وقضوا ثمَّ الليل كلهُ في الصلوة، واذا بملاك الرب ظهر لهم وقال: "أيها السادات ليس هذا محل للدير الذي أُمِرتم بانشائهِ، اتبعوني وانا أُريكم محلاً آخر" فتقفاهُ مار حزقيال ومار يوحنا الاسقف والمجنونان اللذان سبق القول عنهما وتلاميذ القدّيس وكانوا اربعة وعشرين الى ان انتهى بهم الى محل قريب من داقوق فقال الملاك لمار حزقيال: "هذه الحصة من الارض التي نلتها من الله لتبني فيها ديراً وتجمع فيهِ اولادك واولاد اولادك، فيغتذون باثمارك السماوية، ويمتصون من ثدييكَ حليباً روحانياً جميع أيام حياتك، ومن اولادك يجلسون في هذا الدير على كرسيك (مزمور ١٣٢:١٢) والأرض تُعطي لك ثمرها، والجبال سلامةً لك والتِلال العدل (مزمور ٧٢:٣)".

ويوم وصولهِ الى الدير كان الاحد السابع من سابوع الرسل وكان عمرهُ حينئذٍ ستاً وستين سنة، وكان ذلك نحو سنة ٣٧٠ للميلاد، وأحيوا الليل كلهُ في الصلوة، ولما أصبحوا قربوا الذبيحة الالهية، وعملوا الباعوثة ثلاثة ايام، ثم باشر مار حزقيال ببناء الكنيسة، وشيد هيكلاً بالطين وقلالي للرهبان، وكانت قلاية مار حزقيال قريبة الى الهيكل وتسمى بيت ريشاني(بيت الرؤساء) واما مار يوحنا الاسقف، فبعد أن كرَّس الكنيسة رجع الى محلهِ معززا مكرماً، وكان الرهبان كل يوم احد يجتمعون ويسمعون ارشادات ابيهم القدّيس التقوية ويحيون الليل كلهُ بالصلوة، وفي الصباح

يقدمون الذبيحة الآلهية فيغتذون بجسد ودم المسيح وذاع خبر القدّيس في كل بلد باجرمي، فكان عدد الرهبان يزداد يوماً فيوماً، وجعل النصارى والمجوس ايضاً يُقبلون اليه زرافات انتجاعاً للبركة وطلباً للشفاء، وكانوا قاطبةً ينالون الشفاء وكثير من المجوس كانوا يقايضون الشقاوة بالهناء فيتدينون بالنصرانية، وكان القدّيس غاية في اللطف والوداعة فيرحب بالجميع ولا يشمئز من السقماء المصابين بأمراض وأوجاع مختلفة، لا بل كان بيديه يغسل جروحهم الممتلئة مِدةً وصديداً، فيدهنها بزيتٍ مباركٍ فكان أبا رؤوفا للجميع يقوي الضعفاء ويسلي الحزانى ويلين القلوب الصوانية، ويبث في النفوس روح التقوى ويدك حصون الكبرياء.

وفي تلك الأثناء قدم اليهِ اناس كثيرون منهم شابور بن بورزين المار الذكر وعقبلاها واسحق الذين كانوا من أعيان كرخ سلوخ ابتغاء ان يتفرغوا تحت قيادته الى اعمال النسك والتعبد، فرحَّب بهم القديس وقبلهم وقال لهم متبسماً: "يا اعزتي إنكم مزمعون ان تصيروا فيما بعد رعاة في الكرخ بعد ماريوحنا" وأحيَوا الليل كلهُ بالصلوة، ولما اصبحوا قرَّب القدّيس الذبيحة الآلهية، وقبلهم في طاعته، فألبسهم الاسكيم الرهباني هُم وخمسين من الذين كانوا معهم وفي مدة قليلة بلغ عدد الرهبان مائتين ونيفاً، وكان يكثر عددهم كل يوم واخذ الرهبان يسوون الجبال المحدقة بالهيكل، ويُقيمون القلاليَ، ويزرعون ويطعمون الشيوخ والفقراء، ولم يكن الهيكل يسعهم، فاستدعوا من مدينة حديثة بناءً رومياً اسمهُ طيطوس، فبنى بالجص الهيكل الكبير والهيكل الصغير والمذبح، واما الرواق المحيط بالهيكل فشيدهُ بالطين، وبقيَ على حالته تلك الى بعد وفاة القديس.

ولم يزل صيت القدّيس ينتشر يوماً فيوماً بين الناس حتى بلغ مسام
ورهاران الرابع ملك الفرس (٣٨٩–٤٠٠) وكان لهُ ابنة فيها روح نجس، وكان
مار يوحنا اسقف كركوك قد قُتِلَ شهيداً، وجلس مكانهُ عقبلاها كما تنب
عنهُ معلمهُ مار حزقيال وكان الملك يعرف جيداً مار عقبلاها بسبب ابيه
الذي كان على بابهِ، فكتب اليهِ ان يقوم عاجلاً ويأتيهِ مصحوباً بحزقيال
فلما دخلا عليهِ عظما في عينيهِ فهابهما، وقال: "لعظيم الاله الساكن فيكما
لعمري اني صادفتُ ملوكاً كثيرين ولا يخطر لي اني خفتُ مثل خوفي هذه
المرة" ورحب بهما واجلسهما عن يمينهِ، ثم سألهما عن احوال النصارى
والرهبان والبلاد التي اتيا منها والتي مرا بها، فجاوباهُ جواباً مرضياً ودعوا
لهُ، ثم أحضر الابنة، فوضعا ايديهما عليها فشُفيت من ساعتها فلما رأى
الملك ذلك تعجب وهتف قائلاً: "لعظيم إلهكم وقويّ" وقال لهما: "اطلبا ما
تشاءان" فطلبا منهُ ان يمنع هدم البيع ويأمر ببناء المهدومة منها فكتب الى
جميع الحكام ان يراعوا النصارى ويدَعوهم يبنون البيع والأديرة التي هدمها
المجوس ومن بعد رجوعهما بمدة قليلة قضى مار عقبلاها نحبَهُ، فانتخب
مار برحذبشبا، وكان هو ايضاً من تلاميذ مار حزقيال، ولما توفي برحذبشبا
خلَفَهُ أخسنَايا ثم شابور ابن بورزين الذي سبق الكلام عنهُ ولما توفي هو
ايضاً جلس على كرسيهِ مار يوحنا الثاني، وفي زمانهِ أثار يزدجرد الملك
الذي كان خلَف ورهارن الرابع اضطهاداً شديداً على النصارى وقبل ان يثور
الاضطهاد رأى مار حزقيال في الحلم تنيناً عظيماً يدب ويخرج من الجبل الى
البقعة الموجود هو فيها، ويبلع الحملان والقطعان في بلاد باجرمي، ويجتهد
ان يبلعهُ هو وتلاميذهُ ايضاً، غير انّ القدّيس هزمهُ عن اولادهِ وذلك باشارة
الصليب ولما أصبحت دعا اليهِ من كان يحبهم اكثر من سائر الرهبان اي

يوحنا وافرام وسركيس وحبيب وقال لهم: "رايتُ يا اعزتي في هذه الليلة حلماً مزعجاً" واخبرهم بهِ، واستتلى كلامهُ قائلاً: "اعلمُ ان اضطهاداً شديداً يثور على كنائس باجرمي ولاسيما على كنيسة كرخ سلوخ، وان جموعاً من النصارى لا يحصى عددهم ينالون اكاليل الشهادة، وعلينا ايضا يُحكم بالقتل لكن العناية الربانية تحفظنا من كل سوء، وان كثيراً من النصارى يلتجئون الى ديرنا فيخلصون، وكثيراً منهم يكفرون بالمسيح من جراء الضربات والضيقات واياكم ان تخبروا اخوتكم بهذه الرؤيا، بل صلوا وتضرعوا اليهِ تعالى ان يترحم على هذا الاقليم فيُبعد عنهُ هذا الغضب".

هذا وانّ ما رآهُ مار حزقيال في الرؤيا تحقق، فان يزدجرد الملك أرسل الى كرخ سلوخ طهمزكرد مصحوباً بجيش عرمرم ليُجبر النصارى بالضيقات والشدائد والقتل على نبذ دينهم والسجود للشمس، فجمع طهمزكرد نصارى كثيرين لايحصى عددهم من آثور وحدياب وباجرمي وكرخ سلوخ مصحوبين برعاتهم الفضلاء، واخذهم قاطبةً بحد السيف، وكثير من النصارى فروا هاربين الى دير مار حزقيال وسلِموا ولما أطلع المسيح في افق قلب طهمزكرد شمس معرفته، ونال اكليل الاستشهاد، انحطت قليلاً ديانة المجوس، ونال النصارى اماناً، فامتلأت برية مار حزقيال بالرهبان نظير برية مصر، وكان مار حزقيال يُلبس كل يوم الاسكيم الرهباني عشرين او ثلاثين من الذين كانوا يريدون ان يستظلوا في حمى العيشة النسكية فنما عدد الرهبان نمواً عجيباً، وبلغ نيفاً والفاً حتى اضطرَّ القديس ان يقيم أديرةً في وسط الجبال ليمكن الرهبان من الاجتماع فيها ايام الآحاد والأعياد ليسمعوا القدّاس ويتقدموا الى المائدة المقدّسة، لان بُعد الطريق لم يكن يمكنهم ان ياتوا كلهم الى الهيكل العظيم الذي كان القدّيس قد بناهُ.

ويقول كاتب هذهِ السيرة وهو مجهول الاسم ما نصهُ: "إن باجرمي اضطرمت بحب المسيح اكثر من مصر وفلسطين، واذا أوغلتَ اليوم في برية مار حزقيال رأيتها أشد بهجةً من جميع الجنان ناضرة الأغراس من القديسين وكاظةً بصفوف لا تحصى من البُتل والشهداء والمعترفين، وعاينتَ الشيطان ساقطاً من كرسيهِ في كل ارجائها، وشتاء الذنوب مجُفلاً وظلام الاضاليل مقهقراً وربيع الفضائل مزهراً وغصن الفضائل مورقاً، ولعمري انّ باجرمي التي كانت ام الشعراء والفلاسفة والسحرة وجميع الضلالات تراها اليوم قد اصبحت أُماً للرهبان الفاضلين وللفلاسفة الحقيقيين الذين يسجدون للصليب واليهِ يلتجئون ويسبحون نظير الملائكة اسم الله القدوس الذي عظم في انفسهم فصغُر ما دونهُ في اعينهم، فهم والملكوت كمن قد رأوهُ فهم فيهِ متنعمون مسرورون".

وكان يزدجرد الملك بعد استشهاد مار طهمزكرد اقام حاكماً على باجرمي سورين بربراز، وهو الذي نكل بمار طهمزكرد وقتلهُ وقتل ايضاً كثيراً من النصارى في كرخ سلوخ، فعاقبهُ الله عقاباً شديداً وابتلاهُ بداء الفالج فعلم انّ ذلك قصاصُ لهُ من الله، فارسل مرتين الى مار حزقيال من يلتمس اليهِ ان ياتي فيشفيهُ، لكن القدّيس لم يجب الى سؤلهِ، وذلك لكي يتضح بنوع ازيد ما احل الله بسورين من القصاص وفي تلك الغضون نزل القدّيس الى داقوق مصحوباً باحد عشر من تلاميذه الفاضلين، ولما رأى ما صارت عليهِ الكنائس والأديرة من البوار، اخذت الكآبة من نفسهِ كل مأخذ، وكان سورين قد راى في الحلم ان القدّيس اتاهُ وشفاهُ من مرضهِ، فلما بلغهُ خبر مجيئهِ فرح وللحال أرسل اليهِ راجياً ان ياتيهِ، فانطلق اليهِ القدّيس، وسلم عليهِ، فرحب بهِ سورين وزاد في كرامتهِ وقال لهُ: "إني ارسلتُ اليك مرتين ولم

تُجب الى سُؤلي، وانا اعلم انك من اجل تجاسري وقتلي النصارى لم تاتني، وتعلم يا سيدي اننا مامورون من قبل يزدجرد الملك فاذا خالفنا أمره قتلنا لا محالة، والآن اني بين يديك فكل ما تامرني به أمتثلهُ" فاجابهُ القديس مبتسماً: "ولماذا تخالف أمر ملكك؟ اذهب الى آلهة المجوس، فإنهم عديدون وانظر هل يقدرون على شفائك، اما آلهنا نحن معشر النصارى فواحد وكل من يؤمن بهِ يترحم هو عليهِ، والذي ينكره يحكَم عليهِ، أَفَتُؤمن انت برب واحد لا آله الا هو وحده وبابنهِ يسوع المسيح الذي خلص العالمين، فان آمنت نلتَ الشفاء" فقال سورين: "آمنتُ ياسيد" وحينئذٍ اخذ القديس المشحة ودهن بها جسم سورين، وأخذ ايضاً ماءً وصلى عليهِ وسقاهُ وللحال نال الشفاء، فقفز من الفراش وعانق القدّيس، وقبل راسهُ، وهتف قائلاً: "المجد لك ايها المسيح ابن الله الحي فانك مع كونك محجوباً عن المخلوقات فانت مبجل في قديسيك الذين يحبونك ويحفظون وصاياك، فالمجد لك لانك اظهرت لي قوّتك وعظمتك، فلا يخزى من يتكل عليك اني أخطأتُ لاني اهلكتُ كثيراً من الذين كانوا يخدمونك خدمةً نصوحاً وقتلتُ طهمزكرد الهمام، اني اومن بك واسجد للآب والابن والروح القدس" ثم التفت الى مار حزقيال، وطلب منهُ بلجاجة ان يغسلهُ بلا تاخير بمياه المعمودية، فعمذ القديس في ذلك اليوم نيفاً وخمسمائة نفس، ثمَّ قرب الذبيحة الالهية، واشركهم جميعاً بجسد ودم يسوع المسيح، واصلح سورين سريرتهُ مع خالقهِ، واخذ يخدم الله بثبات ويكرز بالانجيل، وبتنصرهِ وهمّتهِ راقت الديانة النصرانية، وتنصر كثير من المجوس، وشيد كنائس واديرة كثيرة، وبقي مار حزقيال في داقوق مدة شهرين ورجع الى ديرهِ.

وبلغ مسامع يزدجرد الملك انَّ سورين اعتنق الديانة النصرانية ونصر ايضاً جميع العالم الذي عندهُ فاستشاط غضباً وارسل يستدعيهِ اليه لكن سورين أبى ولم ينطلق اليهِ، وكان كل يوم احد يصعد الى دير معلمهِ مار حزقيال ويدنو من المائدة المقدسة، وفي تلك الأثناء مات يزدجرد الملك وخلفهُ ابنهُ ورهاران الخامس (٤٢١).

وكان في ذلك الزمان في قرية باديوي رجل شريف الاصل والحَسَب ذو ثروة وفيرة واملاك كثيرة اسمهُ ارداشير، وكان لهُ ابن يُدعى شهريار وابنتان، وكان شهريار كل يوم احد يذهب الى مار حزقيال ويتبرك بهِ، وحدث أنَّ ارداشير قضى نحبهُ، فاخذ شهريار كل ما وقع بيدهِ من ارث ابيهِ من الاملاك والأراضي وغير ذلك ووقفها كلها على دير مار حزقيال وترهب، فارتقى من الكمال الى الدرجة العليا، حتى انهُ كان يضع يدهُ على المرضى فيشفون ويصنع غير ذلك من المعجزات.

وكان ايضاً في قرية بيت يوراق امرأة شريفة تُدعى بهرنزاج، وكان لها ابن وحيد اسمهُ كوشتازاد فهذا مرض مرضاً عضالاً، فنذرت امهُ نذراً انهُ اذا شُفي ابنها تهب نصف مقتناها لدير مار حزقيال فأركبتهُ دابةً، وذهبت بهِ الى الدير، وطرحتهُ على باب قلاية مار حزقيال، فخرج القدّيس ورآها تبكي فتحنن عليها، وطلب من الله فأبرأ ابنها، فسبحت الامرأة البارئ تعالى والتمست الى القدّيس ان يُرسل معها رهباناً ليقسموا كل ما تملك من الاراضي والمياه والزيتون والأرحاء الى حصتين: حصة للدير والأُخرى لابنها، ففعل.

وكان ايضاً في قرية فير رجلٌ غنيٌ كثيراً اسمهُ شنينا، وكان مجوسياً، ولما تعمذ سُميَ شَيْنَا[1]، وكان لهُ ابن يخبطهُ الشيطان، فذهب به الى القديس ودهنهُ بالزيت فشُفي، فوقف شَيْنا على الدير رحًى كانت لهُ مع جميع الاراضي المتعلقة بها، فكان الدير يرتقي حالهُ ويزداد فيهِ عدد القديسين يوماً فيوماً. فاستدعى مار حزقيال تلاميذهُ الرهبان، واخذ يرشدهم في طريق الخلاص ناشراً على مسامعهم جواهر النصائح الانجيلية وقال لهم من الجملة: "يا أولادي لا تهتموا بالأشياء الزائلة، ولا تتعلق بها قلوبكم. لانهُ مكتوب: اذا كثر المال لا يفرح بهِ قلبكم، وأحبوا بعضكم بعضاً واحفظوا وصايا ربكم بكل تدقيق فاننا قد خُلقنا أحراراً، وليس فينا من يجبرنا على ايّ عمل كان او يمنعنا من عمل الصالحات، فعليكم اما أن تعيشوا او تموتوا، فاذا أضربَنا عن جميع الأفكار الردية صُنا من كل شائبة الحرية التي أعطانا اياها البارى عز وجل، ونكون قد اصبحنا اولاداً أُمناء كما كنا عليه من البدء فتحرزوا يا اعزتي من السقوط في الخطية مبتعدين عن اسبابها ولاسيما عن الغضب والشهوة ذاكرين ما هو مكتوب أنّ الشهوة تحبل بالخطية وتلدها، والخطية اذا ما كملت تلد الموت فكونوا دائماً على حذر، فإِنّ لكم اعداء محتالين مكارين، ومعهم هي محاربتكم كما هو مكتوب انَ محاربتنا ليست مع لحمٍ ودمٍ بل مع الرؤساء ومع السلاطين ومع ولاة الدنيا اهل هذه الظلمة ومع الارواح الخبيثة في السماويات (افسس٦:١٢) فالشيطان لكونه قد سقط من السماء يحسدنا حسداً شديداً لما يرانا نستثقل حمل العوائد العالمية مجددين اجنحتنا لنتطاير بها الى العلاء متنزهين عن كثافة الانسان العتيق، فلا يترك حيلة الا وياتي بها ليمنعنا من

١– معناها الأمن.

الصعود الى السماء، فلا يزال يتفكر في ان يعرقل خطواتنا ويخفي لنا فخاً وحبالاً ويضع لنا أشراكاً، واشراكهُ هي الأفكار الرديَّة، فلا تخافوهُ بل تقووا وتسلحوا بالصوم والصلوة واثبتوا وشدوا احقاءَكم بالحق والبسوا درع البر، واحملوا فوق كل شيء ترس الايمان الذي بهِ تقوون على إطفاء جميع سهام الخبيث المتوقدة، واتخذوا بيضة الخلاص، فإنّ الارواح الخبيثة ترتجف من صلاة الرهبان وصومهم وترتعد قدام فضائلهم وتستحي من عفتهم وتخجل من احتشامهم، ولنحب الله فوق كل شيء من كل قلبنا ومن كلّ قوتنا، ولنحب ايضاً القريب مثل نفسنا، وقال الربّ انّ في هاتَين الوصيتين الناموس والانبياء معلقون والذي سقط في الخطية فليتضع ويرجع سريعاً الى الله ملتجئاً الى صليب ربنّا وطالباً منهُ غفران ذنوبهِ".

ولما كان القدّيس جالساً يخاطب تلاميذهُ الرهبان انقطع غفلةً وسكت مدهوشاً واستمر على تلك الحالة ساعةً من الزمان وعيناهُ مغرورقتان بالدموع، الامر الذي أوقع جميع الحضار في الحيرة ولما أفاق قال للحضار: "آه يا اخوتي انّ تنيناً قد أُمر ان ياتي فيهجم على حمائِم بلدنا وديرنا الوديعة، فالزموا اذاً الصوم والصلوة".

وبعد ايام قلائل اتى زرادُوشت الى باجرمي مرسَلاً من قِبَل ملك الفرس ليهلك النصارى وجميع الرهبان فهرب جميع النصارى، والذين بقوا ازمعوا ان يكفروا، واما الرهبان فاستخفوا في الجبل الذي فوق باديوي والذي تحت الدير، وبقيَ القدّيس في الدير مع الذين كانوا يتوقون الى الاستشهاد على حب المسيح فقال لهم القدّيس: "لا تخافوا يا اخوتي فانّ خلاص الرب قريب من خائفيهِ، وها انا ابشركم بفرحٍ عظيم، اليوم ملاك الرب طعن زرادوشت الحاكم

بالحربة في منكبهِ، وأحوَجهُ الرب الينا، فهو الذي كان ذئباً سيصبح حروفا وديعاً".

وكان بخدمة زرادوشت نحو مائة عبد، وذهبوا الى قرية كانت في لحف الجبل بقرب دير مار حزقيال، واذ كان جميع سكان القرية قد ولوا هاربين اسكن زرادوشت عبيدهُ فيها، ودعاها بندكان، يريد بها محل العبيد وكان معهُ تمثال إلهةٍ تُدعى حَيْ، فنصب ذلك الصنم في تلك القرية وكان يُسجد لهُ غير انّ وجعهُ أبى الا اشتداداً حتى انهُ يئس من الحياة فيوماً ما قال لهُ واحد من عبيدهُ: "ان أذنِ لي سيدي فلي كلام اقولهُ لهُ وهو اني سمعتُ اليوم من احد الحطابين وهم فقراء لا يكذبون انّ الرجل الذي من اجله اتينا هذا البلد لنقتلهُ ليس ساحراً كما قيل عنهُ بل انهُ رجل بارّ يشفي المرضى، وهو الذي أبرأ ابنة ورهاران الملك وشفى ايضاً سورين من مرضه، فاذا امرتَ ذهبنا اليه طالبين منهُ ان ياتي فيضع عليك يدهُ ويشفيك" فأرسل زرادوشت يستدعيهِ اليهِ، ولما حضر بين يديهِ اشرق نور سماوي من وجههِ على الحاكم فاعتراهُ خوف عظيم، وخر وسجد لهُ وقال لهُ: "إن شُفيتُ من وجعي هذا صرتُ نصرانياً جميع ايام حياتي ووهبتُ لك ثلاث قرى" فاخذ القدّيس المشحة ودهن بها جسم زرادوشت، فشُفي من ساعتهِ، فمن ثم تشرب بغض الاضاليل المجوسية وتعشق الحقائق النصرانية فاعتمذ هو واهل بيتهِ وجميع عبيده، فما زال منذ ذلك الحين يناضل عن الديانة النصرانية.

وكانت لهُ امراة اسمها شيرين وتعمذت هي ايضاً معهُ، واخذت صنم الإلهة حَيْ وكان من فضةٍ فكسرتهُ وبنت بهِ بيتاً للرب، ودعا مار حزقيال بعضاً من رهبانه واسكنهم فيه ودُعي دير شيرين، ووقف زرادوشت لهذا الدير كثيرا من الاراضي والزيتون والأرحاء والكروم والمياه، وجمع جميع

النصارى الذين كانوا فروا خوفاً من الاضطهاد، وكان لهُ اربعة اولاد سماهم باسماء ملوك فارس وهذه اسماؤهم جرماي وداجوج ويزدجرد وجورناجان.

واما مار حزقيال، فبعد ان عمذ زرادوشت وآل داره وثبتهم في الايمان، صعد الى ديره فرحاً مسروراً مسبحاً الرب الاله وشاكراً اياهُ على انعاماته الجزيلة ولما سمع الرهبان ان اباهم رجع غالباً مظفراً تقاطروا من كل جهة فرحين، وقضوا الليل كلّهُ بالصلوة، ولما اصبحت اغتذوا بجسد المسيح ودم ربنا وانصرف كل واحد منهم الى محله.

وبعد ان مر على هذا شهران، اتى القديس رسول من قبل نصارى بلاد كانيجار يطلب اليه ان ينطلق اليهم ابتغاء ان يبرئ اثنين من عظماء المجوس كانا بين ظهريهم، وكان هذان اخوين من أنسباء ورهاران الملك، اسم احدهما طهمان واسم الآخر ترواي، وكانا يبغضان النصارى اشد بغضة ويثيران عليهم اضطهاداً شديداً، غير انهما كانا قد امسكا عن ذلك لما بلغهما خبر ابراء مار حزقيال لزرادشت، وكان لهما ولدان احدهما كان اشل من بطن امه، والآخر كان صريعاً منذ نعومة اظافره، وكان طهمان اعور فلما قرأ مار حزقيال رسالة نصارى كانيجار، قام واخذ معهُ كثيراً من الرهبان وانطلق اليهم ورحّب به طهمان وترواي وكرماهُ الكرامة كلها، وصلى على اولادهما وعليهما وابراهم، فلما عاينا هذه الاعجوبة وقعا على قدميه ساجدين لهُ واعتمذا مع جميع اهل دارهما وكان في تلك الاثناء في كرخ سلوخ كثير من عظماء الفرس من انساب ورهاران الملك وهذه أسماؤهم: شاهنشاه ويزدفنا وجُوشْنَسْب وهرمزد وبوزين وادراشير وكومدر ونسحا وقردونا ومقدمهم كان شاهنشاه فلما بلغهُ عن مار حزقيال انهُ أبرأ طهمان وترواي وولديهما، جمع اليه رفاقهُ المذكورين وقال لهم: "لا بدَّ انهُ بلغ

مسامعكم ما يصنع حزقيال من الآيات والمعجزات وما عمل منها في هذه الايام في كانيجار، فلستُ ادري ما هذا الأمر، لأن جميع الملوك قائمون ومتشاورون على النصارى ان يمحوا اسمهم من على وجه الأرض وهم لا يقدرون، لا بل اننا نراهم ينمون نمواً عجيباً، وقد ملأُوا كل الأرض، ويصنع المسيح إلههم معجزات باهرة على ايديهم واما ديانتنا هذه ففي الانحطاط والزوال هذا وانّ في داري مَرضى، وانا قد ضقتُ بهم ذرعاً، وهم لا يزالون يلحون عليَّ ان استدعي حزقيال اليهم ليصلي عليهم، واخاف الملك ورهاران، فاذا بلغهُ عني يغتاظ عليَّ فيغدر بي" فقال لهُ رفاقهُ: "إنّ في بيوتنا وفي المدينة سقاماً كثيرين، فاكتب الى طهمان وترواي ان يرسلا الينا هذا الراهب" فكتب لهما ما نصهُ: "اطلب اليكما ان ترسلا الينا الراهب القدّيس الذي عندكما لكي يشفي أمراضنا وأوجاعنا ويضمد جروحنا وينقي نياتنا ويسمعنا كلامهُ الالهي، ونحن عاملون بكل ما يأمر" فاجاب الاخوان الى سؤال شاهنشاه والتمسا الى القدّيس ان ينطلق مع رسل شاهنشاه، فخرجوا من كانيجار وساروا الليل كلهُ ولما اصبحت وصلوا الى كرخ سلوخ، ونزل القدّيس في الكنيسة، فالتأم اليه النصارى فرحين وشرعوا يتظلمون من المجوس، فشجعهم وقال لهم: "تقوّوا وافرحوا فانّ الربّ يشرق عما قليل نورهُ الساطع على هذه المدينة فيصرع الوثنيين ويتبرك المجوس ويوهط المانويين فيصير القطيع كلهُ واحداً ويكون الراعي واحداً".

وبلغ خبر مجيئه الى شاهنشاه، فاستدعى خاصتهُ واتى بهم الى الكنيسة، فعانقهُ مار حزقيال هو وجميع الذين معهُ، ورحب بهم، وشرع يخاطبهم عن الديانة النصرانية، ثمَّ قاموا جميعاً وذهبوا الى دار شاهنشاه، واذا بواحد من المجوس يُزَمزم ويبخر حول المريضات فانتهرهُ مار حزقيال قائلا: "زجرك

ربّنا يسوع المسيح الذي صلبهُ اليهود في اورشليم ومات وقام في اليوم الثالث وصعد الى السماء وجلس عن يمين الله ابيه، فتكون اعمى الى ان يرضى عنك الذي جبلك" فتعمى من ساعته وأُخرج من الدار، فذاع الخبر في كل المدينة فخاف الجميع واخذوا يذهبون زرافات اليه ابتغاء ان يعاينوا باعينهم ما سمعوا بآذانهم وهم يقولون: "ان إله النصارى لعنَ زارون رئيس أحبار خدمة الآلهة فعمَاهُ" واما القديس فبقي في الدار، فأتوهُ بقرينة شاهنشاه وابنته وهما مصابتان بداء الجَرَب، فقال لشاهنشاه: "أتؤمن بالمسيح اذا نالت الشفاء قرينتك وابنتك؟" فقال لهُ: "اخاف يا سيدي ان يسمع الملك فيقتلني قتلةً وبيلةً انا وجميع الذين يلوذون بي" فقال لهُ القديس: "لا تخف، فإن الملك اذا قتلك فترث انت الملكوت السماوي المملوء لذةً ونعمةً" فقال لهُ كومداد اخو شاهنشاه: "اذا أبراتَ يا سيدي هاتين المريضتين تنصَّرنا نحن جميعاً" فحينئذٍ وضع يدهُ عليهما وصلى واخذ زيتاً وباركهُ ودهن بهِ المريضتين وللحال شُفيتَا فلما عاين الحضار ما صار هتفوا قائلين: "آمنا بالربّ يسوع المسيح" وطار هذا الخبر على جناح السرعة فشاع في كل المدينة، فاتوا القدّيس بجميع المرضى فشفاهم قاطبةً، فاخذ الكهنة يعمذون المتنصرين وكانوا كثيرين، فانَّهُ لم يبقَ في المدينة احد الا وآمن واعتمذ وطاف القدّيس في القرى صانعاً المعجزات ومعمذاً من بقي من المجوس، ومثبتاً اياهم في الايمان، والتأم اليه المتنصرون من المجوس والتمسوا اليه ان يُريهم أمكنة يبنون فيها الكنائس، فقال لهم ان يهدموا معابد النار ويبنوا مكانها كنائس وأديرة وباركهم ورجع قافلاً الى كانيجار، واستدعى تلميذهُ سركيس الكشكري، وقال لهُ ان يبقى في البلد ويبني فيه ديراً، ففعل، وفي مدة يسيرة بلغ فيه عدد الرهبان نيفاً ومائة، ووهب القديس

للدير كل ما كان اعطاهُ طهمان وترواي وشاهنشاه من الرزق والمال والدواب ورجع الى ديرهِ.

ولما بلغ مسامع الملك تَنَصُّر زرادوشت وطهمان واخيه وشاهنشاه، غضب غضباً شديداً فَتزَأرَ مثل الأسد وحرق الأُرَّم على النصارى ولاسيما على مار حزقيال وعلى رهبانهِ، فاستدعى واحداً من خصيان ابيه يزدجرد وقال لهُ: "إنيّ جعلتك ملكاً على باجرمي فاذهبن واقتلن النصارى وعلى الخصوص نكلنَّ بحزقيال وتلاميذه، واما طهمان وترواي وزرادوشت وشاهنشاه فأتني بهم لنحرقهم بالنار" وكان اسم ذلك الخصي بشيمزدجرد، وكان عارفاً بالديانة النصرانية يحبها ويود خاصةً الرهبان، فلما وصل الى باجرمي خرج الى لقائهِ طهمان وترواي فكرمهما الكرامة كلها لكونهما من نسل الملوك، ومكثا عنده اياماً وقال لهما: "اني من اجلكما ومن اجل زرادوشت اتيتُ هنا" فأراهُ طهمان عينهُ وكان يعلم جيداً انهُ كان قبلاً اعور، وشرع يخبرهُ بكل ما صنع مار حزقيال من المعجزات الباهرة، فقال لهما بشيمزدجرد: "انني مبتلىً منذ زمانٍ بعلةٍ خفية" فقال لهُ طهمان: "أول ما ترى يا سيدي وجه حزقيال تُشفى من علتك هذه" فقال لهُ: "اكتب انت لهُ أن لا يخاف مني، وحين وصولي الى داقوق أُرسل اليهِ واحسن مثواهُ" فكتب طهمان وترواي الى حزقيال ما أشار به اليهما الحاكم، وهو بعد ايام قليلة خرج من كانيجار ليلاً مصحوباً بطهمان ووصل صباحاً الى نهر راذان ورأى المكان واسعاً رحيباً حصيناً فاقام فيهِ، فاتاهُ زرادوشت بكل ما يحتاج اليهِ من الأكل والشرب، فرحب به المُليك الجديد واكلوا وشربوا وفي الغداة اشتدَّ عليهِ وجعهُ من تعب الطريق، فاستدعى طهمان وقال: "أسرع وائتني بحزقيال

فها اني اموت" فامتثل طهمان أمرهُ وانطلق الى مار حزقيال وطلب اليه ان ياتي فيشفي بشيمزدجرد فاجاب القديس الى سؤله.

ولما دخل القديس على الحاكم قال الحاكم لطهمان: "أهذا هو الرجل" وقام وقبلهُ واحسن اليه وقربهُ وأجلسهُ عن يمينه، فسألهُ القدّيس عن الملك، فقال لهُ: "ان الملك يبغضكم بغضاً شديداً وخاصّة اياك يمقت يا حزقيال" فقال القدّيس: "اما نحن ايها السيد فنصلي لاجله ولاجل مُلكه طالبين الى الله تعالى ان يرجعهُ الى الصراط المستقيم" فقال لهُ المليك: "ان لي داءً استحي ان اكشفهُ لك قدام الناس وقد أخبرتُ به طهمان وهو يقوم مقام ابي، ولا بد انهُ اخبرك به" فقال لهُ القدّيس: "دَعني ياسيدي، فاني أُمرتُ ان أعمل كل شيء علانيةً، أتؤمن بيسوع المسيح ابن الله الحي الذي نزل من السماء ليخلص البشر؟" فقال لهُ الحاكم: "أُومن ياسيد وأُقر به وأسجد لهُ" حينئذٍ أخذ القدّيس قليلاً من الزيت وصلى عليه ودهن به جسم بشيمزدجرد ثلاث مرات وهو قائل: "باسم الآب والابن والروح القدس" فشُفي من ساعته، فاشتدَّ عجبهُ وفرحهُ وقام وقبل القديس وقال لطهمان: "لم أرَ مثل هذا الرجل قط" واعتمذ في ذلك اليوم هو وجميع الذين معهُ، وقرب القديس الذبيحة الالهية، فأشركهم في دم وجسد ربنا يسوع المسيح.

هذا وإن بشيمزدجرد حفر قناةً وسماها قناة الملك واقام عليها ثلاث ضيع، وسمى الأُولى باسمه، والثانية باسم ابنه بصلوَي، والثالثة باسم ابنته ليكوج وبنى على النهر رَحوين وغرس زيتوناً وبنى قصراً على فم النهر، وغرس حولهُ زيتوناً وكل ضرب من الاشجار، وملك في باجرمي نيفاً وعشر سنين ونجح كثيراً واشتد أمره وبنى كنائس وأديرة، وصعد الى دير مار حزقيال ولما رأى أنهم لا ياخذون من الطعام الا ما يمسك الرَمق، وقف لهم رحىً

وبساتين وجميع الأراضي التي حول القرية المسماة باسمه، واستحلف مار حزقيال ان يقبرهُ في الدير، وبعد مدة قليلة توفاهُ الله، فنزل القدّيس والرهبان وذهبوا بهِ الى الدير وقبروهُ بعز واكرام في مقبرة الرهبان، وكان قبل وفاته قد وقف للدير القصر الذي بناهُ ليكون مسكناً للراهبات، فجمع القدّيس كل الراهبات اللواتي في البلد واسكنهن في ذلك القصر، وفي ذلك الزمان عينهِ توفي ايضاً زرادوشت، وقبرهُ الرهبان باحتفال عظيم.

فاراد حينئذٍ مار حزقيال ان يزور جميع الرهبان، فطاف في جميع القلالي والأديرة التي كان الرهبان قد اجتمعوا اليها مائةً مائةً وخمسين خمسين في أيام الآحاد والاعياد ليقربوا الذبيحة الالهية ويغتذوا بجسد ودم المسيح، فزارهم القديس في مدة عشرة ايام ورأى فيهم احد عشر اسقفاً كانوا قد انهزموا من بلاد المغرب خوفاً من اضطهاد الاريوسيين، فقال لهم: "لماذا صنعتم هذا الصنيع ايها الآباء ولم تخبروني بحضوركم؟" فقالوا لهُ: "والآن ايضاً ما كان بودنا ان تعلم بنا"فاستدعاهم الى قلايته واكرمهم الكرامة كلها، وفي الغداة صباحاً قربوا الذبيحة الالهية ورسموا نحو مائة من الرهبان كهنةً وشمامسةً، لأنهُ لم يكن في تلك الأيام اساقفة في باجرماي، فإنَّهم كانوا قد قتلوا كافةً فعدَّ القدّيس الرهبان، واذا بعددهم بلغ الفاً وستمائةً واثنين وخمسين راهباً واحد عشر اسقفاً، وأدَب لهم مار حزقيال مأدبةً عظيمةً، ونصب لهم مائدة عليها سمك وخمر كثير فأكلوا وشربوا وسبحوا الربّ، وأخذ القدّيس يُلقي عليهم الارشادات الخلاصية قائلاً لهم أن يحبوا المسيح من كل قوتهم، ويحترزوا من الأفكار الردية ومن الشهوات الجسدية ويفروا من الفخرة والمجد الباطل ويواظبوا على الصلوة وتلاوة التسابيح والمزامير قبل

ان يناموا، ويتعهدوا قراءَة الكتب الالهية، ويتوجع بعضهم لاجل بعض كما تألم المسيح لاجلنا.

وفيما هو يكلمهم اذا برسولين أتياهُ من قِبَل كونيشير ومردانشاه وارداشير ومارون ونوخرجان الذين كانوا من رؤساء قومهم يخبرونهُ أنهُ بلغ مسامعهم أنّ الملك أمر باضطهاد النصارى وقد أرسل الى باجرمي من ينكل بهم فكتب لهم القدّيس ان لايخافوا، بل ان يمكثوا في محلهم غير مضطربين، واذا حدث حادث لا تتمناهُ نفوسهم فهو مزمع ان يفديهم بنفسه ولما مرَّ على هذهِ الأُمور ثلاثون يوماً اذا بكوشناسب دخل باجرمي وفي يدهِ أوامر من الملك أن يقتل كل من لا يسجد للشمس من النصارى فلما سمع مار حزقيال بقدومه جمع اليهِ رهبانهُ، وسكنَ روعَهم، ولما كلمهم طويلاً عن انتصار المسيح على الموت وانتصار الشهداء والمعترفين والرهبان على العالم، اذا بعلامات السرور والحبور بانت غفلةً على وجههِ فقال لهم: "استبشروا وافرحوا يا اخوتي فإن الملك الذي أمر بقتل النصارى مات وقُبرَ" وبعد ايام قليلة جاءَ الخبر بوفاة ورهاران الملك.

وفي تلك الأثناء أتى الدير بعض من مجوس مدينة تحل وهم ايارنرسا، ويزيدفنه، وشيكوُي، وسفيديد، وبهزادان، ومنهرنشاه، وأبروُي، وبادم، ومردوُي ومعهم ثلاثة من المرضى، فدخلوا على القديس، فلم يكلمهم بشيء بل بقي ساكتاً واما هم فوقع الخوف في انفسهم لما رأوا فيه الهيبة والجلالة، فقالو لهُ: "ايها الرجل الصالح انّ صيتك ذائع شائع في هذه المملكة باجمعها، وخبر المعجزات التي يصنعها الله على يدك قد ملأ الارض كلها، والآن ياسيد نحن نطلب اليك ان تترحم علينا وتشفي هؤلآء اولادنا ونحن عاملون بكل ما تأمر" فقال لهم القدّيس: "أتؤمنون بيسوع المسيح ابن الله

الحي وتنبذون ديانة آبائكم؟" فقالوا: "آمنا" فحينئذٍ اخذ ماءً وصلى عليه، وسقى المرضى منهُ، ودهنهم بزيت مبارك وللحال شُفوا قاطبةً، فلما عاين المجوس هذه المعجزة هتفوا قائلين: "لعظيم إله النصارى، فنحن مسيحيون" فعمذهم القدّيس، والحوا عليه ان يذهب معهم الى مدينتهم لينذر اهلها بالمسيح ويُبرئَ المرضى فلما اصبحت، انطلق معهم مصحوباً بخمسة من الاساقفة الذين سبق الكلام عنهم، فحالما وصل تقاطر اليهِ جميع سكان المدينة مقدمين اليه كل السقماء المصابين بامراض واوجاع مختلفة فشفاهم قاطبة، واخذ يعمذهم ويخاطبهم عن الديانة المسيحية ومكث عندهم ثلاثة وثلاثين يوماً وهو يعمذ كل يوم منهم، ومن ثم ذهب الى بلد شهركرد وتلمذ جموعاً كثيرة وكان عدد النصارى فيهِ قليلاً لانهم كانوا قد ذُبحوا كلهم هم ورعاتهم، وبعد ان ثبتهم بالايمان رجع الى ديرهِ.

وكان حينئذٍ في بلد شهرزور مُلَيك اسمهُ شيروان، وكان مبتلىً بداء عُضال، فارسل الى مار حزقيال يرجو منهُ ان ياتيهُ فيبرئهُ فذهب اليه القديس وصلى عليهِ وأبرأهُ وكان في ايامهِ في بلد شهرزور رجل مشهور من عظماء المجوس اسمهُ اذرفروا من قرية بَدْ من رستاق ديناهور وكان معززاً مكرماً عند الملك وماهراً جداً في علم المجوس فلما بلغهُ ان شيروان استدعى اليهِ مار حزقيال وطلب الشفاء من النصارى استشاط غضباً، فجمع اليهِ بعضاً من علماء المجوس وانطلق بهم الى شهرتاج عند الملك شيروان فدخلوا عليهِ وجعلوا يشنعون على الديانة النصرانية. وكان مار حزقيال حاضراً، فأمضهُ كلامهم، وقام وهدف منهم وسلم عليهم، فلم يردوا لهُ السلام، فقال لهم القديس: "على مَ لا تردون لنا السلام؟" فقال لهُ اذرفروا متهكماً: "نحن لا نسجد للرجل المصلوب الذي اتخذتموهُ انتم إلهاً لكم" فقال لهُ القدّيس:

"انتهرك انت والذين معك ذاك الذي سميتهُ الآن مصلوباً وانت غير اهل ان تُنوه باسمه" وللحال ضربهم ملاك الربّ فسقطوا جميعاً على الأرض وشرعوا يزمزمون وياخذون تراباً ويذورنهُ على رؤوسهم فشاع الخبر في كل المدينة، وافاض القوم ليعاينوا واقعة الحال ولما شاهد الملك ذلك، اخذت الحيرة من نفسه كل مأخذ فصاح قائلاً: "لعظيم إله النصارى لا إله الا هو وحدهُ، آمنتُ بك يا يسوع الذي صلبهُ اليهود في اورشليم آمنتُ بك" ثمَّ التفت الى القدّيس وقال لهُ: "أرنا ياسيد ما الواجب علينا عملهُ؟" فقال لهُ: "آمنوا بالربّ يسوع واعتمذوا باسمه" قال الملك: "وما المانع فعجل وعمذنا" فعمذ مار حزقيال من اهالي ذلك البلد نحو عشرة آلاف نفسٍ، وشفى ايضاً اذرفروا، ورفاقهُ آمنوا هم ايضاً واعتمذوا وبقي القدّيس في ذلك البلد مدة ثلاثة اشهر وهو ينذر بالانجيل.

ولما كان يطوف في بلدة شهرزور صانعاً المعجزات وبانياً كنائس، أُوحى الربّ اليه ان ينطلق الى البلاد العليا لينذر اهلها بالانجيل، فخلف في شهرزور ثلاثة من تلاميذه وهم مار يعقوب الاسقف، ومار سركيس، ومار افرام، واما هو فذهب الى المكان الذي قال لهُ الرب مصحوباً بسبعة من تلاميذه، وتلمذ ثمة جماً وافراً من الوثنيين وبنى لهم الكنائس وبعد ان ثبتهم في الايمان رجع الى ديره فرحاً مسروراً.

وكان القدّيس قد طعن في السن، فلما علم ان ساعة وفاته قد دنت دعا اليه رهبانهُ وقال لهم: "حان الزمان المزمع انا ان انتقل فيه من هذا العالم، لكن هلمّ بنا ننطلق فنزور جميع الاخوة الذين في البرية الداخلية، فأُودعهم التوديع الأخير، وبعدئذٍ ناتي ونزور الاخوة الذين في هذه البرية" فخرجوا ومشوا الليل كلهُ، ولما اصبحت وصلوا الى الجبل الأعلى، وأخذ يمر على

ظُلَل جميع الرهبان ويودعهم ويزودهم بالبركات والصلوات وفي اليوم التاسع فرغ من زيارة جميع الاخوة الذين في البرية الداخلية، وفي العاشر انتهى الى البرية التي حول الدير الكبير، واخذ يزورهم هم ايضاً وقال لهم: "كان من عادتي ان ازوركم على هذا المنوال، وهذه هي المرة الأخيرة، وأعلم انكم لن تروا بعدُ وجهي، فحان الزمان وضعف جسدي وناهزتُ المائة والعشرين من عمري: فاطلب اليكم ان تتضرعوا لأجلي".

فلما قال هذا شهق جميع الرهبان واخذوا يبكون بكاءً مراً ويدنون منهُ فيعانقونهُ ويقبلونهُ بمحبة شديدة وبدموع غزيرة، واما هو فكان يشجعهم بفرحٍ على تحمل الضيقات ويحثهم على التأهب للموت في كل حينٍ واوان وبعد هذا رجع الى قلايته، فمرض مرضاً خفيفاً فقضى نحبهُ، وكانت وفاتهُ في اليوم الخامس من شهر كانون الاول في الجمعة الاولى من سابوع السُبار نحو سنة ٤٤٠. وفيه كان الكلدان يجرون تذكارهُ كما جاء في قائمة القديسين السنوية.



مار يارث الراهب

(٢٧ تشرين الأوّل في بداية الجيل الخامس)

كان في الجيل الثالث في مدينة الاسكندرية رجل شريف الاصل والحسب اسمهُ يوسطوس واسم امراته بريسقلا وكانا صالحين بارّين يخدمان الغرباء ويوزعان الصدقات على الفقراء ورزقهما الله ولداً نجيباً، ففرحا به فرحاً شديداً، وفي يوم ولادته صنع ابوهُ مأدبةً عظيمةً دعا اليها جميع الكهنة والشمامسة، وسمى الطفل باسم يارث، ولما بلغ السنة السابعة من عمره وضعهُ في المدرسة، ففاق جميع رفاقه، فأحبهُ معلمهُ واعطاهُ قلاية في المدرسة فانفرد فيها وانكب على مطالعة الكتب المقدسة، واخذ يذلل نفسهُ بالاصوام الشاقة والتقشفات المتعبة والصلوات الغير المنقطعة، وكان يوزع ما يُرسل لهُ والداهُ من الأطعمة على المحتاجين والبائسين، وأما هو فكان يكتفي برغيف خبز يابس وكان يقضي الليل كلهُ في الصلوة والتامل في الامور الروحية فمن عدم نومه كانت عيناهُ تقطران الدموع، فكان رفاقهُ يسألونهُ عن سبب ذلك، فكان يقول متبسماً انّ ذلك متأتٍ من الوجع الذي في عينيه.

وذات يوم زار والديه أحد رهبان دير الأنبا فاخوميس وكان من قرابتهما، فأراد الراهب رؤية يارث، فاستدعاهُ والداهُ من المدرسة، فأحبّ الراهب الغلام لمَا رأى فيه من الأخلاق الحسنة والمناقب الفريدة والفضائل المسيحية، فأراد جذبهُ الى الطريقة الرهبانية، واخذ يخاطبهُ عن الأُمور الروحية والكمال الرهباني وكان كلامهُ يؤثر فيه فهزتهُ نشوة الاشواق الى الانضمام الى النساك، وقصد ان يرافق الراهب الى ديره، فعرض الأمر على

والديه، فتكدرت ضمائرهما وبذلا قصارى الوسع في منعه عن ذلك، ولكن ذهبت اتعابهما ادراج الرياح، لانّ الغلام لم يكن الا ليشتد اشتياقاً الى السيرة النسكية، فأجابا الى سؤله، وأعطياهُ مالاً وفيراً وثياباً كثيرة وصليا عليه وقبلاهُ والدموع تتساقط من اعينهما سخينةً غزيرة فخرج يارث من بيت والدَيه وقلبهُ يتهلل حبوراً قاصداً مع الراهب دير الأنبا فاخوميس، وبينما كانا يمشيان في أزقة المدينة بلغ مسامع يارث صوت أُناس غرباء يتجرعون غُصَص المرائر والعذابات، فوقف وسأل عن سبب ضرب اولئك الغرباء، فقيل لهُ: "لكونهم لا قدرة لهم على تأدية ما عليهم من البقايا الأميرية" فتحنن عليهم وأخرج ما كان اعطاهُ والداهُ من الذهب ودفعهُ للجباة بدلاً عن الأسرى وخلصهم فلما خرجوا من السجن ورآهم عراة أخرج ايضا ما كان معهُ من الثياب واعطاها اياهم، فانصرفوا مسرورين شاكرين.

وكان في ذلك الزمان القدّيس اويانيس رئيساً على دير مار فاخوميس، فرحب بيارث وضمهُ الى النساك، ثم رُسِم كاهناً، وكان يذلل جسدهُ بالاتعاب الشاقَّة ولا ياكل الا رغيفاً واحداً في النهار، ويقضي الليل كلهُ في الصلوة والتأملات الروحية، فتسلق مراقي الكمال سريعاً.

وكان مار يارث قد ألِف شيخاً جليلاً كميلاً اسمهُ انطونيوس وكان يتردد الى قلايته والشيخ يرحب به ويخاطبهُ عن الأمور الروحيَّة وعن أعمال الرهبان القدّيسين وذات يوم أخذ يكلمهُ عن مار اوجين كيف انهُ كان أتى ذلك الدير ودخل تنُّور نارٍ ولم يحترق، وتبعهُ كثير من الرهبان وانطلقوا معهُ الى مدينة نصيبين الى جبل الإزل حيث بنى ديراً فلمَّا سمع مار يارث هذا الكلام هزهُ الاشتياق الى اللحاق بمار اوجين، فقال للشيخ: "باركني يا ابي

فانا منطلق عند القدّيس اوجين" فباركهُ الشيخ وقال لهُ: "رافقك إله آبائك وقواك لتعمل إرادتهُ، آمين".

وللحال خرج القدّيس من عند الشيخ الراهب وذهب الى رئيس الدير، وكشف لهُ ما هو مزمع عليهِ من اللحاق بمار اوجين، فحزن الرئيس لانهُ كان يحبهُ كثيراً لكنهُ لم يمنعهُ فلما كان يوم الاحد تناول القربان المقدّس وودع اخوتهُ الرهبان، وخرج من الدير قاصداً المشرق وكان ملاك الربّ معهُ، ولما وصل الى مدينة حران رآها في حالةٍ يرثى لها فان الموتان كان يفتك بالصبيان فتكاً ذريعاً، فتحنَّن القديس على سكان المدينة وقال لهم: "اذا رجعتم عن افعالكم القبيحة فآمنتم بالله الحق وبابنهِ يسوع المسيح وبروحهِ القدّوس فانا أُنقذكم من هذه الضربة" فصاحوا قائلين: "اذا فعلتَ ذلك فنحن لك من المطيعين" فجثا القدّيس وصلى متخشعاً، فسمع الربّ صلاتهُ ففر الموتان كسيراً، فآمن كثيرٌ منهم ورجعوا الى الله الحق.

ومن هناك انطلق القدّيس الى مدينة دارا، ولما دخلها صادف امراةً مجنونةً كانت ترجم بالحجارة كل من يدنو منها، فرآهُ بعض الناس واشاروا عليهِ ان يعدل عن الطريق لئلا ترجمهُ تلك المرأة بالحجارة، فلم يلتفت الى قولهم، بل ذهب تواً الى تلك المرأة، فاخذت ترميهِ بالحجارة، وصاحت الأرواح النجسة التي فيها قائلةً: "آه منك يا ابن مريم ومن تلاميذك، إنك لا تزال تطردنا من كل مكان، والآن ايضاً ها انّ هذا الاسكندري يطردنا من مسكننا هذا" فانتهرهم القدّيس قائلاً: "آمركم باسم الله الحي السرمدي ان تخرجوا من جبلة الله هذه" فضجوا ولبطوا بالمرأة وخرجوا وولوا هاربين، فنهضت المراة وهي تسبح الله عزَّ وجلّ ووقعت على قدمي القديس مقبلةً اياهما،

وشاع خبر هذه المعجزة في كل المدينة، فجعل المرضى يُقبلون اليه التماساً للشفاء، فأبرأهم جميعاً.

وخرج القدّيس من دارا فأتى نصيبين، وعمل هناك معجزات باهرة، ثم انطلق الى دير مار اوجين، وكان مار اوجين قد توفي، فدخل مار يارث الكنيسة وزار مرقده، فشاع خبر مجيئهِ في الدير كلهِ، واجتمع اليهِ جميع الاخوة وقبلوه بفرح عظيم لا مزيد عليهِ، واعطوهُ القلاية التي كان مار اوجين يسكن فيها، فصار يتردد الى شيخ جليل كان في غاية الحصافة والمعرفة والظرافة، فكان يرشدهُ في طريق الكمال الرهباني، فأحرز فضائل الرسل الاولين واصبح نبراساً للكمال المسيحي، وكان كلما زاد سناً ازداد بالفضيلة شغفاً ولها اتباعاً، فكان يُحيي الليالي بالصلوات والتضرعات والتأملات، واما نهاراً فكان يحمل على كتفه جرة ماء فينطلق الى الطرق ويُروي العابرين وصنع الله على يده معجزات كثيرة.

وعزم على ان يذهب فيصعد الجبل الذي استقرت عليهِ سفينة نوح المعروف بجبل السفينة، وكان لهُ تلميذ اسمهُ قرياقس فرافقهُ، وكان نهر دجلة طفحان ملآن، فلما انتهيا اليه لم يَرَيا معبراً يعبران عليه، فرسم مار يارث على النهر اشارة الصليب، فمشيا عليه مشية رجل على اليابسة، فارتقيا الجبل المقصود، وبعد ان صليا، نزلا من الجبل وقصدا دير مار أحا القدّيس احد تلاميذ مار اوجين، ولما انتهيا الى لحف الجبل الذي فيه كان مبنياً الدير صادفا بعض الحطابين يبكون بكاءً مراً، فسألهم مار يارث عن سبب بكائهم، فقالوا لهُ: "إنَّ اسداً خرج من هذه الأجمة فافترس رفيقنا ودخل به الأجمة" فحزن مار يارث حزناً شديداً ودخل الأجمة فصاح بالاسد قائلاً: "أيُها الحيوان المفترس اني باسم ربّنا يسوع آمرك ان ترد لنا

فريستك" وللحال خرج الاسد وهو حامل فريستهُ فألقاها قدام مار يارث وولى هارباً، فسأل القديس عن اسمه، فقالوا: "إن اسمَهُ مَهدي"[١] فدنا اليه ومسكهُ بيدهِ اليمنى قائلاً: "مهدي مهدي باسم ربنا يسوع المسيح تقوَّ وقم" وللحال قام الرجل، ثم اخذ القدّيس المشحة ودهن بها جسمَهُ وفي الحال شفي تماماً فأخذ يسبح الله عز وجل.

ثم أن مار يارث وتلميذهُ قرياقوس زارا دير مار أحا القدّيس، فخف الرهبان لاستقبالهما بغاية ما يمكن من الحفاوة، وفرحوا بهما فرحاً شديداً، فطلبوا الى مار يارث ان يمكث عندهم، لكنَّهُ لم يُجب الى سؤلهم، وفي اثناء المخاطبة جرى ذكر قرية رَجَلو وكانت تدعى شفعا وقد كانت استمرت الى ذلك الحين وثنية، ولم يكن يقدر احد من القدّيسين ان يزرع فيها زرع الانجيل فلما اصبحت نزل مار يارث مع تلميذه من الدير وعبروا دجلة كالمرة الاولى ماشيين عليه مشية رجل على الارض اليابسة، وقصدا قرية رجلو، وحمل عليهما قطاع الطريق وارادوا قتلهما، فاضطرب قرياقس وخاف خوفاً شديداً وقال للقديس متأسفاً: "ماذا نصنع؟" وأما القدّيس فكان بدأ بالصلوة، فسمع الله صلاتهُ وأغشى على بصر قطاع الطريق، فلم يتمكنوا من القبض عليهما فنجوا، وتوجَّها الى قرية رَجَلو بغية ان يزرعا فيها زرع الحيوة، فدخلا معبد الأصنام حيث كان بعض من سكان القرية يسجدون لتلك التماثيل، فقال لهم مار يارث: "ما هذه التماثيل؟" قالوا: "هم آلهة يسجد لها جميع ملوك الأرض" قال القدّيس: "حاشا الملوك المؤمنين ان يسجدوا لتماثيل واصنام" قال هذا وجثا وصلى، وفي الحال سقطت تلك التماثيل كلها وتكسَّرت فطار الخبر في كل القرية، فاجتمعوا

١– اسم فارسي مركب من مَه اي العظيم ومن دي وهو اسم ملاك عندهم.

وهجموا على القدّيسَين وأخذوا يوسعونهما ضرباً ويلهفون ويقولون: "ترى من اين اتانا هذا الساحر الملعون؟" ثمّ أضرموا أتون نار شديدة فذهبوا بالقدّيس وتلميذهِ والقوهما فيها لكن النار عند ولوج القدّيسين فيها انطفأت، فجلس القدّيسان في الأتون مستريحين، فاستغرب الوثنيون ذلك، فأخرجوهما من الأتون، وسألوا مار يارث قائلين: "ترى من انتَ؟ ومن ايّ بلد اتيت؟ وبايّ قوة تصنع هذه الأشياء؟" فقال القديس: "انا اسكندريّ وطناً مسيحي ديانةً، اعبد الإله الحي الحق الذي خلق السماء والارض والملائكة والناس والشمس والقمر والكواكب والمياه والاشجار والنار وكل ما في السماء وفي الارض، وهو القوي القدير، وانما باسمهِ يقوم الموتى وينال المرضى الشفاء" قال الوثنيون: "ألعلك من هؤلاء النصارى القاطنين في هذه البلاد؟".

قال القدّيس: "نعم انا منهم" قالوا: "أما هم فلا يستطيعون ان يصنعوا ما تصنعهُ أنتَ من العجائب والغرائب" قال: "ذلك لأنهم مرتبكون بامور العالم، اما نحن معشر الرهبان فما لنا فكر آخر سوى ان نرضي الباري تعالى ونعبدهُ ليلاً ونهاراً".

وان الله تعالى صنع على يد عبده الأمين معجزات باهرة، فآمن الوثنيون قاطبة بالله الحق وبابنه يسوع المسيح، فارشدهم القدّيس في بيداء الجهالة الى جادة الرشاد فاقتنصهم من بر الاضاليل فعمذهم وغذاهم باقوات التقوى من مواعظ الانجيل فلذذهم.

ثمّ إن أُولئك النصارى الجدد ابتنوا للقديس ديراً فاخراً على ردم معبد اصنامهم، وحفروا فيهِ آباراً وشيدوا في وسطه هيكلاً جميلاً، فسكن مار يارث ذلك الدير مع تلميذه قرياقس، وان حضرهُ طار في تلك الاصقاع كلها،

فجعل المرضى يُقبلون اليه زرافات انتجاعاً للبركة وطلباً للشفاء من امراضهم، فكان القديس يرحب بهم ويشفيهم من امراضهم ويبث في قلوبهم روح التقوى والعبادة.

إن المعجزات التي صنعها القدّيس كثيرة هي، فمنها انهُ قصدتهُ ذات يوم امراة من قرية باقداش، وكان في جنبها الايمن وجع شديد، فرسم القدّيس على جنبها اشارة الصليب وللحال شُفيَت وأتاهُ رجل ايضاً مصحوباً بابنةٍ لهُ كان الشيطان يذيقها أمر العذاب، فزجر القدّيس الشيطان فشُفيت الابنة واخذت تحمد الله وتشكرهُ ثمَّ إنّ مجوسياً كان مصاباً بداء عضال قد يئس الأطباء من شفائهِ أتاهُ متضرعاً متخضعاً، فتحنن عليهِ القديس وقال لهُ: "أتعتقد بالإله الواحد الذي هو وحدهُ فقط قادر على إبرائك؟" فاجابهُ: "نعم ياسيّدي بهِ اعتقد ولهُ وحدهُ اسجد وانبذ الالهة" فقام حينئذٍ القديس وصلى، ثم اتى بالحنان[1] ومزجهُ بالماء فسقاهُ اياهُ، فشُفِيَ من تلك الساعة، فاعتمد هو وكلّ افراد عائلته، واتى فسكن قرية رَجَلو قريباً من القدّيس وأتاهُ رجل آخر من قرية جدان قد ضُرِب جسمهُ كلهُ بالقروح، فصلى عليهِ القدّيس، ومسح جسمهُ بالمشحة ففرَّ عنهُ كل ما كان فيهِ من الأوجاع وشُفي تماماً واتفق ذات يوم انّ الموت اخذ يفتك فتكاً ذريعاً بأغنام الاكراد الذين كانوا ساكنين على نهر سَريا، فقصدوا القدّيس باكين متضرعين، فركع القدّيس وصلى متخشعاً متضرعاً، ثم أتى بالحنان وأعطاهُ اياهم وامرهم ان يبذروا منهُ على أغنامهم وعلى الماء الذي تشرب منهُ، فامتثلوا امرهُ، فزال الوبأ عن اغنامهم ووافتهُ يوماً آخر امرأة عاقر، فصلى عليها القدّيس، فرزقها

[1] [illegible]

الله ابناً نجيباً، وكان نوح من قرية جرنو أعور، فقصد القدّيس، فرسم على عينيه اشارة الصليب فشُفي للحال.

ولم يزل الباري تعالى يُجري على يد عبدهُ الأمين معجزات باهرة الى ان حان وقت انتقالهِ من هذه دار الفناء والشقاء الى دار الهناء والبقاء فلما عَلم أنَّ أجلهُ قد دنا أرسل تلميذهُ قرياقس الى القرية فدعا جميع الشعب، فخاطبهم بعبارة رقيقة والفاظ رشيقة وشد عزيمتهم بارشاداته الصالحة المستقيمة وأوعز اليهم ان لا يتوخوا الا مرضاة الباري سبحانهُ مثابرين على عبادته الإلهية، ثم بسط يدَيهِ وباركهم، وقضى نحبهَ، فانتقل الى السعادة الابدية ودُفِن في ديرهِ، وكانت وفاتهُ في السابع والعشرين من تشرين الاول وبعد مرور ثمانية عشر يوماً على وفاته مرض ايضاً تلميذه قرياقس مرض الموت، وكانت وفاتهُ في الثاني عشر من تشرين الثاني، ودُفن هو ايضاً في الدير، وأصبح ضريحاهما ينبوع الخيرات والبركات لجميع الذين كانوا يتضرعون اليهما، فكان المرضى يقصدون ضريح القدّيس من أمكنة بعيدة فينالون الشفاء بصلواته.

فقصد ذات يوم الضريح المبارك مرضى كثيرون من احدى قرى بانوهدرا اسمها باوردا، فقاموا بالصلوة والتمسوا من القدّيس العون والأمد، فنالوا قاطبةً الشفاء، وكان معهم امرأة بها نزيف دم منذ ست وعشرين سنة وقد أضناها ذلك الى الغاية، فحالما قامت بالصلوة قدام ضريح مار يارث وطلبت معونتهُ شفيت تماماً من علتها، فأخذت تسبح الله تعالى ورجعت الى دارها مسرورة وكان رئيس قرية شفما اقام في دير مار يارث كاهنا تقيا نقيا من مدينة نصيبين اسمهُ فثيون، ولم يكن يزايل الدير لا ليلاً ولا نهاراً وكان مواظباً على الصلوة والصوم ممارساً أعمال الفضائل المسيحية،

وحدث أنَّ بعضاً من سكان نصيبين أتوا لزيارة ضريح مار يارث، ومعهم صبي فيه روح شرير، فلما انتهوا الى نهر سَريا خرج عليهم قطاع الطريق ونهبوا كل ما كان معهم واما هم فلم ينقص ايمانهم بل واصلوا سيرَهم، فقاموا بالصلوة قدام ضريح القديس، واخذ فثيون القسيس الحنان وبذرهُ على جسم المجنون، وصلى عليهِ، وللحال شفي تماماً، وبعد مرور ساعة على شفائهِ اتى الدير أُولئك قطاع الطريق الذين كانوا قد نهبوهم، ومعهم كل ما كانوا اخذوهُ منهم، ورجعوهُ اليهم قائلين: "خذوا ما هو لكم، فاننا لما ابتعدنا عنكم ظهر لنا رجل على حصان ابيض وهو متقمص بثياب خضراء وماسك بيدهِ سيفاً نارياً، وقال لنا: إني انا يارث الاسكندري، فإن لم ترجعوا ما سلبتموهُ من الذين كانوا يقصدون بيتي فبهذا السيف اقتلكم كلكم، فهلعت قلوبنا، وخوفاً منهُ أتينا بكل ما سلبناهُ منكم، فخذوا اموالكم وأرونا بيتهُ لندخلهُ فنتبرك به" فأراهم مار فثيون ضريح القدّيس يارث، فخروا على وجوههم واستغفروهُ وأضربوا عن أفعالهم الرديئة.

وكانت الكنيسة الكلدانية تقيم ذكر مار يارث في اليوم السابع والعشرين من تشرين الاول كما جاء في قائمة القدّيسين السنوية الموجودة في دير مار يعقوب بجانب سعرد.



مار عبدا الراهب

(في مبادئ الجيل الخامس)

كان هذا القدّيس من دير قوني، ولما ولدتهُ أُمهُ طرحَتهُ على باب الكنيسة، فأخذهُ بعض النصارى وربَّوهُ تربية صالحة حسنة، ولما بلغ أشدهُ سلموهُ الى المؤَدب فتخرج في العلوم في مدرسة بلدتهِ ورُسِم كاهناً وكان كريم الاخلاق ثاقب الفهم فصيح اللسان تقياً نقياً، فأحبهُ الجميع، وبنى في بلدتهِ ديراً عظيماً ونصب فيهِ مدرسةً كليةً قصدها الناس من كل الاقطار والأمصار، وعظم امر المدرسة حتى انهُ صار فيها ستون معلماً وكان مار أحا ويهبالاها الجاثليقان من جملة هؤلاء المعلمين، وما زال القديس متردداً في بلاد الآراميين يهدي من الوثنيين وينصرهم ويُظهر الله تعالى على يده معجزات باهرة.

فاتَّفق أنهُ في بعض الأيَّام انقطع الخبز عن التلاميذ الذين في المدرسة، فتناول القدّيس خبزاً يسيراً ورسم عليهِ اشارة الصليب، فأكل منهُ التلاميذ وعابرو الطريق ايضا يومَين، ولما كان اليوم الثالث أرسل لهم بعض المؤمنين حنطةً كثيرةً واجتاز القدّيس يوماً بالمدائن، فهجم عليهِ المجوس وقبضوا عليهِ والقوهُ في السجن، لكنَّهُ خرج منهُ بقوة الله العلي وكان المرقيونيون قد اظلوا خلقاً كثيراً من النصارى وملأوا بيوتهم سحراً فلم يزل القدّيس يرشدهم حتى انهُ ردهم جميعاً وأدخلهم حظيرة الراعي الصالح فاجتهد الهراطقة في قتلهِ، لكن الله عزَّ وجل لم يمكنهم منهُ.

وكان مار عبدا على جانب عظيم من التقشف يُجهد نفسهُ بالصلوات والصوم ويستبدل لذة الرقاد بالتهجد، فمقت النعيم الزائل واحب الشقاء.

ورفض راحة الجسم وآثر دوام البقاء، وبقي سبع سنين لا ياكل الا خبزاً فيه رماد.

وفي ذلك الزمان الذي فيهِ هُدمت البيع في بلاد فارس وقُتل النصارى ظهر صليب من الأرض نظير شجرة بالقرب من قريةٍ معروفة بالتل على نهر صرصر، فكان الصليب يصنع معجزات، فاخذت الحيرة المجوس واحتالوا في ستر أمرهِ، فلم يمكنهم، وانّ رجلاً نصرانياً اسمهُ صليبا بن عوزيا رئيس الناحية ابتاع الأرض التي فيها ظهر الصليب المذكور وبنى فيها هيكلاً، فاجتمع فيهِ الرهبان من كل مكان، وهو كان يقوم بكل ما كانوا يحتاجون اليهِ، فسُمي دير صليبا، وقصدهُ مار عبدا، وصنع هناك ايضاً معجزات كثيرة وتلمذ جماً وافراً من سكان تلك الناحية وكان مار عبدا معاصراً لمار تومرصا الجاثليق الذي جلس على كرسي مار أدى في المدائن سنة ٣٨٩، وتوفي سنة ٣٩٧.



مار عبديشوع الراهب

(في بداية الجيل الخامس)

كان هذا القدّيس من بلاد ميشان وتسمى الآن البصرة من قرية يقال لها ارفلونا ولما اتصل به خبر القدّيس مار عبدا طار اليه على جناح السرعة وتتلمذ لهُ، وأخذ يقرأ في مدرسته علمَ الكتب الإلهية، فبرع فيها وفاق جميع رفاقه وأصبح في المدرسة إماماً للجميع، وكان يُميت جسده بالاصوام الشاقة والأسهار الطويلة، فأنعم الله عليه بموهبة المعجزات، واتفقَ أنهُ انطلق يوماً من الأيام ليأتي بماء من دجلة للدير، وكان النهر بعيداً والنزول اليه صعباً، فوجد هناك نساء يستقين الماء، فحلفنَهُ ان يملأ جرارهن ماءً ففعل ذلك وأبطأ، فلما عاد الى الدير أنكر عليه الأب مار عبدا تأخرهُ، فقص عليه ما جرى، فقال لهُ مار عبدا: "ان كنتَ تفعل كلَّ شيء لاجل اليمين فانا أُقسم عليك بالمسيح ان تدخل هذا تنور النار وتقف فيه" فرسم مار عبديشوع اشارة الصليب على جسده وعلى النار ودخل التنور ووقف فيه، وجميع الاخوة ينظرون اليه، وللحال سكن لهيب النار، فلم تؤثر فيه، فأخذ الجميع يسبحون البارئ تعالى، وعظم القدّيس في اعينهم كثيراً فلما جُنَّ الليل هرب مار عبديشوع من ذلك المكان ومضى الى ارضه، وبنى فيها ديراً، فاجتمع اليه كثير من الناس واقاموا معهُ، وكان اهل داره واقرباؤهُ يقصدونه دائما، فشق ذلك عليه كثيرا فترك الدير وانتقل الى ناحية باكسايا، وبنى هناك ايضاً ديراً، وقصدهُ الرهبان من كل جهة وكان بهرام الملك عند مروره بذلك الموضع يزورهُ ويكرمهُ لمَا كان يرى فيه من سمو الفضيلة

وطهارة السريرة، ثم انّ القدّيس ترك ذلك الدير ايضاً ومضى الى ارض ميشان وتلمذ فيها ريميون ونواحيها.

فشاع خبرهُ وذاع واتصل بتومرصا الجاثليق، فجعلهُ اسقفاً على دير محراق، وكان اهل البلد اشراراً متمردين، فلم يزل القدّيس يرشدهم بلطف وينثر على مسامعهم جواهر النصائح الإنجيلية الى ان دكّ من قلوبهم حصون التمرد والعصيان، ثم إنهُ أذِيَ بهم، فخلَّف غفّارتهُ وعصاهُ، وخرج في الليل وانطلق الى جزيرة في اليمامة والبحرَين واقام فيها منفرداً، واخذ ينذر الاهالي بالانجيل فردهم جميعاً عن طغيانهم الى معرفة الحق المبين وصنع الله على يديه معجزات باهرة، وبنى هناك ايضاً ديراً، ثم قصد الحيرة وشاد فيها ديراً، فشاع خبرهُ وقصدهُ الناس، ثم خرج من هناك وقصد الدير الذي كان بناهُ في ارض ميشان ليزور أولادَهُ، وتوفي هناك، وصار قبرهُ ينبوع الخيرات الإلهية.



مار اسحق الجاثليق

(٤٠١–٤١١)

من بعد وفاة تومرصا الجاثليق، خلا كرسي المدائن سنتين، واجتمع الآباء الاساقفة للانتخاب، ولكن لم يتجاسر احد ان يقدم نفسهُ ليصير جاثليقا مكان تومرصا من شدة الخوف والفزع والاضطهاد وكان فيما بينهم اسقف نقي تقي غيور اسمهُ قيوما، فحمس ونادى في وسط الآباء والمؤمنين قائلاً: "لا يسوغ لنا ان يتشاغل كل واحد منا بمصالح نفسه فتبقى بيعة الله بغير مدبر يتعاهدنا وينظر في امورنا فإن لم يوجد من يعطي نفسَهُ لذلك، فانا قد سمحتُ بأن افدي نفسي عوض رعية المسيح مخلصي، وخير لي ان اموت مقتولاً في محبته من ان أعيش في الدنيا" فاختير وأُسيم جاثليقاً في المدائن وعليه بيرون بنفسجي، وكان ذلك سنة ٣٩٩، ودبر الأُمور على قدر ضعفه وكبر سنه الى ان مات بهرام، فملك يزدجرد فعقد الصلح بين مملكتي الروم والفرس بواسطة مار ماروثا، فارتاح النصارى من الاضطهاد، فجمع حينئذٍ مار قيوما اساقفتهُ وتنازل عن الكرسي من تلقاء نفسه واختير مار اسحق مكانهُ وكان ذلك سنة ٤٠١.

وكان اسحق شيخاً خيراً فاضلاً عالماً رحيماً مواظباً على الصوم والصلوة ذا غيرة فائقة على تهذيب شعبه، وكان من قرابة مار تومرصا، وصنع الله على يده عجائب باهرة ومعجزات كثيرة، وكان قد عرض ليزدجرد ملك الفرس مرض أعيا أطباء الفرس علاجهُ، وكان أطباء النصارى قد قُتِل كثير منهم في أيام شابور، ومَن تخلف منهم هرب، فارسل الى ملك الروم يطلب منهُ طبيبا حاذقا. فارسل اليه ماروثا اسقف ميافرقين عالما فاضلا وطبيبا

حاذقاً مشهوراً بمخافة الله وعمل الخير، وكان قد اتصل بارقاذيس ملك الروم ما يلحق النصارى في بلاد الفرس من العذاب والنفي والقتل، فاحزنهُ ذلك وأغمهُ، ولم يكن لهُ سبيل الى إعانتهم بشيء، فوجد بذلك فرصة، فكتب الى يزدجرد كتاباً يقول فيه: "إنّ الله عزّ وجلّ لم يعطنا المُلك لنُؤثر صلاح انفسنا، وانما رد الينا امر الرعية لندبرها بالاستواء ونقمع الظالم ونكافئ المحسن باستحقاقهِ وان كنتَ عادلاً عن السجود لهُ فقد أعطاك عطية عظيمة من مملكة الدنيا وبسط يديك على خليقتهِ وجعلك رئيساً، وليس من الحق والعدل ما يجري على النصارى في مملكتك من الظلم والنهب والقتل، وانّ اكثر ذلك يجري عن غير علمك، وانما يفعلهُ اصحابك رغبةً فيما ياخذونهُ من اموالهم، وفي ذلك اجتلاب سخط الله وبغض الناس لك، لأنهم اذا وقفوا على ما يلحق امثالهم انكروهُ واستعظموهُ، ولو صرف هؤلاء القوم اهتمامَهم الى قصد الاعداء واصلاح المملكة كان أحسن، ونسألك من بعد هذا الاحسانَ الى النصارى وإزالة الاذى عنهم والسماح ببناء البيع" وانفذ هذا الكتاب مع ماروثا الاسقف فلما وصل الى يزدجرد عالجهُ وأبرأهُ من علتهِ، ثم عرض عليهِ الكتاب ففرح وسُرَّ بهِ وأجابهُ عنهُ وانفذ لهُ هَدايا، وعمل ما سألهُ وساد السكون على النصارى وزال عنهم ما كانوا فيهِ.

ثمّ انهُ أحبَّ مار اسحق الجاثليق ان يعمل قوانين مفيدة في الفرائض والأحكام الدينية، فارسل الى الآباء، وأحضر منهم اربعين اسقفاً ومطراناً في السنة الحادية عشرة لملك يزدجرد، وكان اجتماعهم يوم عيد الميلاد وماروثا معهم حاضر وعمل مار اسحق باتفاق الجميع، اثنين وعشرين قانوناً مما يُحتاج اليهِ في تدبير البيعة بالمشرق وحَسُن ذلك في عين ماروثا واستصوبهُ وجمع ماروثا شيئاً كثيراً من عظام الشهداء واخذها معهُ ولما كان مجمع

المائة والخمسين اسقفاً بالقسطنطينية اجتمع معهم مار ماروثا وبث لديهم جميع ما شاهد ورأى من فضائل المشارقة وصحة اعتقادهم ومحبتهم وسلامة خاطرهم وزهد رهبانهم وصبرهم على الشدائد والبلايا وترتيب بيعهم وثباتهم على رأي واحد، وأن جميع اهتمامهم واجتهادهم مصروف الى الكتب الإلهية وخصوصاً الى الانجيل المقدَّس وقصص الرسل ورسائل مار بولس والى تفسير ذلك وشرحه وقال: "إني وجدتُ نصارى المشرق كالملائكة المجسمين لأنهم قد حازوا العلم والمحبة والتواضع والعفة" واستناح مار اسحق في السنة الثانية عشرة ليزدجرد وهي سنة ٤١١، ودُفن في المدائن، وكانت مدة رياسته احدى عشرة سنة.



مار احا الجاثليق

(٤١٢-٤١٥)

لما توفي مار اسحق تخلف بالرياسة في المشرق مار احا وكان من دور قني ومن تلاميذ القدّيس عبدا، وكان تقياً نقياً ونبراساً للكمال الرهباني وكان مار عبدا قد فوض اليهِ ادارة ديرهِ الذي في دور قني، فعند وفاة مار اسحق اختير وأُسيم في المدائن وهو لابس بيروناً احمر وكان مار احا فاضلاً عالماً يُميت جسدَهُ بالاصوام الشاقة يحيي الليالي بالصلوة والمناجاة الربانية، وكان يحب الفقراء والغرباء محبةً شديدةً فيقوم بأودهم، ولم يغير السيرة المقدسة القشفة التي انتهجها أيام كان في الدير، فذاع صيتهُ وأحَبتهُ رعيتهُ والمجوس ايضاً.

ومال اليه يزدجرد الملك وأحبهُ، وبعد مدة من تقلدهِ الرئاسة أرسلهُ الى فارس في مهمة كانت لَهُ لامور حدثت بينهُ وبين بيهور ابن شابور اخيهِ المتقلد لفارس واعمالها ولما وصل هذا الأب الى فارس واصلح الامور التي توجه لاجلها، سأل عن قبور الشهداء الذين قُتِلوا في أيام شابور وبأي سبب قُتِل كل واحد منهم، وكتب قصصهم، وعاد الى يزدجرد فعرفهُ بما وقف عليه وتأنى لهُ، فحظي عندهُ بجاهٍ عظيم وبسط يدَهُ في تدبير رعيتهِ.

فأمر الآباء ان يحرموا كل بيت يجدون فيه شيئاً من علوم سحر المجوس، لانّ قوماً من المرقيونية والمانوية كانوا قد تنكروا ودخلوا بين الناس ثم عمل كتاباً أثبت فيه أخبار الشهداء الذين استشهدوا بالمشرق، وقد أثبتها ايضاً دانيال ابن مريم في تاريخه المسمى اقلاسيسطيقي، وعمل تشعيث مار عبدا، وكانت مدة رياسته اربع سنين، وتوفي وقبر في المدائن سنة ٤١٥.

مار يهبالاها الجاثليق

(٤١٦-٤٢٠)

انّ مـار يهبالاهـا وتاويلـهُ عطـا الله تتلمـذ للقـديس عبـدا رئـيس الرهبـان، واعتنى بالصوم والصلوة والتقشف والتأمل في الأشياء الروحية، ثم إنهُ خرج من الدير من عند معلمهِ وأسس ديراً على حِدة مستقلاً، وقسَّم الرهبان على بعضهم بتلاوة المزامير وعبادة المرضى والغرباء وشُغل اليد بحيث لا تنقطع التلاوة ابداً فذاع صيتهُ وانتشر في كل الاقطار.

وعند وفاة مار احا الجاثليق اختير هو للجثلقة فاقتبل الرسامة في المدائن وهو لابس بيروناً احمر وفي أيامهِ ورد بسفارةٍ ثالثة القديس ماروثا اسقف ميافرقين مصحوباً باقاق اسقف آمد من قِبَل ثاودوسيوس قيصر الى يزدجرد ملك الفرس وفي أثناء ذلك اتفق انّ ابن يزدجرد مرض مرضاً ثقيلاً، فانفذ الملك وطلب يهبالاها يستعين بصلواته، فجاء الأب القدّيس، ومع دخوله انطفأ الابن ومات، وكان مرافقاً ليهبالاها مار ماروثا ومار اقاق المارَّي الذكر فتقدم القدّيس وصلى، فعادت روح الصبي اليه، وذاع خبر هذه الآية، وارتفع قدر الجاثليق في الغاية لدى القدّيسَين رفيقيه ولدى الملك المجوسي، وحصل النصارى من ذلك على الرفاهية وفي السنة الثالثة من رياسته أنفذهُ يزدجرد الى ملك الروم للجواب عن رسالةٍ، فسُرَّ به ملك الروم وسألهُ عن الأمانة، فاجابهُ بما عندهُ منها، فاستحسنهُ ورجع بهدايا كثيرة ثمينة.

ثم إنهُ جدد بيعة المدائن ورمومها وابتنى بيعة جديدة بنفقات وافرة، فجاءت بعون الله بيعة فاخرة واسعة لم يُرَ مثلها، وعقد المجمع الرابع المدائني وهو الرابع بين المجامع الشرقية المنعقدة في المدائن.

فأما ما كان من اعمال هذا المجمع فإنهُ لم يرسم قوانين جديدة، بل إنما رسم وحدد ان تُحفظ قوانين الآباء المغربيين وجميع ما رُسِمَ في مجمع مار اسحق ومار ماروثا في المجمع الثالث المدايني، ورسم على الخصوص ان تُقدم الطاعة والخضوع للأب الجالس على كرسي المدائن اي ساليق وقطسفون.

واعمال هذا المجمع مسطورة في مجموعة القوانين الشرقية، وانّ مار يهبالاها اذ علم بإلهام إلهي انّ يزدجرد الملك مزمع ان يضطهد ثانيةً النصارى سأل الله ان يقبضهُ اليه قبل أن يرى مكروهاً في جماعته، وكانت وفاتهُ سنة ٤٢٠.



جهاد مار نرساي الراهب

(في أيام يزدجرد الملك ٤٠٠-٤٢١)

كان مار نرساي من بلد الرازيقيين وكان تقيا نقيا، واحتقر اباطيل هذه الدنيا الغرور وزهد في ملاذها نابذاً الورى الى الوراء وطالباً العلى بثواقب الاراء، ومن الظاهر أنهُ دخل احد الاديرة بالقرب من مدينة ساليق، وكان لهُ صديق مُخلص أمين ممتلئ فضائل واعمالاً صالحةً اسمهُ شابور وكان نبيا

فذات يوم أتى الى هذا شابور رجل من المجوس فيه روح نجس اسمهُ اذرفروا طالباً الشفاء فقال لهُ شابور: "نحن معشر النصارى ليس لنا ادوية ولا عقاقير بها نشفي المرضى، بل انما بقوة الله تعالى نبرئهم فاذا نبذتَ ديانة المجوس وآمنتَ بالمسيح شُفيتَ لا محالة" فالتمس المجوسي من الكاهن الصالح ان ينطلق معهُ الى قريتهِ فيبني فيها بيعة وقال لهُ: "فإذا فعلتَ ذلك فانا لامرك من الممتثلين" فانقاد لهُ شابور وذهب الى قريته، فرفع الله عن قلبهِ ديجور الظلام فتنصر وشُفي من وجعهِ، ثم إنّ اذرفروا أعطى الكاهن ارضاً ليبني فيها كنيسةً فقال لهُ شابور: "ان لم تعطِ بيدي صكاً ناطقاً ببيع الأرض فلا ابنى كنيسةً" فكتب لهُ اذرفروا صكاً.

وفي غضون ذلك أتى يزدجرد الملك الى ساليق، فدخل عليه اذربوزي الحاكم وقال لهُ: "انّ جميع عظماء مملكتك وأشرافها قد نبذوا ديانتنا، فصاروا نصارى، فاعطني امراً بترجيعهم الى المجوسية" فقال لهُ الملك: "قد اعطيتك امراً ان ترجعهم الى ديانتهم الأولى لكن ليس بالقتل بل بالتهديد والتخويف فقط" فخرج الحاكم من عند الملك واخذ يضيق على المسيحيين

المتنصرين حديثاً، لكنهُ لم يقدر مع كل جهدهِ ان يحمل على نبذ النصرانية الا الموهونين منهم وكانوا قليلين وكان اذرفروا المذكور من جملتهم فاتى هذا الى شابور القسيس وأكرههُ على رد الصك والخروج من الكنيسة فاتفق انّ مار نرساي أتاهُ في تلك الايام كجاري عادتهِ، فأخبرهُ بالامر فقال لهُ نرساي: "إياك ان ترد الصكّ الذي بيدك، واذا أُقتُسرتَ فخذ الصك وانتقل من هنا، فياتي يوم تدعي عليهم فتاخذ حقك، فإنّ صكاً بيدك" فانقاد شابور لمشورتهِ، وأخذَ الصك وهرب، وأما الكنيسة فجُعِلَت معبداً للنار.

ثم إن نرساي أتى يوماً آخر ليزور كجاري عادتهِ صديقَهُ شابور وهو لا علم لهُ بانتقالهِ من القرية وبصيرورة البيعة معبداً للنار، ففتح الباب ورأى في الكنيسة كانوناً فيهِ نار تشتعل بموجب سنة المجوس، فأخذتهُ الحمية المقدّسة، فأطفأ النار ودكّ الكانون، وطرح خارجاً كلَّ ما وجدَ هناك من أمتعة المجوسي الذي كان تولى أمر ذلك المعبد.

وفي أثناء ذلك أتى المجوسي، فإذ رأى ما صنع صاح بهِ مُغضَباً: "ما هذا الذي فعلتَ؟" قال: "رايتُ النجاسة في بيت الله فطهرتهُ منها" فقبض عليهِ المجوسي وصاح بأهل القرية، فبادر اليهِ جم غفير، فأوسعوا القدّيس ضرباً وكبلوهُ بالسلاسل، فذهب بهِ المجوسي الى ساليق حيث كان الملك، ودخل بهِ على اذربوزي الحاكم وقص عليهِ ما فعل نرساي، فغضب الحاكم وقال لهُ: "كيف تجاسرتَ وفعلتَ هذا الأمر ولم تخف، كيف تجرأتَ يا شقي ان تدخل معبد النار فتقتل النار وتدك الكانون، ألم تخف من سطوة ملك الملوك؟" قال القدّيس: "اني أخاف من الله فقط الذي هو أعطى الملك ما لهُ من السلطان والقدرة، فلا اخشى ملكاً ارضياً هو اليوم موجود وغداً يُسلَّم المُلك الى يد غيرهِ لَكُم كان ينبغي ان تخافوا الله القدير على كل شيء، فلا

تجعلوا دارَهُ معبداً لخليقتهِ" فاستشاط الحاكم غضباً وأمر به فأُوسع ضرباً، ثم قال لهُ: "ارعني السمعَ واذهب ابنِ الكانون الذي هدمتَهُ، وضع فيه النار، فأُجزل لك العطايا" قال القدّيس: "ايها الجاهل العديم البصيرة كيف ارجع النار الى مكانها بعد ان طرحتها خارجاً؟ أما تدري أنهُ اذا بنيتُ الكانون الذي هدمتُهُ أكون قد عبدتُ النار نظيركم، فشاركتكم في كفركم، فأعوذ بالله من كفركم، وما دمتُ حياً لن اخلي النار تدخل في بيت الله" فتوهج الحاكم غضباً وأوعز الى الجلادين ان ينكلوا بهِ ثانيةً، ففعلوا، ثم قال لهُ وهو يصر باسنانه حنقاً: "وأي شيءٍ حملك يا شقي ان تدخل بيتاً لستَ انتَ بصاحبه، وقد تركهُ صاحبهُ وهرب" قال: "إن البيت الذي تقول عنهُ ليس ببيتي ولا بيت الذي انهزم منهُ، لكنهُ بيت الله، وقد قال لنا سبحانهُ وتعالى في كتابهِ المقدَس: ان بيتي بيت الصلوة يُدعى فلا تدخلهُ نجاسة، وقال ايضاً غيرة بيتك أكلتني، فلأجل هذا انا ايضاً اكلتني غيرة بيته، ففعلتُ ما فعلت" فقال لهُ الحاكم بلهجة المستهزئ: "فَليأتِ إذن الإله الذي غيرةَ بيته أكلتك فيساعدك" قال القدّيس: "إنهُ تعالى قد ساعدني ولا يزال يساعدني" فحينئذٍ أمر بهِ فكُبل بالسلاسل وطُرِح في سجن مظلم ضيق بين القتلة، وبقي فيهِ تسعة اشهر وهو يعاني من العذاب ما لا يوصف.

فمر عليه في السجن الشتاء كلهُ وقسمٌ عظيم من الصيف، فخرج الملك من ساليق وذهب الى بلاد الأهواز ليصيف هناك كجاري عادتهِ فيقول كاتب القصة وهو مجهول الاسم: "حينئذٍ ذهبنا نحن النصارى الى المجوسي الذي كان أُمرَ بحراسة القدّيس، واعطيناهُ أربعمائة درهم من النقود، وكفل القدّيس واحدٌ من أشراف ساليق، وغبّ مرور اثنَى عشر يوماً على خروجه من السجن أتت رسالة من الملك الى مرزبان بلاد الأراميين هذا نصها:

"أخرج المحبوسين من السجن واقتل الذين حُكِم عليهم بالقتل، وأدب الذين حُكِم عليهم بالتأديب وأما نرساي النصراني فاحضرهُ امامك، فإن أنكر أنهُ أطفأ النار ودَكّ الكانون فخلِ سبيلهُ والا فاكرههُ على ان يجمع النار من ثلثمائة وستة وستين مكاناً ويضعها في البيت الذي أطفأ نارَهُ وهدم كانونَهُ" فحالما قرأ المرزبان الرسالة دعا المجوسيّ الذي كان أُمِر بحراسة القدّيس، وأوعز إليهِ ان ياتيَهُ بهِ، فانطلق المجوسي وهو يرتجف من الخوف الى كفيل القدّيس وأطلعهُ على أمر الملك، فبادر الكفيل الى الدير حيث كان مار نرساي، فأتى بهِ وسلمهُ الى المجوسي، وهو أحضرهُ قدام المرزبان، فأمر المرزبان ان تُقرأ رسالة الملك على مسمع من القدّيس، وكان المرزبان يريد اطلاقهُ، فاحتال ان يحملهُ على الإنكار لكي يخلصهُ من الموت فقال لهُ: "ما كنتَ أنت لتقتل النار، ولا ريبَ أنّ أعداءَك اتهموك بما لم تفعلهُ" قال القدّيس: "إن اذربوزي استنطقني، فقلتُ الحق والآن لستُ انكر فاني انا قتلتُ النار" قال المرزبان:" اذاً اذهب واجمع النار من ثلثمائة وستة وستين مكاناً وضَعها في البيت الذي اخرجتها منهُ، واسجد لها فأُكرمك الكرامة كلها والا فتموت موتاً لأنك ناهضت الملك ولم تُرِد الا تحقيق إرادتك" قال القدّيس:" انا قتلتُ النار ولستُ آتي بنار أُخرى أبداً فأمضِ فيَّ أمر ملكك" قال المرزبان:" اذا لم تُجرِ امر الملك فانا اقتلك لا محالة" قال القدّيس:" اني أوثر الموت على الحيوة المقضية بالخطايا" فأمر بهِ حالاً فصُفِد بالقيود وسُلِم الى مجوسيٍ ليذهب به الى المكان المعيَّن لقتلهِ، وكان المرزبان في خارج مدينة ساليق.

ولما بلغوا بالقدّيس ديراً كان في خارج مدينة ساليق اتاهُ راهبٌ بماء ليسقيهُ فلم يُرد ان يشرب وقال:" صلوا عليّ يا ساداتي واخوتي حتى

يؤهلني المسيح أن اشرب ماءً حياً من ينبوعه الذي لا ينفذ" ولما مرَّ من تحت سور المدينة وبلغ الباب خرج للقائه جم غفير من النصارى رجالاً ونساءً وهم يبكون بكاءً مراً فلما رأى المجوسيَّ ذلك رجع بالقدّيس ليدخل به المدينة مخافةَ أن يخطفهُ النصارى فحزن القدّيس ظناً منهُ ان المجوسي انما الى السجن يرجعهُ فيُحرَم اكليل الاستشهاد.

قال الراوي: (لما رأينا نحن النصارى ذلك من المجوسي قلنا لهُ:"ما بالك تدخل بهِ المدينة" قال:" اخاف ان تخطفوهُ انتم مني فأُعاقب انا عقاباً شديداً" فقلنا لهُ:" لا تخف فانّهُ ما من احد منَّا يتعدَّى أمر الملك وانَّما خرجنا لنتبرك بالقدّيس فانَّهُ انَّما من اجل الله يموت" فحينئذٍ أضرب المجوسي عن إعادتهِ الى المدينة فأُفعم قلب القدّيس حبوراً وطفق يتلو المزمور المائة والسابع عشر الذي بَدْءُهُ: اعترفوا للربّ فإنهُ صالح والى الأبد رحمتهُ ليقُل بيت اسرائيل أن الى الابد رحمتهُ).

فلمَّا انتهى الى الموضع الذي يُسمَّى ساليق الخربة وهو مكان تكللهِ جثا يصلي وهو مُكبل وشرع كل الذين كانوا رافقوهُ من النصارى يصلون من اجله طالبين اليه تعالى ان يمدهُ بعونه السماوي فينصرهُ على اعدائه، فأوعز المجوسي الى شرطي كان نصرانياً بالاسم لا غير ان يتناول سيفاً فيقطع راس القدّيس فتناول سيفاً وتجرأ وهجم بهِ على القدّيس ورفع يدَهُ لكي يضرب عنقهُ وللحال عاقبهُ الله فإن القوة الالهية رفعتهُ عن الارض مقدار قامتين فرمت بهِ الارض وبقي مُلقىً على الحضيض كالميت ثلاث ساعات فخاف الحضار خوفاً عظيماً، فأمر المجوسي واحداً آخر ان يتناول السيف فيقتل القدّيس فأضرب عن ذلك خوف ان يصيبهُ ما اصاب رفيقهُ فأوقع به المجوسي ضرباً فحينئذ قال لهُ مار برسماي:" اصنع ما أُمرت به

ولا تخف" فاجابهُ قائلاً:" انتَ تموت من اجل الله وتقول لي أن اقتلك" قال القدّيس:" أمضِ في أمر مولاك، فإنّ القتل يوصلني الى الخدر السماويّ، وأما انتَ فان لم تقتلني فتُعاقب عقاباً شديداً، هذا واني اطلب الى المسيح ان يعفو عن خطاياك، ولا يحسب عليك هذا القتل خطيَّةً" فحينئذٍ تناول سيفاً وهجم على القدّيس وهو يرجف خوفاً، فضرب بهِ عنقهُ، لكن مقبض السيف انكسر ووقع القدّيس على الارض، فاخذ الظالم يكرر الضربات، حتى بلغت الثماني عشرة ضربة ومع ذلك لم يقدر ان يقطع رأسهُ، فاضطُرَّ اخيراً ان يذبحهُ مثلما يُذبح الخروف.

قال الراوي: (لما انصرف المجوسي أخذنا نحن معشر النصارى جثة القدّيس ورأسَهُ ودمَهُ، وذهبنا بها الى بيت ساهدي[1] وغسلنا جثتهُ بانواع الطيوب ولففناها بأنسجة من كتَّان ودفنَّاها هناك باكرام لا مزيد عليهِ، وكان تَكَلَّلَ في ذلك المحل عينهِ مائة وثمانية عشر شهيداً في عهد شابور الملك وكان مار ماروثا اسقف صوب قد طلب ذلك المحل من الملك فأعطاهُ اياهُ، وبنى فيهِ هيكلاً فاخراً اكراماً للشهداء الأجلاء، ثم لما ثار الاضطهاد على النصارى نقلنا من هناك عظام القدّيس ووضعناها في بيت ساهدي الذي في لاورني مخافة ان يخرجها المجوس فيهينوها).



١– اي مرقد الشهداء.

جهاد طاطاق[1] الشهيد

(في أيام يزدجرد ٤٠٠–٤٢١)

انّ هذا الشهيد وُلد في بلاد حدياب، وكان وافر السيادة كامل السعادة وارث المعارف حائز الفضائل واللطائف، وكان على باب الملك وأصاب عنده منزلةً ومكانةً، ثم انهُ احتقر اباطيل هذه الدنيا الغرور فأراد الزهد في ملاذها، فنبذ كرامة هذا العالم فدخل ديراً وانضم الى النساك، وتسلق مراقي الكمال سريعاً، فاتصل خبر ترهبه بالملك يزدجرد، فأمر بالتفتيش عنهُ، فوجدوهُ في الدير، وانطلقوا بهِ الى ساليق حيث كان الملك وطرحوهُ في السجن، فمكث فيهِ نحو اربعة اشهر وقد أُذيق مراراً أقسى العذابات، ثم أوعز الملك الى رئيس المجوس ان يُحضِره هو امامهُ ويحكم عليهِ فلما مثل القدّيس بين يديهِ قال لهُ: "انّ الملك أمرني ان اسألك: لماذا غدرتَ بهِ ورفعتَ عليهِ لواء العصيان فاستَتَرْتَ بالنصارى ظناً منك أنهم يقدرون ان يخلصوك من يدَيهِ؟" ففتح طاطاق فاهُ وقال لرئيس المجوس: "إِني لم آتِ الى الملك ذنباً، وليس لاجل استعصائي عليهِ ذهبتُ الى النصارى، بل اني وجدتُ المسيح هو اعظم الملوك ولا انقضاء لملكه ولا زوال لكرامتهِ التي تفوق جميع الكرامات، ووجدتُ النسك انهُ هو الباب المفتوح الى النعيم المقيم، فلم أزدَد في هذا الأمر نظراً الا ازددتُ فيهِ رغبةً حتى همتُ في ترك الدنيا ولذاتها فلا احب الا يسوع المسيح الذي هو ركني وخلاصي" قال رئيس المجوس بلهجة المستهزئ: "انَّ الملك امر الساعة بقتلك، أفقادر المسيح الذي أتكلتَ عليه

---

[1] – لست اعرف هل هذا الاسم فارسي ام نبطي فان كان فارسياً فيكون اصلهُ تورك ومعناهُ البطل والحربة، واما تنق بالفارسية فمعناها الستر الكبير

ان ياتي فينقذك من الموت؟ لكني أُشير عليك ان تسجد للنار والشمس، وانا اطلب الى الملك فأُنقذك من العذابات والموت" قال القدّيس: "اني لا اسجد للشمس والنار، بل اتجلد على العذابات والموت الزُؤام، واني لمتوكل على يسوع مخلصي انهُ ينقذني من النار المعدة للأشرار ويمتعني في ملكوتهِ بين الأخيار".

فغضب المجوسي، وأمر بالقدّيس فأُوسِع ضرباً، ثم قال لهُ ان يسجد للشمس والنار فقال: "زَيد كل ما شئتَ من العذابات والأذى، فاني مستعد لاحتمالها بصبر وسلوى، ومن المحال ان ارجع من الديانة النصرانيَّة الحقيقية لأتدهور في الضلالات المجوسيَّة، فلا تتعب نفسك سدى" فقام رئيس المجوس ودخل على الملك واخبرهُ بكل ما قال طاطاق، وأنهُ نكَّل بهِ فما زال حريصاً على آرائهِ فغضب الملك وامر بقطع راس مار طاطاق، فأُخرج الى موضع يُدعى ساليق الخربة وهناك نقفَ الجلاد عنقهُ الكريم، وأخذ النصارى جثتهُ ودفنوها في بيت ساهدي حيث كان دُفِن مار نرساي الشهيد.



جهاد هرمزد وأيتي ورفاقهما الشهداء الثمانية

(في ايام يزدجرد الملك ٤٠٠–٤٢١)

كان هؤلاء القدّيسون من باجرمي، وكانوا قاطبةً علمانيين طاعنين في السن، ومنهم من كان مجوسياً فتنصر، ومنهم من كان تزوج بامراة مجوسية فتلمذها الى الايمان الصحيح، وهذه أسماؤهم: هرمزد[١]، وأيتي[٢]، وماري، وأني، وأتي، ويعقوب، وحَوْرا[٣]، وفافا[٤]، ونمرود، واذرفروا[٥]، فاتصل خبرهم بالملك يزدجرد، فأمر بالقبض عليهم وإحضارهم الى ساليق حيث كان موجوداً حينئذٍ فقبضوا عليهم وساموهم القيود والعذابات، وذهبوا بهم الى ساليق في قلب الشتاء فأُحضِروا الى مجوسي اسمهُ ميهارشابور، فقال لهم: "ما ديانتكم؟" قالوا: "نحن نصارى، ولرب واحد لا آله الا هو وحدهُ ولابنه يسوع المسيح نسجد" قال: "بلغني عنكم انكم كنتم من المجوس وللنار والشمس كنتم تسجدون، فكيف نبذتم الديانة الحقيقية فتدهورتم في ضلالات النصرانية" قالوا: "لا تتجرأ ان تسمي الحق باطلاً والباطل حقاً" فغضب عليهم المجوسي وأمر ان يُنتف شعر لحاهم، وكان قد ابيض. فنُتف، ثم قال لهم: "ترى على مَ قد تمسكتم في شيخوختكم بهذه الضلالة" قالوا: "اننا لما كنا صغاراً كان الجهل قد استول على عقولنا وعمى بصيرتنا، فحالما صرنا نبصر ونميز جيدَ الأشياء من رديئها رفضنا ضلالة المجوس فاعتقدنا

١– كان اسم إله الخير عند الفرس وهو ايضا عندهم الخميس واسم أول يوم من الشهور الشمسية.

٢– كلمة سريانية بمعنى أتى بِ ، أو يوجد، أو دائم و جوهر.

٣– كلمة سريانية معناها ختال ومنظر وحذر.

٤– كلمة فارسية معناها الأب.

٥– كلمة فارسية (الدرمزا) ومعناها خادم النار

بتعليم المسيحيين وهو وحدَهُ الحقيقي" قال: "امتثِلوا امر الملك واضربوا عما انتم عليهِ من الجهل والسفاهة، فأتشكر لكم وترجعوا الى بيوتكم فرحين سالمين" قالوا: "لسنا نريد ان تتشكر لنا بحملك ايانا على نبذ ديانتنا، ولكنا نحن نشكر لك اذا ما كللتَ شيخوختنا بالقتل فننطلق الى الله فرحين مسرورين ولا نلتزم ان نرجع الى دارنا اصفار الأيادي كئيبين مضنوكين" قال: "اني أرى نشوة الاشواق قد هزتكم الى الموت، فلعلكم مدينون لأحد فتطلبون النجاة بالموت، وإِن كان الامر كذا فانقادوا لي فاقول للملك فيعفيكم من الدين" قالوا: "نحن لسنا بمدينين الا لله عز وجل اذ أخطأنا اليهِ كثيراً في عنفوان شبوبيتنا اذ كنا ملتفين برداء الضلال، فهذه بغيتنا ان نفيهُ بدمنا".

فحينئذٍ قام مهرشابور ودخل على الملك واطلعهُ على امر المعترفين، فأمر بهم ان يُذبحوا مثل الخراف بالسكين فخرج المجوسي وقال لهم: "انّ الملك أمر ان تسجدوا للشمس وترجعوا الى بيوتكم، والا فتموتون موتاً" فقالوا لهُ عن بواء واحد: "لا نمتثل أمر الملك، ولانسجد للنار والشمس، بل اننا مستعدون ان نموت من اجل إِلهنا" فأُوعز حينئذٍ الى مجوسي وامين من أمناء الملك ان ينطلقا بهم الى ساليق الخربة، فقال لهما احدهم ضاحكاً: "أتخليان سبيل الذي يرتد منا؟" قالا لهُ: "والملك ايضاً يكون شاكراً لك" فبادر اليهِ رفاقهُ وأمسكوهُ وقالوا لهُ: "وحياتك لا تفلت... انك حتى اليوم تغذَّيت بخبز ابن مريم، والآن اذا انتشب القتال فتُولَي مدبراً؟" فلما انتهوا الى المكان المعين لقتلهم حفروا حفرةً عظيمةً، وكبَّلوا القدّيسين من الوراء واركعوهم جميعاً على حافة الحفرة محيطين بها، ثم اتوا بسكين فذبحوهم

نظير الخراف فلما انطلق المجوسي وامين الملك أتى النصارى رهباناً وعلمانيين فخطفوا جثثهم ورؤوسهم، وذهبوا بها فدفنوها في امكنة مختلفة.

وقال أبجر كاتب القصة: "إن راهباً من رهبان ديرنا أسرع فبسط رداءهُ واستقى دَمَ القدّيسين كلهُ من تلك الحفرة واتانا بهِ، فأتينا بحنوطٍ وطيوب فحنطناهُ، ولما مرت سنة على استشهادهم جمعنا عظامهم ووضعناها كلها في موضع لائق".



جهاد مار عبدا اسقف هرمزد أرداشير وهشو واسحق القسيسين وافرام الكاتب وفافا الشماس وداذوق ودورثان العلمانيين وفافا اخي مار عبدا الاسقف

(سنة ٤٢١)

لما توفي بهرام الرابع، ملكَ ابنهُ يزدجرد الأول سنة ٤٠٠ وكان فظاً غليظاً وفي بداية ملكه سلك جيداً مع النصارى كما سبق القول في قصة شهداء بيت سلوخ، ثم إنهُ اثار عليهم اضطهاداً شديداً، وخمدت نار هذا الاضطهاد بواسطة مار ماروثا اسقف ميافرقين الذي اقبل مراراً بسفارة جليلة من لدن ثاودوسيوس ملك الروم الى يزدجرد لعقد الصلح بين الدولتين لكنهُ مع ذلك كان يأمر بعض الأحيان بقتل الذين كانوا يتنصرون من المجوس كما راينا ذلك في قصة طاطاق، ونرساي، وهرمزد ورفاقهُ هذا وانّ يزدجرد في السنة الاخيرة من حياته اضطهد مرة ثانية النصارى وكان الداعي الى ذلك انّ قسيساً يقال لهُ هشو او (هوشاع) هدم في مدينة هرمز دارداشير بيت نار كان مجاوراً للبيعة كان النصارى يتأذون من قيميه ومدبريه، وكان الاسقف على تلك المدينة مار عبدا، وكان عالماً جليلاً ممتلئاً فضائل مسيحية، فإليه نسب المجوس حريق بيت النار، وسعوا به لدى الملك وقالوا: "ان الذين من النصارى يُدعون اساقفة وكهنة وشمامسة ورهباناً يخالفون اوامرك ويحتقرون عظمتك ويهينون آلهتك ويسخرون بالنار والشمس ويهدمون معابد النار ويحملون على الضلال كثيراً من اهالي المملكة ويعلمونهم السحر والنفاق".

فاغتاظ الملك غيظاً شديداً ولا غيظ الأسد الضاري، فسن انيابهُ مستعداً بشدة غضبه للافتراس، فأمر بهدم الكنائس والأديرة والقبض على الأساقفة والكهنة، وقتل منهم جماً غفيراً، ومن جملة هؤلاء الذين قُبض عليهم كان مار عبدا الاسقف وهشو واسحق الكاهنان وافرام الكاتب وفافا الشماس وداذوق ودورثان العلمانيين وفافا اخو مار عبدا، فهؤلاء سيقوا كافةً الى باب الملك فأمر الملك بإحضارهم، ولما مثلوا بين يديه، قال لهم بغضب شديد: "علامَ تخالفون اوامرنا وتحتقرون التعليم الذي قبلناهُ من آبائنا فلا تابون الا تكميل ارادتكم والتوغل في الضلال المبين؟" قالوا: "نحن لا نقبلن التعليم الذي يأمر بالسجود لعدة آلهة ولا نرضينَّ باهانة الإله العظيم الذي خلق جميع الأشياء، فنحن لا نسجد الا لربّ واحد خالق العالمين لا إله الا هو وحدهُ، واما المخلوقات فلا نريد الا استخدامها" فقال الملك لمار عبدا الاسقف: "انت المقدَّم على هؤلاء النصارى، فلِمَ تحملهم على مقاومة اوامرنا وهدم معابدنا؟".

فقال هشو الكاهن بشجاعة لا مزيد عليها: "نحن لم نهدم بيعة الله ومذبحهُ المقدَّس" فصاح به الملك مغضباً وقال: "لم اسألك انتَ بل الأكبر منكَ، فعليه ان يجاوب" قال مار هشو: "انّ تعليمنا يأمر ألا يستحي الصغير والكبير بكلام الله اذا ما أحضرهُ الملك فاستنطقهُ، وقال لنا ايضاً مخلصنا يسوع المسيح: إني أعطيكم فهماً وحكمةً لا يستمكن اعداؤُكم من مقاومتها فحقٌ كلامنا سواء أقالهُ الصغير ام الكبير" قال الملك: "وما هو تعليمك ايها الجسور المتكلم عن رئيسهِ؟" قال: "إني نصراني عبد الله الحي الذي ما من احد يستطيع سبيلاً الى ان يلومَهُ ويقول لهُ ماذا تصنع" قال لهُ الملك: "اذاً لصحيح انك انتَ هدَمتَ معبد النار؟" قال القدّيس: "إني انا هدمتُ معبد

هدمتُ معبد النار لأنهُ ليس بيت الله، وانا أطفأتُ النار لانها ليست بنـت الله، كما تزعمون، بل جارية تخدم الملوك والاغنيـاء والـصعاليك والفقـراء، وهـي مخلوقة عديمة الحيوة تتولد من الحطـب" فتـوهَّج الملـك غـضباً، فـأمر بهـم فقتلوهم باجمعهم، وكان استشهادهم سنة ٤٢١.

وانّ الملك يزدجرد في تلك السنة عينهـا أخمـد نـار الاضـطهاد، والـداعي الى ذلك انهُ كان عند يزدجرد أمير نـصرانيّ اسمـهُ اسـحق كـان يكرمـهُ الكرامـة كلها لأنهُ كان أخضع لهُ أرمينيا، وكان الملك قد ولاهُ اعمال تلك البلاد كلها فهذا شفع للنصارى لديهِ وسألهُ ان يفـرج عـنهم راداً الـيهم الـسلام والحريـة، ففعل ذلـك يزدجـرد، هـذا مـا ذكـرهُ مـاري المؤرخ في ترجمـة مـار يهبالاهـا الجاثليق، ومات يزدجرد في تلك السنة عينها.



† الشهداء الذين قُتلوا في اضطهاد بهرام الخامس †

مات يزدجرد الأول سنة ٤٢١، وفيها جلس على سرير المُلك بهرام او ورهاران الخامس ابنهُ، وفيها اشتد الشدة على النصارى الذين في بلاده. وقد أجمع المؤَرخون الشرقيون والروم قاطبة على شدة هذا الاضطهاد في السنين الأُولى لبهرام.

قال ثأودوريتس: "انّ اختلاف العذابات الكثيرة وشدتها التي بها ضُيق على النصارى في مملكة الفرس لَمِن المستحيل شرحها على حقيقتها فمنهم من كانوا يسلخون جِلدَهُ. ومنهم من كانوا ينشرونَهُ، وبعضهم كانوا يُميتونهم جوعا، وغيرهم يُدخِلون الفار والجرذان في افواهم، وآخرون يزجونهم في الجبوب ليصيروا ماكلاً للحشرات وهلم جراً والذين قُتِلوا على هذا المنوال لايُحصى عددهم".

ومثل ذلك سطَّر من المُؤَرخين الروم ثأوفانيس وسقراط وغيرهما واما من الشرقيين فقال غريغوريوس ابن العبري: "وفي هذا الزمان كثُر النصارى في مملكة الفرس، وظهرت وانتشرت النصرانية جداً على يد ماروثا اسقف ميافرقين الذي ارسلهُ ثاودوسيوس الصغير سفيراً الى الفرس ثم مات يزدجرد، وملك بعدهُ ورهاران ابنهُ، واشتد الشدة على النصارى، وتواقع الروم والفرس، وقُتل من الفريقين خلق كثير، وكانت الدائرة على الفرس، وحينئذ زال الاضطهاد".

يظهر انّ الملك الطاغي لم يأمر الا بقتل الأعيان والأشراف، فلو اراد ان يقتل العامة لأفرغ المملكة من الخلق، لانّ النصارى ملأُوا مملكة فارس بأسرها.

وقال ديونوسيوس المؤرِخ: "انّ الاضطهاد دام الى السنة ٤٢٧" وتقول قصة مار فيروز انهُ دام خمس سنين، وأنّ المحرك الأول لهُ كان ميهرشابور رئيس المجوس، وأمر بقتل جميع الأعيان والعظماء من النصارى، فنُفُوا من بلادهم، ونُهِبَت بيوتهم، ولم يترك الطاغي كنيسةً الا هدمها، ولا ديراً الا دكّهُ، ولا بيت ساهدي الا استأصلهُ.

فمن جملة الشهداء الذين نالوا اكليل المجد والذين وقفنا على حقيقة اخبارهم: مار يعقوب المقطّع، ومار ميهرشابور، ومار يعقوب الكاتب، ومار فيروز البيلافاطي، ومار بنيامين الشماس، ومار هرمزد.



١– مار يعقوب المقطّع

(٢٧ تشرين الثاني سنة ٤٢٢)

إنّ مار يعقوب المعروف بالمقطّع كان مسقط راسه في مدينة بيت لافاط، وكان من ارفع طبقات الأسرات الشريفة، وكان حسن الجر والسبر، وكان يزدجرد الملك قد قربهُ وأكرمهُ وأولاهُ اشرف المراتب واجلّها، ولم تكن تزدهُ الأيام الا عجباً به ورغبةً فيه وتقريباً منهُ حتى أنهُ اغواهُ وجعلهُ ان ينبذ الديانة النصرانية التي وُلد فيها ويسجد للشمس، واتصل هذا الخبر بأمه وزوجته، فأخذت الكآبة من نفسيهما كل مأخذ وكان يزدجرد الملك قد توفي، وخلفَهُ ابنهُ ورهاران الخامس، وكان يعقوب معهُ في الجيش في ارض بابل فكتبتا لهُ رسالةً فيها قرّعتاهُ بكلام أحد مضاءً من الخناجر وقالتا لهُ: "بلغنا انك مداهنةً للملك وابتغاءً ان تحصل على عطاياهُ وهداياهُ الفانية قد نبذتَ الله السرمدي، فأين الملك الذي انقدتَ لهُ، قد مات مثل سائر الناس وتعفّن ورجع الى التراب في القبر، وانّ الملك الجديد مع كل ما لهُ من القدرة والأموال الجزيلة غير قادر ان يساعدك فيُنقذك من العذاب الابدي المُعد لك، فاعلمنّ يقيناً انّهُ اذا بقيت مصراً على ما انتَ عليه من الرأي في البقاء في ديانة المجوس يعاقبك الله عقاباً شديداً نظير صديقك الملك، ونحن لسنا نعرفك ولا لنا معك حصة ابداً".

فلما قرأ يعقوب هذه الرسالة استحوذ عليه خوف الله، فارعوى عن غيه وتاب الى الله، واخذ يقول في نفسه: "واويلي اذا كانت امي وقرينتي قد جرأتا مني في هذا العالم، ترى كم يكون شديداً غضب الله عليَّ في العالم العتيد اذ اني استبدلتُهُ بالمخلوقات، وكم يكون صارما قصاصهُ لي في هذا

العالم" قال هذا وهرول الى سرادقه وفتح الكتاب المقدّس وأخذ يقرأ فيه متأملاً في معانيه، فلم يزدَدْ في القراءة نظراً الا ازداد مرارةً وندامةً فقال في نفسه: "يا نفسي أين انت، وأين انتَ يا جسدي؟ اذا كانت الام التي ولدتني حزينةً كئيبةً بهذا المقدار على هلاك نفسي، وقرينتي قد تفتت كبدها حزناً على ما أصابني من العار في هذا العالم، وأحبائي وأصدقائي قد انقبضت افئدتهم خجلاً مما اعتراني من الجنون في سجودي للشمس ترى كم يكون مصرعي شديداً انا الذي استبدلتُ الحق بالباطل في يوم الدينونة لما يجازي الله الاشرار على خلابتهم ومكرهم، ويكافئ الصالحين على صدقهم وحسن خدمتهم، فاحتيالاً لنجاتي علمتُ ما الواجب عليَّ عملهُ، لأُكثرنّ من الدق على الباب الذي خرجت منهُ، وللحال يفتحهُ لي الذين في الدار".

ولما كان يخاطب نفسهُ بهذه الأُمور سمع بعض من المجوس اقوالهُ، ورأوهُ يقرأ الكتاب، فاتصل الخبر بالملك، فأمر من ساعته بإحضاره، فلما دخل عليه، قال لهُ مغضباً: "أأنت نصراني؟" قال: "نعم انا نصراني" فقال لهُ وقد اشتد غضبهُ: "أفما كنت انت مجوسياً؟" قال: "لا" قال الملك: "او ليس من اجل تمجسك قد اكرمك ابي الكرامة كلها وأجزل لك العطايا والهدايا؟" قال القدّيس: "واين هو الذي نلتُ منهُ الكرامة؟" فقال لهُ الملك وقد استشاط غضباً وفار كالنار شواظاً ولهباً وتفكر أن يُذيقهُ ضروب العذابات: "لا تظن يا منكود الحظ انك مثل سائر العصاة تُقتل قتلاً كيفما كان بل لأُذيقنك من العذابات أمرها ومن القتلات شرها" فأجابهُ القديس بشجاعةٍ لامزيد عليها: "لا تُتعِبن نفسك ياسيدي الملك بكثرة التهديدات والتخويفات التي لا اكترِث لها البتة، فإني كالصخرة الثابتة التي لا تقدر الرياح الشديدة ان تزعزعها" الملك: "تأمل وانظر انّ بَني مذهبك في أيام

آبائي لكونهم خالفوا اوامر الملوك ايضاً تجرعوا غصص المرائر والعذابات فالقتل" قال القديس: "إنّ ما اطلبهُ دائماً من الله بلا ملل هو ان اموت انا ايضاً مثلهم وتكون عاقبتي مثل عاقبتهم" الملك: "لا تناهضني يا غليظ القلب" الشهيد: "انّ الذي يموت هذه الميتة كالرجل الذي ينعس فيستيقظ" الملك: "لا يضلنك النصارى بقولهم لك: انّ الموت كالنعاس فلا تخف، ها انّ الملوك والسلاطين أنفسهم يخافونهُ" الشهيد: "انّ الملوك والسلاطين وجميع الذين لا يعبدون الله ترتعد دائماً فرائصهم خوفاً من الموت لانهم يعرفون ما ارتكبوهُ من السيئات، ومسطور في كتبنا: مات الكافر وهلك رجاؤُهُ، ورجاء الأشرار يهلك" الملك: "شأنكم عجيب ايها النصارى الابطال، انكم تظنوننا كفرة انتم الذين لا تقرون بالآلهة ولا تسجدون للشمس والقمر والنار والماء الذين هم اولاد الله" القدّيس: "لستُ ألومك ايها الملك، لأنهُ مسطور في كتبنا عن الذين يسوموننا الموت ما نصهُ وتاتي ساعة فيها يظن كل من يقتلكم أنهُ يقرب قرباناً لله عز وجلّ وبقولي هذا لستُ أُقر ايها الملك أنكم بتقتيلنا تعبدون الله تعالى، لا لعمري، بل انكم لكونكم ضالين تالين تظنون انكم وحدكم تعرفون الله عزَّ وجل، وكيف لا وانتم تسجدون للمخلوقات العادمة النطق وتغيظون الحق الذي خلقكم واعطاكم المُلك والسلطنة".

فلما قال هذا غضب الملك غضباً شديداً وكانت نار الغيظ تحرق أحشاءَهُ، فأمر الفقهاء من المجوس ان يحكموا هم عليه باشنع قتلة، لأنهُ ناهض الملك فاجتمع الفقهاء وتشاوروا فيما بينهم في أمره، فقام احدهم وكان شرس الأخلاق وقال: "رأيي ان لا يموت هذا الكافر ميتةً واحدة او خمس ميتات او عشر ميتات بل ان تُقطع اصابع يديه ورجليه واحدةً بعد واحدة ثم

يداهُ ورجلاهُ، ثم ساقاهُ وذراعاهُ، ثمّ يُجز رأسهُ" فاستحسنوا جميعاً رأيه هذا، وأسرعوا بالقدّيس الى محل العذاب، ففشا الحديث في الأرض بقتل مار يعقوب، فتقفاهُ الجيش وتقاطرت كل المدينة، وكثير من النصارى خروا ساجدين على وجوههم لله تعالى يصلون متخشعين ويبكون قائلين: "ايها الربّ القدير انتَ الذي يقوي المتضايقين ويسلي الحزانى ويشجع الضعفاء ويخلص الهالكين نسألك ان تسرع الى إغاثة عبدِك يعقوب فتقويهُ وتشجعهُ وتنصرهُ على أعدائهِ حتى يخرج من هذا الجهاد المخيف غانماً راضياً، لك ياربّ تحق الغلبة ايها المسيح مخلص العالمين".

وحالما بلغ مار يعقوب محل العذاب طلب الى قاتليهِ أن يمهلوهُ قليلاً ريثما يصلي الى الله الذي من اجلهِ كان مزمعاً ان يتألم، والتفت الى المشرق وجثا على ركبتيهِ، ورفع بصرهُ الى السماء وصلى قائلاً: "اسمع ياربّ صلاة عبدك يعقوب الضعيف، واعطِ عبدك قوّتك في هذه الساعة المخيفة، وخلِص ابن أمتك الذي يدعوك الآن من كل قلبهِ، وانظر اليَّ وارحمني، واصنع معي علامةً صالحة لاكون رفيقاً لجميع الذين من اجل اسمك اضطُهدوا، لأنك انتَ يا ربّ أعَنتني وعزّيتني" (مزمور:٨٥:١٦) وحالما فرغ من صلاتهِ دنا منهُ الجلادون، ومددوهُ على الأرض وقالوا لهُ: "انظر ماذا تعمل، فإنهُ لا بُد من تقطيع أعضاء جسدك واحداً واحداً فها اننا نُقطع اولاً اصابع يديك ورجليك، ثم ذراعيك ثم ساقيك ثم راسك فانظر وفكر في امرك...اي من هذين الأمرين اوفق لك، أأن تقول كلمةً فتخلص ام ان تعمل بإرادتك فتموت تسعاً وعشرين ميتةً" والذين وُجِدوا هناك من الأعوان كانوا يبكون بكاءً مراً نائحين على حُسن منظره ورشاقة قدهِ، فقالوا لهُ جميعاً عن بواءٍ واحد: "لا تترك نفسك تذهب تلفاً، بل اذعن للملك فتخلص ثم ارجع ايضاً الى ديانتك"

ففتح القديس فاهُ وقال: "لاتبكوا عليَّ، بل على انفسكم ابكوا، لأنهُ من اجل انكم مرتاحون في هذا العالم سترثون العذاب الأبدي، وليس انتم وحدكم فقط تتدهورون في جهنم بل الخلائق ايضاً التي تسجدون لها، واما انا فهذا القتل يصير لي اجنحةً اطير بها الى السماء، وتقطيع اعضائي يزيد اجري، لانّ كل انسان بموجب اعمالهِ ينال اجرهُ من الله العادل" فلما قال هذا تقدَّم امين الملك الى الجلادين واوعز اليهم ان يبتدئوا بتقطيع اصابع يديه.

فأخذ الجلادون يقصون اصابع يده اليمنى، فقطعوا الإبهام، فقال القدّيس: "يا مخلص العالم اقبل برحمتك غُصنة الشجرة لأنها وان قُطعت بأيادي العاضدين فيأتي نيسان وفيهِ تنبت فتتكلل" وكان أمين الملك يبكي بكاءً مراً ويقول للقدّيس: "حسبك وكفاك قطع واحدة من اصابعك، إن اردتَ شُفَيت بالأدوية، فاياك أن تكون سبباً لتمزيق جسدك المُدلّل المُنعَّم، وان اردت خلصتَ نفسك بالصدقة، فإنّ لك أموالاً كثيرة وفيرة وتقدر ان تقوم باود الفقراء، فاحبب فقط الحيوة واكره الموت" فقال لهُ القدّيس: "تعلم المثل من الكرمة كيف تُعضد اوراقها فتبقى عاريةً شتاءً، فاذا اتى نيسان تلين أغصانها وتخرج اوراقها فتنضر اكثر مما كانت عليهِ سابقاً، فاذا كان للكرمة هذه التقلبات ترى كم يكون أولى للانسان المؤمن المغروس في كرم الحق ان ينبت ويَرفَ على يد الله الغارس الحق" ثم قطعوا السبَّابة فصرخ قائلاً: "ابتهج قلبي بالربّ وتهلّلت روحي بخلاصهِ" واستتلى كلامهُ قائلاً: "اقبل يا ربّ الغصنة الثانية من الشجرة التي غُرست بأمرك" وكان وجههُ يتهلل فرحاً ويتبسَّم، فكأني بهِ وقد تبصر بمجد ربهِ ثم قطعوا اصبعهُ الوسطى، فهتف قائلاً: "مع الثلاثة الذين في أتون النار اعترف لك يا ربّ من كل قلبي، وفي زمرة جميع الشهداء ارتل لاسمك العالي" (مزمور٩:٣) ثم

قطعوا البنصرِ، فقال: "ان الله رزق يعقوب اثني عشر ولداً، وعلى الرابع منهم حلت بركة المسيح الملك، فأنا ايضاً بالغصنة الرابعة اعترف للذي ببركته صار الخلاص لجميع الأُمم" ثم قطعوا الخنصر، فملأ فمهُ مجداً ونظر الى يدهِ المقطوعة الأصابع فقال: "اقدم هذه خمس ثمرات يدي اليمنى التي هي غصنة من غصنات شجرتي قرباناً لغارس الشجرة".

ثم استعد الجلادون لتقطيع اصابع يده اليُسرى، فقيل لهُ: "ماذا تقول؟ فإِن شئت خلصت وحييت، فإِن كثيراً من الناس مقطوعة يدهم وهم عائشون على الأرض متنعمين، فاشفق على نفسك ولا تحملنا ان نقطع سائر اعضاء جسدك، وتفكر انّ تقطيع كل منها موت احمر لك" فقال لهم القديس: "قولوا لي: لما يجز الجزاز صوف الخروف أيجز الجنب الأيسر فيترك الجنب الأيمن ام يقص الجزة كلها فإِن كان الخروف من جراء الصوف الزائل هذا حالهُ، وذلك لئلا يحقر الخروف وينقر ولا يخلي الجزاز عن صنعتهِ فكم بي ألعلكم تحسبون اني أرضى ان اتغافل عن تسبيح الله الذي جعلني خروفاً لهُ ووضعني في قطيعهِ، واهلني ان ادنو من جزازين شبيهين بالذين صلبوا حملَ الله الذي من اجلهِ تعالى أُذاق انا هذهِ ضروب الميتات المرة".

فلما قال هذا تهرع اليهِ الجلادون وأخذوا يقطعون أصابع يده اليسرى، وقطعوا أولاً الخنصرِ، فقال بفرح: "اني صغير امامك ايها الاله العظيم الذي صغر ذاتهُ فعظم الوفاً من الصغراء مثلي بتقديم نفسهِ ذبيحةً عن كل العالم، لاجل هذا بفرح أسلم بيدك نفسي وجسدي الذي سوف تقومهُ بزمانه" ثم قطعوا البنصرِ، فتضرم بنار المحبة الالهية فقال: "سبع مرات اسبحك بالاصبع السابعة يا الله الآب والابن وروح القدس" ثم قطعوا اصبعهُ الثامنة، فقال: "في اليوم الثامن يُختَن العبراني ليتميز من الغُرْل، وانا عبدك ايضاً

ينفصل قلبي وفكري عن هؤلاء الغُرل الأدناس، واليك فقط تتوق نفسي يا الله متى اجيء وأرى وجهك" (مزمور٤٢:٣) ثم قطعوا اصبعهُ التاسعة، ففتح فاهُ وقال: "انتَ يا ربّ في الساعة التاسعة كنتَ ممدوداً على خشبة الصليب من جراء خطايانا، والآن انا ايضاً بالاصبع التاسعة اعترف لك يايسوع لانك أهلتني ان أُمَد وتُعضَد غصنات جسدي من اجل اسمك" ثم قطعوا الاصبع العاشرة، فقال: "بحرف يوذ يُحسَب كل حساب، وبهِ تُحسب الأُلوف والربوات، وبواسطة يسوع صار الخلاص للعالم بأسره، لاجل هذا انا الصغير بمزمار ذي عشرة أوتار أرتل ترتيلاً للذي أهلني ان أُذبح من اجله، وعوض اوتار امعاء الغنم باوتار عودي المقطَّعة اسبحهُ وادق حسناً بتهليل" (مزمور٣٢:٢٢).

فقال لهُ الجلادون: "اذا شئت حَييتَ وان كانت قُطعت عشر من اصابعك، لأنهُ يوجد أطباء ماهرون يشفونك بكل سهولة... ألا امتثل امر الملك فلا تموت... هلا تشفق على جسدك هذا اللطيف، لِمَ تصير سبباً لهلاكهِ، انك صاحب ثروة جزيلة فيمكنك ان تنال الشفاء فتتنعَّم في هذا العالم، فلو كنت فقيراً لحقَّ لك ان تتفكر قائلاً: اصابع يديَّ مقطَّعة فماذا استفيد من العالم، اذ لا قوة لي ان اشتغل فاقتات. لكننا نعلم انك غني كثيراً، ويمكنك ان تقتات بسهولةٍ كل ايام حياتك وتفرح بقرينتك، وهي الآن في ارض الأهواز، وانت في ارض بابل، فقل كلمةً واحدة ونج نفسك فتتهلل قلوب اصحابك بالحبور" فنظر اليهم القديس وقال: "ما من احد يضع يده على المحراث وينظر الى ورائه يكون صالحاً لملكوت الله (لوقا٩:٦٢) ألعل الأم والامرأة أحسن لي من الله الذي قال من اهلك نفسهُ من اجلي وجدها (متى١٠:٣٩) وكل من يترك اباهُ وامهُ واخوتهُ وكل ما يحب اشب لهُ الحيوة الابدية فيستريح الى

الابد، ولكن على مَ كثرة الاقوال التي من شانها ان تضرني انا وتعثركم انتم، فتعالوا وافعلوا بي ما أُمرتم بهِ ولا تشفقوا".

فدنوا حينئذٍ من رجلهِ اليمنى، وقطعوا اولاً الإبهام، ففتح فاهُ فقال: "المجد لك يا الله الذي لبس جسدنا وطُعن بحربة، فخرج دم وماء من جنبهِ، فاصطبغت بهما رجلهُ، وانا عبدك ايضاً بطيبة الخاطر اقبل ان أتالم ويجري الدم من جسمي بتقطيع اصابع يدي ورجلي" ثم قطعوا اصبعهُ الثانية فقال: "ذا النهار اسعد لي من جميع ايام حياتي لاني قبل دخولي في هذا الجهاد كنتُ اسبح الله وانا منهمك في افكار العالم والاموال المضلة، فكم من مرة تغافلتُ عن الصلوة من جراء تعلقي بمحبة العالم، ولما كنتُ أُصلي كنتُ كمن لا يصلي، كان جسدي بالبيعة وافكاري تصعد الى الجبال وتنزل الى البقاع (مزمور ١:١:٣:٨) واما اليوم فأشَحتُ وجهي عن العالم وعن كل ما فيهِ قاصداً العالم العتيد، وبتقطيع كل عضو من أعضائي ارتل ترتيل المجد للذي أهلني أن أتألم من اجلهِ" ثم قطعوا اصبعهُ الثالثة والقوها امامهُ، فضحك وقال: "اتبعي انتِ ايضاً رفيقاتك ولا تحزني، فانهُ كما ان الحنطة تقع في الأرض فتاتي في نيسان بحنطة أُخرى كثيرة كذلك انتِ ايضاً بلحظة عين تنضمين الى رفيقاتكِ في يوم القيامة" ثم قطعوا اصبعهِ الرابعة، فقال لنفسه: "لماذا تحزنين يا نفسي ولماذا تقلقين فيَّ؟ ارتجي بالله فاني اعود اشكرهُ، خلاصَ وجهي وآلهي" (مزمور٤٢:٥) ثم قطعوا اصبعهُ الخامسة فاخذ يقول: "الآن طفقتُ أُناجي الله الذي سُرَّ بي فأهلني لهذا الجهاد الذي لم أر نظيرهُ وتواني ان أقوم عليهِ" ثم أقبلوا على رجلهِ اليسرى وقطعوا الخنصر فقال: "ايتها الاصبع الصغرى لست انتِ بصغرى فإن الصغرى والكبرى عديلتان اذا كان شعرة واحدة من شعر الراس لا تضيع فكم انتِ

أحرى ألا تضيعي" ثم قطعوا البنصر، ففاض قلبهُ فرحاً وقال: "اهدموا بيتاً خرباً، لأنهُ سوف يقام على طرز أحسن وأجمل" ثم قطعوا الوسطى. فقال لهم: "انّ السندان لما يُضرب يؤدَّب تأديباً وهو لا يتألمَّ" ثم قطعوا الاصبع الرابعة، فقال: "آلهي صخرتي بكَ احتمي فقوني" (مزمور١٧:٣) ثم قطعوا الاصبع الخامسة فهتف قائلاً: "احكم لي يا الله وخاصم لدعواي مع امة غير رحيمة (مزمور٤٢:١) مع انني مقتول عشرين قتلة لا تشفق الذئاب الضارية على جبلتك" وكان الشبان يسألون من الشيوخ: "أوُجِدَ في أيامكم أم في ايام ابائكم من قاسى عذابات شديدة مخيفة مثل هذهِ؟" ثم ازداد شجاعةً وقال للجلادين: "ما بالكم قياماً بطالين، بضعوا الشجرة واغصانها ولا ترق قلوبكم، فانّ قلبي تهلل بالرب، ونفسي ارتفعت الى السماء عند الذي يحب المتواضعين".

فدنا منهُ الجلادون وهم يتلظون غيظاً وحنقاً، وقطعوا رجلهُ اليمنى، فقال لهم القدّيس: "كل عضو تقطعونهُ من جسدي يُقرب قرباناً لله تعالى" ثم قطعوا رجلهُ اليُسرى، فقال: "استجب لي يا ربّ فإنك طيب صالح وكثير الرحمة لجميع المستغيثين بك" (مزمور٨٥:٥) ثم قطعوا يدهُ اليمنى فصرخ قائلاً: "انّ نعمتك عظيمة عليَّ وقد نجيتَ نفسي من الجحيم السفلى" (مزمور٨٥:١٣) ثم قطعوا يدهُ اليُسرى، فقال: "هوذا للاموات تُصنع العجائب" (مزمور٨٧:١١) ثم قطعوا ذراعهُ اليمنى فقال: "أُغني للربّ في حياتي، وارتل لآلهي ما دمتُ موجوداً، فليلذ لهُ إنشادي وانا أفرح بالربّ" (مزمور١٠٣:٣٣) ثم قطعوا ذراعهُ اليُسرى، فقال: "من الآن يرتفع رأسي على اعدائي الذين احتاطوا بي (مزمور ٢٦:٦) قوتي وأُغنيتي الربّ وهو صار لي خلاصاً" (١١٧:١٤) ثم اقبلوا على ساقه اليمنى فقطعوها، فأحس

بألمٍ شديد فدعا الربّ وقال: "ايها الربّ يسوع المسيح هلم الى معونتي وخلصني لأنَّ اوجاع الموت أحدقت بي" فقال لهُ الجلادون: "أما سبَقنا وقلنا لك انّ الضيقة التي تكتنفك شديدة مُرة" قال لهم القديس: "كلما ازددتُ ألماً ازداد أجري عند الله" وفيما كان الجلادون قد عَيُوا من تقطيع اعضائه ومن إلقائها على الارض كان القدّيس يزداد اضطراماً واشتداداً بمحبة الله، واضطُروا اخيراً الى قطع ساقهُ اليسرى ايضاً.

وكان القدّيس مُلقى على القاع، وكانت جميع اعضائهِ مقطّعة، ولم يبقَ منها سوى الراس والصدر والبطن، كأنهُ الإذخِر الطيب الرائحة المستعضد الأغصان لم يبقَ منهُ سوى الراس لا غير، فكان الجسد المقدّس مطروحاً على الأرض مصبوغاً بالدم وكان نصفهُ ميتاً ونصفهُ حياً، فبعد ان لزم القديس السكوت برهةً من الزمان فتح فاهُ وقال: "ايها الربّ الرحوم الشفوق، اسمع صلاتي واقبل طلبتي، ها إني مطروح، وأعضائي مُقطّعة ومُنزَّعة عني نصفي مُلقىً لا حركة فيهِ البتَّة، ليس لي يارب أصابع بها أُصلي اليك ولم يترك لي مضطهدي يداً امدها اليك، رجلاي مُقطعتان وركبتا مجثوثتان، وذراعاي مخربقتان، وفخذاي مكسرتان، والان انا مطروح امامك كبيتٍ مهدوم لم يُترك منهُ سوى جدار قليل، اطلب اليك ياربّ ان تخرج نفسي من السجن لكي اعترف لاسمك، وأحِل الامن على شعبك المضطهَد، واجمع بالسلام شملهم، لانّهم قد تبددوا في كل قطر ومصر، وانا عبدك الصغير اعترف لك واسبحك وارتل لك مع جميع شهداء الغرب والشرق والشمال والجنوب، لك ياربّ ولمسيحك ولروحك القدّوس يليق المجد والشكر الى ابد الابدين آمين" فحالما قال آمين اسرع اليهِ واحد من الجلادين وقطع راسهُ بالسكين فانتقل الى ربهِ.

وكان جهاد القدّيس سنة ٤٢٢ في يوم الجمعة في السابع والعشرين من تشرين تشرين الثاني، وفيه يمسك الكلدان تذكارهُ وانّ بعضاً من النصارى جمعوا فضةً غير يسيرة واعطوها للجلادين حتى يعطوهم الجثة، فلم يقبلوا، فلما جن الليل أتوا وسرقوها، وجمعوا الأعضاء المقطعة وكانت تسعة وعشرين مع الرأس، ووضعوها مع الجثّة في وعاء، وكان الدم يجري منها وينقط على الأرض ويقول كاتب القصّة وهو مجهول الاسم: (ونحن معشر المؤمنين اخذنا نقول بهدؤ المزمور الحادي والخمسين الذي مبدأُهُ ارحمني يا الله كمثل نعمتك، واذا بنار نزلت واحاطت بالوعاء فلفحت الدم وما كان ثَمّ من الحشيش والتراب حتى احمّرت اعضاء القدّيس وصارت كالورد اليانع فخررنا كلنا على وجوهنا خائفين راجفين، واستذرينا جميعاً بصلوات القدّيس شاكرين المسيح الذي نصرهُ على أعدائه وأهلنا نحن لهذه الرؤيا السماوية، ثم اخذنا جثتهُ وقبرناها باكرام وتبجيل).

وذكر مار يعقوب عند الكلدان والسريان في السابع والعشرين من تشرين الأول.



٢- مار مهارشابور[١] الشهيد

(١٠ تشرين الاول سنة ٤٢٢)

انّ هذا القدّيس كان ذا حسب ونسب، وكان فاضلاً تقياً حسن الأوصاف والشمائل كريم الاعطاف والفضائل فهاج عليهِ المجوس ووشوا بهِ عند الملك فاستشاط غضباً وأمر بهِ فكُبل بالقيود وأُلقي في سجن مظلم. وبعد ان بقي فيهِ ثلاث سنوات وهو يقاسي أمَر العذابات بصبر عجيب، اثار الملك ورهاران اضطهاداً شديداً على جميع النصارى الذين تحت حكمه، وكان ذلك سنة ٤٢١، وحينئذٍ أُخرج القديس مهرشابور من السجن وأُحضِرَ الى هرمزداور الحاكم ليحملهُ على السجود للشمس ولما مثل بين يديهِ لم يعرفهُ في اول الامر لانّ لونهُ كان قد تغيرَ من شدة ما كان أصَابَهُ في الحبس من الضربات والضيقات، فسألهُ الحاكم قائلاً: "كيف تراني أقادر انا ان أُسيء اليك ام لا، أما تدري أني ان اردتُ احسنتُ اليك فأطلقتك، والا انزلتُ بك النكال بتباريح العذاب فقتلتُك" فقال القدّيس: "الأمر الذي يُحزنني ليس أنّك تذيقني العذابات، لأني انما بها سأرِث الحيوة الابدية وهي فخر لي، بل اني حزين كئيب لأنّ الذي يحكم عليَّ ويدينني حقير دني لا يعادلني حسباً ونسباً لكن لا تتأخر عن الإِساءة اليَّ، لأنك إِنما عبد خاضع ولست بمولى، واما انا فليس لي مولى على الارض، بل سيدي في السماء، ومن اجل اسمه أُقاسي هذه العذابات، وإِن الملك اذا أمرَ بما لا يضرني فبطيبةٍ أَجري اوامرهُ، ولكن اذا أمر بما يضر بحياتي فلا انقاد لهُ البتة، فاصنع اذاً ما

١- كلمة فارسية مركبة من مهرَ اي محبة وهو ايضاً عندهم اسم ملاك دابهُ ان يزرع المحبة فيما بين الناس ومن شابور واصل معناهُ ابن السلطان.

أُمِرتَ بهِ ولا تتأخر، لان ليس من شانك ان تُحسن بل ان تسيء، واما انا فالربّ ملاذي، لاجل هذا لستُ اتخوف في ايام السوء... الربّ يعينني وانا سأُبصر باعدائي".

فلما قال هذا غضب عليهِ هرمزداور غضباً شديداً وامر بهِ فأُلقي في جب مظلم، واطبقوا الجب عليهِ وختموهُ، ووضعوا عليهِ حراساً يحرسونهُ، ومكث القدّيس في الجب من غرة آب الى العاشر من شهر تشرين الاول وهو يتجشم عذاب الجوع والعطش وحينئذٍ أمر الحاكم الحراس ان يفتحوا الجب ليروا ماذا صار من امرهِ، ففتحوهُ واذا هو مملوء نوراً ساطعاً، والشهيد جاثٍ على ركبتيهِ يصلي، فاستغربوا ذلك وبقوا مبهوتين يتعجبون من انّ القديس نجا طول هذه المدة من انياب التنين الذي كان في الجب، وكان قد افترس قبلاً كثيرين اما الشهيد فكان مائتاً حقاً وهم يحبسونهُ حياً يصلي، ثم انهم لما ايقنوا انهُ ميت هرعوا الى الحاكم واخبروهُ بكل ما عاينوا، وكان استشهاد القدّيس في اليوم العاشر من شهر تشرين الاول في يوم السبت.



٣- مار سابوخت الشهيد

لم نعثر على سيرة هذا الشهيد الجليل، وكلّ ما نعرف من اخبارهِ انّ كاتب قصّة مار مهرشابور الشهيد يقول: "ان هرمزداور الحاكم كان قد قتَل في سبب الايمان المسيحيّ رفيقين لمهرشابور وهما نرساي وسابوخت".



٤- جهاد يعقوب كاتب ورهاران الملك

(نحو سنة ٤٢٢)

كان هذا القدّيس من مدينة الرها، وكان على باب الملك ورهاران، وجعلهُ الملك من كتابه ولما بلغهُ انهُ نصراني قبض عليه وعلى خمسة عشر من كتابه وصار يكرههم على نبذ الديانة النصرانية والسجود للنار والشمس وكان مار يعقوب حينئذٍ في العشرين من عمرهِ، ولما لم يطيعوا أُخذت منهم جميع أموالهم وخُتِمَت بيوتهم واصدِر عليهم الأمر بان يسوسوا الأفيال الشتاء كلهُ، ولما حان الزمان الذي فيهِ كان يخرج الملك كل سنة الى البلاد الباردة أُمرُوا ان يتركوا الفيلة ويمهدوا الطريق قدام الملك، واستلموا فؤوساً، فكانوا يقطعون الأشجار ويقلعون الأحجار، ومكثوا على هذه الحالة ستة أشهر، وكان الملك يقول لهم مراراً: "لماذا رذلتم ما كان لكم من الكرامة فأحببتم هذا الهوان" فكانوا يقولون: "كل ما يأمرنا بهِ ملكنا الجليل لإكرامٌ لنا، غير انهُ لا يسوغ لنا ان ننبذ ديانتنا".

ثم انهُ أتى الخريف، فرجع الملك ليشتو بالمدائن كجاري عادتهِ، فلما بلغوا جبال لاشفار دخل ميهرشابور الحاكم على الملك، وقال لهُ: "اذا بقي هؤلاء الكتاب في قيد الحيوة فكثيرون هم الذين ينظرون اليهم فيتشجعون ويحذون حذوهم" قال الملك: "حسبهم ما سُمناهم من العذاب والهوان، فانّ اموالهم مأخوذة وبيوتهم مختومة وهم الآن في حالة يرثى لها" قال ميهرشابور: "اذاً امرتَني، فانا دون الضربات والقتل اجعلهم يكفرون بديانتهم" فقال لهُ: "دونك ذلك" فقام ميهرشابور وأحضرهم اليه وسلَّم كل واحد منهم بيد جندي، وولى امرهم واحدا من الأشراف، فأمر هذا ان ينزعوا عنهم ثيابهم

وأحذيتهم ويربطوا اياديهم من الوراء فيذهبوا بهم الليل كلهُ في الجبل مُضلين اياهم في غير مسلك ولا طريق ففعلوا ولما اصبحت أمر بهم المجوسي فساقوهم وهم مكبَّلون بالقيود وعراة، ولم يقدموا لهم من الخبز والماء الا ما يسد رمقهم، ومر عليهم سبعة ايام وهم في حالة يرثى لها من قر الليل وحر النهار والجوع الشديد والعطش المذيب، وسُلخ جلد ارجلهم، فضعفت اجسامهم، وخارت قواهم وامتُقع لونهم حتى أمسوا كالأخيلة يظنهم الناظر أمواتاً لا احياء فدعا ميهرشابور الأمينَ الذي كان ولاهُ أمرَهم وقال لهُ: "اذهب قُل لهم: انّ الملك أمرنا ان نخلي سبيلكم اذا ما سجدتم للنار والشمس، والا فَلَنَرْبطنَّ ارجلكم بالحبال ونسحبنْكم على الحجارة والصخور في الجبل الى ان تتسلَّخ جلودكم ولحمانكم من عظامكم، فلا تبقى الا العراقيب معلقة بالحبال" فنقل اليهم الأمين هذا الكلام، وكان بعضهم قد أُغمي عليهم من شدة ما اصابهم من العذابات القادحة، فجاوب الأُخر قائلين بصوتٍ ضعيف: "اننا نمتثل امر الملك" فحينئذٍ حُلت قيودهم ثم اتو بدوابّ فحملوهم عليها وانطلقوا بهم الى ساليق حيث كان يشتو الملك ولما نالوا الشفاء انقطعوا للصوم والصلوة باكين على خطيتهم.

وانّ يعقوب الذي كلامنا عليهِ، مع انهُ كان حديث السن كان شديد التحمس في الديانة ممارساً لمقتضياتها، وكان لا يزال يدخل خفيةً على الاساقفة الذين كانوا اجتمعوا على باب الملك في الاضطهاد الذي اثارهُ ورهاران الملك على النصارى، فيخبرهم بما كان للملك من الآراء في النصارى وكان يقويهم ويشجعهم باقواله فكان الاساقفة يَودونهُ كثيراً ويكرمونهُ لِمَا كانوا يرون فيهِ من الايمان الثابت والفضائل الجليلة فلما قُبض عليهِ ونُكل بهِ شديداً كما مر القول كان يتجرع بفرحٍ شديد وسرور عظيم غصص المرائر والعذابات، ولما

سُئِلَ رفاقهُ: "أتمتثلون امر الملك؟" وجاوبوا أنهم ينقادون لـهُ لم يكـن هـو ممن قالوا ذلك فانهُ كان في حالة من العذاب الاليم والجوع الشديد فلما اتـى المدائن تدثر بالمسح والرماد وانعكف على الصوم والصلوة والبكاء، وكان الرهبان ياتونهُ في كل حين حتى انّ مسكنهُ صار كنيسةً.

فذات يومٍ دخل الشيطان قلب واحدٍ من عبيدهِ، فذهب وسعى بهِ عند حاكم المدائن قائلاً: "إنّ يعقوب لم ينبذ ديانتهُ وهو مدثرٌ بالمسح والرماد ومواظب على الصوم والصلوة، والنصارى لا ينقطعون من الدخول عليه" فلما سمع الحاكم هذا الكلام أُغين على قلبهِ وجاشت في صدره عوامل الغيظ، فدعا يعقوب ورفاقهُ، فسأل اولاً رفاق يعقوب وحدهم قائلاً: "أما رفضتم ديانتكم وامتثلتم امر الملك؟" قالوا: "إنّنا اهلكنا أنفسنا مرة، فماذا تريدون منا، أتروم ان تحملنا مرةً ثانيةً على نبذ ديانتنا؟" فعندها خلّى سبيلهم، فانطلقوا الى بيوتهم، ثم احضر اليهِ يعقوب وقال لهُ: "أما كفرتَ انت بديانة النصارى؟" قال: "كلا، اني لم اكفر بالمسيح، وحاشاي ان انبذ ايمان النصارى، وهذا الايمان هو حياتي، وانما بهِ تربى والدي، وبهِ حيينا" فاستشاط الحاكم غضباً وامر بان يربطوا يديهِ وراء ظهرهِ، ففعلوا، واخذوا يضربون على وجههِ وعلى قذالهِ بقساوة لا مزيد عليها حتى ان قذالهُ تورم تورماً شديداً فقال لهُ المجوسي: "اكفر بإلهك الذي لايمد اليك يد المساعدة واسجد للشمس" وكانت السماء في ذلك اليوم مجللةً بالغيوم، والمطر يقع مدراراً فقال القديس للحاكم: "أرني ايها الكافر الفاجر العديم البصيرة اين هي الشمس لأسجد لها؟" قال: "واين هو الإله الذي انت تسجد لهُ؟" قال: "لستَ اهلاً ان تسمع اين هو آلهي، ولكن لكي لا تظنني جاهلاً اقول لك باقوال وجيزة انّ آلهي موجود في كل مكان، ويظهر لنا في كل حين

واوان في اعماله واحساناته وتدابيره الالهية، وهو ساكن في قلوب خائفيه" قال الحاكم: "اضرب صفحاً عن هذه الالفاظ التي لا تخصنا، وحيث انك لا تسجد محتجاً بكونها مغطاة بالسحاب فاسجد للنار التي امامنا" وكان امامهم كانونٌ فيه نار، فقال لهُ القديس: "أوعزْ ان تؤخذ النار فتوضع قدام المطر، فان كان المطر لأيطفئها فسَلِمتَ ولم تمت فيسوغ السجود لها، والا فحيث انّ الشمس يغطيها السحاب، والنار يطفئها الماء فانما لخدمتنا خلقهما الله تعالى" قال الحاكم: "انك تُهين الملك الذي يسجد لهما ويعبدهما" قال: "كان الواجب على الملك ان لايسجد الا لله الذي اعطاهُ التاج والمُلك".

فحينئذٍ دخل الحاكم على الملك واطلعهُ على أمر مار يعقوب وعلى كل ما قال، فغضب الملك غضباً شديداً وامر بإحضاره، فلما مثُل بين يديه قال لهُ: "يا شقي أما نبذتَ انت الديانة التصرانية؟" قال: "لم انبذ ابداً دیانتي الحقيقية، فللمسيح وحدهُ اسجد واياهُ اعبد، وكالشهم أعدَدتُ وأُعِد ذاتي هدفاً لسهام العذاب ثقةً بما اعِد لي من النعيم الابدي" قال الملك: "ان لم تخضع طوعاً أكرهتُك بالتعاذيب قسراً حتى تكفر بديانتك" قال القدّيس: "إِن أذِن لي سيّدي الملك فَلي كلمة اقولها لهُ" قال الملك: "قل" فقال: "إِنّ أباك يزدجرد دبر ملكهُ بالسلام احدى وعشرين سنة، وظهر مهيباً لدى جميع اعدائهِ، وذلك لانهُ اكرم النصارى وبنى الكنائس، وصار الأهالي معهُ في سعة فعظمت شوكتهُ اخيراً لما اشتد الشدة على النصارى وآذاهم وسفك دماءهم عاقبهُ الله عقاباً شديداً وانت تعلم جيداً ياسيدي الملك ايَّ ميتة وبيلة مات ابوك فحُرم الدفنة فاياك ايها الملك الجليل ان تسلك مسلك ابيك والا فتكون عاقبتك وخيمة" فصاح الملك والغيظ بلغ منهُ حدَّهُ: "امرتُ ان يُقتل هذا الشقي تسع قتلات" ثم كتب الامر وسلمهُ الى واحد من أُمنائهِ

واثنين من المجوس وواحد من العظماء وقال لهم: "بموجب ما هو مكتوب في هذا القرطاس افعلوا بهذا الشقي الفاجر الذي تجرأ علينا".

فذهبوا به الى ساليق الخربة، فقالوا لهُ: "اذعن لنا واسجد للشمس ونحن نطلب من الملك فلا يقتلك" قال لهم القدّيس: "انَّ ما يُذيب قلبي اسفاً ليس فقط كونكم تقضون ايامكم في الشرور والسيئات بل تشيرون عليَّ ايضاً ان اشارككم في سيرتكم الرديئة، فأُهلك نفسي نظيركم لكن امضوا فيَّ أمر ملككم، فاني لستُ بمُنقاد لكم" فدنوا اليه وقطعوا أصابع يدَيه، وقالوا لهُ: "ألا تسجد الآن للشمس؟" قال: "ايها الضالون لما كان لي اصابع اكتب بها واشتغل بها لم اكفر بآلهي أفالآن اكفر به؟" ثم قطعوا اصابع رجليه ثمَّ يدَيه ورجلَيه وقالوا لهُ: "أفالآن ايضا ما تكفر؟" قال لهم: "خذوا يديَّ ورجليَّ، فبيديَّ صكوا وجه الملك وبرجليَّ صكوا ميهرشابور الحاكم الكافر" ثمّ قطعوا ذراعَيه وساقيه، وكان القدّيس فرحاً جذلا في وسط هذه العذابات الفادحة يشكر الله ويطلب منهُ المعونة، وكان الاعداء يزداد حقدهم عليه سعيرا، فأجلسوهُ وقالوا لهُ بلهجة الاستهزاء: "أتكفر يا يعقوب؟" ولم يكن من القدّيس الا انهُ رفع عينَيه الى السماء يشكر الله قائلاً: "احمدك ياربّ لانّك اهّلتني لهذه الحصّة الجيدة" قال هذا ودنوا منهُ، فجدعوا انفَهُ، وصلموا اذنَيه، ثم احتزوا راسَهُ، فطارت نفسهُ الى العلى.

ولما فاضت نفسهُ بادر الرهبان وخطفوا يديهِ ورجليهِ واصابعهُ فبقيت جثتهُ وراسهُ: وامر الحاكم بحراسة جثته لئلا يسرقها احد النصارى واراد ان تبقى فريسةً للكلاب والطيور والجوارح.

قال كاتب القصة وهو مجهول الاسم: (وحينئذٍ كنا نحن في المدينة لأننا كنا طردنا بامر الملك من المدينة التي كنا فيها، وكان في المدائن بعض التجار

من مدينة يعقوب الشهيد، فأتونا باكين وقالوا لنا: "انّ ميهرشابور امر بحراسة الجثة لتكون فريسةً للجارحة" وأعلموني انهم قد نووا ان يتَزيأوا بزيّ المجوس ويذهبوا الى الحراس ويقولوا لهم: "انّ ميهرشابور أوعز الينا ان ناتيكم بصفة الأُمناء من قبلهِ لئلا تبيعوا النصارى شيئاً من جثة هذا النصراني".

ثم انّ اربعة من اولئك التجار انطلقوا وقالوا للحراس: "ايانا أمنَ ميهرشابور ان نحرس الجثة" وقال لنا: "ان نذب عنها الكلاب لتبقى فريسةً للطيور" فأتت الكلاب والطيور الى الجثة، فرموا الكلاب بالحجارة فطارت الطيور ايضا فقال لهم الحراس: "ما هذا الذي تفعلون، انكم تطردون الطير والكلاب عن الجثة" قالوا: "نحن نفعل مثلما أُمرنا" فحرسوا الجثة حتى المساء، وحينئذٍ اعطوا الحراس عشرة دراهم من النقود، فدخلوا المدينة، واما التجار فلفوا الجثة والراس برداء ووضعوهما في مكان في الدير ثم بعد مرور ايام قليلة نقلوها في النهر الى مدينته وكانت امُ الشهيد قد ترملت منذ سنين كثيرة، وكان في نيتها ان تُرسل اليه فتجلبهُ عندها لتزوجهُ، ولم يكن قد بلغها خبر وفاته فدخل عليها الذين ذهبوا بجثة ابنها وقالوا لها: "انّ ابنك قد استشهد واتينا به" فقامت بشجاعة وسرور نظير شموني الشَجيعة، ولبست ثيابا بيضا، وبادرت الى صوماي اسقف المدينة التي كانت فيها ساكنة، ولم يكن قد اطلع هو على خبر وفاة يعقوب فلما رآها متشحة بالثياب البيض تعجَب وقال لها: "ماذا اصابك فإني لم اراك لابسة لباساً ابيض" قالت: "اليس من الواجب عليَّ ان ألبس ثياباً بيضاً في عرس ابني يعقوب؟" قال: "انّ يعقوب لم يات بعد، أعرساً عملت لهُ؟" قالت: "قم اخرج وانظر الى يعقوب فإنّ عرسهُ أحسن الأعراس العالمية" ثم انطلقت

بالأسقف وأخذت كل ما كانت هيأتهُ للعرس من الثياب، فلفوا جسد الشهيد بأنسجة كتانية وحريرية مضمخة بانواع الطيوب ودفنوه في مكان لائق).



٥- مار فيروز[1] البيلافاطيّ الشهيد

(٥ ايلول سنة ٤٢٢)

كان هذا الشهيد الجليل من مدينة بيلافاط وكان من اسرة معتبرة ذا ثروة وفيرة وأملاك كثيرة وَوجيهاً في المملكة فقُبض عليه وعلى كثير من نظرائه من العظماء، غير انهُ لما انقضت عليه العذابات هجمت عليه أمواج التجارب فدفعتهُ حتى غلبتهُ وجرتهُ راجعاً الى تيار العالم وضلالة المجوس، فسجد للشمس نابذاً يسوع المسيح ولمَّا اتصل خبرهُ بوالدَيه وأخويه وقرينته تفتَّتت قلوبهم اسفاً على ما فعل، فبعثوا اليه رسالةً نسجوها على اسلوب مرثاة بها رشقوهُ بسهام المذمَّة وبنبال الملام فما كاد يقرأها الا وتمزَّق قلبهُ اسفاً وحزناً على ما اجترح من الكفر، فأخذ يبكي بكاءً مراً ويقول: "آه وأسفاهُ اذا كان أبي وأُمي وأخوتي وقرينتي احتدُّوا عليَّ بهذا المقدار حتى انَّهم تبرأُوا مني، فيا تُرى كيف يكون حالي في اليوم الرهيب الذي أُحضَر فيه الى يسوع المسيح الذي كفرتُ به؟ فما الواجب عليَّ عملهُ، الى اين اذهب، وكيف أُرضي والديَّ وآلهي؟ آه لا سبيل الى نيل رضاهم الا الدخول من الباب الذي خرجتُ منهُ فيعفو الربّ عن جرمي الباهظ ويفرح والداي فرحاً جزيلاً اذا ما بلغهم خبر جهادي فَلأتشجعنَّ وأُقرِنَّ اليوم امام المجوس بيسوع الذي كفرتُ به قدام المجوس أنفسهم، ولأُقدسنَّ شفتيَّ بالإعتراف به عزَّ وجلَّ، فلأذهبنَّ الى المجوس ولأقولنَّ لهم بشجاعةٍ: أُيكم قادر ان يفصلني عم محبة يسوع آلهي" ثمَّ أخذ يصلي متخشعاً مستغفراً الله من ذنبه.

---

[1] - بيروز بالفارسية معناهُ النصرة والمبارك.

ثم قام من صلاتهِ متشجعاً مجاهراً بدينهِ الحقيقي، ومثل بين يَدَي ميهرشابور رئيس المجوس وقال: "ما من احد يقدر ان يفصلني عن محبة يسوع إلهي" ففي اول الامر ظنهُ المجوسي سكران، فسألهُ عن معنى مقالتهِ، فأقرَّ بأنهُ نصراني وأنَّ المجوس لا يستطيعون سبيلاً الى حمله على نبذ النصرانيَّة فاستشاط حينئذٍ المجوسي غضباً وقال لهُ: "لا تتفوه ثانيةً بهذا الكلام، والا أذقتُكَ ضروب العذابات فالموت الزؤام" قال فيروز: "لا تُكثر من هذا الكلام، فإن عزمي لن ينثني ابداً مع كل ما تجرِعُني من غصص المرائر والعذابات فإن الآله الحق الذي يسجد لهُ النصارى يقويني على احتمال ما تسومني من العذابات الفادحة" وللحال قام المجوسي وأطلع الملك على خبرهِ، فغضب الملك غضباً شديداً وأمر بهِ فأُحضِرَ اليهِ، فقال لهُ: "أأنت نصراني يا فيروز؟" الشهيد: "نعم انا نصراني" الملك: "ألَم تنبذ هذه الديانة؟" الشهيد: "حاشاي ان أُحِب الظلام فابغض النور، لانّ الذي يمشي في الظلام يعثر" الملك: "سمعتُ عنك انك تقرأ في كتب النصارى" الشهيد: "نعم أقرأ" الملك: "إذَنْ بموجب قولكم انتم شعب الله" الشهيد: "الحق اقول ان كل من لا يقر بالله الحق ففي الظلام يتسكع" الملك: "من حيث انكم قومٌ قساة القلوب ففيكم غلاظة وفظاظة، ولاجل هذا لانزال نحن نسومكم القيود والعذابات والموت" القدّيس: "لمن يجب الإذعان ألِلناس ام لله؟" الملك: "لله يجب الإذعان" فحينئذٍ رفع القدّيس صوتهُ وقال: "اذن الله واحد لا شريك لهُ، وهو يأمرنا ألا نستبدِلهُ بشيء آخر" الملك: "اني أعلم أنهُ ما من احد يستطيع سبيلاً الى قهركم بالألفاظ لانكم اسلمتم نفوسكم الى الموت" القديس: "إنّ الله قال لنا في كتابهِ انكم تفحمون كل من جادَلكم" الملك: "اسجد للشمس والقمر والا فتموت موتاً" القدّيس:

"اني لستُ بساجد لمن كان مخلوقاً وأدنى مني شرفاً" الملك: "حذارِ ان تقول أنّ الشمس والقمر ليسا ابني الله" القدّيس: "إني قلتُ واقول إن الله واحد لا إله الا هو وحدهُ" الملك: "نحن ايضاً نقول انّ الله واحد، لكن لهذا الآله عظماء ووزراء، لأنهُ ما من ملك الا ولهُ عظماء، فالشمس والقمر والنار والماء من جملة عظمائه" القدّيس: "إن إلهنا واحد، الآب والابن والروح الذي خلق جميع الأشياء، وقادنا نحن معشر النصارى بازمة الهدى الى الطريق المستقيم" الملك: "ليس احد أقرب اليك من نفسك، وها إنك تروم هلاكها" القدّيس: "انّ الموت أحلى لي من الحيوة، فإني بهِ أرث الحيوة الابدية" الملك: "ليس لتشرح لي كتب النصارى أحضرتُك اليَّ بل لتكمل إرادتي" القدّيس: "إنّ كلام النصارى هذا نعم نعم ولا لا، وما زاد على هذا فنحسبهُ من الشرير".

فحينئذٍ غضب عليهِ الملك غضباً شديداً وأمر بقتلهِ، فقبض عليهِ الشُّرط وركضوا بهِ يسحبونهُ الى المكان المعيَّن لقتلهِ، ورافقهُ جم غفير من النصارى والمجوس.

فلما بلغوا بهِ المكان المعين لعذابهِ، ألَحَّ عليهِ أُمناء الملك أن يمتثل أمر مولاهم فينجو من القتل، فقال لهم: "لا تُتعِبوا انفسكم وتنصبوا عقولكم، فإني للملك نفسهِ لم أُذعِن، فكيف يا تُرى اقبل نصائحكم، فلا تجهدوا انفسكم بل أمضوا فيَّ أمر الملك من دون تاخير، فإني استحلي الموت من اجل آلهي العظيم" قالوا لهُ: "إننا لم نؤمَر ان نقطع رأسك فقط بل لسانك فرأسَك، فاقبل نصيحتنا ايها الشاب، واسجد للشمس فتخلص من الموت" قال: "لا تشفقوا عليَّ، فإن إشفاقكم لا يُجديني نفعاً، فلستُ من المُذعنين للناس الذين يحملوني على نبذ الله" فلما يئسوا من عودهِ قالوا لهُ: "ويحك

يا فيروز، ويلاً لحسنك، ويلاً لشبوبيتك، اذهب ومُت موتاً شنيعاً كما أمر الملك" وحينئذٍ دنا منه الجلادون وعرّوهُ من ثيابه، وأرادوا ان يشدوا يديه على ظهرهِ، فطلب اليهم ان يُمهلوهُ ريثما يصلي، فجثا على ركبتيهِ وصلى قائلاً: "أُسبحك يا ربّ في حياتي أُعظمك ما دُمت في قيد الحيوة لانّك أهّلتني ان اشرب هذه الكاس، واطلب اليك ان تفرج عن شعبك المُضطهد الذائق كل ضروب العذابات، وساعدني انا عبدك وشجعني أن اقر بك فاشكرك الى ابد الآبدين آمين" وحينئذٍ شدوا يديهِ وطرحوهُ على الارض على وجههِ، وشقوا قذالهُ فقطعوا لسانهُ واستلوهُ من قفاهُ، وأروهُ اياهُ، وأما هو فأخذ يسبح الله لكونهِ أهلهُ لهذهِ النعمة العظيمة، ثم قطعوا راسهُ.

وكان استشهاد القديس في بلاد شهرزور في ٥ ايلول سنة ٤٢٢.



٦- مار هرمزد الشهيد

(نحو سنة ٤٢٢)

إنَّ هرمزد كان من أرفع طبقات الأُسَر الشريفة في بلاد فارس، وكان وافر السيادة كامل السعادة وارث المعارف حائز الفضائل واللطائف، وكان قد جعلهُ ملك الفرس حاكماً على ولايةٍ في نواحي بلاد الفرس ولما جلس بهرام الملك على سدة المُلك اتَّصل بهِ الخبر انَّ هرمزد نصراني، فأحضرهُ، فلمَّا مثل بين يديهِ أمرهُ أن ينكر يسوع المسيح ويسجد للشمس، فقال لهُ القدّيس: "حاشاي ان أخون إلهي الذي خلقني فأسجد لخليقتهِ التي لا نطق لها، وإنَّما خلقها الله عزَّ وجلَّ لخدمتنا" فاستحدَّ عليهِ الملك وقال لهُ: "إن نبذتَ المصلوبَ والا أنزلتُ بك النكال بتباريح العذاب" قال القدّيس: "إنَّ التعاذيب لاجل يسوع إلهي حلوة لذيذة، وإني لتائق الى مجد احتمالها" قال الملك: "شانك عجيب ايها الخائن الشرير، فانَّك قد نلتَ الكرامة كلَّها وأنا أراك تنشر علينا لواءَ العصيان" قال الشهيد: "اذا امتثلتُ امرك أهنتُ إلهي الجليل القدير لا بل خالفتُ شريعةَ العدل فإنَّ الذي يتجرأ على ان يزدري بالله العظيم خالق السماء والارض وكل ما فيهما غيرَ مبالٍ بمخالفة شريعتهِ وقضاياهُ لا يقدر ان يكون اميناً مع سيدهِ وملكهِ الأرضي، وإنَّ الذي يخون سيدَهُ ومَلِكهُ يستوجب أمر العذابات لا بل يُقتَل اشنع قتلة، فترى ايَّ قصاص وايَّ قتلة وبيلة يستحق من يخالف أمرَهُ تعالى".

فاستشاط الملك عند ذلك غضباً وصاح بالحضار ونار الغيظ تقدح من عينَيه وقال: "انزعوا عن هذا الكافر الشقي كل ما عليه من هذه الثياب الفاخرة" فامتثلوا امرهُ، ولم يتركوا لهُ سوى مأزر يتأزَّر بهِ، وأمر الملك

بإرساله الى البراري ليرعى ويسوس الجمال المهيأة للحرب أما القدّيس فقبل ذلك بفرح وسرور وكالشّهم اعد نفسهُ هدفاً لسهام حر الصيف المذيب وقر الشتاء الشديد ثقةً بما أُعدَّ لهُ من النعيم السموي، فاستمرَّ في البرية عائشاً عيشةً قشفةً صعبةً، وبقي على تلك الحالة مدة من الزمان، فتغير لونهُ وضعف جسمه وخارت قوتهُ فوقع عليهِ يوماً نظر بهرام الملك اذ كان يتطلّع من شباك قصره، فاستدعاهُ اليه ظناً منهُ أنهُ يُذعن حالاً لأمره فيسجد للشمس إلهه فلمَّا مثُل بين يديهِ رحَّب به وناولهُ ثوباً فاخراً ليلبسهُ وقال لهُ: "دَع عنك الجنون واكفر بيسوع الناصري الذي لم يقدر ان يخلص نفسهُ من ايدي صالبيهِ، واسجد للشمس والقمر الإلهَين العظيمَين" فامتلأ هرمزد غيرةً إلهية وأخذ الثوب فخزَّقهُ وقطَّعَهُ قطعاً كثيرة وقدَّمهُ للملك قائلاً: "خذ هديَّتك الزائلة التي بها تريد أن أبيعك ديني فاكفر بآلهي" فغضب الملك وتضرَّم وحرَّق عليهِ الأُرم، وأمر بقتله.



٧- مار بنيامين الشمّاس

(نحو سنة ٤٢٣)

إن مار بنيامين كان شماساً ممتلئاً فضائل واعمالاً صالحة، وكان في غاية الحصافة والمعرفة والظرافة لا يزال يكسر للغير المؤمنين خبز العلم الانجيلي ويوزع عليهم لبن التعليم المسيحي، فرجَّع منهم جماً غفيراً الى حضن الكنيسة وشدّ عزائمهم بارشاداته الصالحة التقيَّة فشق ذلك على المجوس وتغير خاطرهم وتشوش وتكدر، فدخلوا على بهرام الملك وأخبروهُ بأمر بنيامين، فاغتاظ الملك غيظاً شديداً وأمر بتعذيبهِ، فلم ينثنِ عزم القديس ولا ضعف رجاؤهُ مع كل ما احتمل من العذابات الشديدة فاودِع سجناً ضنكاً وبقي فيهِ سنة كاملةً معانياً اشد العذاب وفي اثناء ذلك اتى الى الملك بهرام سفيرٌ من قِبل ملك الروم، فاتَّصل بهِ خبر مار بنيامين، فالتمس الى الملك ان يخلي سبيلَهُ، فأجاب الى سؤلهِ، لكنهُ شَرَط على مار بنيامين ألا يعود يخاطب احد المجوس عن الديانة النصرانية غير انّ القديس أجاب قائلاً: "لا سبيل لي ان ادفن تحت الأرض الوزنة التي اعطانيها ربنّا يسوع المسيح، لا بل من الواجب عليّ ان أُتاجر بها فاربح" فلما سمع الملك ذلك حنق عليهِ، لكنهُ رعايةً للسفير خلَّى سبيلهُ وأما مار بنيامين فلم يزل ينذر ويبشر بالانجيل ويستنقذ خرافاً كثيرة من أنياب الذئب الجهنَّمي فيدخلها في حظيرة الراعي الصالح، ومضى عليه سنة وهو لا يزال ينكس اعلام الضلال بظاهر برهانه فينقل الناس من ليل الظلام الدامس الى نهار البشارة المسيحيَّة" فاتَّصل خبرهُ بالملك بهرام، فساورتهُ جيوش الغضب، فاستدعاهُ وقال لهُ مغضبا: "انبذ يا كافر إله النصارى الذي صلبهُ اليهود

على خشبة العار والا قتلتُك اشنع قتلةٍ" فقال القدّيس: "كيف تعامل أيها الملك الجليل الانسان الذي ينشر عليك لواء العصيان إطاعةً لأمر ملك آخر" قال الملك: "أضربُ رأسهُ منكلاً بهِ" قال القدّيس: "إذن ايّ قصاص يستوجب الانسان الذي ينبذ خالقهُ ليسجد لخليقة صغيرة" فازداد حقد الملك عليه سعيراً، فأمر بتحديد عشرين قصبة، فامتثلوا أمرهُ، وأدخلوها تحت أظافر يدَيهِ ورجليهِ، وضيَّقوا عليهِ بشدَّة حتى انّ الدم انفجر من تحت اظافرهِ، فاهتزَّت كلّ عضلاتهِ من قمَّة رأسهِ الى اسفل قدَميهِ، ولم يزالوا يبالغون في تعذيبهِ على هذا المنوال الى ان قضى نحبهُ، وذكرهُ عند السريان في الحادي والثلاثين من آذار.



مار ماروثا اسقف ميافرقين

(في الربع الأول من الجيل الخامس)

كان هذا القدّيس اسقف ميافرقين، وقد اشتهر اثنان آخران بهذا الاسم في بلادنا، فينبغي ان يميز القارئ بعضهم عن بعض لئلا يغلط لمشابهة الاسم فماروثا الأول هو اسقف ميافرقين ايضاً وكان قبل هذا الذي نريد ان نترجم عنهُ الآن، وكان من جملة الآباء الذين حضروا المجمع النيقاوي الذي انعقد سنة ٣٢٥ على عهد قسطنطين وشابور الملكَين، وماروثا الثاني الذي اشتهر في عهد يزدجرد وثاودوسيوس سنة ٤١٠ وعليهِ كلامنا الآن، وماروثا الثالث اشتهر سنة ٦٢٩ وكان مفرياناً يعقوبياً في المشرق في مدينة تكريت

وغلط الذين خلطوا هذا ماروثا اليعقوبي مع ماروثا اسقف ميافرقين الكاثوليكي، ولسبب ذلك السهو الظاهر صار ماروثا يُدعى تارةً اسقف تكريت وأُخرى اسقف ميافرقين، مع انّ زمانهما مختلف ومذهب كل منهما وأعمالهما متغايرة جداً، وعدا ذلك فلا سبيل لخلط ميافرقين مع تكريت والأمر واضحٌ، على انّ ميارقين تبعد عن الموصل مسافة سبعة ايام من جهة الغرب، وتكريت تبعد عنها مسافة ستة ايام من جهة الشرق فالمشهور اذاً انّ القدّيس الذي نحن في صدده كان اسقف ميافرقين المعروفة بمدينة الشهداء، ودُعيت هكذا من حيث انهُ جمع شيئاً كثيراً من ذخائر الشهداء المقتولين في اضطهاد شابور الأربعيني، وقد حصل عليها في سفراتهِ الى بلاد الفرس، وحملها في عرباتٍ فاخرة الى ميافرقين ومن اعمالهِ انهُ حضر المجمع القسطنطيني الأول الملتئم سنة ٣٨١ ضد بدعة مقدونيوس وقد أجمع المؤرخون الثقات على هذا ولو كانت جريدة ذلك المجمع الموجودة اليوم

خاليةً من إمضائهِ وذكر فوطيوس الرومي انهُ حضر ايضاً المجمع الانطاكي المُنعقد سنة ٣٨٣ او سنة ٣٩٠ ضد بدعة المصلين وقدم سنة ٤٠١ الى ارقاديوس ملك الروم في القسطنطينية يسألهُ ان يكتب الى يزدجرد ملك الفرس حتى يرفق بنصارى مملكتهِ ويكف عن أذيتهم على انّ اوامر شابور الصادرة لم تبطل ولم تزل تجري بعد موتهِ ايضاً فضلاً عن الاوامر الجديدة من يزدجرد نفسه بذلك.

وقيل انَّ سبب ذهاب القديس ماروثا الى ملك الفرس المرة الأُولى انَّهُ كان قد عرض ليزدجرد مرض اعيا اطباء الفرس، وكان اطباء النصارى القاطنون في بلاد فارس قد قُتِل اكثرهم في أيام شابور، ومَن تخلف منهم كان قد هاجر وهرب فأرسل يزدجرد الى ملك الروم يطلب منهُ طبيباً حاذقاً، فأرسل اليهِ مَايلحق النصارى في بلاد فارس من العذاب والنفي والقتل، ولم يكن لهُ سبيل الى إعانتهم بشيء، فوجد بذلك فرصةً صالحةً، فكتب الى يزدجرد كتاباً يقول فيه: "إن الله عزَّ وجلَّ لم يُعطِنا المُلك لنؤثر صلاح انفسنا بل انَّما فرض علينا أمرَ الرعيَّة لندبرها بالاستواء ونقمع الظالم ونكافئ المحسن حسب الاستحقاق وأنَّك وان كنتَ لا تسجد لله فقد أعطاك عطيةً من مملكة الدنيا، وبسط يدك على خليقتهِ وجعلك رئيساً، وليس من الحق والعدل ما يجري على النصارى في مُلكك من الظلم والنهب والقتل، وإن كان اكثر ذلك يجري من غير علمك، وانَّما يفعلهُ أصحابك رغبةً فيما ياخذونهُ من أموالهم، وفي ذلك إهانةٌ لله تستوجب سخطهُ تعالى وبغض الناس كافةً لك، لانَّهم اذا وقفوا على ما يلحق امثالهم انكروهُ واستعظموهُ، ولو صرف هؤلاء أصحابك اهتمامهم الى قمع الأعداء واصلاح المملكة لكان احسن، وإنما نسألك بعد هذا الاحسان الى النصارى وازالة الأذى عنهم وإطلاق بناء البيع" وانفذ الكتاب

مع ماروثا الاسقف فلمّا وصل الى يزدجرد وعالجهُ وأبرأهُ من علته عرض عليه الكتاب، فسُرّ به وعمل بموجبه وأنفذ الى ارقاديوس هَدَايا فاخرة، وشمل السكونُ النصارى، وزال عنهم ما كانوا فيه من الاضطراب والأذى وكان حينئذٍ انعقد المجمع المدائني الثاني الذي فيه تنازل قيوما عن الجثلقة، ونُصب مكانهُ مار اسحق، وذلك بمشورة مار ماروثا كما رأينا في ترجمة مار اسحق الجاثليق.

وإنّ القدّيس ماروثا بعد ان أكمل هذه سفارتهُ الأُولى لدى يزدجرد رجع الى القسطنطينيَّة وكان هنالك في تلك الأثناء قد هاج سجسٌ عظيمٌ من جرَّاء عداوة ثاوفيلوس الاسكندري للقديس مار يوحنا فم الذهب، وكان المالك يومئذٍ بعد ارقاديوس ثاودوسيوس الصغير، وكان مار ماروثا يحب القدّيس يوحنا فم الذهب كثيراً ويمحضهُ أُلفةً خصوصيَّة فأنكر ما رأى من تعصب ثاوفيلوس عليه، وكان لمار يوحنا عدو الد وهو فودينوس اسقف نيقوماديَّة فاذ كان في خلقيدونية في شأن الجمعية الملتئمة على مار يوحنا للتنكيل به ظلماً، وكان يوماً مر عليهِ مار ماروثا، اندقّت رجلهُ برجلهِ على غير تعمد، وبأمرهِ تعالى أصاب فودينوس من ذلك الماً شديداً حتى انهُ مات بعد قليل من الايام وهكذا نجا القدّيس فم الذهب من شر اسقف نيقوماديَّة وكتب القدّيس فم الذهب رسالتَين الى القديس ماروثا لم تبلغانا من جور الزمان فانّ بين رسائل فم الذهب ايضاً رسالة بعث بها الى اولمبياديس منها يظهر عظَم اعتبار ماروثا في ذلك العصر عند هذا القدّيس الجليل وجاههُ عند الملوك والأُمراء ومما يكفي لذلك دليلاً انّ الملك ثاودوسيوس اتخذهُ سفيراً جليلاً لدى الملك يزدجرد، وجعل على يدهِ صيرورة الصلح بين الدولتين مرة ثانية، وحصلت الراحة لعباد المسيح في بلاد فارس، وقيل ايضاً انّ ماروثا

كان قد استكتب جميع ما وجد من القوانين والتفاسير عند الآباء المشارقة التي هي غير موجودة عند اليونانييّن، وذهب بها الى بلادهم.

ومما زاد شهرة ماروثا عند الفرس انهُ بمجرّد صلاتهِ شفى الملك من وجع رأس أليم لم يقدر المجوس الاطباء على إبرائه، فصار الملك يزدجرد يحبهُ محبةً بليغة وقد نفر قلبهُ من المجوس المكارين، حتى كاد ان يتنصر، فأخذ القدّيس ماروثا بالاتفاق مع مار اسحق الجاثليق بإصلاح امر الكنائس المنهدمة وإنشاء أُخر غيرها جديدة، ويرَد القوانين الكنائسيَّة المندثرة وتقويمها، وقد مرَّ الكلام عن ذلك في ترجمة مار اسحق.

ثم انّ ماروثا أُرسل ثالثةً سفيراً الى يزدجرد الملك، وفي سفرته هذه عقد ماروثا مع مار يهبلاها الجاثليق المجمع الثالث المدائني كما مر الكلام في ترجمة مار يهبلاها، وفيهِ قال ديونوسيوس البطريرك في تاريخهِ: "على سنة خمس وعشرين وسبعمائة يونانية، واربع عشرة واربعمائة مسيحية[1]، اشتهر القدّيس ماروثا اسقف ميافرقين، وأرسلهُ الملك ثأودوسيوس الى يزدجرد ملك الفرس وعقد الصلح بينهما، وبذلك الزمان التأم المجمع الفارسي وفيهِ تقومت وثبتت أمانة نيقية، وكان رئيسهُ ماروثا هذا اسقف ميافرقين ويهبلاها جاثليق قطيسفون، وكان الاجتماع في قطيسفون وهي المدائن، ومنح لهُ يزدجرد ذخائر الشهداء الذين قُتُلُوا في اضطهاد شابور، ولمَّا رجع الى بلاد الجزيرة وهي بلاد ما بين النهرين وضع اكثرها في بلدتهِ ميافرقين، ولذلك دُعيت مدينة الشهداء"

وكان مار ماروثا عالماً ماهراً وخلَّف لنا تصانيف بديعة منها قصص الشهداء وهي مجموعة أعمال الشهداء الذين قُتلوا في الاضطهاد الاربعيني،

[1]- لعلها سنة ٤١٦ فانّ يهبلاها في هذه السنة جلس على كرسي المدائن كما راينا في ترجمتهِ.

ومنها التسبحات والتراتيل في كرامة القديسين الشهداء الجاري استعمالها صباحاً ومساءً على أيام الاسبوع في الطقس الرباني الكلداني، ومن تاليفاته ايضاً قصة المجمع النيقاوي ومجموعة قوانينه كما شهد عبد يشوع النصيبيني حيث يقول: "ونقل ماروثا قوانين الثلثمائة والثمانية عشر، وكتب كامل قصة ذلك المجمع المقدَّس حسب طلبة مار اسحق الجاثليق منهُ" وفي مجموعة مار ايليا توجد هذه القوانين النيقاوية وقصة المجمع نفسه المنوَّه بها لدى عبديشوع.

وأما ما كان من ختام أيام مار ماروثا فلا نعلم سوى انهُ لما توفي وُضع جسدهُ أولاً في مدينة ميافرقين، ثم بعد ان أغار الفرس ثم العرب مرات كثيرة على هذه المدينة وأُخربت كنيستها حمل الرهبان اليعاقبة جسدهُ الى صعيد مصر ودفنوهُ في ديرهم المقام هناك على اسم العذراء والدة الله، وتذكارهُ وتذكار الشهداء الذين نقل اجسادهم يمسكهُ الروم واللاتين في الرابع من كانون الاول والسريان والملكيون في ١٦ شباط والقبط في ١١ منهُ، والكلدان في الثاني من تشرين الاول كما جاء في قائمة القديسين السنوية.



مار رابولا اسقف الرها

(آب سنة ٤٣٥)

كان رابولا في اول أمره وثنياً، وكان أبوهُ كاهناً للأصنام، ويقال انّ يليانس المنافق لما ذهب الى محاربة الفرس انّما على يديهِ كان قرب ذاتهُ للشياطين، أما امهُ فكانت نصرانية، واستنفدت وسعها في حملهِ على نبذ الوثنية، فذهبت اتعابها ادراج الرياح، فإنهُ بقي مصراً على ارائهِ الفاسدة، لا بل كان يستحثها ان تجحد هي دينها، فخاب وكانت ام رابولا قد سلمتهُ الى مرضعة مسيحية، ثم انهُ تخرج في اللغة اليونانية، ولما بلغ أشدهُ عُقِد لهُ على فتاة مسيحية، فاخذت والدتهُ وقرينتهُ تلحَّان عليهِ ان ينبذ الديانة الوثنية فيتمسك بالنصرانية، لكنهُ لم يُجِب الى سؤلهما، فإنهُ كان مكرماً معززاً في مدينة قنَّشرين.

واتفق انهُ انطلق ذات يوم الى قرية كانت لهُ في اراضي قنشرين، وكان مار ابراهام الحبيس قد بنى ديراً في تلك النواحي وانقطع فيهِ للعبادة، وكان الله سبحانهُ يصنع على يده معجزات كثيرة فسأل رابولا اهل القرية عن ذلك الدير، فأخذوا يثنون كثيراً على الرهبان الساكنين فيهِ ولا سيما على رئيسهم مار ابراهام، فرغب في مشاهدتهم، وانطلق اليهم، فكما انّ بولس الإناء المصطفى بعد أن اضطهد النصارى دخل تحت نير الطاعة فأقر بالمسيح وسجد لهُ وذلك بواسطة صوتٍ اتاهُ من السماء، كذلك جرى لرابولا فانهُ بعد ان كان يحتقر النصرانية دان قلبهُ لنير الايمان بواسطة الكلام الذي أوحاهُ الله اليه، وذلك انهُ حين دخوله على القديس عاين عندهُ امرأةً

مصابةً بمرض عضال، فصلى عليها مار ابراهام وشفاها حالاً، فأخذتهُ هزة الانذهال فتغيرت افكارهُ وعظُمت الديانة النصرانية في عينيه.

ولم يخفَ ذلك على امه، فأُفعمَ قلبها حبوراً ولسانها شكراً، فانطلقت الى اوسابيوس اسقف المدينة واطلعتهُ على أمر ابنها، ففرح الاسقف فرحاً عظيماً واستدعاهُ اليه، وأخذ يحادثهُ عن صحة الديانة المسيحية ثم انطلق به الى أقاق اسقف حلب (وكان صديقهُ ورصيفهُ في الدير) وذلك لكي يكلمهُ هو ايضاً عن الدين الحق المبين فيشجعهُ ويقويهِ فيهِ، فرحب بهِ أقاق، وأحسن مثواهُ، وأخذ يردعهُ عن القحوم في الضلال بصارم وعظهِ ولهاذم لفظه، ولم يزَل الاسقفان الجليلان ينثران عليهِ جواهر سماوية حتى زرعا في قلبهِ بذور الإيمان الصحيح، وغذياهُ باقوات التقوى من مواعظ الانجيل فلذذاهُ، فأيقن بصحة معتقد النصارى، وفكر في الذهاب الى اورشليم ليزور الأماكن المقدَّسة، ويعتمذ ثَم في نهر الأردن.

فزار رابولا جبل الجلجلة، وبكى بكاءً مراً على ما كان اجترح من السيئات في حياته الماضية مستغفراً الله عزَّ وجلّ وطالباً اليهِ العفو عن خطاياهُ باستحقاق دم ابنه الكريم الذي سفكهُ على ذلك الجبل لاجل خلاص البشر، ثم بعد ان زار قبر المخلص ذهب الى بيت لحم، وعاد الى المدينة المقدسة، وصعد الى جبل الزيتون، ووزع ما كان معهُ من الدراهم على الفقراء والمحتاجين، ثم انطلق الى نهر الأردن وطلب العماذ، فعمذهُ الكهنة، وحالما خرج من النهر راى الحضار الكتان الأبيض الذي كان ملتفاً بهِ منقطاً كلّهُ بالدم على هيئة الصلبان، فتعجبوا من هذه الآية الباهرة، فجثوا جميعاً وسبحوا الله بصوتٍ عالٍ، ثم انّ رابولا تغذى بجسد ودم يسوع المسيح ورجع الى داره وفؤادهُ مفعم فرحاً وسروراً.

ولما بلغ دارهُ اراد ان يجري ما كان نذرهُ، فصنع كالتاجر المذكور في الانجيل الذي كان يطلب جواهر حسنة فوجد درة كثيرة الثمن فمضى وباع كل امواله واشتراها، فانهُ هو ايضاً حالما وجد درة الايمان الثمينة مضى ووزع كل امواله على المحتاجين كانزاً لهُ كنزاً في السماء حيث لا سوس ولا آكلة تفسد وحيث لا ينقب السارقون ولا يسرقون وكان يعرف جيداً أنّ من شان الخيرات الأرضية ان تصدهُ عن بلوغ الخيرات السموية، فإنهُ كان سمع او بالأحرى قرأ ما كان أعطى ربنّا يسوع المسيح للاغنياء من الويل المخيف، فباع ضيعهُ ايضاً، ووزّع ثمنها على البائسين، واعتق عبيده، واعطى كلّ واحد منهم حصةً من ماله، واستحث بعضاً منهم على اعتناق السيرة النسكية، ثم عمد الى اموال والدته وقرينته وقسمها هي ايضاً على المحتاجين، ودخلتا هما احد الأديرة منقطعتين فيه للعبادة، وادخل اولادهُ ايضاً في الأديرة.

فلما تجرد رابولا عن كل شيء، ونبذ الورى الى الوراء وطلب العلاء بثواقب الآراء حمَل الصليب وتبع ربهُ، فخرج الى البرية لكي ينازع الشيطان فيحاربهُ ويصرعهُ ويقوى على تجاربه، فدخل دير مار ابراهام المار الذكر، وسكن هناك مدة من الزمان ممارساً اجل أعمال الفضائل المسيحية ثم أشار اليه مار ابراهام ان يبني لهُ مسكناً بقرب ديره فيتبوأهُ، فانقاد لهُ، وسكن معهُ اخوهُ وغيرهُ من الرهبان مع اوسابيوس الذي صار فيما بعد اسقفاً على مدينة تلا، فأحرز في مدة قليلة فضائل الرسل الأولين ولما كانت الناس تأتيه من كل جهة ترك الدير وتوغل في القفر مبتعداً عن كل بشرٍ، وأوى الى مغارة كان بالقرب منها نزٌ يتحلب منهُ من الماء ما يكفي لشرب رجلٍ واحد، وكان قوتهُ الروحي الكتاب المقدّس وتلاوة المزامير وهو يصل الليل بالنهار

غارقاً في بحار التأمل والمناجاة الربانية، فحاربهُ الشرير بكل ضروب التجارب مثلما حكى هو عن نفسهِ، وهيج عليهِ الدبيب والحشرات، فصارت تحتاط بهِ من كل جهة الحيات والثعابين والعقارب والأفاعي بغية ان تفزعهُ فتزعجهُ، لكنّ القدّيس كان ينتصر عليها بعلامة الصليب، وكان كلما ازدادت واشتدت عليهِ تجارب الشيطان كان هو يزداد صبراً ورغبةً في الصوم والصلوة وشغفاً بالفضيلة ولها اتباعاً، وذات يوم اتى عليهِ العرب ففرح ظناً منهُ انهُ حان وقت ظفره بإكليل الاستشهاد، لكنهم لم يُسيئوا اليهِ، فانهُ كان هزل جسمهُ ايَّ هزال حتى أمسى كالخيال، فأخذوا قوتهُ وكسوتهُ وانصرفوا عنهُ، وفي خروجهم من قلايتهِ صادفوا رجلاً كان ياتيهِ بخبز، فأضربوا عنهُ، ثم انّ خبرهُ اتصل بتلاميذهِ فأتوهُ وسألوهُ ان يرجع اليهم، فأذعن لهم.

وكان رابولا تهزهُ نشوة الاشواق الى الإستشهاد، فذهب مع خليلهِ اوسابيوس الى مدينة بعلبك، وكان سكانها وثنييّن، فدخلا معابد الاصنام وكسراها، ابتغاء ان ينالا اكليل الاستشهاد، فهجم عليهما الوثنيّون كالاسود الضارية، وأنزلوا بهما النكال بتباريح العذاب، غير انّ اجلهما لم يكن قد دنا لانّ الله كان قد اختارهما للدرجة الاسقفية حتى يكسرا لشعبهِ خبز العِلم المقدَّس ويوزّعا عليهِ لبن التعليم المقوي فرجعا الى ديرهما فرحَين مسرورَين لانّ الرب أهلهما أن يشتركا في آلامهِ المقدَّسة.

وفي غضون ذلك توفي ديوجين اسقف مدينة الرها، فاجتمع الاساقفة في مدينة انطاكية، وفي مقدمتهم اقاق اسقف حلب ليختاروا اسقفاً للرها، وكان صيت مار رابولا قد ذاع في تلك الأصقاع كلها، فألهمهم الروح القدس ألا ينتحبوا إلا رابولا قائلاً لهم عنهُ ما كان قالهُ قبلاً عن داود النبي: "وجدتُ

رابولا عبدي فأمسحهُ بدهن قدسي على أياديكم، إن يدي تعضدهُ وساعدي يقويهِ وأُبدِد العدو من امام وجههِ، وأسحق مبغضيهِ، وامانتي ونعمتي معهُ وباسمي ينتصب قرنهُ" فأرسلوا اليهِ وأتوا بهِ الى انطاكية ورسموهُ اسقفاً على الرها سنة ٤١٢، فلم يقاوم القديس ارادة الله بل انقاد لهم كالحمل الوديع قائلاً في نفسهِ: "اني لم ابتغِ ابداً الوسم الاسقفي، فعلمي يقين انّ هذه الدعوة من الله سبحانهُ الذي اراد ان يخضعني تحت هذا النير الثقيل، فلتكن ارادتهُ".

ولما أتى الى مرعيثهِ هرع سكان الرها الوفاً لاستقبالهِ باصوات التهليل وهم يرنمون ترانيم السرور ويتغنون باناشيد التهانئ والحبور فراى من الواجب ان يشتغل منذ الابتداء بترتيب طقوس الكنيسة، وكان يحرض كهنتهُ بإلحاح بل يتضرع اليهم ليوفقوا سيرتهم على سنن القوانين والشرائع الكنائسية، وكان يقول لهم: "اذا كان كهنة العهد القديم بخوفٍ واكرامٍ يخدمون في قبة العهد، فكم يجدر بنا نحن كهنة العهد الجديد ان نخدم بخوفٍ ومحبة ووقار في البيعة التي اقتناها ابن الله بدمهِ الطاهر" وترجم العهد الجديد كلهُ من اليونانية الى الأرامية، لكن لم تصل الينا هذه الترجمة، ثم جمع كل ما وجد في الدار الاسقفية وعند الكهنة من الآنية الفضية وباعها ووزعها على المعوزين، وتضرع الى الكهنة بتواضع ان يستعملوا آنية الفخار، وفكر ايضاً في بيع الآنية القدسية لكنّ المؤمنين منعوهُ عن ذلك قائلين: "إنّ هذه الآنية القدسية قدمها آباؤنا لله تعالى كفارةً عن خطاياهم ونجاةً لأرواحهم".

وأفرغ القدّيس كل جهده في اصلاح ارباب الكهنوت فنقّب عن هيئة معيشة ومأكل وعوائد كهنة الرها وسائر كنائس مرعيثه، فكان يلح عليهم ان يوفقوا

سيرتهم وملابسهم وموائدهم واعمالهم وقيامهم بأعباء واجبات خدمتهم الجليلة المقدّسة على الترتيبات القانونيّة، ومما كان يقول لهم: "اننا في ذروة الكهنوت المجيدة فبنا محدقة أعين الشعب الواقف تحتنا، فإيانا ان نبغيهم العواثر فيصير عيب في خدمتنا فيُهَان بنا الرب" فقدر الكهنة غيرة راعيهم حقّ قدرها، واخذوا ينقادون لصوته مُطّرحين الأهواء الدنيوية، وشرع الجانب الأكبر منهم يحذون حذوَ اسقفهم الجليل في ممارسة الفضائل المسيحية اقتداءٍ بالرسل الأطهار وأما الذين نفخ فيهم روح الكبرياء والعالم او كادوا يسقطون في شباك ابليس فكان يسلقهم بألسنة حِداد ويكرههم على القيام بأعباء واجبات خدمتهم، وكان لا يشفق ان يطرد خارج المقادس ايَّ من تجاسر ان يخترق حرمة ما رسمهُ التهذيب الكنائسي.

وإنّ الرهبان لم يكونوا جميعهم أُمناء لروح دعوتهم، فإن بعض عوائد العالم كانت قد فتحت حصون الأديرة، فأخذ الرهبان التراخي في حفظ قوانينهم، وكان بعضهم يختلطون بالشعب مُدنسين أثواب القداسة والزهد بأكلهم اللحم ومتاجرتهم وإقراضهم الدراهم بالرباء فأخذ القدّيس يستحثهم على الإضراب عما لا يليق بروحٍ دعوتهم الجليلة، ومما كان يقول لهم: "اياكم ثم اياكم ان تمسوا عثرة شكٍ في سبيل الارتقاء في معارج الكمال المسيحي، بل من الواجب عليكم ان تواظبوا على الصوم والصلوة محبين بعضكم بعضاً مُظهرين بالأعمال والأقوال انكم تلاميذ يسوع المسيح" وكان يوصي الراهبات ألا يُرين وجوههن للرجال ابداً، ولم يكن يأذن لواحدة منهنّ ان تخرج من الدير فتذهب وحدها الى اي بيت كان دون ان تكون مصحوبة ببعض اخواتها.

وكان القدّيس مثالاً كاملاً للغيرة الرسولية ونبراساً للقداسة الكهنوتية وللكمال الرهباني، فكان يُميت جسدهُ بالاصوام الشاقة الغير المنقطعة فضلاً عن ان طعامهُ ايضاً كان صوماً تاماً، وليس فقط كان يمتنع من الأطعمة اللذيذة بل لم يكن يتناول من غذائهِ الا ما يسد بهِ الرمق، فلم يكن يأكل اكثر من ثلاث اواقي خبز مع شيء يسير حقير من الطبيخ الخالي من الدهن، ولم يشرب خمراً، ولم يَقُم من المائدة شبعان ابداً، واتفق لهُ مراراً انّ بعضاً من المؤمنين كانوا يُرسلون لهُ مائدةً عليها أطعمة متنوعة، فلم يكن يذوق منها بل كان يرسلها للمرضى والسقماء ولم يكن يملك من اثاث المائدة سوى صحن من الزجاج وقصعة من الخزف ومعلقة من الخشب، وكان يدرب قاطني دارهِ الاسقفية ايضاً على ممارسة هذهِ التقشفات والفضائل على قدر طاقتهم، لا بل انّهم كانوا من تلقاء انفسهم يقتدون بهِ مقتفين آثارهُ، فكانوا يحيون الليالي معهُ بترنيم الأناشيد الروحية وتلاوة المزامير الداودية، وكانوا نهاراً مشتغلين برؤية الدعاوي وبقراءة الكتب.

وكانت صلاتهُ حارة خشوعية دائمة، وكان كلما يصلي تفيض الدموع من عينيه سخينة غزيرة، الامر الذي يؤَثر حتى في الناس القساة البغاة فكانوا يتخشعون ويتضرعون، وكان مراراً يحبس نفسهُ في دارهِ الاسقفية لا يأذن لاحد أن يدخل عليه، فينقطع للعبادة ومناجاة الحق سبحانهُ، ويتبحر متأملاً في الكتب المقدّسة وفي عواقبه الاخيرة، فكأني به وهو متوسط خدور الملكوت يكلم الله وجهاً الى وجهِ، وكان كل سنة يترك مرعيتهُ فيذهب وينحبس في دير قنّشرين منقطعاً للصلوة.

وكان يرتقي يوماً فيوماً في معارج الكمال المسيحيّ مقتنياً كمال الملائكة وقداستهم وطهارتهم فصنع الله على يدهِ معجزات كثيرة، فأبرأ كثيراً من

المرضى والسقماء والمصروعين والمجنونين، وكم من مرة شقق الشعب المؤمن ثيابهُ واقتسموها في ما بينهم، فبقيت محفوظةً في بيوتهم للتبرك.

وكان الله معهُ في جميع اعمالهِ، فكانت أقوالهُ مسموعة، لانها كانت فعالة، فان الله كان يبرزها في ظواهر العمل، فكان عزَّ اسمهُ ينتقم من الذين يغضب الاسقف عليهم بحقّ، ويُحسن الى الذين يسالمهم الاسقف، فصار اذاً اسم صلاة مار رابولا فقط يكفي لِحمل الخصمَين على المصالحة، والظالمين على ردّ مال المظلومين، والكبراء على معاملة الأدنياء أحسن معاملة، والأُمراء على الإِضراب عن سوء السيرة، والولاة على الأخذ للدني من الشريف والقضاة على المساواة بين القوي والضعيف، والخطاة على الرجوع الى الله تعالى.

ففي مدة وجيزة انقلبت مدينة الرها انقلاباً عجيباً، فدانت القلوب لِنير الايمان المسيحي المحبوب، وخضع أرباب الكهنوت بالتواضع والوداعة، واخلص الجميع لراعيهم الجليل الحبّ والطاعة فاتسموا قاطبةً بشعائر الآداب الانجيلية وكرهوا الأضاليل الهرطوقية والتجاديف واللعنات الجهنمية.

ثم انّ مار رابولا لم يكتفِ بتقدمة نفسهِ لرعاياهُ مثالاً حياً للفضائل الانجيلية، بل كان مشتعلاً بالغيرة لترجيع الضالين الى حظيرة ربّ العالمين وتنقية مرعيتهِ من زؤان البرديصانيّين والأريوسيين والمانيين والمرقيونيين، فلم يزل يعاملهم برفق ومحبَّة، ويُودِع أراضي قلوبهم بذورَ الحيوة الأبدية حتى انهُ قاد منهم جماً غفيراً بازمة الهدى الى الطريق المستقيم، فهدم كنيسة البرديصانيين، ونقل كلَّ ما فيها من الكنوز الى بيعته، وكذلك استأصل معبد الأريوسيين والمرقيونيين فدخلوا في حظيرة ابن الله مُقرين بانهُ مساوٍ للآب في الجوهر، وكذلك ايضاً جذب المانيين الى

دين المسيح وعمذهم كلهم ولم يهمل اليهود بل اخذ يخاطبهم وينذرهم ويدعوهم الى النصرانية والاعتماذ، فتنصر كثير منهم، وأما الذين من الهراطقة بقوا مصرين على التسكع في الظلام ففوّق اليهم سهام الحرب صبرةً فبدَّد شملهم أيادي سبا.

وفي غضون ذلك، ظهرت هرطقة نسطور الذي نُصِب اسقفاً على كنيسة قسطنطينية سنة ٤٢٨، اذ علّم انّ في المسيح المتجسد اقنومين في شخص واحد وأنّ مريم امهُ ليست أُم الله واذ أصر نسطور على عناده اقتضى ان يُعقَد مجمع مسكوني لدحضهِ، وعُقِدَ المجمع في مدينة افسس سنة ٤٣١، ففحص الآباء عن مذهب نسطور فحكموا انّ يسوع المسيح هو اقنوم واحد إلهي وانّ مريم العذراء هي أُم الله، لانها ولدت المسيح الذي هو اله حق، وأنزلوا نسطور عن كرسيهِ وفي اول الأمر لم يعمل بهذا الحكم اهل الشام وما يجاورها، وذلك لسبب ان يوحنا بطريرك انطاكية واساقفتهُ شق عليهم انّ المجمع كان فُتح قبل وصولهم، فقترسوا مار قورلس اسقف الاسكندرية وحدث من هذا الخلاف اضطرب عظيم في الكنيسة، وفي الآخر انتبه يوحنا على غلطهِ وصار يناضل عن المجمع الأفسسي اما الهرطقة النسطورية فكانت قد تأصلت في بلاد ما بين النهرين، وكان حينئذٍ في مدينة الرها مدرسة شهيرة يقصدها السريان من كل صوب، فتلامذة هذه المدرسة تعصبوا لنسطور واخذوا يناضلون عن تعليمهِ وعلى يدهم انتشرت البدعة النسطورية في بلادنا الشرقية.

فلما بلغت مار رابولا أخبار نسطور أنهض عزيمتهُ المتقدة وسعى في مناضلته وإبطال بدعته، وذلك قبل أن يُعقَد المجمع في أفسس، فأخذ منذ ذلك الحين يدك اسوار هذه الهرطقة بالبراهين الدامغة ويصلح عقائد شعبه

بالتعاليم الخلاصية موضحاً لهم من الكتب المقدّسة انّ مريم والدة الله وانّ في المسيح اقنوماً واحداً وهزته غيرتهُ أن ينطلق الى القسطنطينية لينكر على نسطور بدعتهُ الجديدة، فرحب بهِ الملك وعظماء المملكة واكرموهُ جداً، وصعد القدّيس الى المنبر في كنيسة القسطنطينية وانطلق لسانهُ يُندد بتعليم نسطور الفاسد، ومما قال: "اننا صغار في كلامنا ومعرفتنا واما انتم فعظام في حكمة الروح وبداعة اللسان، فمن يا ترى لا يرتجف في كنيسة نظير هذه...انّ كنيسة الله ليست بمحتاجة اليّ انا القرويّ القاطن مع القروييّن، اننا في الغالب نتكلم بالسريانية...فترى ماذا نعلم هذه الجماعة المباركة وهي في غنى عن كلّ علمٍ...انّ سؤالكم هذا هو: هل مريم بالحقيقة أُمّ الله أم اسماً فقط هي أُمّ الله، أم اسماً ايضاً لا يجب ان تُدعى أُمّ الله؟ فاقول بصوتٍ عالٍ دون خوف انّ مريم أُمّ الله، وبحقٍ وصوابٍ تُدعى أُمّ الله، فإنها صارت على الارض أُماً لله الكلمة قال الرسول أرسل الله ابنهُ وتجسد من امرأة فالذي يتجاسر ويقول انّ مريم ولدت الالوهية فهو من الكافرين فاننا ندعو العذراء القدّيسة والدة الله ليس لأنها ولدت الالوهية، بل لانهُ منها وُلد الله الكلمة لما صار انساناً ها انّ العذراء تحبل وتلِد ابناً ويدعى اسمهُ عمّانوئيل اي الله معنا..."

وفي رجوعهِ الى كرسيهِ تفرغ لحماية حظيرة خرافهِ من حملات نسطور ولما رأى انّ تلامذة مدرسة الرها وفي مقدمتهم ايهيبا الذي خلفهُ على كرسيهِ هم متعصبون لنسطور ويناضلون عن ضلالتهِ ويبثونها في المدينة، نصحهم كثيراً ان يقلعوا عن آرائهم الفاسدة ولما لم يزالوا مصرين على عنادهم طرد كثيراً منهم من المدينة، فانتشروا في البلاد الفارسية وبثوا فيها الضلالة النسطورية.

وانّ القدّيس لم ينسَ الفقراء والسقماء الذين كانوا يئنون تحت أعباء الفاقة والآلام فنشط لإغاثتهم، وكان في المدينة مستشفى قديم، لكنهُ كان غير مأهول، فعمرهُ القدّيس واعتنى بامرهِ، ففتح كنوز البيعة واشترى قرى فوقفها عليهِ، واخذ يُثير في صدور اغنياء البلد عوامل الشفقة مستمطراً من ايديهم غيث المبرات ومستفتحاً كنوزهم كنبع غزير يروي ظمأ أُولي البأساء، فوفرت املاك المستشفى المذكور، فكانت وارداتهُ كل سنة نحو الف دينار، ووكل ادراتهُ الى شمامسة اتقياء ورهبان انقياء، فكانوا يقومون بكل حاجات الفقراء والسقماء من طعام وكسوة وغيرهما، وكانت عينهُ ترعاهم ساهرة بحب أبٍ وراعٍ على قطيعهِ الصغير هذا المُزدرى بعين العالم، معتبراً الفقراء كنزاً للكنيسة وابناء لله اعزاء وبنى مستشفى آخر للنساء المريضات الفقيرات والقى ادارتهُ الى راهبات تقيات، وقدم عليهن شماسةً فاضلةً تقية، فكنّ يقمنَ بكل نشاط بأود المريضات البائسات من ماكل وملبس، وكان الاسقف النشيط يعود مراراً اولئك المرضى المتجرعين غصص المرائر والمصائب فيعزيهم باقوالهِ اللطيفة ويشجعهم في احزانهم، ويقويهم في اشجانهم، ويستحثهم على احتمال مصائبهم بصبرٍ وسرورٍ وشكرٍ، وشوهد مراراً عديدة يدنو من المرضى بقلبٍ فرحٍ ويقبل شفاهم.

فسار مار رابولا سيرة ملاكية ممارساً أجل اعمال الفضائل الانجيلية صارفاً جل عنايته الى ما يؤُول الى سعادة قطيعه الروحية والجسدية مقتلعاً الشر من بينهُ غارساً بدلاً منهُ اغراس الفضائل الإلهية ساهراً بنشاطٍ عجيب على ان يواظب اولادهُ الاعزاء على إكمال واجباتهم الدينية وحفظ نقاوة ايمانهم وطهارتهم المسيحية، فربح محبتهم البنوية فأراد الله سبحانهُ ان يدعوهُ اليه ليجازيَهُ على ما مارس من الاعمال الصالحة وعلى ما قاسى من

الاتعاب الشاقة حباً بهِ فلما كانت السنة ٤٣٥ اصابهُ ضعف شديد، وذلك في شهر تموز، فعلم أنّ اجلهُ قد دنا، فأخذ يتأهب للسفر من هذا العالم، وكان من عادتهِ ان يوزع الصدقات على الفقراء في شهر كانون، فعجَّل ووزعها في شهر تموز، وامتدت صدقاتهُ كجاري عادتهِ الى جميع المدن والأديرة القريبة حتى الى اورشليم، وعفا عن المديونين لهُ فلما أقبل الموت يطرق بابهُ اخذ يصلي متخشعاً متضرعاً وقال مع الإناء المصطفى: "جاهدتُ جهاداً حسناً، وقضيتُ سعيي، وحفظتُ ايماني، وحُفِظَ لي منذ الآن اكليل البرّ الذي يجازيني بهِ في ذلك اليوم الديان العادل (٢:طيمثاوس:٤:٧) فإنما بيدهِ أُسلِم روحي" ثمّ رسم على وجههِ اشارة الصليب وبارك الحضار، فطارت نفسهُ البارة الى السماء مخلفاً للكنيسة اشدَّ الأسف على فقدهِ وللمؤمنين حسرات تدفع من العيون عبرات احرّ من الجمرات وعُرِضَ في الكنيسة فجعل الشعب يُقبل اليهِ زرافات مُذرفاً العبرات كالسيول ومتبركاً بلثم يديهِ ومس ثيابهِ وفي اليوم الثاني وُضِعت جثتهُ في صندوق فدُفِن في المقبرة باكرام لا مزيد عليهِ وكانت وفاتهُ في ٧ آب سنة ٤٣٥ قال كاتب القصة وهو مجهول الاسم: "وأصبح مرقدهُ ينبوع خيرات وبركات، فها انّ المرضى هناك ينالون الشفاء، والسقماء يُبراون والشياطين يُطردون والفقراء يُرزقون والأغنياء ينتفعون".

ومن تاليفات مار رابولا نصائح للرهبان، ووصايا للكهنة، وتراجيم، وعدة رسائل، وهو الذي ترجم من اليونانيَّة الى الأراميَّة ما كتبهُ قورلس اسقف الاسكندريَّة رداً على نسطور اسقف القسطنطينية وقد سبق الكلام أنّهُ ترجم الكتاب المقدس من اليونانيَّة الى الأراميَّة، وذكرهُ عند السريان في السابع عشر من كانون الأول.

مار يازدين[1] الحبيس وفثيون[2] وأذورهرمزد[3] الوالي وابنته أَناهيذ[4] الشهداء

١- مار يازدين

(٢١ ايلول نحو سنة ٤٣٠)

كان في أيام ورهاران الخامس في قرية داوين في رستاق ديناهور من اعمال لاشبار رجل من المجوس من الأُسر المعتبرة طائر الصيت في كل البلد معروف عند الملك ماهر في علوم المجوس اسمهُ مهريار[5] وكان لهُ ولدان يازدين ودادكوشنسب[6] أما يازدين فأرسلهُ ابوهُ الى المكتب في دار المجوسية حتى يتعلم علومهم ويُتقِنها غير ان الولد انهزم وانطلق الى بيت مُرَبيهِ وكانوا نصارى، ولم يعلم بهِ والداهُ حتى اتى المجوسي الذي كان يؤدبهُ وأخبرهما بانهزام الولد، فشملهما غم عظيم وكدر جسيم واخذا يفتشان عنهُ فوجداهُ في بيت مُربيهِ، ففرح بهِ أبواهُ فرحاً جزيلاً لكنهُ ما عتم ان انقلب فرحهُ حزناً وكابةً أذ رآهُ لا يريد ان ينطلق الى المدرسة، فأوسعهُ ضرباً فاضطُرَّ الولد خوفاً من ضربات أبيهِ ان يرجع الى المدرسة، لكنهُ ما لبث أن انهزم مرة ثانية، فانَّهُ لم يكن يرغب في علم المجوس فلمَّا أيقن مهريار ان ابنَهُ لا فكر

١- يزدان هو من اسماء الله تعالى بالفارسية.

٢- هذا الاسم اما فارسي فيكون مركباً من بَتُو اي مشرق ومن يُون اي لون، واما سرياني بمعنى عُرض ووسع.

٣- اذورهرمزد معناهُ نور هرمزد.

٤- كلمة فارسية معناها الزهرة.

٥- مهريار اي صاحب المحبة

٦- أظنه مركبا من داد اى نصيب ومن كوشاسب اي رؤيا.

لهُ ان يتعلَّم عَلم المجوس أهملهُ وقال: "أُرسل مكانَهُ اخاهُ دادكوشنسب فهو يُتقن العلوم" فبقي يازدين عند مربيهِ، وكان قد تعشَّق الديانة النصرانيَّة فكان يثابر على الذهاب الى الكنيسة وزيارة الامكنة المقدَّسة وحضور الذبيحة الالهية وهو لايمل من الإصغاء الى اقوال الكتاب المقدَّس وكان يتوق الى العماذ، فلَّما بلغ السنة الثانية عشرة من عمرهِ اخذ يسأل مربيهُ يعقوب ان يذهب بهِ الى الكنيسة حتى يجلببهُ الكهنة بحلة العماذ، وكان يعقوب يمهلهُ حذراً من ان يسمع ابوهُ فيعاملهُ بالسوء ويحرمهُ المكث في تلك القرية، وكان يحثهُ ان يخفي ما في قلبهِ ما دام ابوهُ في قيد الحيوة.

فلما عرف ذلك يازدين من يعقوب مربيهِ هجر البلد واتى الى كرخ سلوخ ودخل ديراً هناك يُعرف ببيت ساهدي (اي بيت الشهداء) وكان اسم رئيس الدير حينئذٍ مار يوحنا، وهناك اعتمذ واغتذى بدم وجسد يسوع المسيح، وتعلم قراءة المزامير وقراءة الكتاب المقدس وداوم على الزهد والنسك والتقشف مدة اثنتين وثلاثين سنة وهو يَصل الليل بالنهار غارقاً في بحار التأمل والمناجاة الربانية ثم عطف الى قريتهِ، وكان ابوهُ قد توفي، ولم يزل ينذر اخاهُ دادكوشنسب بالانجيل حتى صادهُ من بحر ضلالات المجوس فأدخلهُ في شبكة الصياد الإلهي، فقايض اخوهُ الشقاوة بالسعادة واعتمذ وبدل اسمهُ باسم داديشوع.

ورغب يازدين في الانفراد، فبنى لهُ صومعةً في الجبل الى جانب قريتهِ فأوى اليها، فكان هدفاً لحر الصيف المذيب وقر الشتاء الشديد مواظباً على الصلوة والصوم وقرب اليهِ واحداً من اولاد اخيهِ داديشوع كان اسمهُ فثيون، فانضم اليه وتعلم منهُ المزامير وقراءة الكتاب المقدس واقتدى بفضائله حتى بلغ شأوها وعبق كل بلد لاشبار والبلاد البعيدة بعبير

فضائلهما وتلألأت اعمالهما الصالحة كالشمس في وسط الضحى، فكان يقصدهما المرضى زرافات فينالون الشفاء، وتلمذ جماً وافراً من البلاد التي حواليهما اعني من بلاد مسبذان والأراميين والماديين، وسكنا سوية في تلك القلاية اربع عشرة سنة، وكانا كلما زادا سناً ازدادا بالفضيلة شغفاً ولها اتباعاً وتوفي يازدين في صومعته في الحادي والعشرين من ايلول وفيه كان يجعل لهُ الكلدان تذكاراً ومن بعد وفاة مار يازدين بقي فثيون في تلك القلاية ممارساً أجل الفضائل الالهية، وشاع خبرهُ في كل البلد، وابرأ كثيراً من المرضى وتلمذ من ارض لاشبار ماراً بالديريين والكرسيين الى ميشان فمهرجنقدق، وبنى هناك اربع بيع ثم عطف الى ارض مسبدان وتلمذ القرى الكثيرة التي في تلك الكورة، وفي دفعةٍ أُخرى بدأ بالتلماذ في بلاد ماري مفتقداً ايضاً الكنائس التي كان تلمذها، وكان يفعل ذلك كل عامٍ سائراً من بلاد مادي الى مهرجنقدق وميشان حتى اكمل شهادته.



٢- جهاد مار اذورهرمزد الحاكم

(٢٥ نيسان سنة ٤٤٨)

وكان في ذلك الزمان العامل على بلد لاشبار رجل من مدينة بِهشابور في فارس اسمهُ اذور هرمزد، وكان شهيراً في علم المجوس مستقيماً عادلاً، وكان لهُ ابنة وحيدة اسمها اناهيذ عزيزة عليهِ كثيراً، فذات يوم اعتراها الروح الخبيث وقاست منهُ كثيراً، واستمرت النهار والليل كلهُ على تلك الحالة، فدعا ابوها لإبرائها كثيراً من اليهود والمانويين والمجوس، فلم تستفِد منهم شيئاً، بل كانت تزداد شَذاً وأذىً فحينئذٍ قال لأبيها بعض جلسائهِ: "ان في الجبل راهباً قديساً يعمل المعجزات، فاذا احضرتهُ أبرأ ابنتك" ثم ذكروا لهُ أُناساً كثيرين كان قد شفاهم من امراضهم فأمر الحاكم فذهبوا بابنتهِ الى مار فثيون، فلما دنوا من قلايتهِ أخذ الروح النجس يصيح ويقول: "لا اذهب الى هذا الساحر الشرير" ورغماً عنها قدموها اليهِ، فلما دخلت عندهُ صاح الروح بصوتٍ عظيم وقال: "ما لي ولكَ ياعدو جنسنا، إنك نظير معلمك تضطهدنا وتسحقنا، انا لم أخطأ اليك يا رجل فلا تطردني من مسكني" فانتهر القدّيس الروح وقال: "أيها الروح النجس انا آمرك باسم يسوع المسيح ان تسد فاك وتخرج منها" فخرج وصارت الابنة كالميتة، فأمر القديس بإخراج الجميع، ولم يبقَ سوى ابن مربي البنت، فجثا القديس وصلى متخشعاً، ثمَّ قام من صلاتهِ ووضع يديهِ على رأس البنت فقامت لا عيب فيها فسجدت للقدّيس وقبلت رجليهِ قائلةً: "انت منحت لي هذه الحيوة الفانية" ولم تشأ ان تفارقهُ، واتصل الخبر بأبيها، فأتى الى القدّيس في تلك الليلة وقال لهُ: "إن انت ابرأتَ أبنتي هذه من مرضها أعطيتُك كل ما

تمنتهُ نفسك من الذهب والفضة والطرف" فقال لهُ القدّيس: "ان الذهب والفضة والطرف لا تجديني نفعاً بل تضرني فلا أريد شيئاً منها، وأما انتَ فإن اردتَ شفاء ابنتك فاجلس بمجلس العدل والانصاف مساوياً بين القوي والضعيف وراداً المظالم ومكثراً من العطاء للفقراء والبائسين. واياك والرشوة فانها تُعمي وتصم كما هو مكتوب في كتبنا" وكان الحاكم يصغي اليه وقد حسُن موقع كلامهِ من قلبهِ ورجع بابنته فرحاً راضياً.

ومر على شفاء اناهيذ سنتان، وكان ابوها قد نوى ان يتزوج بها، لكن الله الذي كان يريد خلاصها وخلاص ابيها ابتلاها بداء الجرب، فانقبض صدر ابيها كدراً، وارسلها ثانيةً الى مار فثيون، فقال لها القدّيس: "يا اناهيذ اذا اردت الشفاء التام من جميع الاسقام فأقري واعترفي بالمسيح فهو يحفظك من كل شر" ثم اخذ يكلمها عن الديانة النصرانية وضلالة المجوس وعذابات جهنم المعدة للذين لا يؤمنون بالمسيح، فاستحسنت كلامهُ، وذات ليلةٍ رأت نفسها في الحلم واقفةً امام ملكٍ عظيم مجيد لا مثيل لهُ على الارض فقال لها: "لماذا لا تسمعين كلام خادمي فثيون الذي حباً بخلاص نفسك يحثكِ على ان تتنصري، وانا دعوتك مرتين الى الحيوة الابدية، فلبث قلبك متعلقاً بالارضيات، فلا تترددي لئلا تكون حصتك مع الاشرار في نار جهنم" قال هذا واخذ تاجاً ووضعهُ على راسها، فاستيقظت وقلبها يشتعل بمحبة المسيح الذي أهلها لهذه النعمة العظيمة، ولما اصبحت واجهت القدّيس وقصت عليه ما رأتهُ في الحلم، فاعتمدَت وقلبها يتدفق حبوراً وسروراً.

وأرسل ابوها مرارا من ياتيهِ بها، فلم تذهب، فانطلق هو وأكرهها على الرجوع، ولم تكن تريد ان تاخذ الطعام قدام أبيها لئلا يعرف انها قد تنصرت ولما علم ذلك تشوش خاطرهُ وتكدر ضميرهُ فرشقها بسهام المذمة

وتوعدها، فذهبت اتعابهُ ادراج الرياح، فانطلق حتى دخل على مار فثيون وقال لهُ مغضباً: "ماذا فعلتَ بي لقد اخذتَ مني الابنة الوحيدة التي كانت لي، وانا كنتُ نويتُ ان اكرمك الكرامة كلها، واما الآن فلاجل انك تجرأت علي وغدرت بي فلأفعلنَّ بك ولأصنعنَّ" وأمر به ان يكبَّل من ساعته بالقيود، وكتب الحكم عليه وانصرف وفي تلك الليلة تراءى للحاكم رجل بمجدٍ عظيم لا يوصف لابساً برفيراً وبوصاً وماسكاً بيده قضيباً وامامهُ جمع كثير، فأوعز الى واحد من خدمه ان يضربهُ بالعصا التي بيده، فضربهُ على منكبه ضربةً موجعةً، فاستيقظ الحاكم وَجِلاً خجلاً وقد اصابهُ من الوجع ما لم يقدر على احتماله وفي تلك الليلة عينها، استدعى مار فثيون وسألهُ الصفح، ففتح القديس فاهُ وشرع يلقي على سماعه التعليم الوحيد الحقيقي، ثم وضع عليه يدهُ وابرأهُ فرغب الحاكم في إخضاع قلبه لنير الايمان واستعلم القدّيس ديانتهُ، فأخذ يزرع في قلبه بذور الايمان الصحيح ويغذيه باقوات التقوى من مواعظ الانجيل ويقمعهُ عن الانصباب على طلب اللذات وعلى دك حصون الاضاليل المبنية في ارض قلبه ولما رأى انّ لكلامه وقعاً عظيماً في قلبه. اقام عندهُ ثلاثين يوماً يشربهُ تماماً بغض الاباطيل والاضاليل المجوسية وعشّقهُ الديانة المسيحية، فاصطبغ بمياه العماذ واغتذى بالاسرار الالهية وتسلح بقوة الروح القدس لمقاومة الشيطان وتجاربه.

وشاع خبر تنصره في كل انحاء البلد، فاجتمع اليه كثير من المجوس واخذوا يلحون عليه ان يقلع عن آرائه، ولم يكن هو ليشتد الا ثباتاً فيها، فأخبروا رئيس البلد بأمره لكي ياتي فياخذ منهُ الثار، فكرثهُ الغم وألبَّ جميع اعيان البلد وفقهائه واستدعوا اذورهرمزد، فلما مثُل بين اياديهم، قال لهُ الرئيس: "قد بلغ مسامعنا يا اذورهرمزد أنك قد نبذتَ إلهنا العظيم

الجليل فتوغلت في ضلالة هؤلاء النصارى المحتالين المكارين الممقوتين، فأشير عليك ان تزوغ عنهم والا لأجعلنَّك عاراً لجميع الذين يعرفونك وسخريةً لجميع الذين حولك، ولأُذيقنك آلاماً وعذاباتٍ فادحة فالموت الزؤام" فقال لهُ اذورهرمزد بشجاعةٍ عجيبة: "اني حتى الآن كنتُ ضالاً لا اعرف الله الحق، وكانت كل آمالي بهذه الحيوة الفانية وبخيراتها الزائلة، اما الآن فاذ قد عرفتُ الاله العظيم رب المجد وملك الملوك القدير القوي الذي اراني مجدهُ ودلني على عظمتهِ وترحم علي فقادني بزمام الإهتداء من تيه اضاليلكم الى مناهج طاعتهِ، فحاشاي ان اكفر بهِ واقر بالآلهة الكذبة التي هي احط مني شرفاً، اذ لا معرفة لها ولا نُطق ولا حيوة، بل هي مخلوقة لخدمتنا واما ما تقول عن العذابات المخيفة المزمع انتَ ان تسومني اياها فانا لستُ أُبالي بها لا بل اني تائق الى مجد احتمالها لاجل يسوع المسيح الذي آمنتُ به وهو ينقذني من انياب الشيطان الذي يهددني فيك" فجُن رئيس البلد غيظاً وقال بشدة: "شدوا على هذا الكافر الشرير المنافق واوثقوا يديه ورجليه ورقبتهُ ولا يقدَّم لهُ سوى قليل من خبز الشعير الذي يُعطى للكلاب، وما ذاك إلا سداً للرمق، وليستنطق كل يوم بعذابات شديدة، وليأت المسيح فيخلصهُ من يديَّ" وللحال قام عليه الجلادون كأُسود ضارية وشدوهُ بقساوة وحشية ونكلوا بهِ طويلاً قدام تلك الجماعة، وقام كثير من اصحابهِ واخذوا يلحون عليهِ ان يرجع الى دينهِ فيفوز بالنجاة، وانّ واحداً منهم اسمهُ بربورزين كان هو ايضاً مثلهُ من مدينة بهشابور وكان بسببه قد ارتفع الى المنزلة الرفيعة في ذلك البلد جذبهُ بثوبه الى زاوية وقال: "اخي اذورهرمزد انت تعلم انّي أودُّك من كل قلبي، وافضلك على كل من سواك في هذه الغربة، فارعني السمع يا عزيزي... لا تجعل بلدنا عارا لجميع المملكة، اقلع عن آرائك

الفاسدة، واشفق على نفسك ولا تتركني وحدي في هذا البلد الغريب الذي من اجلك اتيتهُ، انبذ دين النصارى فترجع اليك كرامتك" فقال لهُ المعترف: "اذا اردتَ فلا تبقَ وحدك بل تعال انت ايضاً واعتنق الديانة النصرانية واختلط معنا في زمرة الذين يُقتلون من اجل ايمانهم بالمسيح فترث معنا الحيوة الابدية واما انا فحاشاي ان انبذ المسيح الذي أطلع في قلبي شمس معرفتهِ الأزليَّة" وعلى هذا المنوال ألحَّ عليهِ جميع اصدقائهِ، لكن سعيهم ذهب ادراج الرياح.

وارسلوا رسولاً الى الملك ليخبرهُ بأمر اذورهرمزد فغضب الملك غضباً شديداً وامر من ساعتهِ واحداً من عظماء المملكة اسمهُ اذورفرزجرد كان موصوفاً بعلمهِ ان ينطلق الى لاشبار لكي ينصح اذورهرمزد فيرجعهُ الى المجوسية والا فلينكل بهِ شهراً من الزمان ثم يقتلهُ قتلةً وبيلة فلما وصل اذورفرزجرد الى لاشبار، امر بأذورهرمزد فأُحضر، فقال لهُ مغضباً: "قُل لي يا اذورهرمزد، الكرامة تطلب ام العار، الحيوة ام الموت، أفي الاستراحة ترغب ان تكون ام في التعب، التسلُّط على الغير تتمنى ام ان يتسلط عليك الذين كنتَ انتَ تحكم عليهم؟ أفما كان اوفق لك لو كنتَ الآن جالساً على كرسيك معززاً مكرماً تأبى منزلتك الا ان ترتفع، قل لي ما هي المنزلة التي نلتها عند النصارى، وما هي الخيرات التي اصابتك منهم لقاء كفرك بديانتنا والحالة هذه انَّهم ملعونون منكودو الحظ، وكل من ينقاد لهم احمق جاهل نظيرهم، كيف لا وهو يترك ما هو سامٍ عالٍ واضح كمثل الشمس برائعة النهار فيتبع النصارى المُحَقَّرين المرذلين المُتَّضعين الى التراب، لانهُ مكتوب في كتاب زنداوستا[1] ان كل من يكون في هذا العالم رفيعاً عالياً مكرَّماً ففي العالم

١– كتاب زنداوستا كان الكتاب المقدس عند الفرس الحاوي عقائدهم وشرائعهم.

العتيد ايضاً يكون ممجَّداً مُوَقراً، وانّ الذي يكون حقيراً دنياً في هذا العالم ففي العالم الآتي ايضاً يكون حقيراً، لانَّ العالَمين انَّما هرمزد قد كوَّنهما" فاجابهُ مار اذورهرمزد قائلاً: "انّ تعليمك هذا فاسد كما انَّ ديانتكم باطلة، قولوا لي أأشوقار وأفراشوقار وزاروقار نحسبهم آلهة ام هرمزد النَذيرَة نعدُّهُ إلهاً وهو الذي لم يقبل نذور أبيهِ زارون وذبائحهُ اذ انهُ كرهاً ولد الشيطان ايضاً معهُ، وهو لم يكن يعرف مَن كان يجبلهما في بطنهِ، وليس أشوقار وافراشوقار وزاروقار سوى أسماء فارغة وحجارة بلا حاسة، وكذلك ايضاً انَّ زارون أبا هرمزد والشيطان ليس بإله، وكيف يكون آلهنا وهو لم يكن يعلم بما جُبل في بطنهِ، فلعلَّ إلهاً آخر كان موجوداً ولهُ كان يضحي زارون وهو كان يصور اولاداً في بطن زارون وذلك رغماً عنهُ، فترى لمن نسجد ونوقر لكي يساعدنا" واطال القدّيس في الكلام عن بطلان ديانة المجوس وعن قوة اهريمان إله الشر وعن ضعف هرمزد إله الخير، فامض كلامهُ المجوس وتميزوا من الغيظ، فأمر بهِ اذورفرزجرد فضُربَ على فمهِ لانهُ كفر، ثم اتوا بقضبان وضربوهُ مائة ضربة، ثمَّ اودعوهُ سجناً ضنكاً ولما اصبحت احضرهُ اذورفرزجرد وقال لهُ: "لقد اخذ منك الجنون وغلب عليك، والشيطان قد تسلَّط عليك، وغمرات الظلمة غشيت قلبك حتى انك حباً بديانة باطلة تذوق كل ضروب العذابات ولستَ تبالي بها فترى ماذا رايت من النصارى حتى انك مع كل هذهِ العذابات لا تزال تطوي كشحك على المدافعة عنهم... انّ قلبي متصدع حزناً عليك، فارعني السمع واقلع عن آرائك الفاسدة ولا تحملني على قتلك" فاجابهُ القدّيس: "انّ امرك لعجيب، فمع كونك تعبد الشيطان تتجرأ على تسمية الديانة الحقيقية بديانة الشيطان، واني اعلم انّ الشيطان لا يمكنك من ان تسمع كلام الحيوة" قال

اذورفرزجرد: "انكص عن التجديف يا منكود الحظ وقل نسخةً من كتاب زنداويستا، وللحال يتغضر عنك الشيطان فيكون لك حصة مع هرمزد" قال لهُ القدّيس: "لا تدعُ الشيطان إلهاً، لانهُ مسطور في كتابنا: الويل للذين يدعون الطالح صالحاً والصالح طالحاً، فلا تجلب الويل لنفسك بتسميتك الله الحق شيطاناً".

ولم يزل اذورفرزجرد يناقش القدّيس اياماً طويلة مستنفداً وسعهُ لإبعادهِ عن الديانة النصرانية، والقدّيس يشتد ثباتاً عليها فأمر اذورفرزجرد بقتلهِ فلما وصل الى محل العذاب جثا وصلّى قائلاً: "يا ربنا يسوع الذي أنقذني من أنياب الذئاب الخاطفة فأدخلني في حظيرتهِ شجعني انا عبدك وقوِني حتى اثبت الى المنتهى لاني ضعيف وبدون نعمتك لا اقدر على تكميل ارادتك، اغفر لي ذنوبي الكثيرة وخطاياي الوفيرة، فأنت رحوم شفوق" فلما قام من صلاته قال لهُ اذورفرزجرد: "أما تُذعن للملك وتسجد للآلهة؟" قال لهُ: "اصنع ما أُمِرتَ بهِ ولا تجاوز امر ملكك، وانا اعجب منك في قلة عقلك وكثرة جهالتك، فقلتُ لكَ مراراً اني لستُ بساجد لآلهتك وانت تأبى الا ازدياداً في اقوال لا طائل تحتها" فحينئذٍ انصرف عنهُ اذورفرزجرد وقال سراً للجلاد: "اشحذ السيف قدام عينيهِ وامتغطهُ ثلاث مرات، فاذا رايتهُ لا يخاف فحينئذٍ انقف هامتهُ" ولما حان زمان قتلهِ رفع بصرهُ الى السماء وقال: "يا ربنا يسوع المسيح، استجب لكل من يدعوكَ باسمي وانقذهُ من الذين يضيّقون عليهِ، واقبل روحي، فلك ولأبيك والروح القدس المجد والكرامة والعظمة الى ابد الابدين آمين" قال هذا واخذ الجلاد راسهُ بالسيف وكان استشهادهُ في الخامس والعشرين من نيسان سنة ٤٤٨ في الساعة

الحادية عشرة من النهار في بقعة قرية يثري في بلاد لاشبار وفي تلك الليلة ذهب النصارى بجثّته الى قلاية مار فثيون وقُبرَ هناك باكرام.



٣- جهاد القدّيسة أَناهيذ ابنة اذورهرمزد الحاكم

(١٨ حزيران سنة ٤٤٨)

عندما كان المجوس يستنطقون اذورهرمزد وينكلون بهِ سألوا ايضاً عن ابنتهِ أناهيذ وارادوا القبض عليها غير انهُ أُذيع خبر انهزامها فأمسكوا عنها وكان النصارى قد أخفوها، وبَنَت لها قلايةً بقرب قلاية مار فثيون وانعكفت فيها على الصوم والصلوة فبعد استشهاد ابيها بايام قليلة بينما كان اذورفرزجرد جالساً في مجلسهِ وعندهُ جماعة من المجوس وكان مدار الكلام على اذورهرمزد الشهيد، أخذ بعضهم يصفون ما لابنتهِ اناهيذ من الحسن الرائع والجمال الرائق والعلم الواسع والمال الزائد فقال بعضهم لبعض: "لا بُدَّ من ان نأتي بها فنجبرها على نبذ الديانة النصرانية" وللحال أمر اذورفرزجرد واحداً من رجالهِ اسمهُ طهمين ان ياخذ معهُ ثمانين من الخيالة فيخرج مسعياً بها فامتثل أمرَهُ طهمين وخرج يفتش عنها في الغابات والقرى والجبال، ولما وصلوا الى قرب قلاية مار فثيون قال بعضهم لبعض: "انطلقوا بنا الى هذه القلاية فلعلَّ الفتاة فيها مستخفية" فانطلقوا حتى دنوا منها، فرأوا قريباً منها قلايةً أُخرى، فقصدوها واذا باناهيذ فيها وهي تصلي متخشّعةً مذرفةً العبرات السخينة فوقفوا على الباب مدهوشين وهم لا يتجاسرون على الدخول، فنظرت اليهم الفتاة باحتشام وقالت لهم: "ما لي اراكم واقفين مدهوشين، اذا كنتم بي تسعون فها انا الخاطئة قدامكم، ونظير نعجة وديعة يُذهَب بها الى المذبح أصحبكم فرحةً مسرورةً" اما هم فكانوا منذ مشاهدتهم اياها قد حزنوا حزناً عظيماً وصار ينظر بعضهم الى بعض ويقول: "يا للأسف كيف نُسلم هذه الفتاة البديعة الجمال الرشيقة القد الى

اذورفرزجرد فيخضب رشاقتها بالدم ويمزق جسمها أيَّ تمزيق" لا بل اخذوا يتشاورون في امر نجاتها ولما فكروا في ذلك كثيراً ولم يستطيعوا اليه سبيلاً شَرعوا اخيراً يلومون بعضهم بعضاً ويقولون: "يا ليتنا لم نكن جِئنا هنا، فإن اضربنا عنها فنكون قد وقعنا في بلية من اذور فرزجرد، واذا ذهبنا بها فنكون قد سلمنا نعجةً نقيةً الى ذئب ضارٍ لا مرحمة لهُ، فما الحيلة؟" فبينما هم يتآمرون في هذا، قامت القدّيسة اناهيذ وتغشَّت بثوبها وخرجت اليهم وقالت لهم: "لا تتأخروا عن الذهاب بي الى سيدكم والا يقاصصكم فعجلوا" فتعجبوا من شجاعتها، ولم يتمالكوا ان بكوا لدى تفكرهم انهُ انما بأيديهم تُسلَّم الى الفساد هذه الفتاة الرائعة.

فانطلقوا بها حتى دخلوا على اذور فرزجرد، وكان قد اجتمع عندهُ كثير من المجوس وعظماء البلد، وأخذ العجب من انفسهم كل مأخذ من حسن جمالها البديع ورشاقة قدها الظريف وصاحوا قائلين: "بالحقيقة هذه هي أناهيذ بانو[1] " فأطفأُوا الثائرة واضربوا عن التهديد والتخويف، وأخذ اذور فرزجرد يخاطبها بعبارةٍ رقيقةٍ والفاظٍ رشيقةٍ رجاء ان يجلبها بذلك الى رأيهِ الفاسد ولما لم يستطع سبيلاً الى ذلك مع كل ما أظهر من التودد اليها والتلطف لها وتليين الكلام والتذلل، قال لها مغضباً: "يا اناهيذ الشقية ابنة ماهدوختى[2] بنت زرادوشت[3] العظيم شعاع مذهبنا وركنهُ ما هذا الجنون الذي اصابكِ؟... اذا كان والدك اذور هرمزد قد اعتراهُ الهذيان فنبذ ديانة زرادوشت، فانتِ ايتها الفتاة الزهراء ما هذا الجنون الذي اعتراكِ فتمسَّكتِ

١– اى الست الزُهَرة فان اناهيذ بالفارسية معناها الزهرة وبانو معناها السيدة.

٢– كلمة فارسية مركبة من ماه اي القمر ومن دوخت ومعناها البنت اي بنت القمر.

٣– هو الذي وضع ديانة الفرس وكتب كتاب زندأوستا.

براي النصارى السحَرة الكذبة؟ فان شئت ان تتزوجي فكل من أحببتِ من المجوس وعظماء المملكة تطيب نفسهُ بان يقترن بكِ، فاضربي يا ابنتي عن ضلالة ابيكِ المنكود الحظ رجاء ان تبقي على ما انتِ عليهِ من الكرامة والعظَمة، وان اردتني انا جعلتُكِ اكرم السيدات التي في المملكة، واذا لم تكوني تريديني فها إن ابني أذُورسُروشاي يمكنكِ ان تتزوجي بهِ وهو عزيز ومكرم عند الملك، وانا أُكرمكِ الكرامة كلها واجعلكِ ربة داري وكل ما فيها".

ولما كان اذورفرزجرد يخاطبها بهذه الأقوال، لم تكن هي تنظر اليهِ بل كان بصرها محدقاً الى الارض، فلما فرغ من مقالته، فتحت فاها وقالت لهُ بشجاعة عجيبة: "لك أقول يا اذورفرزجرد الكثير الشهرة والعظمة فيما بين المجوس، إني مخطوبة للمسيح، فمن المستحيل ان اكون زوجةً لغيرهِ، وخطيبي ايضاً لا يقبل ان يتزوج مني كل من يكون، وهو شديد القوة، وما من احد يقدر ان ياخذ منهُ شيئاً أبداً، وانت ان كان لك شيء تفعلهُ بي فافعلنهُ ولا تتأخرن عنهُ متمادياً في اقوال لا طائل تحتها" فقال لها اذورفرزجرد مغضباً: "من هو يا سافلة خطيبكِ هذا القوي الذي ما من احد يقدر ان يقوى عليه؟ إن ملك الملوك الجبار القوي لقد أخضع اليابسة حتى البحر، فتذلل لهُ الأقوياء والجبابرة فكيف لا يقوى على خطيبكِ الضعيف الذي والحالة هذه هو دني غير معروف" فقالت لهُ القدّيسة: "لو كان خطيبي من اهل الأرض لانقاد لسيدك مثلما قلتَ، غير أنهُ في السماء وهو متسلط على الارض والسماء، فلا يقوى عليهِ ملكك الجبار، لا بل واذا اجتمع كل ملوك الارض فلا يقوون عليهِ، لأنهُ تعالى أول ما يتفرس بهم يهلكون قاطبةً من أمام وجهه ويذوبون كما يذوب الجليد قدام النار" فاستشاط اذورفرزجرد غضباً وقال لها: "أراكِ تحذين انتِ ايضاً يا جاهلة حذوَ ابيك

المنافق الشرير، اسمعي نصيحة مشفقٍ ناصحٍ، إِرجعي عن ضلالة أبيكِ وتمسكي بديانة ابي أُمِكِ، واسجدي للشمس والقمر والنار التي هي اولاد هرمزد، فتفوزي بالنجاة من الشرور الهائلة المنقضة عليك" فقالت لهُ القدّيسة: "ويلاً للشيخوخة عندما يُصيبها الخرف فتصير هزأةً بين الناس فيهزأون بها فأنتَ ايضاً قد امسيتَ شيخاً وخرفتَ فتأتي باقوال لا يقبلها العقل السليم، فإِن الشمس والقمر والنار ليست إلا خلائق كونها الله لخدمتنا، ونحن افضل منها اذ لنا معرفة وهي جامدة كالأحجار وما يضارعها".

فلما قالت القدّيسة هذا الكلام، اشتعل القاضي غيظاً فلم يجد لاخماد النار الا الأخذ بالثار فصاح بالذين كانوا ماثلين بين يديهِ أن يضربوها على فيها بقساوة شديدة حتى تتساقط جميع اسنانها على الأرض، فهجموا عليها ككلاب ضارية وأوقعوا بها ضرباً على فيها وعلى رأسها بقساوة وحشية، فتورم رأسها ووجهها واشتد الورم حتى انهُ غطى عينيها، وتساقطت جميع أسنانها، واصطبغ كل جسمها بالدم الذي كان يجري من فمها وخدَّيها ثمَّ أمر ان يشدُّوا يديها تحت ركبتيها ويودِعوها سجناً ضنكاً وألا يقدموا لها طعاماً حتى ياتي إِله النصارى فينقذها كما ادعت هي، فأجروا أمره بكل تدقيق، وكانت في السجن تسبح الله وتتلو آيات من مزامير داود وتقول: "اشكرك ياربّ من كل قلبي وقدام الآلهة ارتل لك، اسجد في هيكلك المقدَّس واشكر اسمك على نعمتك وحَقك لأنهُ في اي يوم استغثتُ بك استجبتني وقوَّيتَ نفسي" واستمرَّت على تلاوة المزامير حتى الصباح ولما اصبحت اجتمع جميع المجوس والأعيان عند اذورفرزجرد، وأمروا بإِحضار اناهيذ، ولم تكن تقدر هي على المشي، فحملوها وأتَوهم بها، فألحوا عليها كثيراً ان

تُمسك عن النصرانية، فلم تزدد الا ثباتاً فدنا منها واحد منهم وكان من اقاربها وقال لها: "يا ابنتي اناهيذ، قولي لي ما هذا الجنون الذي اعتراكِ... اذا كان النصارى قد دهوروا أباكِ في أعماق ضلالهم فانتِ ماذا اصابكِ، ما بالك تناهضين هرمزد؟ واذا كنتِ لا ترغبين في المجوسية فقولي فقط انني لستُ نصرانية، وانا اخلصكِ واذهب بكِ الى بلد من بلاد النصارى وهناكَ تصرفي في ديانتكِ طالما انتِ في قيد الحيوة" فقالت لهُ القديسة: "يا احمق كيف يطاوعني قلبي على انكار ذاك الذي بهِ نحيا وبهِ نتحرك نحن وجميع الخلائق، الى اين اذهب واين اهرب، فاينما اذهب فالله موجود ويراني، وهو تعالى قال من ينكرني قدام الناس انكرهُ انا ايضاً قدام ابي الذي في السموات فلستُ انكرهُ ابداً".

فاشتدَّ غيظ القاضي وأمر بترجيعها الى السجن وتعذيبها اشنع العذابات ففعلوا وفي الغد عادوا الى تعذيبها، فأوثقوا يَديها تحت ركبتيها، وأدخلوا خشبةً تحت ابطيها، فعلَّقوها منكسة الراس، وبقيت على تلك الحالة الليل كلهُ، فلما اصبحت أمر بإِحضارها ابتغاء ان يعجل في قتلها، لأن كثيرين كانوا يتنصرون بسببها، وكانت جميع عظام ذراعَيها قد تكسرت فلم تكن تقدر على تحريكهما فأوعز الى نيهورمزد بن أذُرماهان الذي كان حاكماً على تلك البلاد كلها أن ياخذ طهمين آينبَد معهُ وكثيراً من الخيالة، فينطلقوا بالقدّيسة الى الجبل الذي كانت تسكن فيهِ، ويطلوا جسمها بالعسل ويُضجعوها على الارض رابطين يَديها ورجلَيها باربعة اوتاد حديدية غليظة ففعلوا وكانت هي فرحة مسرورة تسبح الله وتشكره لأنهُ اهلها ان تقتفي آثار ابيها ورجع نيهورمزد ورفقاؤُهُ من الجبل قاصدين اذورفرزجرد ليُخبروهُ أنهم أجرَوا أوامِرَهُ، ولم يكونوا قد وصلوا الى لحف الجبل الا واكتظ الجبل

من الزنابير، وكانت عديدة لا تُحصى، حتى أنَّ الهواء غصَّ بها، فتكوَّمت بعضها فوق بعض على ارتفاع اكثر من ذراع، وكانت هائجة لا تخلي احداً من الناس والحيوانات والطيور أن يدنو من ذلك الجبل، ولم تقترب من جسم القدّيسة بل احاطت بهِ وَسَتَرَتْهُ حتى من اشعةِ الشمس، فكانَّهُ قد وُضعَ في خيمة نسجتها يد القدير، وبقيت الزنابير في تلك الحالة سبعة ايام.

وكان بقرب ذلك المكان كثير من الأسرى الروميين، فحملتهم الغيرة ان ينطلقوا فيأتوا بجثَّة القدّيسة ويدفنوها بإكرام، فقام الكهنة وأخذوا الانجيل ومصابيح وأبخرة وأنواع الطيوب وأنسجة كتانيَّة وكل ما يلزم للدفن، وصحبهم كثير من المؤمنين، وساروا جميعاً بالأُبَّهة والجلال الى الجبل حيث كانت القدّيسة وهم يرتلون مزامير داود فلمَّا قرب الموكب من القدّيسة تنحت عنهُ الزنابير وتكوَّمت بعضها على بعض يمنةً ويسرةً، فعبر الموكب السبيل المفتوح لهُ، وسار حتى انتهى الى القدّيسة، وكانت قد طارت نفسها الى الملكوت، فلفُّوا جسدها بانسجة كتانيَّة مضمَّخة بانواع الطيوب، وصلَّى عليها الكهنة، ثم ذهبوا بجثتها الطاهرة ودفنوها في قبر ابيها اذورهرمزد والقدّيس يازدين، وكان ختام جهادها في ١٨ حزيران سنة ٤٤٨، وفيهِ كان يمسك الكلدان تذكارها كما جاء في قائمة القدّيسين السنويَّة.



٤- جهاد مار فثيون

(٢٥ تشرين الاوّل سنة ٤٤٩)

بعد ان مرَّ على استشهاد القدّيسة أناهيذ ايَّام قليلة، أمر اذور فرزجرد بالقبض على مار فثيون واحضاره، لانهُ هو الذي صار سبب قتل اذور هرمزد وابنته اناهيذ فلمَّا مثل بين يديهِ نظر اليه شزراً وقال لهُ: "أأنت فثيون الساحر رئيس النصارى؟" قال القدّيس: "لستُ انا رئيس النصارى، بل اني عبد الله وخادم النصارى، ولستُ ساحراً ومضلاً، لكنكم انتم سحرة وتضلون الناس وتخدعونهم، اما انا فأُعلم الحق واري الناس الطريق المؤَدية الى الحيوة الابدية" فغضب اذور فرزجرد وامر بهِ ان يكبل بالقيود ويُطرَح في السجن فأُجريَ امرهُ.

ولما انتصف الليلُ حُلت رُبط مار فثيون، وقام يتمشى في الحبس ذهاباً واياباً شاكراً الله تعالى وسُمع غفلةً صوت شديد في الحبس، فاستيقظ جميع المسجونين واذا بُربُطهم محلولة، وابواب الحبس مفتوحة كلها، فتعجب الذين كانوا في الحبس وهتفوا جميعاً بصوتٍ واحد قائلين: "لعظيم آلهك يا فثيون وقوي ومجيد، وطوبى للذين يؤمنون بهِ ويخدمونهُ" واستيقظ ايضاً رئيس السجن، فلما رأى الابواب مفتوحة ورُبط المسجونين محلولةً استحوذ عليه خوف شديد لانهُ ظنَّ انَّ جميع المحبوسين قد انهزموا، فاراد قتل نفسه لكنَّ مار فثيون تداركهُ بقولهِ لهُ: "لا تخافنَّ يا شاهين ولا تنتحرن فانَّ جميع المحبوسين هنا" ولما اصبحت، انطلق رئيس السجن واخبر نيهوزمزد الحاكم بكل ما جرى، فاسرع الحاكم الى السجن، ثم ذهب فاخبر اذور فرزجرد باحضار مار فثيون فقال له مغضباً "يا لك من شرير سحار، أفي السجن

ايضاً لا تضرب عن السحر؟ لعمري انك تستحق الف ميتة" قال لهُ القدّيس: "حاشاي ان اكون ساحراً شريراً، وانت تدري جيداً أينا ساحر، فالشياطين انما الى الذين يعبدونهم ويسجدون لهم يتقربون، فترى كيف يساعدونني ويتقرَّبون الي انا الذي لا ازال أُقاومهم وابذل قصارى جهدي في ازالة ضلالتهم، وانّ ما اعملهُ من الغرائب انما بقوة المسيح اصنعهُ، وانتم لا ترون ذلك لانكم ضالون".

فغضب المجوسي غضباً شديداً، وامر بان يكبل القدّيس بسلاسل ثقيلة ويُلقى في النهر الذي بقرب القرية، فأمضوا بهِ امرَهُ، وطرحوهُ في النهر واول ما انغمست رجلاهُ في المياه وقفت المياه المنحدرة من فوق وقامت نداً واحداً عظيماً جداً، والمنحدرة الى نهر جوزان وهو نهر سيني انقطعت تماماً، فوقف القديس على اليبس راسخاً، فتعجب الحضار وخافوا خوفاً شديداً وصرخوا قائلين: "لعظيم آلهك يا فثيون لعظيم آلهك وليس في الآلهة من يضارعهُ قوةً وعظمةً، فهو الإله الحيَّ الحق الابدي الازلي الذي ارسل ملاكهُ من العلى وخلص عبدهُ" ثمّ اسرعوا واخبروا المجوسي والذين معهُ بما عاينوا، فقام الجميع وهَروَلوا الى النهر، فلما راوا الاعجوبة تعجبوا كثيراً وآمن كثيرٌ منهم بالمسيح.

اما المجوسي فنسب ذلك الى السحر، وصار يتقد غضباً وينظر ان يبالغ في التنكيل بالقدّيس، فأمر بإخراجه من النهر، واول ما وطأت رجلاهُ اليابسة رجع ماء النهر الى موضعهِ، راناً مُصوتاً بشدَّة لا مزيد عليها، فأمر حينئذٍ المجوسي بإضرام نار شديدة وإلقاء القديس فيها، وامر باحضار مار فثيون، فلما مثل بين يديهِ قال لهُ: "يا رئيس السحرة والاشرار حتى متى تخدع الناس باسحارك، لعمرُ هرمزد العظيم وحياة يزدجرد ملك الملوك لأُبيدنك في

هذهِ النار، فليأتِ إله النصارى المتكل انت عليهِ وينقذك منها" فقال لهُ القدّيس: "يا منكود الحظ وعديم العقل ترى كيف انّك بعد رؤيتك هذهِ العجائب لا تُذعن للحق، فكما ارسل الله ملاكهُ ونجاني من المياه هكذا الآن ايضاً ينفذ ملاكهُ ويخلصني من النار" فامر المجوسي بطرحهِ في النار، فلم تؤَثر فيهِ، وكان القدّيس يسبح الله بصوتٍ عالٍ ويقول: "ما أعظم أعمالك يا ربّ وأعمق افكارك، الرجل الجاهل لا يعرف، والأحمق لا يفهم هذا، لانّهُ ها هوذا أعداؤُك يا ربّ، لانهُ ها هوذا اعداؤُك يهلكون، ويتشتَّت جميع عمال الاثم" (مزمور:٩٢:٦ الخ) وكان الحضار ينظرون اليهِ متعجبين فقال اذورفرزجرد لنيهورمزد الحاكم وهو قد هاج كالوحش الضاري: "يا نيهورمزد ان بقي هذا الساحر في قيد الحيوة زالت ديانة المجوس من كلّ المملكة" فقال لهُ نيهورمزد: "يا اجل المجوس، إنّ ما صنعهُ هذا الرجل لعظيم ولا يمكن نسب أعمالهِ هذه الى الشياطين وأهرمان، فانهُ ينتج حينئذٍ أنَّ هرمزد ضعف كثيراً ولا يقوى على اهرمان والشياطين اذ انهم يكونون قد طردوا ولديهِ (اي الماء والنار) من مسكنهما" فقال لهُ اذورفرزجرد: "يظهر لي يا نيهورمزد انك انت ايضاً نظير طهمين آيَنْبَد ورفقائهِ الخيالة تبعت هذا الساحر المنافق، فسوف ترى كيف اني اقتلهُ أشنع قتلة" أما نيهورمزد وكثير من المجوس فلم يتجاسروا ان يجاوبوهُ وإنّ كانوا قد أيقنوا انَّ فثيون هو رجل الله، وانّما بقوتهِ كان يصنع تلك الأعمال العجيبة، وأما اذورفرزجرد فكان يقول: "انّ النار انما من اجل نجاستهِ لم تتنازل ان تتقرَّب اليهِ" ثمَّ أمر فأُخرج القدّيس من النار وطُرِح في السجن فبقي فيهِ مدَّة شهرين وستَّة ايام.

ثم استدعى اليهِ نيهورمزد وحاكم البلد وغيرهما من أرباب الحكومة، وأمر نيهورمزد ان ينطلق بفثيون الى الجبل الذي كان يسكن فيهِ ويُقطعهُ ارباً ارباً في ذلك الموضع الذي فيهِ قُتِلت اناهيذ فاحتج نيهورمزد بكونهِ مريضاً ونحيف المزاج، فغضب عليهِ اذورفرزجرد وعزلهُ من مأموريتهِ وقال لهُ: "إني ادري يا منكود الحظ انهُ منذ اليوم الذي ارسلتُك لتقبض على هذا الشرير قد احببتَ النصرانية فنبذتَ المجوسية، فسوف ترى كيف اني منك ايضاً انتقم انتقاماً شديداً" قال هذا والتفت الى مهبورزين وامرهُ ان يذهب هو بفثيون فينكل بهِ فامتثل مهبورزين امر مولاهُ، وانطلق بالقدّيس الى المكان المعيَّن للعذاب وهو مصحوب بكثير من اعيان البلد ولم يزل في الطريق يلح على القدّيس ان ينبذ النصرانية، فلم ينبس ببنت شفة ولما انتهوا الى مكان العذاب، اقبلوا عليهِ جميعاً طالبين اليهِ ان يكفر بالمسيح قائلين: "لا تُهلِك نفسَك، بل قُل فقط اني لستُ نصرانياً، فنُطلق سبيلك واذهب حيث تشاء" فقال لهم بشجاعةٍ: "يا لكم من جهال...تريدون ان تصدوني عن سبيل مقصدي، ولكن حاشاي ان اكفر بآلهي العظيم الجليل، فلا تقضوا زمانكم بما لا طائل تحتهُ، بل اسرعوا وأمضُوا في أمرَ مولاكم" فحينئذٍ امر مهبورزين الجلادين ان يدنوا منهُ ويُروهُ آلات التعذيب مظنّةً منهُ انهُ اذا ما عاين تلك الآلات المخيفة ترتعد فرائصهُ خوفاً، فينبذ النصرانيَّة واما القدّيس فأوَّل ما رأى تلك الآلات، وقع على الارض ساجداً، وأخذ يقبلها فرحاً مسبحاً الله قائلاً: "اشكرك يا ربّ السماء والارض لانك أهَّلتني ان أُشاهد ما تتزيَّن بهِ جميع اعضائي من الحُلي والاكاليل".

فلما قال هذا دنا منهُ واحد من الجلادين فقطع اولاً أُذنيه وَمنخرَيه فحالما وقعت أُذناهُ ومنخراه على الارض، اخذها القدّيس وقبلها ووضعها على راحة

يده ِ ورفع عينيـه ِ الى السماء وقـال: "اشـكرك يـا ربّ الـسماء والارض لانَّـك سمعتني، اسمع يا ربّ صـلاتي واقبـل تـضرعي ومـا اقـرب لـك مـن اعـضاء راسي، أصلح الى قطيعك البائس واغفر لي خطايـاي، ولـتكن هـذه الاعـضاء المقطَّعة مرضاةً لك عن شعبك الخاطئ، انتَ يا ربّ لـستَ بآكـل لحـم الـثيران ولا ترضى بدم الحيوانات فـضلاً عـن دم بـني البـشر، وانّ مـا تُـسَر بـه ِ مـن الذبائح والقرابين هو نقاء النفس وطهارة النيَّة".

ولمـا كـان اليـوم الثـاني، أوعـز مهبـورزين الى الجلاديـن ان يقطعـوا يديـه َ ورجليه ِ فامتثلوا أمرهُ، وانَّ ما قاساهُ القديس من العذاب كان شـديداً كـثيراً وكان يقول: "اسمع يا ربّ صلاتي واقبل تضرعي مـن اجـل شـعبك البـائس وانقذهُ من يد ظالميه ِ" وعلّق المجوسُ أعضاء القـدّيس المقطعـة في الجلمـود الذي كـان فوقـهُ، وخلـوهُ ايضاً ذلـك اليـوم علـى تلـك الحالـة المرثـى لهـا، وانصرفوا عنهُ بعد ان أبرزوا امراً بحراسته ِ.

وفي اليوم الثالث قطعوا ذراعيه ِ وعلقوهما قـدام عينيـه ِ فـوق الاشـجار الـتي كانت ثَم بالجلمود وأخذ القدّيس يقول بفرح: "أُمجِدك يا ربّ واحمـدك لانَّـك أهَّلتني ان احمل نيرك الطيب على كتفي انّ نيرك طيب يا مخلـصنا وحملـك خفيف، فطوبى لمن يتأهَّل ان يحملهُ ويحرث كرمك المزروع على الحق".

وفي اليوم الرابع قطعوا ساقَيه ِ من ركبتَيـه، فهتـف القـديس قـائلاً: "قامـت رجلاي بالاستقامة وفي الجماعـة أُبـارك الـربّ (مزمـور ٢٦:١٢) كـل ركبـة لـهُ تجثو، ويعترف كل لسان انّ يسوع هو الرب لمجد الله (فيلبي ٢:١٠) الذي لـهُ يليق المجد والوقار الى دهر الداهرين آمين".

وفي اليـوم الخـامس قطعـوا فخذيـه ِ، ولم يكـن يفـتر هـو في هـذه العذابات الفادحة من أنّ يسبح الله ويمجدهُ وكـان المجـوس يعلقـون قـدام عينيـه ِ كـل

عضو كانوا يقطعونهُ من اعضائهِ في الاشجار وفي الجلاميد وفي الصخور الموجودة هناك.

فلما كان اليوم السادس، أمر مهبورزين ان يقطعوا راسهُ، فلما دنا منهُ السياف طلب اليهِ ان يُمهلهُ ريثما يصلي، فأخذ يقول: "ايها الآله الضابط الكل خالق السماء والارض السامع صوت الخطاة والقابل طلبة التائبين، انت يا رب اقبل صلاة عبدك في هذا الوقت الاخير من حياتي، انّي اتضرع اليك ان تسمع صلاة جميع الذين يدعونك باسمي فتمنح لهم كل ما يطلبون منك وتخلصهم من جميع الشرور المحدقة بهم وتشفيهم من جميع اسقامهم بحق ابنك الوحيد ربنا يسوع المسيح آمين" فأجابهُ كل المحتاطين به: "آمين"

فلما فرغ من صلاتهِ، دنا منهُ السيّاف وحزَّ راسهُ، وعلّقهُ هو ايضاً بالجلمود تخويفاً للنصارى، وأبرز مهبورزين امراً بحراسة جثّتهِ وأعضائهِ المقطّعة الى عشرة ايام، فلما كان اليوم الحادي عشر، اجتمع جمٌّ وافرٌ من النصارى حاملين مصابيح وأنواع الطيوب وأنسجة كتانيَّة وجمعوا اعضاء القديس ودفنوها باكرام في لحف الجبل حيث كان قبر رفاقهِ الشهداء.

وأما طهمين آبَنْبَد ورفاقهُ الثمانون فارساً ونيهورمزد العامل واثنان وستون مجوسياً من اصحابهِ وغيرهم كثيرون فآمنوا بالمسيح واعتمدوا؛ ومنهم من بقي في البلد ومنهم من هجرهُ فعاش بالراحة.

وكان جهاد مار فثيون في يوم الاربعاء الخامس والعشرين من شهر تشرين الاول سنة ٤٤٩، وبقي هذا اليوم يُمسَك تذكارهُ في الكنيسة الكلدانيَّة الى يومنا هذا، وكذلك في الكنيسة اليعقوبيَّة كما جاء في قائمة القدّيسين السنويَّة تاليف مار يعقوب الرهاوي ولهُ ايضاً عندهم فرض خصوصي فيهِ يُذكر اذورهرمزد واناهيذ ابنتهُ وكان ايضاً الكلدان يَمسكون تذكار دفن اعضاء

مار فثيون في الثالث من تشرين الثاني كما جاءَ في قائمة القديسين السنويَّة، ويوجد كنائس كثيرة على اسمهِ من جملتها كنيسة قديمة في الموصل، وجاء في قائمة القدّيسين السنويَّة انّ في هذه الكنيسة التي هي في محلَّة شهرسوق جزءًا من جسد مار فثيون الشهيد المعظَّم، وكان المواصلة يجعلون تذكاراً لهذه الكنيسة في يوم الخميس الثاني من سابوع ايليا لأن في هذا اليوم بُنيت تلك الكنيسة وأُخرى في ديار بكر هي اليوم الكنيسة المطرانيَّة الاسقفيَّة وكان لهُ بيعة ودير وقلاية بطركيَّة على اسمهِ في بغداد وهي اليوم خراب.



مار بابوي الجاثليق

(٤٥٧-٤٨٤)

لما توفي مار داديشوع الجاثليق سنة ٤٥٦ تخلَّف مكانهُ مار بابوي، وكان هذا الأب فيلسوفاً ماهراً كثير الفحص عن المذاهب، وكان من قبل مجوسياً من قرية تُعرَف بالتل على نهر صرصر وسبب تنصرهِ كان انَّهُ التقى ذات يوم براهب من دير مار عبدا بدور قني عليه خلقان وثياب رثَّة، فسألهُ عن معنى زيهِ هذا الحقير، فذكر لهُ الراهب انَّهُ نصراني وانّ شريعة النصارى تأمر باطراح هذا العالم الفاني واقتناء الباقي، وانَّما تسربل بذاك الزي طلباً لذلك، وعرفهُ عن مجيء المسيح وآلامهِ وصعودهِ الى السماء وما وعدَ بهِ من نوال النعيم في الآخرة فلانَ قلبهُ وأحب ان يتنصَّر فذهب بهِ الراهب الى الدير واعتمد هناك، ومكث مجتهداً في طلب الفضيلة والعلوم فارتفع قدرهُ وذاع صيتهُ حتى اختير للرئاسة العالية، وأُسيم جاثليقاً في المدائن وهو لابس بيرون أخضر وكان ذلك سنة ٤٥٧.

وكانت في ذلك الزمان قد ظهرت بدعة نسطور فطرك القسطنطينية التي صارت علة التلف والاضمحلال للمشارقة أجدادنا كان نسطور حُرِمَ في المجمع الأفسسي، وقُطع من البيعة سنة ٤٣١ في حياة داديشوع الجاثليق، غير انهُ لم يظهر في المشرق وخامة بدعتهِ الا بالتدريج وفي اول الأمر كان القائلون بهذه البدعة قليلاً من تلامذة مدرسة الرها، وانّ مار رابولا اسقف الرها كان اولاً قد اتفق مع نسطور وتحزَّب لهُ بصحبة يوحنا الأنطاكي، لكنهُ بعد ذلك رجع وتمسك بالاعتقاد الكاثوليكي، واذ رأى كثيرين من تلامذة مدرسة الرها قد تعصبوا هم ايضاً لنسطور اذ لم يرعووا مثلهُ، استعان بتأناسيس الملك وطردهم ومنهم كان برصوما الذي صار مطراناً على

نصيبين، فهذا بالإجبار حاول ان يُدخِل النسطرة في كل البلاد الفارسية وأن يكسر ويذلل المستقيمي العقيدة المقاومين للضلال المُستَجد ولا سيما بابوي الجاثليق القدّيس الذي كان يقاومهُ أشد مقاومة وكان برصوما يحث الملك فيروز ويستعين بسلطانه لاجل نشر النسطورية في بلادهِ بتلقينات خبيثة وتزويرات مصنَّعة قائلاً: "إن النصارى الذين في بلادك لن يزالوا متفقين مع الروم ومائلين الى الخيانة نحوك ما داموا على دين واحد مع أُولئك" ومن ذلك قوله للملك: "إنهُ كان للروم فطرك عالم قدّيس اسمهُ نسطوريس، فهذا كان قلبهُ يود الفرس، ولم يزل يعظ الروم بان يكونوا مقتدين بالمسيح ومحبين لأعدائهم، فلاجل ذلك أبغضهُ الروم وأنزلوهُ من كرسيهِ، فإن انتَ رخصتَ لي فانا أُلزِم جميع النصارى الذين في مملكتك ان يتبعوا راي ذلك الرجل، وحينئذٍ يكونون مبغوضين عند الروم" فأعانهُ الملك، وأثار برصوما اضطهاداً شديداً على الكاثوليكيين وقتل كثيراً منهم ومن جملتهم برساهدي اسقف نينوى مع اثني عشر راهباً من دير مار متى في جبل الفاف وذكر المؤرخون انّ الشهداء الذين قُتِلوا لاجل الايمان في اضطهاد برصوما بلغوا سبعة آلاف نفر واكثرهم من باجرمي وبيت نوهدرا.

وأما بابوي الجاثليق فكان أشرف الذين احترقوا في هذا لهيب برصوما الدنِس، فانهُ لم يزل مقاوِماً لفساد برصوما وحَرَمَهُ، ولم يزل برصوما محاولاً على إعدامهِ والانتقام منهُ حتى نال اخيراً مأربهُ، وذلك انهُ لقَّن مَن يقول لفيروز أنّ بابوي كان في الاصل مجوسياً وتنصَّر فعاندهُ الملك ومنعهُ من ان يسيم اساقفة، فأسام وخالفهُ، فأخذ مالَهُ جميعهُ وقيدَهُ وضربهُ وعذَّبهُ والقاهُ في الحبس سبع سنين وجرى على النصارى بسببهِ من الأذى والمكروه ما يطول شرحهُ.

ثم انّ الجاثليق لما وردت عليه المعاتبات الكثيرة من ديار الروم ولاسيَّما من القسطنطينيَّة على أنهُ يتهاون في مسألة الدين ويترك النسطوريَّة تنمو وتتقوَّى بين شعبه، هذا وكان هو ايضاً والحالة هذه محتملاً الجور الشديد من المملكة الفارسيَّة كتب الى ملك الروم كتاباً يشكو ما اصابَهُ من فيروز، وخَتَمهُ بختمه وأنفذَهُ سنة ٤٨١، وكان من جملة ما كتبهُ انَّهُ لقَّب دولة الفرس بدولة فاجرة (ملكوثا رَشيعتا) وكان برصوما قد وضع نواطير على مفارق الطرق والمعابر لاجل المحافظة على التخوم من أمر فيروز الملك الذي كان قد احبَّ برصوما كثيراً، واطمأن اليه، وفوض اليه الحكم على نصيبين وما يليها من البلدان فاجتاز حاملِ كتاب بابوي الجاثليق ببعض النواطير، فاستنكر حالهُ ورام قبضهُ، فرمى جميع ما كان معهُ ونجا بنفسه، فحمل الكتاب الى برصوما بختمه، وأنفذهُ هو الى فيروز، ولما وصل الكتاب الى الملك وقُرِئت تلك العبارة أي الدولة الفاجرة سخط الملك جداً أما الحاضرون من النصارى فاعتذروا قائلين انّ تفسير(المملكة الاثيمة) بالفارسية هو انها غير نصرانيَّة، وبابوي نفسهُ اعتذر قائلاً انَّهُ يصلي لاجل الملك ويدعو لهُ دائماً ويحبهُ، فقال لهُ الملك: "ان كنتَ تحبني فاتبع ديني واسجد للشمس مثلي" ثمَّ قال لهُ: "كان قد وجب قتلك من قبل من اجل مخالفتك امري، وسامحتُك، حتى ادَّى بك الصفح الى ان كتبتَ ما كتبتَ والآن اذا رجعتَ عمَّا انتَ عليه وقبلتَ المجوسيَّة، غفرتُ لك جميع ما بدا منك وزدتُ في إكرامك ورفعتُ شانك" فقال لهُ: "معاذ الله ان افعل هذا" فأمر بصلبه باصبعه التي فيها الخاتم فصُلِب خارج المدائن بخنصره الى ان مات، وأخذ اهل الحيرة جسدهُ ودفنوهُ فيها، وكُتِب اسمهُ مع الشهداء وكانت مدة رياسته نحو ٢٧ سنة.

مار سابا الراهب

(سنة ٤٨٨)

انّ القدّيس سابا ويُلفظ ساوا (اي الشيخ) وُلِد في بداية الجيل الخامس في قرية تدعى بيت جلال بقرب نهر تورمارا وهو الآن المدعو ديالى في ناحية لاشبار، وكان أبوهُ يُدعى شهرين وسلالتهُ من آل ميهان العظيم، وكان متعَصباً في المجوسيَّة، واسم أُمه دَرانوش، وكانت تميل الى النصرانيَّة وبعد أن مكث والداهُ زمناً طويلاً بغير ولد رُزقا هذا الابن في شيخوختهما وسمياهُ جُوشنَزدَد[1]، ودفعتهُ أُمهُ الى مرضعةٍ نصرانية، وربَتهُ هذه بخوف الله، وصارت تذهب بهِ الى البيعة فاعتاد الصبي ذلك حتى لما وضعهُ أبوهُ بعد ذلك في مدرسة المجوس ودخل بمقام عامل على بيت درنا من ارض الكوسيين تاركاً ابنهُ في عهدة امه ومربيته، اغتنم الصبي الفرصة فانقطع من مدرسة المجوس جاعلاً عوض ذلك سَيرَهُ اليومي الى بيعة النصارى وكان اسم مربيتهِ جُوشنزفير، فبسعيها ومن مخالطته النصارى خولهُ الله نعمة الايمان، فاعتنق النصرانية واعتمذ، ووُضع لهُ اسم جديد على اسم معمذه سابا وفي تلك الليلة رأت أُمهُ في الحلم رَجلين احدهما عند رأسها وكان متسربلاً بثياب بيض وعليهِ سيماء الوقار والجلالة، والآخر عند رجليها وكان منظرهُ مخيفاً وهو ماسك بيدهِ اليُمنى سيفاً وبيده اليُسرى رمحاً فقال لها الجالس عند راسها: "انّ ابنكِ قد اعتمذ، فإياكِ ان تكشفي ذلك لأبيهِ، لأني انتخبتهُ وأحببتهُ، فجعلتُهُ من خاصَّتي، واذا أعلمتِ زوجَكِ، أوعزتُ الى غذا ان يطعنك بالسيف والرمح فيُبيدك من على وجه الارض" فقالت لَهُ:

١- هذا الاسم مركّب بالفارسيّة من كوش وهو اسم ملاك ومن ناز اي فتى ونبتة، ومن داد أي أعطى.

"ومن انتَ ياسيد؟" فاجابها: "انا ملاك أرسلني المسيح الإله الى معونة ابنك" قال هذا وغاب عنها.

فلما اصبحت، استدعت ابنها ومربيتهُ ورحَّبت بهما وقالت لهما: "ما الذي صنعتما، إنكما اضررتما بي وبنفسيكما، ترى من يُنقذكما من يد شهرين اذا ما اتَّصل بهِ خبركما" فأجاباها: "انّ المسيح يأتي ويخلصنا، فإنَّهُ على كل شيء قدير، وهو لا يخيب الذين يتوكّلون عليهِ".

ولما كان بعد قليل مات أبوهُ في مكان عملهِ، وكان لهُ أخ مجوسي مثلهُ يُدعى جُوشنَسفِير، فقرُب عيدُ المجوس، فأرسل جوشنسفير الى ام سابا يريد الصبيَّ لينوب عن أبيهِ في تلك الأعياد فأرسلت من يقول لهُ من قِبلها: "انّ الصبي صغير السن لا استعداد لهُ ان يجالس اعيان البلد وعظماءَهُ، فاذا ما بلغ أشدهُ ينوب حينئذٍ عن ابيهِ فيجالس الأكابر في الاعياد والمواسم".

أما القدّيس سابا فلم يكن يزال يخاطب أُمهُ في معتقد النصارى ويُريها بطلان المجوسيَّة وخرافاتها حتى شرَّبها بغض الاباطيل المجوسيَّة فاعتمذت، وبلغ خبر تنصُّر القدّيس الى مسامع كوشنسفير، فقبض عليهِ وعند خروجهِ من الدار قالت لهُ أُمُّهُ: "لا تخف يا بنيَّ، فانَّ الذي ظهر لي بالحلم وقال لي: اني انما لأجل اعانة ابنك أُرسِلتُ، هو يخلصُكَ من يدَي كوشنسفير" وتبعَتهُ مربيتهُ هي واحدى الجواري فلمَّا دخل القدّيس على عمه رحَّب بهِ ولاطفَهُ، وقال لهُ: "لمَ تركتني يا بُنيَّ وتخلَّيتَ عني انا الذي ينوب مناب ابيك؟" فلم ينبس القدّيس بكلمة، فزجَرَه عمُّهُ قائلاً: "اما تكلمني يا جوشنزداد؟" قال القديس بسكون: "انا لستُ جوشنزداد" فقال لهُ: "من انتَ؟" قال: "انا نصرانيّ واسمي سابا" فاستشاط كوشنسفير

غضباً، غير انَّهُ كظم غيظَهُ، وأمر بالقاء مار سابا في السجن، ورجعت مربيتهُ وأخبرت امهُ بما صار.

واما ما كان من أمر القدّيس، فلمَّا اصبحت امَرَ عمهُ باخراجهِ من السجن، وكانت مربّيتهُ قد عادت لترى ماذا يصير من أمرهِ، فلمَّا مثل بين يَديهِ قال لهُ: "اما تكلمني يا جوشنزداد؟" فقال لهُ: "لاتدعُني جوشنزداد فإنَّ اسمي سابا" فغضب غضباً شديداً وأمر فنكلوا بهِ مديداً حتى انَّ نفسهُ كادت تفيض، ثم أوعز ان يطرحوهُ في السجن ولا يقدموا لهُ طعاماً فلمَّا انتصف الليل تراءى لهُ شابٌ غضوب ماسكاً بيدهِ سيفاً فدنا منهُ وقال لهُ: "ما الذي عملتَ فان لم تُخرجِ ابن أخيك من السجن طعنتُ قلبكَ بهذا السيف" وللحال استيقظ مرتعباً مرتجفاً، فدعا بعض خَدَمهِ وأمرهم ان يُسرِعوا فيُخرجوا القدّيس من السجن فلمَّا دخلوا عليهِ رأوهُ لا جرح فيهِ، وهو يصلي بخشوع، فتعَّجبوا من ذلك ثمَّ اطلقوهُ، فذهب الى والدتهِ ولما شاهدتهُ فرحت فرحاً عظيماً وقالت: "مبارك الربّ الهك الذي اصطفاك يا بُنَيَّ، وجعلك من خاصَّتهِ وأهَّلني انا ايضاً ان اعرفَهُ واسجد لهُ، فلا إلـه الا هو، وهو القدير الجليل، ولهُ يخضع كل شي في السماء وعلى الارض".

وامَّا كوشنسفير فلمَّا كان الصباح، كتب رسالةً الى والدة القدّيس هذا نصُّها: "من كوشنسفير بن زحكوشنس الى بنت فَنَاهَمُوج بن هرمزداد الشريرة الجسورة النجسة العديمة العقل، السلام علمتُ انّ زوجك قد قضى نحبهُ، وانَّهُ بلغ منك الجنون الى ان جعلتِ ابنكِ نصرانياً محروماً إرث آبائهِ والآلهة، فترك هو الملوك العظام ونبذ كرامتهم، فأحَبَّ الأشقياء والأرذال والحقيرين من الناس، وتخلّى عن الثروة والمراكب فالتصق بالصعاليك فانا رذلتهُ وحرمتهُ ارثَ اخي فهو لي، لانهُ نبذ الآلهة فسجد لالـه آخر لا نعرفهُ"

فلمَّا قرأ مار سابا الرسالة ضحك، والتفت الى امهِ وقال لها: "ما أجهلهُ، لا يدري أنهُ عمَّا قليل سيموت موتاً شنيعاً" وبعد ان مرَّت خمسة أيَّام على هذا كان كوشنسفير فوق سطح دارهِ واذا بصاعقة انقضَّت عليهِ فقتلتهُ فلمَّا انتهى الخبر الى سابا وأُمهِ هتفت مصليةً قائلةً: "اشكرك يارب واسجد لك، لأنَّك خلَّصت ابني من يد اعدائه" أما سابا فللحال استدعى ابن مربيتهِ، ووزَّع على يده كلَّ ميراث ابيهِ هِبةً للمساكين، ثمَّ ان امهُ ومرضعتهُ دخلتا دير الراهبات أما هو فدخل المدرسة وانعكف فيها مدَّة سنتين على العلوم المسيحيَّة وممارسة الفضائل السماويَّة، وكان يظهر هناك على يده كرامات، ومن جملتها أنهُ أقام مُقعَداً كان في المدرسة واوصاهُ ان لا يخبر احداً، فامتثل أمرهُ، فانَّهُ سُئِلَ مراراً: "من الذي ابرأك" فلم يُعلِم أحداً انَّ الذي ابرأهُ مار سابا، وكتم الامر حتى خروج القدّيس من تلك المدرسة.

ثمّ انَّ مار سابا انتقل من المدرسة الى موضع يُعرَف بشردا الى جانب نهر سيني الذي يصب في الزمار وهو ديالى، وقدم عليهِ هناك راهب اسمهُ كليليشوع، ولبث برفقتهِ، وصار يحثُّهُ على الخروج للقاء الاستشهاد الذي كان النصارى ينالونهُ من اضطهاد الفرس، ولا بدَّ انّ هذا الاضطهاد كان أثارهُ إما بهرام الخامس او يزدجرد الثاني، لانَّ القديس سابا كان في ايَّامها فقال كليليشوع لسابا: "ما بالنا ماكثين هنا وحدَنا فيما انَّ الاضطهاد قد ثار على بيعة الله، هلُم بنا نذهب الى اخوتنا فنقويهم ونشجعهم، واذا ما شاء ربنا ننال ايضاً اكليل الاستشهاد" فقال لهُ القدّيس: "سمعتُ أنّ الانفراد نافع كثيراً ويقتضي ان نَتَجنب التجارب" فقال لهُ كليليشوع: "أوَما قرأت ما قال ربُنا في انجيله الطاهر ها انا معكم كل الايام الى انقضاء العالم" (متى:٢٠:٢٨) أجابهُ مار سابا: "أوَ لم تقرأ ايضاً ما كُتبَ وهو لاتقاوموا

الشر، واذا صليتم فصلوا هكذا: لا تدخلنا في التجربة لكن نجنا من الشرير" (متى:٦:١٣) فقال كليليشوع: "أوَ لم تقرأ ايضاً ما قالهُ ربّنا لتلاميذهِ ويكون لكم سلطان لتدوسوا الحيّات والعقارب وكل قوة العدو ولا يضركم شيء" (لوقا:١٠:١٩) ولما سمع مار سابا هذا الكلام، تبسَّم وقال: "اي نعم يا ابانا إنَّنا نمكث هنا مدة شهر ثم نخرج بقوة ربنا يسوع المسيح" وانمَّا قال مار سابا هذا الكلام لانَّهُ عرف أن قد حان زمان خروج كليليشوع من هذا العالم، فانقاد لهُ كليليشوع، وتَّمت فيهِ نبوة مار سابا.

فبعد أنّ تُوفي كليليشوع، ذكر مار سابا ما كان قال لهُ هذا الرفيق الصالح الغيور، فقام وصلّى طويلاً وطلب الى الله بحرارة شديدة ان يُريَهُ إرادتهُ ولما فرغ من صلاتهِ استغرق في النوم، فتراءى لهُ شاب جميل المنظر يقول لهُ: "لا تخافن يا سابا لأني انا معك، فقم اذهب ولاتخف" فحالما استيقظ من نومهِ، قام وأخذ عصاهُ والصليب وكتاب الانجيل، فلم يزل ماشياً حتى انتهى الى ارض رادان وحلَّ في مدينة اسمها حالي ونَصَّر اهلها كلهم وقائدهم المهفاط اي الوالي، وذلك انَّ القديس حالما دخل المدينة أخذ ينذر بالانجيل، فاتَّصل خبرهُ بالوالي، فاستدعاهُ وضربهُ شديداً وحبسهُ، وكان للوالي ابن مقعد، وكانت امرأتهُ تحب النصارى فقالت لزوجها: "ما الذي فعلتَ بهذا الرجل؟ اني سمعتُ عن إله النصارى أنهُ عظيم قوي قدّوس، فلا تقاومهُ بل اللايق أن تُحسن الى عبدهِ وتطلب منهُ شفاء ابنك" ولم تزل تلح عليهِ في ذلك حتى انهُ استدعى القدّيس فجرت بينهما هذا المحادثة وهي:

الوالي: "من انتَ ومن اين اتيتَ وما شانكَ؟".

القديس: "انا عبد يسوع المسيح".

الوالي: "اين هو يسوع المسيح؟".

القدّيس: "هو في السماء ويصنع كل ما يشاء، وهو ابن الله الحي خالق السماء والارض وكل ما فيهما، وانّ آلهتك هذه التي تسجدون انتم لها ليست بآلهة، لكنها اصنام وتماثيل عديمة الحيوة".

الوالي: "أيقدر آلهك يسوع المسيح ان يُبرئ المرضى".

القديس: "ما من شيء إلا وهو سهل عند الله خالق السماء والارض".

الوالي: "لي ابن مقعد عمرهُ تسع سنين، أتقدر ان تشفيَهُ؟".

القدّيس: "إن المسيح الذي ارسلني هو يُبرئ ابنك من مرضه".

فامر حينئذٍ الوالي ان يأتوا بابنه، فوضع القدّيس يدهُ على الصبي قائلاً: "باسم ربّنا يسوع المسيح قم امشِ" وفي الحال شُفي الصبي من علّته واخذ يمشي كمن لا عيب فيه، وهو يحمد الله ويشكرهُ على احسانه هذا العظيم ولما رأى اهل البلد هذه الاعجوبة اتوهُ بمرضاهم، وكان القدّيس يُبرئهم كلهم، وجعل يخاطبَهم عن العناية الربانيّة وخلقة العالم والانبياء الاطهار ومجيء ربنا يسوع وآلامه وقيامته وصعوده، فطلبوا منهُ العماذ، فاجابهم الى ذلك.

ولما كان مار سابا في مدينة حالي وفَد عليه بغتةً مار ميخا اسقف لاشوم وكانت تلك الكورة داخل اسقفيته، وكان معهُ تلميذان احدهما شمعون والآخر بيشهريج فرسم القدّيس سابا كاهناً، ورجع مع تلميذه شمعون الى محله واما بيشهريج فلبث لدى مار سابا.

ثم انّ القدّيس انصرف من تلك الكورة بعد ان ثبتها في الديانة وتبعهُ بيشهريج فقدما مدينةً اسمها دوما، وصادفهما واحد من اكابرها اسمهُ شاهنشاه، وكان لهُ ابن أبرص، فسلم عليهما وقال لهما: "من اين انتما، فاني أرى من زيكما أنكما لستما من هذا البلد" فقالا لهُ: "اننا من الأطباء

وقد أُرسلنا لنُبرئ المرضى ونشفي السقماء" فقال لهما شاهنشاه: "كيف تقولان أنكما من الأطباء، وليس معكما شيء مما يدل على ذلك من الأدوية والآلات الطبية؟" فقال لهُ مار سابا: "ليس بالأدوية نُبرئ، بل انما باسم يسوع المسيح الموجود في السماء وهو ابن الله الحي نشفي السقماء" فقال لهما شاهنشاه: "انّ لي ابناً ابتليَّ بداء الجرب منذ اثنتي عشرة سنة، وهو جالس وحدهُ تحت مظلةٍ، أتقدران ان تشفياهُ من علتهِ هذه؟" فقال لهُ مار سابا: "من هو آلهكم؟" قال شاهنشاه: "إنّ بيدوخ إلهة هذهِ المدينة، واني لم ازل أُضحي لها ملتمساً اليها ان تمنح الشفاء لابني، والى الآن لم ينل الشفاء" فقال مار سابا: "آمن بإلهنا فيشفي ابنك" قال: "انّ الذي يُبرئ ابني من علتهِ هذه الممقوتة بهِ اومن، واياهُ اعبد ولهُ اسجد" فقال القدّيس: "إيتني بابنك، فترى قوة إلهنا العظيم" فلما مثُلَ بينَ يديهِ رفع عينيهِ نحو السماء قائلاً: "ايها المسيح الآله الحق إني اتضرع اليك ان تتحنن على عبدك هذا المبتغي الشفاء فتُبرئهُ من علتهِ" قال هذا ودنا من الصبي ومسكهُ بيدهِ وقال لهُ: "باسم يسوع المسيح تطهر ياصبي من الجرب الذي بك"وللحال شُفي، فصاح الحضار قائلين: "انّ آلهك عظيم، فلهُ نسجد واياهُ نعبد" ثم اسرعوا واتوا بمرضاهم، فصلى القدّيس بخشوع عظيم وابرأهم قاطبةً فانفتحت ابواب نور الانجيل لعقولهم، فطلبوا من القدّيس ان يرشدهم فيعمذهم، فغذاهم باقوات التقوى ومهّد لهم سبيل المجد والفخار.

ثم انّ مار سابا وتلميذهُ اخذا يطوفان في المدن والقرى فيُخرجان الشياطين ويُبرئان المرضى ويصنعان غير ذلك من العجائب الباهرة، فتلمذا خلقاً كثيراً، واقتنصا جماً وافراً من بحر ضلالة الشيطان ولا سيما في مدينة اليشقار، وصحب مار سابا عدة تلاميذ.

ثم انهُ قال لتلاميذهُ: "حسبنا الاقامة بين الناس، هلموا بنا نتوغل في الجبل فننفرد فيهِ للصلوة والعبادة" فصعدوا الجبل، ورأوا فيهِ عين ماء فجلسوا عندها واذا باكراد كانوا ساكنين في ذلك الجبل التقوا بهم فأسروهم وذهبوا بهم الى محلهم وكانوا يسجدون للشمس، فسألوا القدّيسين عن حالهم، فقال بيشهريج: "نحن عباد ربّنا يسوع المسيح الذي في السماء، وهذه الشمس الساجدون انتم لها ليست بإله، فانَّها تزول كل يوم فيعقبها الظلام وهي مع ذلك تطول وتقصر، هذا وانها عديمة الحيوة والمعرفة، والذي خلقها هو يسوع المسيح، وانما بامرهِ تشرق وتغرب كل يوم، فانَّه خالق جميع الكائنات وعلى كل شيءٍ قدير" فقال رئيس اولئك الاكراد: "انّ لي بنتاً فيها روح نجس يعذبها بقساوة شديدة، فهل يقدر إلهكم على ابرائها؟" فقال لهُ مار سابا: "ايتنا بها فترى قوة آلهنا العظيم" فلمَّا أُحضرت البنت، انتهر القدّيس الروح النجس وقال: "ايها الروح الأصم انا آمرك باسم المسيح ان تخرج من جبلة الله بدون ان تسبب لها ادنى ضرر" فخرج الشيطان وولى هارباً، فلما عاين الاكراد شفاء البنت، ارعووا عن غيهم منذهلين، وطفقوا يقولون للقدّيسين: "عظيم الإله الذي انتم تسجدون لهُ، مبارك المسيح المنذرون انتم بهِ" ثم بادروا واتوا بمرضاهم، فشفاهم القديس قاطبةً، واخذ يزرع في قلوبهم بذور الايمان الصحيح، فاعتنقوا جميعاً الديانة النصرانية.

وبعد ان ثبَّت القديس أُولئك الاكراد في الايمان، واستودعهم كاهناً اسمهُ شوحاليشوع نزل من الجبل مع تلميذهِ بيشهريج، وانتهيا الى أجمة، واذا بامراة بديعة المنظر تصرخ وتقول: "واويلي واويلي فإني ضللتُ عن الطريق، وتركني رفاقي فبقيتُ وحدي، فلستُ اعرف ماذا اعمل" أما مار سابا فعلم انهُ الشيطان، فالتفت اليهِ وقال لهُ: "إنَّكَ لقلتَ الحق، فإنَّك ضال

عن طريق الحق، وها إنّ جميع النَّاس تخلّوا عنكَ فتبعوا ربَّنا يسوع المسيح، والآن ايضاً زجرك يسوع المسيح لئلا تُضِل عِبَادَهُ" قال هذا ورسم على وجهه إشارة الصليب، وما كان من الشيطان الا انَّهُ انقلبت صورتهُ فصارت كحيَّة سوداء وطال كثيراً وخبط برأسهِ الأرض فانشقت فدخلها فقال بيشهريج لمار سابا: "واويلي فاني لم اميز بعد النورَ عن الظلام، وكنتُ اظنهُ امراةً" فقال لَهُ القدّيس: "ألمَ تسمع ما قال الرب في الانجيل: اطلبوا أوَّلاً ملكوت الله وبِرَّهُ، وهذا كلهُ تزدادونهُ" (متى:٦:٢٣).

وإنّ مار سابا اشتهر كثيراً في ارض شهرزور حيث ابتنى الاديرة والبيع الكثيرة، ولم يزل ينثر على مسامع الخلق جواهر الانجيل الطاهر ويرفع عن قلوبهم ديجور الظلام ويقويهم في الايمان المسيحي، ثم بنى لهُ مظلَّة، وبقي فيها ثلاث سنوات وستة اشهر، فعلم أنَّ أجلهُ قد دنا، فتأهَّب للانتقال من هذا العالم ولما أُحتُضِرَ أتوهُ بانسان كان فيهِ روح نجس يعذبهُ شديداً، ولما قيل للقدّيس انّ أهل ذلك المريض كانوا يبكون عليهِ بكاءً مراً أمر بإدخالهِ الى مظلتهِ، ولما دخل قال القدّيس لتلميذهِ بيشهريج أن يُجلِسَهُ على سريرهِ، فأجلسهُ، فقال القدّيس للروح النجس الخبيث: "اخرج من هذا الانسان" فأجابهُ قائلاً: "لا أخرُج" فقال لهُ القدّيس: "ألعلَّك تظن أيها الروح الخبيث أنَهُ لكوني مُحتَضِراً لا قدرة لي على إخراجك؟ فإنَّني باسم يسوع المسيح آمرك أن تخرج منهُ بدون ان تسبب لهُ أدنى ضرر" فلمَّا قال هذا ضجَّ الروح كثيراً وخرج وولى هارباً، وشفي الرجل من ساعتهِ وفي تلك الساعة عينها قضى القدّيس نحبهُ، فانتقل الى حضن ربهِ وكانت وفاتهُ سنة ٤٨٨.

وكان القدّيس قد حفر بقرب مظلته بئراً، فأصبحت تلك البئر من بعد وفاته ينبوعاً منهُ تجري كرامات باهرة لجميع المرضى الذين كانوا يَسبحون بمائه وفي عهد شيروي بن خسرو الملك صار قحط في بلاد الأراميين، ثم عقبهُ موتان شديد، فكان يفتك فتكاً ذريعاً بالأهالي، فأقفر ذلك المكان فالقس داويد الذي كان من قرية بادقلا من ارض باجرمي (وكان قسيساً في ذلك المكان) نقل من هناك قصَّة القدّيس واخذ ايضاً عضواً من جسدهِ وحملهُ الى قريتهِ وبنى فيها هيكلاً ووضعهُ فيهِ.

واليوم للقدّيس سابا بيعة في قرية بيدارو على مسافة نصف ساعة عن زاخو عند نهر الخابور ولهُ ايضا بيعة على اسمهِ في بيشخابور وفي طاقيان، وأُخرى في قودشانيس مستقر بطرك النساطرة في ارض الحكارية، ويوجد ايضاً بيعة على اسمهِ في قرية بلان من اعمال مركا في الارض التي تُدعى اليوم شمكان شرقي شمال الموصل، وبيعة أُخرى في قرية بيكند من أعمال سعرد[1].



١- لكن من المحتمل ان بعضا من هذه الكنائس تكون مبنيّة على اسم مار سابا الشهيد الذي سبق الكلام عنهُ في المجلد الاول من هذا الكتاب.

جهاد الشهداء الحمَيْريّين

(سنة ٥٢٤)

إنَّ العرب كان فيهم منذ الأزمان الاولى مسيحيون كثيرون، ويُذكر في التواريخ انهُ كان في بلاد العرب الشمالية كنيسة مسيحية واسعة، وكان اكبر اساقفتها في مدينة بصرى في الحجاز، ولكن اشتهر الحِمَيريون الذين كانوا اظرف القبائل العربيَّة بتنصرهم قاطبةً في القرن الرابع وذُكر انَّهُ في بداية الجيل الخامس كان رجلٌ تاجرٌ اسمهُ حنان قد خرج الى القسطنطينيَّة في تجارة وعاد الى نجران، ثمَّ قصد بلاد الفرس واجتاز بالحيرة وألِف النصارى، وعرف مقالتهم فآمن واعتمذ بها، واقام بها مدة ثمَّ عاد الى بلدهِ، ودعا الناس الى الإيمان بالمسيح ونصَّر بني عشيرتهِ كلَّهم وجماعةً من اهل البلد ومن سكّان تلك الناحية، وكان الحبشة الذين كانوا قد تنصَّروا في القرن الرابع يُقيمون ملكاً نصرانياً على الحَميريين، وكان مقرهُ في مدينة نجران ولما كانت السنة ٥٢٤ توفي الملك الذي كان أقامهُ الحبشة على الحَميريين، فلم يمكن للحبشة ان ياتوا الى نجران فيقيموا عليها ملكاً نصرانياً، لانّ الدنيا كانت شتاءً، فملك على تلك البلاد رجل يهودي يقال لهُ ذو نواس[1]، فهذا بذل مجهودهُ ان ينكس راية الصليب، فينصب مكانها راية اليهود، وتمكَّن من القبض على جميع الحبشة الذين كانوا بقوا في البلد، وكانوا مائتين وثمانين

١– ويقول عنهُ ياقوت الحموي في معجم البلدان ما نصّهُ: ومن هناك كانت النصرانيّة بنجران... قال: فسار اليهم ذو نواس بجنوده فدعاهم الى اليهودية وخيّرهم بين ذلك والقتل، فاختاروا القتل، فخدّ لهم الاخدود فحرق من حرق بالنار وقتل من قتل بالسيف، ومثّل بهم حتى قتل منهم قريبا من عشرين الفا

نفراً رهباناً وعلمانيين، وقتلهم قاطبةً، وجعل البيعة كنيسةً للهيود ثمَّ زحف بمائة وعشرين الف مقاتل الى مدينة نجران، وأقام تحت أسوارها مدة غير يسيرة يُريد افتتاحها فلم يتمكَّن فرأى أعمال الحيلة والخيانة، فوعد النصارى المحاصرين الأمان اذا ما سلَّموا اليه المدينة، وأقسم لهم بالله فصدَّقوا قولهُ وركنوا اليه، وفتحوا لهُ ابواب المدينة لكنَّهُ نكث وعدَهُ فقبض على جميع اعيان المدينة وكانوا ثلاثمائة وأربعين نفراً، وتطلَّب ما لهم من الفضَّة والذهب وغير ذلك فأتوهُ به ثمَّ اراد منهم أن يُروهُ اسقفهم مار فولا، فقالوا لهُ انَّهُ قد قضى نحبهُ، ولم يصدق قولهم حتى دلوهُ على قبره، فأخذ عظامهُ وأحرقها بالنار، ثم أحرق ايضاً بيعتهم، فباد فيها بالحريق كل من لاذ بها من الكهنة والرهبان، ثمَّ احضر الاعيان وكان المقدم عليهم حارث بن كعب، فقال لهم ان يكفروا بالمسيح والصليب فيعتنقوا الديانة اليهوديَّة، فأبوا، فقال لهم: "إنَّ الروم علِموا الآن انَّ المسيح لم يكن الا انساناً، فما بالكم تقرون به منخدعين، ألعلكم احسن انتم من الروم، هذا وطلبنا منكم ليس ان تنبذوا الله الحق خالق السماء والأرض، او ان تسجدوا للشمس والقمر، بل ان تكفروا فقط بيسوع الذي جعل نفسهُ إلهاً فتقولوا انهُ انسان وليس بإلهٍ" فقالوا بصوتٍ واحد: "حاشانا ان نكفر بالوهيَّة يسوع المسيح الذي سفك دمهُ لاجل خلاصنا".

ثم التفت اليهودي الى حارث بن كعب وقال لهُ: "لماذا استعصيت عليَّ واتَّكلت على يسوع الساحر ظناً منك أنك تنجو من يديَّ؟ والآن أُشير عليك ان تشفق على شيخوختك، فتكفر بالساحر وبصليبه فتحيا، والا قتلتك انت وجميع رفاقك الذين لا يكفرون بالمسيح وبصليبه" فقال لهُ حارث: "انَّ ما يزيدني غماً وحزناً هو انَّ النصارى رفاقي لم ينقادوا لكلامي، فاني كنتُ قد

تأهَّبتُ ان احمل عليك فأُقاتلك لاجل اسم يسوع المسيح، وكنتُ اثِق بـهِ انـهُ ينصرني عليك، غير انَّ رفاقي لم يوافقوني في ذلك، فاردتُ حينئذٍ ان اخـرج اليك بعبيدي وبأهلي لكن اخوتي النصارى أوصدوا ابواب المدينـة ومنعـوني من الخروج اليك ثمَّ قلتُ لهم ان يحتفظوا بالمدينـة وألا يفتحـوا لـك الأبـواب، وكنتُ متوكلاً على المسيح راجياً انهُ لم يكن يُمكنك من افتتاح المدينة، لانـهُ كان فيها كل ما يلزم من مهمَّات الحرب، فلـم يوافقـوني في ذلـك ايـضاً ولمـا ارسلتَ واعطيتنا عهداً واقسمتَ اقساماً انكَ لا تؤذينـا ابـداً اذا مـا فتحنـا لـك أبواب المدينة أشَرْتُ عليهم ألا يـأمنوك، وقلـتُ لهـم انـك غـدَّار خـوَّان، فلـم يقبلوا مناصحتي، بل فتحوا لك الابواب والآن لامر مـضحك ان انبـذ المـسيح آلهي في شيخوختي هذه فاكون مثلك يهودياً، ولعلي بعد جرمـي هـذا العظـيم لا اعيش الا ساعةً واحدة او يوماً واحداً، ولعمري انك لستَ ملكاً، فـانّ الملـك الذي يكذب وينكث عهدهُ ليس بملكٍ اني رايتُ ملوكـاً كـثيرين ولم أرَ ملكـاً نقض وعدهُ وامَّا انا فلي سلطان على نفسي، فاقول الحقَّ ولا اكذب حاشـاي ان اكفر بالمسيح آلهي الذي آمنت بهِ منذ نعومة اظفـاري، لا بـل انـي أُعطـي الطوبى لنفسي، لأنَّ المسيح الذي يحبني محبَّة حقيقيَّة أهَّلني في شـيخوختي ان اموت من اجلهِ، هذا وانـي بنعمتـهِ تعـالى حييـتُ كـثيراً في هـذا العـالم ولم يَعُزني شيء من الثـروة والذريـة والعبيـد وغـير ذلـك، وانتـصرتُ مـراراً علـى أعـدائي، والآن ايـضاً بقـوَّة الـصليب المقدَّس انتـصر عليـك ولـو انَّ ذكـري ينقطع من هذه المدينة، فاني مُوقِن اني احيا حيوة جديدة، وانـت لا تفتخـر بعملك هذا، فانَّ النصارى يُرفع شانهم في هذه المدينـة، وتُبنـى البيعـة الـتي انت احرقتها اليوم بالنار، وتزول اليهودية وتبيد سلطنتك".

ولما فرغ مار حارث من مقالته هذه التفت الى النصارى المحتاطين به، وقال لهم بصوتٍ عالٍ: "أسمعتم يا اخوتي ما قلتهُ لهذا اليهودي؟" فقالوا بصوت واحد: "نعم سمعنا كلَّ ما قلتَ لهُ" فقال: "أحقٌّ ما قلتُ ام لا؟" قالوا: "حقٌّ كلّ ما قلتَ" ثمَّ قال لهم: "فما رأيكم انتم، اتكفرون بالمسيح ام لا، فمن خاف السيف فلينفصل عنا" فقالوا بصوتٍ واحد: "حاشانا حاشانا يا ابانا ان نكفر بالسيح، تشجَّعنَّ يا ابانا تشجَّعنَّ ولا يحزننَّكَ امرنا، فانَّنا مستعدون جميعاً ان نموت نظيرك ومعك لاجل المسيح" ثمَّ التفت الى الحضار وقال: "اسمعوني انتم يا وثنيين ويا يهود ويا نصارى، إن كفر واحد من اهل داري او من عشيرتي بربنا يسوع المسيح فلا نصيب لهُ معي، وكل ما لي من الثروة والأملاك وقفتهُ للبيعة التي ستُبنى من بعدنا في هذه المدينة واما اذا بقيت قرينتي او واحد من أولادي في قيد الحيوة من بعدي وهم لا يزالون ثابتين في دينهم، فكل شيء لي هو لهم، ووقفتُ للبيعة ثلاثاً من ضيعي تختارها هي لنفسها" ثمَّ انَّ هذا الشيخ القدّيس التفت الى الملك وقال لهُ: "قد سمعتَ مقالتنا فلا تردَد في استنطاقنا حاشانا ان نكفر بالمسيح ربّنا وآلهنا، وانّ الساعة قد حانت لنمضي اليهِ تعالى، كفر الله بكل من كفر بمسيحهِ، كفر الله بكل من لا يُقر أن المسيح الله وابن الله، كفر الله بكل من لا يُقر بصليب المسيح، كفر الله بكل من ينقاد لك وبجميع رفاقك من اليهود ها اننا امامك، فاصنع بنا ما شئتَ، والحق أقول لك انهُ في الولائم انا كنتُ اشرب الكاس الأُولى قدام رفاقي، والآن اياي اسقِ قبل الكل كأس الموت، وها إني بموجب عادتنا أسِم نفسي وجميع رفاقي بسيماء الصليب المقدّس" قال هذا ورفع يدهُ ورسَم على الحضار من النصارى وعلى وجههِ اشارة الصليب قائلاً: "باسم الآب والابن والروح القدس" فجاوبهُ جميع

رفاقه بصوت واحدٍ وقالوا: "آمين" ورسموا هم ايضاً على وجوههم اشارة الصليب وقالوا: "كفر الله بكل من يكفر بالمسيح" ثمَّ التفتوا الى الشيخ المبارك وشجعوهُ قائلين: "تشجعنّ يا ابانا ولا تخافنَّ، ها انّ ابراهيم ابا الآباء ينظر اليك والينا، كفر اللهُ بكل من يكفر بالمسيح فيمشي بعد على الارض".

فلمَّا رأى الملك ما للنصارى من الثبات على دينهم أمر بان يذهبوا بهم الى وادٍ فيقطعوا رؤوسهم ويلقوا فيه جثثهم فلمَّا انتهوا الى الوادي، رفعوا جميعاً أياديهم الى السماء وصلُّوا قائلين: "يا ربّنا يسوع المسيح هلمَّ الى معونتنا، ايُّها المسيح إلهنا اعطِنا القوة، ايُها المسيح إلهنا اقبل أرواحنا واهلنا ان نتمتَّع برؤيتك، ايُها المسيح إلهنا ها اننا اقررنا بك فأقرَّ انت بنا قدام ابيك في السماء، ايُها المسيح إلهنا اجعل ان تُبنى هذا البيعة التي احرقها اليوم هذا اليهودي" ثم صرخوا بصوتٍ واحد قائلين: "لنعطِ بعضنا بعضاً السلام" وبعد اعطاء السلام مد مار حارث يدهُ اليهم وقال: "ليكن معنا السلام الذي أُعطي اياهُ اللص على الصليب" وحالما تفوه الشيخ القدّيس بهذا، بادر اليهِ بعض من رفاقهِ الأقوياء فرافقوهُ وقدموهُ الى السيَّافين وهم قائلون بفرحٍ: "يا ربّنا يسوع المسيح، اقبل ابانا واقبلنا نحن ايضاً معهُ لاننا من اجلك نُذبح" وجثا الشيخ على ركبتيهِ، فأتى السياف وقطع راسهُ، وللحال اسرع اليهِ رفاقهُ واخذوا من دمهِ، وجعلوا يدلكون بهِ اجسامهم، وكان كل واحد منهم يسرع حيث كان يرى السيف مستلاً فيجثو على ركبتيهِ وينال اكليل الاستشهاد.

وبعد قتل اعيان المدينة أُتيَ بنسائهم، فقيل لهنَّ: "قد رأت اعينكنَّ ما جرى على بعولكنَّ من الهوان والموت لكونهم جدفوا اذ قالوا انّ المسيح هو

الله وابـن الله، فاشـفقنَ انـتنّ علـى نفوسـكنّ وعلـى اولادكـنّ وعلـى بنـاتكنّ، واكفـرنَ بالمـسيح وبـصليبهِ فتـصرنَ يهوديـات مثلنـا وتحـيين، والا فـتمُتنَ موتاً" فقلـنَ بـشجاعةً عجيبـة: "اننـا مـسيحيات، ولا نـزال نقـر ونعـترف انّ المسيح الله وابـن الله، وبـهِ آمنـا ولـصليبهِ سـجدنا ومـن اجلـه نمـوت ونحـن متأهبات ان نموت نظير بعولنا من اجل يـسوع المـسيح" فقيـل لهـنَّ: "قلـنَ فقط انّ المسيح ليس بإله وتحيَين".

قلنَ: "حاشانا ان نكفر بيسوع المسيح الذي مع كونـه إلهـاً اتخـذ ناسـوتنا وانقذنا من انياب الشيطان" فامر الملـك ان يقتلـوهنّ كلـهنّ مـا عـدا الـسيدة رومة قرينة القدّيس حارث التي كانت ذات حسن وجمال لايوصف، وذلك لان الملك قال في نفسهِ: "لعلها تشفق على نفسها وعلى بناتهـا فتكفـر بالمـسيح وتصير يهودية".

وكان لاحدى النساء المقتولات ابن عمرهُ ثلاث سنين، فهـذا كـان تبـع امـهُ حين خروجها من المدينة لتنال اكليل الاستشهاد فلمـا عـاين الـصبي الملك جالساً على التخت وعليهِ ثياب الملوك ترك امهُ واقبل الى الملك عادياً، وقبـل ركبتيه، فمسكهُ الملـك بيـدهِ، واخـذ يلاطفـهُ وقـال لـهُ: "أتريـد يـا بـني ان تذهب فتموت مع امك ام ان تبقـى عنـدي؟" قـال الـصبي: "سـيدي سـيدي أُريد ان اموت مع امي، وانما لاجل هذا خرجتُ معها من البيـت، فانهـا قالـت لي: تعال يا بنيَّ نذهب فنمـوت مـن اجـل المـسيح لكـن خـلِ سـبيلي لأروح فألحق امي خوفاً من ان تموت فلا أراها، لانها قالت لي: قد أمر ملك اليهـود ان يُقتَل كل من لايكفر بالمسيح، فانا ما اكفر بالمسيح" الملك:" ومـن ايـن تعرف المسيح؟".

الصبي: "إني اراهُ كل يوم في البيعة مع امي، فاذا اتيتَ الى البيعة أريتُكَ اياهُ" الملك: "أأُمَّك تحب ام ايَّاي؟" الصبي: "احب أُمي ازيد منك" الملك: "إيَّاي تحب أم المسيح؟" الصبي: "احب المسيح اكثر منك لانهُ احسن منك" الملك: "لِمَ جئتني وقبلتَ ركبتي؟" الصبي: "لاني ظننتُ انَّك الملك النصراني الذي كنتُ رايتهُ في البيعة، ولو كنتُ علمتُ انَّك يهودي لمَا اتيتُكَ ابداً" الملك: "أُعطيكَ جوزاً ولوزاً وتيناً وكل ما تطلب" الصبي: "انا لا آكل جوز اليهود، وأُمي ايضاً لا تاكل جوز اليهود" الملك: "ولماذا؟" الصبي: "لانّ جوز اليهود نجس، ولكن خلّ سبيلي لأذهب الى امي قبل ان تموت فتتركني وحدي" الملك: "امكث عندي فتكون لي ابناً" الصبي: "لا ابقى عندك، لانَّ رائحتك كريهة ورائحة أُمي الذ من رائحتك" قال الملك للحضار: "انظروا الى هذا الأصل الردي وكيف يتكلّم هذا الولد منذ صغرهِ، انظروا كيف انَّ ذلك الساحر المُضل تمكن من إغواء الأطفال ايضاً" فقال واحد من أكابر الملك للصبي: "تعال معي فأذهب بك الى الملكة فتكون لك اماً" قال لهُ الصبيّ: "إنَّ امي احسن لي من الملكة لأنَّ امي تذهب بي الى البيعة، لكن أطلِق سبيلي فهوذا امي ذهبت وخلّتني وحدي" ولما رأى الصبي أن الملك لا يخلي سبيلهُ عض على فخذه وقال لهُ: "خلِ سبيلي ايها اليهودي الشرير، اتركني اذهب الى امي، اتركني اذهب عندها، فانها تموت وأُريد ان اموت انا ايضاً معها" فقال الملك لواحد من أكابر مجلسهِ: "خُذ هذا الصبي واحتفظ بهِ الى ان يبلغ اشدَّهُ، فاذا كفر حينئذٍ بالمسيح فيحيا والا فسيُقتَل" فجاء خادم ذلك اليهودي وحمل الصبي، والصبي يُعوِل ويضرب برجلَيهِ ويصيح أُمَّهُ ويقول لها: "أُماه، اماه، ها انّ اليهود يخطفونني، تعالي وخلِصيني من أياديهم، واذهبي بي الى البيعة".

وكانت امهُ تنظر اليهِ وتصرخ قائلةً: "اذهب يا بني أودعتك المسيح لا تبك يا بني فاني آتيك عمّا قليل، اذهب يا بني وانتظرني في البيعة عند المسيح الى ان آتيك، لا تبكِ يا حشاشة قلبي فاني سألحق بك، إن المسيح بالبيعة، فعندهُ انتظرني، عندهُ انتظرني يا بُنيّ" ولما قالت هذا قُطع رأسها.

وأمَّا ما كان من أمر السيدة رُومة قرينة مار حارث، فكانت بعد استشهاد رفيقاتها قد رجعت الى المدينة حزينة كئيبة لانها لم تستاهل ان تنال اكليل الاستشهاد فبعد مرور ثلاثة ايام انفذ اليها الملك اليهودي مَن يقول لها انَّها اذا كفرَتْ بالمسيح فتحيا والا فتموت فلما سمعت هذا الكلام، قامت وأسرعت الى السوق الذي في وسط المدينة، وأخذت تقول بأعلى صوتها: "أيتها النساء النجرانيات رفيقاتي من مسيحيات ويهوديات وصابئات، أصغين اليَّ، انتنَّ تعلمن انني مسيحية، وتعرفنَّ أهلي وجنسي وقبيلتي، وأنّ لي ذهباً وفضةً وعبيداً وجواري وضيعاً وغلالاً، وما يعوزني شيء ابداً، والآن لو اردتُ لتزوجتُ ثانيةً بالذي يعجبني، ولي الآن أربعون الف دينار ما عدا الدنانير التي في كنز زوجي، ولي من الفضة والذهب والحُلي والحجارة الكريمة شيءٌ كثير، وكثير منكنَّ قد رأين هذا كلهُ في زيارتهنَّ لي في داري، وانتنَّ تعلمن أنَّ الذ يوم فيهِ تصير المرأة الى اعظم سرور هو يوم عرسها، ثمَّ تعقبهُ مرارة دائمة، إن وضعت حملها وجَدت لذلك من الألم ما لا يوصف، إنّ قبَرت اولادَها يتفتَّت قلبها حزناً وأسفاً وامَّا انا فمن اليوم قد عدمتُ هذا كلهُ، وفي ايَّام عرسي الاوَّل كنتُ مسرورة، وها انى زيَّنتُ اليوم بناتي البتولات وأُقدمهنَّ الى المسيح، انظرن اليَّ يا رفيقاتي، مرتين فقط رأيتنَّ وجهي اي في ايام عرسي الاوَّل، والآن في عرسي هذا الثاني، بطلوقة الوجه دخلتُ على عريسي الاول، والآن ايضاً بطلوقة الوجه اذهب مع بناتي الى

المسيح إِلهي، انظرن اليَّ يا رفيقاتي، انظرن اليَّ والى بناتي، فلستُ اقلَّ منكن حُسناً وجمالاً، واني حباً بالمسيح قد نبذتُ كلَّ ما لي من الاموال والحلي والعبيد فلم ابتغِ الا إرادتهُ وهو حسبي والآن قد أرسل الملك من يقول لي ان أجحد المسيح فأحيا، فجاوبتهُ: إِن كفرتُ بالمسيح مُتُّ، وإِن مُتُّ من اجل المسيح حييتُ، فحاشاي يا رفيقاتي ان اكفر بالمسيح الذي بهِ آمنتُ وباسمهِ اعتمذتُ وعمَدتُ بناتي ايضاً، ولصليبهِ اسجد، ومن اجلهِ اموت انا وبناتي مثلما هو مات من اجلنا ها اني تركتُ ذهبَ الأرض للأرض، فمن اراد ان ياخذ ذهبي فلياخذهُ ومن شاء ان ياخذ ما لي من الفضة والحلي فلياخذهُ، اما انا فبطيبة الخاطر قد أمسكت عن كل شيء، لأذهب فأنال إِكليل المجد السماوي طوبى لكُنَّ يا رفيقاتي اذا سمعتنّ كلامي فأحببتنّ المسيح، طوبى لكن اذا عرفتنّ الحقّ الذي من اجلهِ نقدم نحن أنفسنا الى الذبح، ها إِني انطلق مع بناتي الى مدينة أُخرى لأزفهنَّ الى عريسهن، فصلين يا رفيقاتي لاجلي ولأجل بناتي لكي نصل سالمات الى محلنا".

ولما كانت القدّيسة رومة تقول هذا كانت النساء الحاضرات تسكب العبرات وتصدر الزفرات فعظم الضجيج وتزايد العويل حتى بلغ مسامع الملك فاضطرب لانهُ لم يكن يعلم ما الداعي الى ذلك اما السيدة رومة فلما فرغت من مقالتها أسرعت الى المكان الذي فيهِ الملك، فمثلت بين يديهِ، وحلت ضفائرها ولفتها على يدها، فدنت من الملك وحَنَت عنقها وعطفتهُ وقالت لهُ: "أنا نصرانية وبناتي ايضاً نصرانيات، ونحن نموت من اجل المسيح، فاقطع رُؤوسنا لكي نذهب نلحق باخوتنا وأخواتنا وبابي بناتي" فاستغرب الملك ذلك وأخذ يلح عليها ان تكفر بالمسيح فتحيا، وقال لها: "ان أردتِ ان

تحيي انتِ وبناتكِ فابصقي في الصليب واكفري بالمسيح والا لأقتُلنكنَّ الساعة اشنع قتلة" فلما سَمعتْ هذا القول بنت السيدة رومة الصغرى وكان عمرها تسع سنين ملأت فاها بصاقاً، فبصقت في وجه الملك وقالت لهُ: "هذا في وجهك، لانك لم تخجل ان تقول لأُمي الملكة أن تبصق في الصليب وتكفر بالمسيح، كفر اللهُ بك وبجميع اليهود رفاقك، كفر اللهُ بكل من يكفر نظيرك بالمسيح وبصليبهِ المقدّس، يعلم المسيح أنّ امي احسن من امك، وجنسي احسن من جنسك، أفتتجاسر ان تقول لها ان تكفر بالمسيح وتبصق في الصليب، سدَّ اللهُ فاك ايها اليهودي القاتل ربهُ" فغضب الملك وكاد يتمزق من الغيظ، فأمر فرموا السيدة رومة على الارض وذبحوا بناتها، وصبوا من دمهنَّ في فمها، ثمَّ أقاموها فسألها الملك بلهجة المستهزئ قائلاً: "أما استلذَذتِ بدم بناتكِ" فقالت لهُ: "والمسيح لقد ذقتُ منهُ حلاوة لا مثيل لها على الارض" فأمر بقطع رأسها.

وان الله تعالى اخذ بثار هؤلاء الشهداء فانّ الحبشة خرجوا على الملك اليهودي وقبضوا عليهِ وألقوهُ في البحر، واقاموا في نجران ملكاً مسيحياً وهو بنى البيعة ونقل اليها عظام الشهداء اما ما كان من أمر الصبي المار ذكرهُ، فانهُ لما بلغ أشدهُ اخذهُ عندهُ الملك المسيحي الذي مَلك في نجران واكرمهُ الكرامة كلها، وكان يُدعى بيصر وعاش معززاً مكرماً طاهراً نقياً.

وذكر الشهداء الحَميريين عند السريان في الحادي والثلاثين من كانون الاول.



مار انسطاس الشهيد

(٢٢ كانون الثاني ٦٢٨)

لما أغار كِسرى في مبادئ القرن السابع بجيوشهِ على بلاد المملكة الرومية ودخل مدينة أورشليم وأخذ عودَ الصليب الشريف، وذهب بهِ الى ساليق كان في خيالتهِ مجوسي شجيع اسمهُ مغدون[1] كان ابوهُ قد خرَّجهُ في علم المجوس منذ نعومة اظفارهِ، وكان الغير المؤمنين لدى مشاهدتهم عود الصليب المقدّس يشتمل الخوف على قلوبهم ويتغشاها، واما المؤمنون فكانت قلوبهم تتهلّل بالسرور، وكان هذا الامر موضوع الكلام في كل المملكة فهز مغدون الاشتياق الى الاطلاع على هذا السر، فقيل لهُ انهُ إله النصارى، فكان يقول في نفسهِ: "كيف يمكن انّ الهاً عظيماً يسجد لهُ النصارى وهو ساكن في السماء ياتي هنا" وقيل لهُ انهُ الصليب الذي مات عليهِ يسوع المسيح ابن الله لاجل خلاص البشر، فحينئذٍ أخذ ينقب عن الديانة المسيحية، ولم يزدد فيها نظراً الا ازداد فيها رغبةً، فاضمحلت غيوم الضلالة المجوسية عنهُ فاستنار بنور الايمان الهادي الى الصواب.

فترك مغدون الخدمة العسكرية وانطلق الى مدينة هيرابوليس عند صائغ نصراني كان من بلاد فارس، وطلب العماذ، فلم يُجب الصائغ الى سؤلهِ خوفاً من الفرس الذين كانوا بعدُ أصحاب الأمر والنهي في البلد لكنهُ كان يذهب بهِ كل يوم الى الكنيسة، وكانت تُرى فيها صور الشهداء، فكان مغدون يسال عنها، ولما كان يسمع ما قاسى الشهداء والقدّيسون من العذابات الفادحة وما صنعوهُ من المعجزات الباهرة كانت الحيرة تاخذ من

١– اظن ان اصل الكلمة بالفارسية مغكده وهي مركبة من مُغ ومعناهُ المجوسي ومن كده ومعناهُ المحل وكانوا يطلقون هذا الاسم على معبد النار

نفسه كل مأخذ فيشتاق الى الاقتداء بهم ولما رأى انّ طلبتهُ لا تُستجاب هناك انتقل الى مدينة أُورشليم وهو يضطرم شوقاً الى العماد، واستضاف رجلاً صائغاً، فأحسن مثواهُ وذهب بهِ الى ايليا كاهن كنيسة القيامة، فرحَّب بهِ وعانقهُ معانقة أبوية وقدمهُ الى القس مودستوس الذي كان يدبر شؤون الكنيسة الأُورشليمية بالنيابة عن زكريا البطريرك الذي كان أُخذ اسيراً الى بلاد الفرس فاعتمذ مغدون وسمي انسطاس[1]، واعتمذ ايضاً كثير من الفرس ونالوا فيما بعد اكليل الشهادة في مدينة الرها، وامَّا انسطاس فترهَّب في دير انسطاس واخذ يمارس أجلّ اعمال الفضائل المسيحية، وكان رئيس الدير الأنبا يسطينس يحبهُ كثيراً ويرشدهُ في جادة الكمال الانجيلي، وعلمهُ اللغة اليونانية ومكث في الدير سبع سنين يشتغل بتواضع في المطبخ والبستان، ويُطيع جميع الاخوة ويخدمهم ويواظب على قراءَة الكتب المقدسة وقصص الآباء القديسين والشهداء الطاهرين. ولم يكن يتمالك البكاء لدى قراءته سيرة هؤلاء الأبطال الذين قاسوا العذابات وسفكوا دماءهم من اجل مخلصهم، فكان يتضرع اليه تعالى ان يؤهلهُ ان يحارب هو ايضاً نظيرهم عن الديانة المسيحية وذات ليلة رأى نفسهُ في الحلم على جبلٍ عالٍ، واذا رجلٌ جميل المنظر اقبل اليهِ وقدم لهُ كاساً من ذهب مملوة خمراً وقال لهُ: "خُذ واشرب" فلما استيقظ علمَ انّ يسوع المسيح يدعوهُ ان يشرب الكاس التي هو شربها، فأخبر الرئيس بما رآهُ في حلمهِ، وبعد أن طلبَ بركتهُ ذهب وزار جميع الأماكن المقدسة التي في بلاد فلسطين.

وانتقل الى قيصرية حيث قضى يومين في كنيسة العذراء القدّيسة، وفي اليوم الثالث اذ كان منطلقاً الى كنيسة القديسة اوفاميّه التقى بمجوس

١– معناها القيامة والانبعاث.

يَسْحَرون، فأكلتهُ الغيرة الآلهية، ووقف ونظر اليهم مغضباً وقال: "ما لي اراكم ايُها المجوس السَحرة تخدعون الناس بحيلكم الشيطانية" فتعجبوا من جسارته هذه وقالوا: "من انتَ، ومن ايّ بلد انتَ، إنَّ شانك عجب يا شقي... واعجباً من جراءَتك علينا" قال: "اني كنتُ منكم لكني عرفتُ ما انتم عليه من الضلالة فنبذتكم" وكان بالقرب منهم خيالة يحرسون دار المرزبان، فقبضوا عليهِ وأحضروهُ الى مولاهم قائلين أنهُ جاسوس فقال القدّيس: "لا بل انّي عبد يسوع المسيح وقد كنتُ مجوسياً نظيركم، لكني نبذتُ ضلالتكم" فأمر بهِ المرزبان فأُلقي في السجن، وبقي فيهِ ثلاثة ايام، ولم يتناول شيئاً مما قَدم لهُ المجوس من الطعام، ودخل عليهِ واحد من النصارى وأخذ يشجعهُ ويقول لهُ ألا يخاف من الموت، بل ان يحتمل العذابات من اجل يسوع المسيح.

وبعد مرور ثلاثة ايام على حبسهِ أمر بهِ المرزبان فأُحضِرَ فسألهُ عن اسمهِ ووطنهِ، فقال: "اني نصراني مذهباً وفارسي وطناً، وكان مسقط رأسي في قرية رَسْنون في بلاد الرازقيين، وكنتُ فارساً ومجوسياً، وخرجتُ من الظلمة الى النور، وكان اسمي مغدون، ولما تنصَّرتُ تسمَّيتُ انسطاس" فدارت بينهما هذا المحادثة وهي:

المرزبان: "اخرج من وهدة الضلالة وارجع الى ديانتك الاولى".

القدّيس: "حاشاي ان انبذ يسوع المسيح".

المرزبان: "انّ الثوب المتَّشح انت بهِ يجعلك كريهاً".

القدّيس: "هذا الثوب موضوع فخري ومجدي".

المرزبان: "الشيطان يلقنك هذا الكلام".

القدّيس: "الشيطان كان معلمي لما كنتُ متسكعاً في ظلمة ضلالتكم، واما الآن فمعلمي يسوع الذي يحارب الشيطان".

المرزبان: "أما تخاف الملك، أما تخاف ان يعلقك على صليب".

القدّيس: "ولماذا يجب عليَّ ان أخافهُ، أليس هو انساناً ضعيفاً مائتاً نظيرك".

حينئذٍ اشتدَّ غضب المرزبان عليهِ وأمر بهِ فكبل بسلاسل ثقيلة وأُودع سجناً ضيقاً. وحكم عليهِ ان يحمل حجارةً، وانّ بعضاً من اهالي بلدتهِ أتوهُ، ولما رأوا ما هو عليه من ضيق القيود وحَرَج المكان اخذوا يلحون عليه ان ينقاد لأمر المرزبان فيعود الى المجوسية، فلم يكن منهُ الا ليزداد قوةً وشجاعةً، فكانوا يبالغون في إهانتهِ وتعذيبهِ.

ثمَ انَ المرزبان أحضرهُ اليهِ وقال لهُ: "أملي ان تكون قد أقلعت عن تلك الآراء الفاسدة، فتكون قد رجعت الى ديانتك الأُولى" قال: "ما زلتُ حريصاً على آرائي الأُولى بل اني اكثر ثباتاً عليها" قال: "إن لم تخضع طوعاً أكرَهَتْكَ التعاذيب قسراً" قال: "لله ما احلى التعاذيب اني لتائق الى مجد احتمالها حباً بيسوع المسيح" فتمزّق المرزبان غيظاً وأمر به ان يُطرح على الارض فيُضرب بالعصي الى ان يذعن فيكفر بالمسيح، فضُرب بقساوة شديدة، فانفجر الدم من جسده كله فقال القدّيس: "ولو انّكم قطعتموني ارباً ارباً لمَا نبذتُ يسوع آلهي" فتعجب المرزبان من ثباته هذا العجيب، فأحضرهُ اليهِ وقال لهُ: "ارعني السمع يا مغدون، فانّي اتيتك ناصحاً مشفقاً، ارجع الى تعليم المجوس وبهِ اعتصم فهو وحدهُ الحقيقي ولا تحملني ان اقتلك قتلة وبيلة" قال القدّيس: "لأيّ إله تأمرني ان اسجد، أللشمس أم للقمر ام للنار ام للبحر ام للجبال ام لغير ذلك من الموجودات، مع انَّ يسوع الذي به آمنت هو الذي خلقها جميعاً لمنفعتنا، وانتم قد استبدلتم الخالق

بالمخلوق ساجدين لِمَا هو احط قدراً منكم وناكرين الإله الأزلي الذي خلقكم" فلم يكن المرزبان الا ليشتد غضباً، فأمر بهِ فأعادوهُ الى سجنه.

ووصل خبر جهاد مار انسطاس الى رئيس ديرهِ فتهلل قلبهُ فرحاً، فأرسل اليهِ راهبَين لكي يشجعاهُ في عذاباتهِ، وكان القدّيس لم يكتفِ بما يذوق من العذابات نهاراً بل كان يحيي الليالي ايضاً في الصلوة، ولما كانت سلسلة واحدة تربطهُ هو وواحداً آخر من المسجونين كان يبذل قصارى الوسع ألا يزعجهُ وكان في السجن واحد من اليهود، فهذا لدى مشاهدته القدّيس ناقلاً الأحجار الثقيلة نهاراً وقاضياً الليل كلهُ في الصلوة كان يتعجب منهُ ويقول في نفسهِ: "أترى ماذا يكون هذا الرجل" فذات ليلة اذ كان القدّيس يتلو صلاة الصبح رأى اليهودي السجن ممتلئاً نوراً ساطعاً، واذا باشخاص متقمصين بثيابٍ بيض أتوا الى القدّيس، فاحاطوا به احاطة الهالة بالقمر، فاخذ اليهودي العجب وقال في نفسه: "إنّ هؤلاء ملائكة الله" ثم رأى انّ ثيابهم تحولت الى رداء عليهِ صلبان، فقال: "انهم اساقفة" واما مار انسطاس فكان متسربلاً بثوب ابيض لا مثيل لهُ على الارض، وكان قدّامهُ شاب جميل المنظر بيدهِ مبخرة من ذهب، فلما رأى اليهودي ذلك هزهُ الشوق الى إيقاظ جارهِ الذي كان نصرانياً ليشاهد ذلك المنظر العجيب، فهززهُ وقال لهُ: "انظر انظر" لكن الرؤيا كانت قد غابت، فلم يرى شيئاً، وقص اليهودي على النصراني كل ما رأى وهو يمجد ربنا يسوع المسيح.

وكان المرزبان قد كتب للملك كسرى عن القدّيس، فاجابهُ ان يحمل الشهيد أن يقول: "اني لستُ نصرانياً، ويخلي سبيلهُ، والا فليُرسلهُ اليهِ الى بلاد فارس" فأرسل المرزبان من يقول لانسطاس: "انّ الملك لا يطلب منك شيئاً سوى ان تقول: اني لستُ مسيحياً، فنُطلقك فتعمل ما شئتَ" قال القدّيس:

"لن انبذنّ المسيح ابداً" فأرسل اليهِ المرزبان ثانيةً يقول: "اني اعلم انك تستحي ان تنبذ ديانتك قدام بني وطنك، فأُشيرُ اليك ان تاتيني فتقول قدامي وقدام اثنين آخرين أنك لست نصرانياً، وحينئذٍ اخلي انا سبيلك" قال القدّيس: "لستُ اكفر بالمسيح لا قدامك ولا قدام احد آخر اياً كان" فقال لهُ المرزبان: "اذاً بموجب أمر الملك يجب عليك ان تنطلق الى بلاد فارس مكبلاً بالسلاسل" قال: "اني بطيبة خاطر انطلق وحدي الى الملك" وقيل لهُ أنهُ بعد مرور خمسة ايام يجب ان يذهب الى الملك مصحوباً باثنين آخرين من النصارى كانا محبوسين معهُ، وكان الراهبان اللذان ارسلهما اليه رئيسهُ لا يفارقانهِ ليلاً ولا نهاراً واتَّفق انّ عيد الصليب وقع في تلك الايام، فالقدّيس والراهبان والمحبوسان المذكوران وكثير من نصارى المدينة قضوا الليل في تلاوة الصلوات والمزامير، فلما أصبحت اتى واحد من اعيان البلد الى المرزبان وطلب اليهِ ان يُطلق في ذلك العيد السعيد المحبوسين فيذهب بهم هو الى الكنيسة، ووعدهُ بان ياتي بهم مساءً الى السجن، فأجاب المرزبان الى سؤلهِ، فانطلق بهم الى الكنيسة وشمل النصارى فرح عظيم، فأقبلوا الى مار انسطاس واخذوا يقبلون قيودهُ، وبعد تقدمة الذبيحة الآلهية ذهب بهِ وبالراهبين الى دارهِ وجلسوا معهُ الى المائدة، ولما كان المساء رجع بهم الى السجن.

ولما تَّمت الايام الخمسة المؤَجَّلة خرج مار انسطاس من مدينة قيصريَّة مصحوباً بالمحبوسيَن المذكورَين وبراهب من رهبان ديرهِ وهو الذي كتب قصَّة الشهيد، وخرج كثير من النصارى وشيَّعوا القدّيس مذرفين الدموع ومسبحين الله لمَا كانوا يرون في القدّيس من الشجاعة العظيمة والشوق الحار الى الموت من اجل يسوع المسيح وكان حضورهُ في كل الامكنة التي مرَّ بها

داعياً قلوب النصارى الى الحبور والسرور، فكانوا يرحبون بهِ ويحسنون مثواهُ فيتبركون به، ولما انتهوا الى بلاد فارس أُلقي مار انسطاس في سجن قرية من قرى بيت سلوخ على مسافة ساعَتين من قصر دستجرد حيث كان يقيم الملك وامّا الراهب الذي كان رافقهُ فنزل في دار قرطاق بن يزدين الذي كان من عظماء الملك[1] وبعد مرور أيام قليلة على وصول الشهيد ارسل اليهِ الملك مجوسياً لكي يستنطقهُ، فسألهُ المجوسي لماذا ترك دين آبائهِ فتنصَّر، قال الشهيد: "انَّكم ضالون اذ انَّكم عوض الإِله الحق تسجدون للشيطان، وانا ايضاً كنتُ قبلاً في الضلالة نظيركم اذ كنتُ اسجد لآلهتكم الكاذبة، وامّا الآن فاني اسجد لله الضابط الكل خالق السماء والارض وكل مافيهما" قال المجوسيّ: "يا لك من شقي، ألم يصلب اليهود ذاك الذي يسجد لهُ النصارى فكيف نبذتَ انت ديانتك فتنصَّرت" قال: "انّ الذي تقولهُ لَحقٌّ، فانّ اليهود صلبوا الذي يسجد لهُ النصارى، لكنهُ هو الذي سلم نفسهُ للموت، فانهُ هو الذي خلق السماء والارض والبحر وكل ما فيها، ثمَّ نزل من السماء فصار انساناً وصُلب لكي يخلصنا من عبوديَّة الشيطان الذي انتم تسجدون لهُ، والآن انتم انما للنار ولسائر العناصر التي خلقها إِلهنا تسجدون واياها تعبدون" فاغتاظ المجوسي غيظاً شديداً، لكنهُ كظم غيظهُ، وقال للقدّيس: "سمعك اليَّ يا مغدون ولا تُقسِ قلبك...اعمل بما أُشير عليك وهو ان تُقلع عن رايك هذا الفاسد فتعود الى ديانتك، فيبلغ بك الملك غاية الشرف وأعلى المراتب" قال الشهيد: "حاشاي ان اكفر بيسوع

١- يظهر من هذه الالفاظ انّ استشهاد القديس كان في باجرمي في مدينة كرخ سلوخ وهي كركوك او في جوارها، فانّ يزدين المشهور كان ثمّة ساكنا.

المسيح إلهي- اني لهُ اسجد واياهُ أحب واعبد واسبح في كل وقت وحين، واما كرامة ملكك فاني لستُ ابالي بها".

فانطلق المجوسي وأخبر الملك بكل ما قال القدّيس، فأمر الملك بجلده بغية ان يحملهُ على التمجُّس بواسطة العذابات، فأُذيق القدّيس من العذابات أمرها ومن التباريح شرها، فربطوا برجليه أحجاراً ثقيلة، وجعلوهُ معلقاً على خشبة باحدى يديه، وبقي مدةً في هذا العذاب الفادح، ثمَّ شدوا يديه تحت ركبتيه واتوا بخشبة غليظة فأدخلوها بين فخذيه فمرت على ذراعيه، وداس على تلك الخشبة رجلان واحد منهما يمنة والاخر يُسرة، فكان هذا العذاب مراً قاسياً، فقيل للقدّيس ان يذعن لإرادة الملك، فكان يقول: "لا اسجد لآلهتكم الكاذبة، فاني على إلهي متوكل، وبه واثق ولهُ وحدهُ اسجد" فانطلق المجوسي ليُطلِع الملك على أمره، وفي غضون ذلك أقبل اليه الراهب الذي كان صاحَبهُ وحارس السجن وأخذا يشجعانه ويسليانهُ، وأتى اليه كثير من النصارى وفي جملتهم اولاد يزدين وطرحوا انفسهم على قدمَيه مقبلين قيوده وطالبين ادعيتهُ وبركتهُ، وأتوا بالشمع وطابقوهُ على قيوده لكي يتَّسم فيتَّخذونهُ ذخيرة.

ولما مرَّ على هذا الحادث خمسة أيَّام امر الملك بقتل الشهيد والنصارى الذين كانوا محبوسين معهُ وكانوا سبعين نفساً، فقطع الجلّاد رؤوس جميعهم قدام عينَي مار انسطاس، فحينئذٍ قال لهُ المجوسيّ: "امتثل يا مغدون امر الملك فيكرمك الكرامة كلها فتصير كواحد منَّا" امَّا القديس فرفع عينَيه الى العلى شاكراً الله عزَّ وجلَّ على ما سكب عليه من سوابغ النعم والبركات، ثمَّ التفت الى المجوسي وقال لهُ: "إن أملي كان أن أُقطع ارباً من اجل إلهي، والآن أرى انك مزمع ان تقتلني قتلة خفيفة، فمع هذا اني اشكر

إلهي لانهُ أهّلني بواسطة هذه الميتة الخفيفة أن ادخل ملكوتهُ فاتمتع مع زمرة الشهداء" قال هذا ودنا منهُ الجلاد وخنقهُ هو ايضاً نظير رفاقهِ، ثمَّ قُطع رأسهُ وذُهبَ بهِ الى الملك، وكان حارس السجن نصرانياً فرام ان يضع جثة انسطاس على حدة لكي يعرفهُ بعد فيدفنهُ باكرام.

واما الجلادون الذين كانوا يهوداً ففي اول الأمر انكروا عليهِ ذلك، لكنهم اجابوا اخيراً الى سؤلهِ، وذلك بعد ان أخذوا مبلغاً جسيماً من الدراهم من أولاد يزدين الذين كانوا شهدوا جهاد القدّيس فالراهب الذي كان صحب الشهيد من قيصرية اتى ليلاً مصحوباً بعبيد يزدين وبعض الرهبان فأخذوا جثة القدّيس وانطلقوا بها الى دير مار سرجيس الذي كان قريباً من المدينة، فدفنوها فيهِ، وكان جهاد مار انسطاس في ٢٢ كانون الثاني سنة ٦٢٨.

وكان القدّيس في اليوم السابق لقتلهِ قد قال للأسرى الذين من بلاد فلسطين: "اعلموا يا اخوتي انّي في الغد انال مكافاتي الأخيرة من الله عزَّ وجل، واما انتم ففي ايام قليلة ترجعون الى بلادكم مسرورين، واما الملك الظالم فيموت موتاً شنيعاً" وكان كذلك، فانهُ بعد مرور عشرة ايام على هذا الحادث اي في غرة شباط قدم غفلةً الملك هرقيل بأجنادهِ المظفرة وقبضوا على الملك واذاقوهُ أمرّ العذابات الى ان مات ثمَّ انّ الراهب الذي كان تبع انسطاس رجع بقميص القدّيس الى دارهِ وقصَّ على الرئيس كل قصة الشهيد، فدونها في بطون الأوراق ثمَّ ان جسد القدّيس نُقل الى قسطنطينية ثمَّ الى ديرهِ في بلاد فلسطين، واما رأسهُ فنُقل مع ايقونتهِ الى مدينة روميَّة، وهذه الايقونة عجائبيَّة، ولكثرة أعاجيبها من طرد الشياطين وشفاء المرضى وغير ذلك قد استشهد بها آباء المجمع النيقاوي الثاني المسكوني السابع ايثاراً على سواها من الايقونات إثباتاً لوجوب اكرام الصور، وهذه الأيقونة موجودة حتى اليوم في دير في روميَّة يسمَّى(Ad aquas salvias)


تم الكتاب
بقلم السيّد ادّى شير
مطران سعرد على الكلدان

قائمة الاعياد والتذكارات حسب الطقس الكلداني

انّ هذه القائمة ماخوذة من كلندار قديم محفوظ في مكتبة دير مار يعقوب الحبيسيّ بجانب سعرد، ومن كلندار اخر مُدرَج في انجيل قديم العهد محفوظ في القلاية البطريركية الكلدانية في الموصل، وقد حذفنا قدّيسي النساطرة وهم كثيرون، لكنا ادخلنا في هذه القائمة بعض اعياد وتذكارات اخذت حديثا من الكنيسة اللاتينية، فالنجم (*) الذي يتقدم بعض الاعياد او التذكارات يشير الى حداثتها.

تشرين الاوّل[1]	تشرين الثاني
١ مار يوحنا الذي بنى دير زرنوقا. ومار يوحنا مطران أربيل الشهيد.	١مار يوحنا مطران اربيل الشهيد. ومار أحا وهو من تلاميذ مار اوجين.
٢ مار فافا اسقف ارزون وهو من تلاميذ مار اوجين، ومار ماروثا اسقف ميافرقين.	٣ دفن اعضاء مارفثيون الشهيد.
٤ الفتيان الثمانية الذين من أفسس.	١٨ مار اسطيفانوس الشهيد.
٦ مار سركيس وباكوس.	٢٤ الشهداء الاثنا عشر الفاً
٨ مار عبد المسيح الشهيد.	٢٥ مار قرياقس الشهيد.
١٢ الشهداء الثلثمائة الذين تكللوا	٢٧ لأنبا مقاريس، ومار يعقوب المقطع.

١- رأس السنة كان في تشرين الاوّل

في جبل سنجار، ومار اوجين. ١٥ مار ميخائيل رفيق الملائكة. ١٩ مار يعقوب الحبيسي ٢٥ مار فثيون الشهيد. ٢٧ مار يارث الراهب.	
كانون الأول	**كانون الثاني**
٤ القديسة بربارة وجميع الشهيدات اللواتي تكللن في الغرب. ٦ مار حزقيال تلميذ مار اوجين ٧ مار عبدا الاسقف الشهيد. ٨ * الحبل بلا دنس. ١٠ مار بهنام ورفاقهُ الشهداء. ١٢ مار حننيا الذي استشهد في اربيل. ١٤ مار ابراهام القيدوني. ٢٥ ميلاد ربنا يسوع المسيح. ٢٦ تهنئة مريم العذراء (كان يومهُ قديماً في الجمعة الأُولى بعد الميلاد). ٢٧ قتل الأطفال (كان يومهُ قديماً الاحد الأول من	١ * ختانة الرب. ٦ الدنح. ٧ مار يوحنا المعمذان (كان يومهُ قديماً الجمعة الأُولى من الدنح). ١٢ مارازفروا وميهرنرسا واختهما ماهدوخت. ١٧مار انطونيوس رئيس الرهبان. ٢١ ماريوسف القسيس الشهيد الأربيلي. ٢٩ مار يونان الغريب، ومار سابا الشهيد.

الميلاد).	
شباط	**آذار**
١ تقديم الرب الى الهيكل. ٣ مار ابراهام مطران اربيل الشهيد. ١٥ مار لوليانا سابا.	٨ الاربعون شهيداً. ١٨ * مار يوسف خطيب العذراء. ٢٤ بشارة مريم العذراء.
أيار	**حزيران**
١٢ مار فولا الاسقف ويوحنا الساعور. ١٣ مار أدي الرسول. ١٥ سيدة الزرع. ٢٨ مار فثيون الشهيد. ٣١ الأنبا سرافيون.	١ تقلا ومريم الراهبتان ورفيقاتهما الشهيدات. ١٨ القدّيسة أناهيذ الشهيدة. ٢١ * زيارة مريم لاليشاع. ٢٥ القدّيسة فبرونيا الشهيدة، وميلاد مار يوحنا المعمذان. ٢٩ * مار بطرس ومار بولس
تموز	**آب**
٣ مار توما الرسول. ٧ مار برحدبشبا الشماس الشهيد ٩ الاربعة آلاف شهيداً. ١٥ مار قرياقس ويوليطى امهُ.	١ القديسة شموني وأولادها. ٦ التجلي. ١٠ مار شليطا تلميذ مار أوجين. ١٣ مار جرجس الشهيد ١٥ انتقال العذراء.

١٦ الاثنا عشر الف شهيد. ٢٠ مار برحدبشبا الشهيد. ٢٥ مار متى الذي لهُ دير في جبل الفاف. ٢٧ مار اسطيفانوس الشهيد. ٢٩ مار بطرس ومار بولس	١٦ مار سابا الشهيد. ١٧ مار يوحنا المعمذان. ٢٣ الملائكة. ٢٤ الأنبياء. ٢٥ الشهداء المائة والخمسون الفاً الذين تكللوا في كركوك. ٢٦ الشهداء الثمانية آلاف والتسعمائة والأربعون وشيرين وولداها الشهداء. ٢٩ قتل مار يوحنا المعمذان.
ايلول	
٨ * ميلاد مريم العذراء. ١٤ الصليب المقدس. ١٩ مار شليطا الشهيد. ٢١ مار يازدين الحبيس. ٢٥ مار طهمز كرد الشهيد، والقديسة مسكنتا وولداها.	



الأعياد والتذكارات المتحولة

١. الجمعة الأُولى بعد الميلاد تذكار مار يعقوب اخي الرب.

٢. الاحد الأوّل بعد الميلاد تذكار قتل الاطفال.

٣. الاحد الثاني بعد الميلاد عيد تقديم يسوع في الهيكل.

٤. الجمعة الأُولى بعد الدنح تذكار مار يوحنا المعمذان.

٥. الجمعة الثانية بعد الدنح تذكار مار بطرس ومار بولس.

٦. الجمعة الثالثة بعد الدنح تذكار الانجيليين الاربعة.

٧. الجمعة الرابعة بعد الدنح تذكار مار اسطيفانوس.

٨. الجمعة الخامسة بعد الدنح تذكار المعلمين اليونانيين.

٩. الجمعة السادسة بعد الدنح تذكار مار افرام ورفاقه المعلمين.

١٠. الجمعة السابعة بعد الدنح تذكار القديس الخصوصي.

١١. الجمعة الثامنة بعد الدنح تذكار الموتى المؤمنين.

١٢. الاحد السادس من الصوم تذكار مار ميخائيل رفيق الملائكة.

١٣. الجمعة السادسة من الصوم هي جمعة لاعازر.

١٤. الاحد السابع من الصوم هو عيد السعانين.

١٥. الاسبوع الأول من القيامة هو عيد قيامة ربنا يسوع المسيح.

١٦. الجمعة الأولى من القيامة تذكار جميع المعترفين.

١٧. الأحد الجديد وهو تذكار مار يوحنا الذي نصب ديراً في كامول، ومار ماما ومار سابا الشهيدين.

١٨. الجمعة الثانية من القيامة تذكار مار فنحاس الشهيد.

١٩. السبت الثاني من القيامة تذكار مار خوداوي.

٢٠. الاحد الثالث من القيامة تذكار مار يونان الغريب.

٢١.يوم الاثنين الثالث من القيامة تذكار مار آذورهرمزد الشهيد.

٢٢.الجمعة الثالثة من القيامة تذكار مار يوحنا ومار ابراهام ومار دانيال وجميع مطارنة اربيل القديسين.

٢٣.الجمعة الرابعة من القيامة تذكار مار سركيس ومار باكوس.

٢٤.الاحد الخامس من القيامة تذكار مار ادي الرسول.

٢٥.الجمعة الخامسة من القيامة تذكار القديسة شيرين الشهيدة.

٢٦. الخميس اليوم الأربعون بعد عيد القيامة هو عيد السلاق.

٢٧. الجمعة الأُولى بعد عيد السلاق تذكار مار فولا ومار يوحنا.

٢٨. الجمعة السابعة من القيامة تذكار مار احا ومار يوحنا ومار شاهين ورفاقهم.

٢٩.اليوم العاشر بعد السلاق هو احد الفنطيقسطي.

٣٠.الجمعة الاولى من سابوع الرسل هي جمعة الذهب.

٣١. * الخميس الثاني من سابوع الرسل هو عيد جسد الرب.

٣٢.الجمعة الثانية من سابوع الرسل تذكار مار قليميس ومار ايرينـأُوس ورفاقهما.

٣٣. الجمعة الثالثة من سابوع الرسل تذكار مار اثناسيوس ورفاقه، * وعيد قلب يسوع .

٣٤.الجمعة الرابعة من سابوع الرسل تذكار القديسة فبرونيا الشهيدة.

٣٥.الجمعة الخامسة من سابوع الرسل تذكار مار داماسوس ورفقائه بابوات رومية القديسين.

٣٦. الجمعة السادسة من سابوع الرسل تذكار مار غريغوريوس الشهيد.

٣٧. الجمعة الخاتمة سابوع الرسل تذكار الاثنين والسبعين تلميذاً.

٣٨. الاحد الاول من سابوع القيظ المعروف بنوسرديل هو تذكار الاثني عشر رسولاً.

٣٩. الجمعة الاولى من سابوع القيظ تذكار مار يعقوب اسقف نصيبين.

٤٠. الجمعة الثانية من سابوع القيظ تذكار مار ماري الرسول.

٤١. الجمعة الخامسة من سابوع القيظ تذكار شموني وأولادها.

٤٢. الجمعة السادسة من سابوع القيظ تذكار مار شمعون برصباعي ورفاقه الشهداء.

٤٣. الجمعة السابعة من سابوع القيظ تذكار مار قرداغ الشهيد المعظم.

٤٤. الجمعة الاولى من سابوع ايليا تذكار مار شمعون ومار شهدوست ومار بربعشمين الجثالقة الشهداء.

٤٥. الخميس الثاني من سابوع ايليا تذكار الكنيسة الأُولى التي بُنيت في الموصل على أسم مار فثيون الشهيد.

٤٦. الجمعة الثانية من سابوع ايليا تذكار مار عبدا الاسقف الشهيد.

٤٧. الجمعة الثالثة من سابوع ايليا تذكار مار موسى الشهيد.

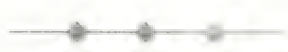
٤٨. الجمعة الأُولى بعد عيد الصليب تذكار الملك قسطنطين وامه هيلانة الملكة

٤٩. الجمعة الثانية بعد عيد الصليب تذكار مار يعقوب المقطع.

٥٠. الجمعة السابعة من سابوع ايليا تذكار ايليا النبي.

٥١. الجمعة الثانية من سابوع موسى تذكار مار انطونيوس ورفاقه

٥٢. الجمعة الأُولى من تقديس البيعة تذكار مار اوجين ورفاقه.



سيرة اشهر شهداء المشرق القديسين



الجزء الثاني

بقلم : أدّي شير مطران سعرد على الكلدان

KHI معهد التراث الكردى